



<http://www.masaha.org>

الأغاني

الجزء السادس عشر

تأليف

أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

جميع الحقوق محفوظة لفريق مساحة حرة



<http://www.masaha.org>

الجزء السادس عشر

تتمة التراجم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* >الجزء السادس عشر من كتاب الأغاني<

1-أخبار شارية

نسبها و تعلمها الغناء

قال أبو الفرج عليّ بن الحسين:

كانت شارية مولدة من مولدات البصرة، يقال إن أبها كان رجلا من بني سامة بن لؤي المعروفين ببني ناجية[1]، و أنه جدها، و كانت أمها أمة، فدخلت في الرق. و قيل بل سرقت فبيعت، فاشترتها امرأة من بني هاشم، فأدبتها، و علمتها الغناء، ثم اشتراها إبراهيم بن المهدي، فأخذت غناءها[2]كله أو أكثره عنه، و بذلك يحتج من يقدّمها على عريب، و يقول: إن إبراهيم خرّجها، و كان يأخذها بصحة الأداء/لنفسه، و بمعرفة ما يأخذها به.

و لم تكن هذه حال عريب، لأن المراكبي[3]لم يكن يقارب إبراهيم في العلم، و لا يقاس به في بعضه[4]، فضلا عن سائره.

ابن المعتز يؤلف عنها

أخبرني بخبرها محمد بن إبراهيم قريص[5]:

أن ابن المعتز دفع إليه كتابه الذي ألفه في أخبارها، و قال له أن يرويه عنه، فنسخت منه ما كان يصلح لهذا الكتاب على شرطتي فيه، و أضفت إليه ما وجدته من أخبارها عن غيره في الكتب، و سمعته أنا عن رويته عنه.

[1]سامة بن لؤي بن غالب: أخو كعب الجد السادس للنبي صلى الله عليه و سلم. و اختلف فيه: فقال أبو الفرج الأصبهاني: إن قريشا تدفع بني سامة، و تنسبهم إلى أمهم ناجية. و قال الهمداني: يقول الناس: بنو سامة، و لم يعقب ذكرا، إنما هم أولاد بنته، و كذلك قال عمر و عليّ، و لم يفرضاً لهم، و هم ممن حرم. و قال ابن الكلبي و الزبير بن بكار: فولد سامة بن لؤي الحارث و غالبا (انظر «تاج العروس» الزبيدي في: سوم) .

[2]كذا في ف، و في بقية الأصول: غناءه.

[3] كذا في ف، م، و «نهاية الأرب» (5: 96) و هو عبد الله بن إسماعيل المراكبي، مولى عريب، و مخرجها في الغناء. و في بقية الأصول. المرادي، تحريف.

[4] كذا في ف. و في أ، م: و لا يقاس في بعضه. و في ج: و لا يقاس بعضها بعضه.

[5] هو قريص المغني، قال ابن النديم في «الفهرست» (مصر 222): قريص الجراحي، كان في جملة أبي عبد الله محمد بن داود بن الجراح، و اسمه... «من حذاق المغنين و علمائهم» و قريص: بصاد مهملة كما في ف و بعض النسخ، لا بالضاد كما في بعض آخر؛ يؤيد ذلك الجناس في بيت لحظة البرمكي، من أبيات يهجو به:

أكلنا قريصا و غنى قريص # فبتنا على شرف الفالج

توفى قريص سنة أربع و عشرين، و فيها مات لحظة. انظر «الفهرست» لابن النديم.

بيعها

قال ابن المعتز: حدثني عيسى بن هارون المنصوري:

أن شارية كانت لا امرأة من الهاشميات بصرية، من ولد جعفر بن سليمان. فحملتها لتبيعها ببغداد، فعرضت على إسحاق بن إبراهيم الموصلية، فأعطى بها ثلاثمائة دينار، ثم استغلاها بذلك و لم يردّها. فجيء بها إلى إبراهيم بن المهدي، فعرضت عليه، فساوم بها. فقالت له مولاتها: قد بذلتها لإسحاق بن إبراهيم بثلاثمائة دينار، و أنت أيها الأمير، أعزك الله، بها أحق. فقال: زنوا لها ما قالت. فوزن لها، ثم دعا بقيمتها، فقال: خذي هذه الجارية و لا ترينها[1] سنة، و قولي للجواري يطرحن عليها، فلما كان بعد سنة أخرجت إليه، فنظر إليها و سمعها.

فأرسل إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلية فدعاه، و أراه إياها، و أسمعها غناءها. و قال: هذه جارية تباع، فبكم تأخذها لنفسك؟ قال إسحاق: آخذها بثلاثة آلاف دينار، و هي رخيصة بها. قال له إبراهيم: أتعرفها؟ قال: لا. قال: هذه الجارية التي عرضتها عليك الهاشمية بثلاثمائة دينار، فلم تقبل. فبقي إسحاق متحيراً، يعجب من حالها و ما انقلبت إليه.

و قال ابن المعتز: حدثني الهشامي[2] عن محمد بن راشد: أن شارية كانت مولدة البصرة، و كانت لها أمٌ خبيثة منكرة، تدّعي أنها بنت محمد بن زيد، من بني سامة بن لؤي.

قال ابن المعتز: و حدثني غيره، أنها كانت تدّعي أنها من بني زهرة.

قال الهشامي: فجيء بها إلى بغداد، و عرضت على إبراهيم بن المهدي، فأعجب بها إعجاباً شديداً، فلم يزل يعطيها، حتى بلغت ثمانية آلاف درهم. فقال لي هبة الله بن إبراهيم بن المهدي: إنه لم يكن عند أبي درهم و لا دانق، فقال لي: ويحك! قد أعجبتني و الله هذه الجارية إعجاباً شديداً، و ليس عندنا شيء. فقلت له: نبيع ما نملكه حتى الخزف. و نجتمع ثمنها. فقال لي: قد فكرت[3] في شيء؛ اذهب إلى علي بن هشام، فأقرئه مني السلام، و قل له: جعلني الله فداك! قد عرضت/عليّ جارية قد أخذت بمجامع قلبي، و ليس عندي ثمنها، فأحب أن تقرضني عشرة آلاف درهم. فقلت له: إن ثمنها ثمانية آلاف درهم، فلم تكثر على الرجل بعشرة آلاف درهم؟ فقال: إذا اشتريناها بثمانية آلاف درهم، لا بدّ أن نكسوها، و نقيم لها ما تحتاج إليه.

/فصرت إلى عليّ بن هشام، فأبلغته الرسالة، فدعا بوكيل له، و قال له: ادفع إلى خادمه عشرين ألفاً، و قل له: أنا لا أصلك، و لكن هي لك حلال في الدنيا و الآخرة[4]. قال: فصرت إلى أبي بالدراهم، فلو طلعت عليه بالخلافة، لم تكن تعدل عنده تلك الدراهم.

خبت أمها

و كانت أمها خبيثة، فكانت كلما لم يعط إبراهيم ابنتها ما تشتتهي، ذهبت إلى عبد الوهاب بن عليّ، و دفعت إليه رقعة يرفعها إلى المعتصم، تسأله أن تأخذ ابنتها من إبراهيم.

[1] في «نهاية الأرب» (5: 79) : تزنيها.

[2] كذا في ف، ج. و في بقية الأصول: الهاشمي، تحريف.

[3] كذا في ف. و في بعض الأصول: تذكرت، و في بعضها: تفكرت.

[4] كذا في الأصول و «نهاية الأرب» (5: 80) و لعله يريد ليست هي بقرض و لا صدقة، و لكنها هبة.

قال ابن المعتز: و أخبرني عبد الواحد بن إبراهيم بن محمد بن الخصيب، قال: ذكر يوسف بن إبراهيم المصري، صاحب إبراهيم بن المهدي: أن إبراهيم وَّجَّه به إلى عبد الوهاب بن عليّ، في حاجة كانت له، [قال1]: فلقيته و انصرفت من عنده، فلم أخرج من دهليز عبد الوهاب حتى استقبلتني امرأة. فلما نظرت في وجهي سترت وجهها. فأخبرني شاكري[2] أن المرأة هي أم شارية، جارية إبراهيم. فبادرت إلى إبراهيم، و قلت له: أدرك، فإني رأيت أم شارية في دار عبد الوهاب، و هي من تعلم، و ما يفجؤك إلا حيلة قد أوقعتها. فقال لي في جواب ذلك: أشهدك أن جاريّتي شارية صدقة على ميمونة بنت إبراهيم بن المهدي، ثم أشهد ابنه هبة الله على مثل ذلك[3]. و أمرني بالركوب إلى دار ابن أبي دواد، و إحضار من قدرت عليه من الشهود المعدلين عنده، فأحضرته أكثر من عشرين شاهداً. و أمر بإخراج شارية، /فخرجت، فقال لها: اسفري، فجزعت من ذلك. فأعلمها أنه إنما أمرها بذلك لخير يريد به، ففعلت.

فقال لها: تسمّى. فقالت: أنا شارية أمتك. فقال لهم: تأملوا وجهها، ففعلوا. ثم قال: فإني أشهدكم أنها حرة لوجه الله تعالى، و أني قد تزوّجتها، و أصدققتها عشرة آلاف درهم. يا شارية مولاة إبراهيم بن المهديّ، أرضيت؟ قالت: نعم يا سيدي قد رضيت، و الحمد لله على ما أنعم به عليّ. فأمرها بالدخول، و أطعم الشهود و طيّبهم و انصرفوا.

فما أحسبهم بلغوا دار ابن أبي دواد، حتى دخل علينا عبد الوهاب بن عليّ، فأقرأ عمه سلام المعتصم، ثم قال له: يقول لك أمير المؤمنين: من المفترض عليّ طاعتك، و صيانتك عن كل ما يعرك[4]، إذ كنت عمي، و صنو أبي، و قد رفعت إليّ امرأة من قريش قصة، ذكرت فيها أنها من بني زهرة صليبية[5]، و أنها أم شارية، و احتجت بأنه لا تكون بنت امرأة من قريش أمة، فإن كانت هذه المرأة صادقة في أن شارية بنتها، و أنها من بني زهرة، فمن المحال أن تكون شارية أمة؛ و الأشبه بك و الأصلح إخراج شارية من دارك، و سترها عند من تثق به من أهلك، حتى نكشف ما قالت هذه المرأة؛ فإن ثبت ما قالته أمرت من جعلتها عنده بإطلاقها، و كان في ذلك الحظ لك في دينك و مروءتك؛ و إن لم يصح ذلك، أعيدت الجارية إلى منزلك، و قد زال عنك القول/الذي لا يليق بك و لا يحسن.

فقال له إبراهيم: فديتك يا أبا إبراهيم، هب شارية بنت زهرة بن كلاب،
أتنكر على ابن عباس بن عبد المطلب أن يكون بعلا لها؟ فقال عبد الوهاب:
لا. فقال إبراهيم: فأبلغ أمير المؤمنين، أطال الله بقاءه السلامة، وأخبره أن
شارية/حرة، وأنني قد تزوجتها بشهادة جماعة من العدول.

[1]قال: عن «نهاية الأرب» .

[2]الشاكري: أحد الجنود الشاكرية؛ من جند الخلفاء العباسيين. انظر
رسالة معاقب الترك و عامة جند الخلافة للجاحظ ص 18.

[3]كذا في ف. و في بقية الأصول: ثم أشهد الله أنه على مثل ما
أشهدني عليه.

[4]كذا في ف. و في بعض الأصول: يضرك. و في «نهاية الأرب»
للنويري (5: 81) : يسوؤك.

[5]صلبية: بتقديم الياء المثناة على الباء، كذا في ف، أ. و في ترجمة
أبي تمام («الأغاني» طبعة الساسي 15: 96) . و كذلك جاءت في أخبار
أبي تمام للصولي (ص 59 طبعة ترجمة التأليف و الترجمة) . و هي منصوبة
إما على أنها صفة لمحذوف، أي نسبة صلبية، و هي الخالصة. قال في
«أساس البلاغة» : عربي صليب: خالص النسب، و امرأة صلبية: كريمة
المنصب عريقة. و إما على أنها حال من بني زهرة، و هم فرع من قريش. و
في ج، م، س، ب: صلبية، بتقديم الموحدة على المثناة، نسبة إلى الصلب.
يريد أن آباءها من بني زهرة أنفسهم، و ليست مولاة لهم، فكلا اللفظين إذن
صحيح.

و قد كان الشهود بعد منصرفهم من عند إبراهيم صاروا إلى ابن أبي دواد. فشم منهم من رائحة الطيب ما أنكره، فسألهم عنه، فأعلموه أنهم حضروا عتق شارية، و تزوج إبراهيم إياها. فركب إلى المعتصم، فحدّثه بالحديث معجبا له منه. فقال: ضلّ سعي عبد الوهاب. و دخل عبد الوهاب على المعتصم، فلما رآه يمشي في صحن الدار، سدّ المعتصم أنف نفسه، و قال: يا عبد الوهاب، أنا أشم رائحة صوف محرق، و أحسب أن عمي لم يقنعه ردّك إلا و على أذنك صوفة حتى أحرقها، فشمت رائحتها منك. فقال: الأمر على ما ظنّ أمير المؤمنين و أقبح.

و لما انصرف عبد الوهاب من عند إبراهيم، ابتاع إبراهيم منه بنته ميمونة شارية، بعشرة آلاف درهم، و ستر ذلك عنها، فكان عتقه إياها و هي في ملك غيره، ثم ابتاعها من ميمونة، فحل له فرجها، فكان يطؤها على أنها أمته، و هي تتوهم أنه يطؤها على أنها حرة. فلما توفي طلبت مشاركة أم محمد بنت خالد زوجته في الثمن، فأظهرت خبرها. و سئلت ميمونة و هبة الله عن الخبر، فأخبرا به المعتصم. فأمر المعتصم بابتاعها من ميمونة، فابتعت بخمسة آلاف و خمسمائة دينار، فحوّلت إلى داره، فكانت في ملكه حتى توفّي.

قال ابن المعتز: و قد قيل إن المعتصم ابتاعها بثلاثمائة ألف درهم.

قال: و كان منصور بن محمد بن واضح يزعم أن إبراهيم اقترض ثمن شارية من ابنته، و ملكها إبراهيم و لها سبع سنين، فرباها تربية الولد، حتى لقد ذكرت/أنها كانت في حجره جالسة، و قد أعجب بصوت أخذته منه، إذ طمّثت أوّل طمّثها، فأحس بذلك، فدعا قيّمة له، فأمرها بأن تأتيه بثوب خام، فلفه عليها، فقال: احمليها، فقد اقشعرت، و أحسب برد الحشّ قد أذاها[1].

حسن وجهها و غنائها

قال: و حدّثت شارية أنها كانت معه في حراقة قد توسط بها دجلة، في ليلة مقمرة، و هي تغني إذ اندفعت فغنت:

لقد حثوا الجمال ليـهـ # ربوا منا فلم يثلوا

فقام إليها، فأمسك فاهها، و قال: أنت و الله أحسن من الغريض وجهها و غناء، فما يؤمنني عليك؟ أمسكي.

قال: و حدّث حمدون بن إسماعيل: أنه دخل على إبراهيم يوما، فقال له: أ تحب أن أسمعك شيئا لم تسمعه قط؟ قال: نعم. فقال: هاتوا شارية، فخرجت، فأمرها أن تغني لحن إسحاق:

هل بالديار التي حبيتها أحد؟

قال حمدون: فغنتني شيئا لم أسمع مثله قط، فقلت: لا والله يا سيدي ما سمعت هكذا. فقال: أ تحب أن تسمعه أحسن من هذا؟ فقلت: لا يكون. فقال: بلى والله تقر بذاك. فقلت: على اسم الله. فغناه هو، فرأيت فضلا عجيبا. فقلت: ما ظننت أن هذا يفضل ذاك هذا الفضل. قال: أ فتحب أن تسمعه أحسن من هذا و ذاك؟ فقلت: هذا الذي لا يكون. فقال: بلى والله. فقلت: فهات. قال: بحياتي يا شارية، قوله و أجيلي [2] حلقك فيه. فسمعت والله فضلا/بينا، فأكثررت التعجب. فقال لي: يا أبا جعفر، ما أهون هذا على السامع! تدري بالله كم مرّة رددت عليها [1] الحش: البستان. و في بعض النسخ: الخيش.

[2] كذا في ف، س. و معناه: حوّل حلقك في أثناء الغناء من حال إلى حال، ارتفاعا و انخفاضاً. و في أ: و أحلى. و في ج: و اجيلي.

موضعا في هذا الصوت؟ قلت: لا. قال: فقل و أكثر. قلت: مائة مرّة. قال: اصعد ما بدا لك. قلت: ثلاثمائة.

قال: أكثر و الله من ألف مرّة، حتى قالته كذا.

عقوبتها

قال: و كانت/ريّق تقول: إن شارية كانت إذا اضطربت في صوت، فغاية ما عنده من عقوبتها، انه يقيمها تغنيه على رجليها، فإن لم تبلغ الذي يريد، ضربت ريق[1].

شارية تضرب بالعود

قال: و يقال إن شارية لم تضرب بالعود إلا في أيام المتوكل، لما اتصل الشرّ بينها و بين عريب، فصارت تقعد بها عند الضرب، فضربت هي بعد ذلك.

إبراهيم يمتنع من بيعها

قال ابن المعتز: و حدّث محمد بن سهل بن عبد الكريم، المعروف بسهل الأحوال، و كان قاضي الكتاب في زمانه، و كان يكتب لإبراهيم، و كان شيخا ثقة، قال: أعطى المعتصم إبراهيم بشارية سبعين ألف دينار، فامتنع من بيعها. فعاتبته على ذلك، فلم يجبني بشيء. ثم دعاني بعد أيام، فدخلت و بين يديه مائدة لطيفة. فأحضره الغلام سفّودا فيه ثلاث فراريج، فرمى إليّ بواحدة، فأكلتها و أكل اثنتين، ثم شرب رطلا و سقانيه، ثم أتني بسفود آخر، ففعل كما فعل، و شرب كما شرب و سقاني. ثم ضرب سترا كان إلى جانبه، فسمعت حركة العيدان، ثم قال: يا شارية تغنّي. فسمعت شيئا ذهب بعقلي. فقال: يا سهل، هذه التي عاتبنتني في أن أبيعها بسبعين ألف دينار، لا و الله، و لا هذه الساعة الواحدة بسبعين ألف دينار.

نسبها و بيعها

قال: و كانت شارية تقول: إن أباه من قريش، و إنها سرقت صغيرة، فبيعت بالبصرة من امرأة هاشمية، و باعها من إبراهيم بن المهديّ. و الله أعلم.

رأى في غنائها

أخبرني عمي، قال: حدّثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، قال: أمرني المعتز ذات يوم بالمقام عنده، فأقمت. فأمر فمدّت الستارة، و خرج من كان يغني وراءها، و فيهنّ شارية، و لم أكن سمعتها قبل ذلك. فاستحسنت

ما سمعت منها، فقال لي أمير المؤمنين المعتز: يا عبید اللّٰه، كيف ما تسمع منها عندك[2]؟ فقلت: حظ العجب من هذا الغناء، أكثر من حظ الطرب. فاستحسن ذلك، و أخبرها به فاستحسنته.

تلعب النرد مع ريق

قال ابن المعتز: و أخبرني الهشامي، قال: قالت لي ريق: كنت ألعب أنا و شارية بالنرد بين يدي إبراهيم، و هو متكئ على مخدّة ينظر إلينا، فجرى بيني و بين شارية مشاجرة في اللعب، فأغلظت لها في الكلام بعض الغلظة.

[1] أي أخذت من شارية العود، و ضربت هي به، لتضبط اللحن.

[2] ف: كيف ما تسمع مما عندك؟

فاستوى إبراهيم جالسا، و قال: أرك تستخفين بها، فو الله لا أحد [1] يخلفك غيرها. و أوما إلى حلقه بيده [2].

إبراهيم لم يدخل بها

قال: و حدثني الهشامي، قال: حدّثني عمرو بن بانة، قال: حضرت يوما مجلس المعتصم، و ضربت الستارة، و خرجت الجواري، و كنت إلى جانب مخارق، فغنت شارية، فأحسنت جدا. فقلت لمخارق: هذه الجارية في حسن الغناء على/ ما تسمع، و وجهها وجه حسن، فكيف لم يتحرّم [3] بها إبراهيم بن المهدي؟ فقال لي: أحد الحظوظ التي رفعت لهذا الخليفة منع إبراهيم بن المهدي من ذلك.

جواري المعتصم و جواري

قال عبد الله بن المعتز: و حدّثني أبو محمد الحسن بن يحيى أخو علي بن يحيى، عن ريق قالت:

استزار المعتصم من إبراهيم بن المهديّ جواربه، و كان في جفوة من السلطان تلك الأيام، فنالته ضيقة.

قالت: فتحمل ذهبنا إليه على ضعف، فحضرنا مجلس المعتصم و نحن في سراويلات مرقعة، فجعلنا نرى جواربي المعتصم و ما عليهم من الجوهر و الثياب الفاخرة، فلم تستجمع إلينا أنفسنا حتى غنوا و غنينا، فطرب المعتصم على غنائنا، و رأنا أمثل من جواربه، فتحوّلت إلينا أنفسنا في التيه و الصلف، و أمر لنا المعتصم بمائة ألف درهم.

شارية أحسن الناس غناء

قال: و حدّثني أبو العبيس [4]، عن أبيه قال: / كانت شارية أحسن الناس غناء، منذ توفي المعتصم إلى آخر خلافة الواثق.

افتضها المعتصم

قال أبو العبيس: و حدّثني ريق أن المعتصم افتضها، و أنها كانت معها في تلك الليلة.

تعلم الغناء و المعتمد يعشق جارتها

قال أبو العبيس: و حدّثني طباع [5] جارية الواثق: أن الواثق كان يسميها ستي. و كانت تعلم فريدة، فلم تبق في تعليمها غاية، إلى أن وقع

بينهما شيء [6]/بحضرة الواثق، فحلفت أنها لا تنصحها و لا تنصح أحدا بعدها، فلم [1]كذا في ف. و في الأصول: ما أجد أحدا.

[2]كذا في ف. و في الأصول ما عدا م: حلقة بيدها. و في م: حلقة بيدها، و هما تحريف.

[3]في «التاج» : و تحرم منه بحرمة: إذا تمنع و تحمى بذمة أو صحبة أو حق. كأنه يريد: لما ذا لم يعتقها و يتزوج بها، فتكون من حرمه فلا تباع.

[4]أبو العيبس، كما في ف: هو أحد المغنين، و ليس هو أبو العيبس كما ورد اسمه محرفا في مواضع مختلفة من «الأغاني» ، جاء في الجزء الأول من طبعة دار الكتب ص 99، هذه العبارة: غنى أبو العيبس بن حمدون... الخ، و يستفاد منها أمران: الأول: أنه مغن. و الثاني أن اسم أبيه حمدون. أما أبو العيبس فهو محمد بن إسحاق بن إبراهيم الصيمري الشاعر، كما قال الخطيب البغدادي في «تاريخه» (1: 238) .

[5]م: تباع.

[6]ج: شر.

نكن تطرح بعد ذلك صوتا إلا نقصت من نغمه. و كان المعتمد قد تعشق شرة جاريتها، و كانت أكمل الناس ملاحه و خفة روح، و عجز عن شرائها. فسأل أمّ المعتز أن تشتريها له، فاشتريتها من شارية بعشرة آلاف دينار، و أهدتها إليه. ثم تزوّجت بعد وفاة المعتمد بابن البقال المغني، و كان يتعشقها. فقال عبد الله بن المعتز، و كان يتعشقها: أقول و قد ضاقت بأحزانها نفسي # ألا رب تطليق قريب من العرس

لئن صرت للبقال يا شر زوجة # فلا عجب قد يريض[1]الكلب في الشمس

ابن وصيف يودع جوهرة عندها

و قال يعقوب بن بنان: كانت شارية خاصة بصالح بن وصيف. فلما بلغه رحيل موسى بن بغا من الجبل يريد، بسبب قتله المعتز، أودع شارية جوهرة. فظهر لها جوهرة كثير بعد ذلك. فلما أوقع موسى بصالح، استترت شارية عند هارون بن شعيب العكبري[2]، و كان أنظف خلق الله طعاما، و أسراه مائدة، و أوسخه[3] كل شيء بعد ذلك؛ و كان له بسر من رأى منزل، فيه بستان كبير، و كانت شارية تسميه أبي، و تزوره إلى منزله. فتحمل معها كل شيء تحتاج إليه، حتى الحصير الذي تقعد عليه.

من أكرم الناس

قال: و كانت شارية من أكرم الناس، عاشرها[4]أبو الحسن علي بن الحسين عند هارون هذا، ثم أضاق في وقت، فاقترض منها على غير رهن، عشرة آلاف دينار، و مكثت عليه أكثر من سنة، ما أذكرته بها، و لا طالبت، حتى ردّها ابتداء[4].

تحزب أهل سر من رأى للمغنين

قال يعقوب بن بنان: و كان أهل[5]سر من رأى متحازبين، فقوم مع شارية، و قوم مع عريب، لا يدخل أصحاب هذه مع هؤلاء، و لا أصحاب هذه في هؤلاء. فكان أبو الصقر إسماعيل بن بلبل[6]عريبيا، فدعا علي بن الحسين يوم جمعة أبا الصقر إسماعيل بن بلبل، و عنده عريب و جواربها. فاتصل الخبر بشارية، فبعثت بجواربها إلى علي بن الحسين بعد يوم أو يومين، و أمرت إحداهن، و ما أدري من هي: مهرجان، أو مطرب، أو قمرية، إلا أنها إحدى الثلاثة، أن تغني قوله: لا تعودنّ بعدها # فترى كيف أصنع

فلما سمع عليّ الغناء ضحك، و قال: لست أعود.

[1]أ، م: يركض.

- [2] كذا في ف، مب، و في «نهاية الأرب» . و في الأصول: العكري.
- [3] كذا في ف، مب، و «نهاية الأرب» . و في الأصول: و أسخاه في.
- (4-4) العبارة ساقطة من جميع الأصول، ما عدا ف، مب، و «نهاية الأرب» .
- [5] أهل: زيادة عن س يقتضيها السياق. و في «نهاية الأرب» : الناس بسر من رأى.
- [6] هو أبو الصقر إسماعيل بن بلبل أحد وزراء الخليفة المعتمد (265-277) .

المعتمد لا يأكل إلا طعامها

قال: و كان المعتمد قد وثق بشارية، فلم يكن يأكل إلا طعامها. فمكثت دهرًا من الدهور[1] تعدّله في كل يوم جوتتين[2]، و كان طعامه منهما في أيام المتوكل.

إبراهيم بن المهدي يدعوها بنتي

قال ابن المعتز: و حدثني أحمد بن نعيم عن ريق، قالت: كان مولاي إبراهيم يسمي شارية بنتي، و يسميني أختي.

المعتمد يمنحها ألف ثوب

حدثني جحظة، قال: كنت عند المعتمد يوما، فغنته شارية بشعر مولاها إبراهيم بن المهدي و لحنه: يا طول علة قلبي المعتاد # إلف الكرام و صحبة الأمجاد

فقال لها: أحسنت و الله. فقالت: هذا غنائي و أنا عارية، فكيف لو كنت كاسية؟ فأمر لها بألف ثوب من جميع أنواع الثياب الخاصية، فحمل ذلك إليها. فقال لي عليّ بن يحيى المنجم: /اجعل انصرافك معي. ففعلت، فقال لي: هل بلغك أن خليفة أمر لمغنية بمثل ما أمر به أمير المؤمنين اليوم لشارية؟ قلت: لا. فأمر بإخراج سير الخلفاء، فأقبل بها الغلمان يحملونها في دفاتر عظام، فتصفحناها كلها؛ فما وجدنا أحدا قبله فعل ذلك.

نسبة هذا الصوت

صوت

يا طول علة[3] قلبي المعتاد # إلف الكرام و صحبة الأمجاد

ما زلت آلف كل قرم ماجد # متقدم الآباء و الأجداد

الشعر لإبراهيم بن المهدي، و الغناء لعلويه، خفيف رمل لشارية بالبنصر، و لم يقع إلينا فيه طريقة غير هذه.

تغنى بشعر لخديجة بنت المأمون

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثني عبد الله بن أبي سعيد، قال: حدثني محمد بن مالك الخزاعي، قال: حدثني ملح العطار، و كانت من أحسن الناس غناء، و إنما سميت العطار لكثرة استعمالها العطر المطيب، قالت: غنت شارية يوما بين يدي المتوكل و أنا واقفة مع الجوّاري: بالله قولوا لي لمن ذا الرّشا # المثقل الردف الهضم الحشا

أظرف ما كان إذا ما صحا # و أملح الناس إذا ما انتشى

و قد بنى برج حمام له # أرسل فيه طائرا مرعشا

[1] كذا في ف، مب، ج، س. و في بقية الأصول: الدهر. و في «نهاية الأرب»: فمكثت دهرا، و هي أحسن.

[2] الجونة: سلة صغيرة مستديرة مغشاة أدما، يوضع فيها الطيب أو الثياب أو نحوهما، جمعها جون، و قد تهمز الواو في المفرد و الجمع، و الهمز هو الأصل.

[3] أ، م: غلة، بالغين المنقوطة.

/

يا ليتني كنت حماما له # أو باشقا يفعل بي ما يشا
لو لبس القوهي [1] من رقة # أوجه القوهي أو خدشا

و هو هزج [2]، فطرب المتوكل، و قال لشارية: لمن هذا الغناء؟ فقالت:
أخذته من دار المأمون، و لا أدري لمن هو.

فقلت له أنا: أعلم لمن هو. فقال: لمن هو يا ملح؟ فقلت: أقوله لك
سرا. قال: أنا في دار النساء، و ليس يحضرني إلا حرمي، فقوليه. فقلت:
الشعر و الغناء جميعا لخديجة بنت المأمون، قالته في خادم لأبيها كانت
تهواه، و غنت فيه هذا اللحن. فأطرق طويلا، ثم قال: لا يسمع هذا منك أحد.

صوت

أحبك يا سلمى على غير ريبة # و ما خير حب لا تعف سرائره

أحبك حبا لا أعثف بعده # محبا، و لكني إذا ليم عاذره

و قد مات حبي [3] أول الحب فانقضى # و لومت أضحي الحب قد مات آخره

و لما تنهى الحب في القلب واردا # أقام و سدّت فيه عنه مصادره

الشعر للحسين بن مطير الأسدي، و الغناء لإسحاق: هزج بالبنصر.

[1] القوهي: ضرب من الثياب البيض، منسوب إلى قوهستان.

[2] يريد أن لحنه من الهزج. أما الشعر فمن السريع.

[3] أ، م: قلبي.

2- أخبار الحسين بن مطير و نسبه

نسبه و شعره

هو الحسين بن مطير بن مكمل، مولى لبني أسد بن خزيمة، ثم لبني سعد[1] بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد. و كان جده مكمل عبدا، فأعتقه مولاه. و قيل بل كاتبه، فسعى في مكاتبته حتى أداها و أعتق. / و هو من مخضرمي الدولتين: الأموية و العباسية، شاعر متقدم في القصيد و الرجز، فصيح، قد مدح بني أمية و بني العباس.

سكنه

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، عن محمد بن داود بن الجراح، عن محمد بن الحسن بن الحرون: أنه كان من ساكني زباله[2]، و كان زيه و كلامه يشبه مذاهب الأعراب و أهل البادية. و ذلك بين في شعره.

إدراكه بني أمية

و مما يدل على إدراكه دولة بني أمية، و مدحه إياهم، ما أخبرنا به يحيى بن علي بن يحيى إجازة، قال:

أخبرني أبي، عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي، عن مروان بن أبي حفصة، قال: دخلت أنا و طريح بن إسماعيل الثقفي، و الحسين بن مطير الأسدي، في عدة من الشعراء، على الوليد بن يزيد و هو في فرش قد غاب فيها[3]، و إذا رجل كلما أنشد شاعر شعرا، وقف الوليد على بيت بيت منه، و قال: هذا أخذه من موضع كذا و كذا، و هذا المعنى نقله من شعر فلان، حتى أتى على أكثر الشعراء. فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا حماد الرواية. فلما وقفت بين يدي الوليد/لأنشده، قلت: ما كلام هذا في مجلس أمير المؤمنين و هو لحانة. فتهانف[4] الشيخ، ثم قال: يا ابن أخي، أنا رجل أكلم العامة، و أتكلم بكلامها، فهل تروي من أشعار العرب شيئا؟ فذهب عني الشعر كله، إلا شعر ابن مقبل، فقلت: نعم، لابن مقبل. فأنشدته:

سل الدار من جنبي حبر فواهب # إلى ما رأى هضب القليب المضح[5]

[1] كذا في ف، ج، س، ب، و «نهاية الأرب»، و «تاج العروس». و في أ، م: شعبة. تحريف.

[2] زباله: منزل بطريق مكة من الكوفة. و هي قرية عامرة، بها أسواق، فيها حصن و جامع لبني غاطرة، من بني أسد. (عن «معجم البلدان» لياقوت).

[3] كذا في ف. و في الأصول: عريش قد غاب عنا.

[4]التهانف كما في ف: الضحك بالسخرية. نقله صاحب «تاج العروس» عن نسخة من «الكامل» للمبرد. و قيل إنه خاص بالنساء. و في الأصول: فتهافت، أي تساقط قطعة قطعة، من الهفت، و هو السقوط. و أكثر ما يستعمل في الشر.

[5]ورد هذا البيت محرّفا في نسخ «الأغاني» . و أثبتناه مصححا عن «معجم البلدان» لياقوت، و «معجم ما استعجم» للبكري، و «منتهى الطلب من أشعار العرب» ، لابن ميمون. و حبر و واهب: جبلان لبني سليم. و هضب القليب: ماء لبني قنفذ، من بني سليم.

و المضيح (بصيغة اسم المفعول) : ماء لبني البكاء. و في بعض ألفاظ البيت روايات آخر: يروى «واصف» في موضع «واهب» ، و هو اسم ماء. و يروى «إذا» في موضع «إلى» ، و يروى «يرى» في موضع «رأى» .

ثم جزت. فقال: قف. ما ذا يقول؟ فلم أدر ما يقول. فقال: يا ابن أخي، أنا أعلم الناس بكلام العرب، يقال: تراءى الموضعان: إذا تقابلا.

يفد على معن بن زائدة فينقد شعره

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، و الحسن بن عليّ، و يحيى بن عليّ، قالوا: حدّثنا الحسن بن عليل العنزّيّ قال: حدّثنا أحمد بن عبد الله بن عليّ، قال: حدّثني أبي: أن الحسين بن مطير وفد على معن بن زائدة لما ولي اليمن و قد مدحه، فلما دخل عليه أنشده: أتيتك إذ لم يبق [1] غيرك جابر # و لا واهب يعطي اللها و الرغائب

/ فقال له معن: يا أخا بني أسد، ليس هذا بمدح، إنما المدح قول نهار بن توسعة أخي بني تيم الله بن ثعلبة، في مسمع بن مالك.

قلدته عرا الأمور نزار # قبل أن تهلك السراة البحور [2]

قال: و أوّل هذا الشعر:

اطعني من هراة [3] قد مر فيها # حجج مذ سكنتها و شهور
اطعني نحو مسمع تجديه # نعم ذو المنثى [4] و نعم المزور
سوف يكفيك إن نبت بك أرض # بخراسان أو [5] جفاك أمير
من بني الحصن عامل بن بريح # لا قليل الندى و لا منزور [6]
و الذي يفرغ الكماة إليه # حين تدمى من الطعان النحور
فاصطنع يا ابن مالك آل بكر # و اجبر العظم إنه مكسور

فغدا إليه بأرجوزته التي مدحه بها، و أوّلها:

/

حديث ريا حبّذا إدلالها # تسأل عن حالي و ما سؤالها
عن امرئ قد شقّه خيالها # و هي شفاء النفس لو تنالها

[1] كذا في ف، و «معجم الأدباء» لياقوت (10: 167) و «الخرانة» (2: 485). و في ج: «أتيتك لما لم يبق». و في بقية النسخ: «أتيتك لما يبق». و اللها: جمع لهوة، بضم اللام و فتحها: العطية، دراهم أو غيرها.

[2] السراة: أعالي الناس و أشرافهم، واحد هم سرّيّ. و نهار بن توسعة بن أبي عتبان من بني حنتم، من بكر بن وائل. و كان أشعر بكر بخراسان، في أيام الدولة الأموية، هجا قتيبة بن مسلم، ثم مدحه.

[3]هراة: مدينة عظيمة في مدن خراسان.

[4]في جميع النسخ: «ذا المنثنى» . و في «الخرانة» : «ذي المنتأى» .
و الصحيح: «ذو» لأنه فاعل بنعم. و المنتأى: المكان البعيد، أو مصدر ميمي،
و معناه: أن مسمعا نعم الرجل النائى المحل، الذي يجزل العطاء لقاصده. و
معنى «نعم ذو المنثنى» : نعم الرجل ينثني عنه قاصده بخير كثير.

[5]في «الخرانة» : «إذ» . و رواية الأصول أجود.

[6]كذا في ف، و «خرانة الأدب» (2: 486) . و في الأصول: «من بني
الحضر عامر بن سريج» . .

/يقول فيها يمدحه:

سلّ سيوفا محدثا صقالها # صاب[1] على أعدائه و بالها
و عند معن ذي الندى أمثالها

فاستحسنها، و أجزل صلته.

دعبل يأخذ من شعره

أخبرني ابن عمار و يحيى بن عليّ، قالاً: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدّثني أبو المثنى أحمد بن يعقوب بن أخت أبي بكر الأصم قال: كنا في مجلس الأصمعيّ، فأنشده رجل لدعبل بن عليّ: أين الشباب و أية سلكا

فاستحسننا قوله[2]:

لا تعجبي يا سلم من رجل # ضحك المشيب برأسه فبكي

فقال الأصمعيّ: هذا أخذه من قول الحسين بن مطير: أين أهل القباب بالدهناء # أين جيراننا على الأحساء

فارقونا و الأرض ملبسة نو # ر الأفاحي يجاد بالأنواء[3]

كلّ يوم بأقحوان جديد # تضحك الأرض من بكاء السماء[4]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى، قال: حدّثني محمد بن القاسم الدينوريّ، قال: حدّثني محمد بن عمران الضبيّ، قال:

أبياته تسهر المهدي

قال المهدي للمفضل الضبيّ: أسهرتني البارحة أبيات الحسين بن مطير الأسديّ. قال: و ما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: قوله: /

و قد تغدر الدنيا فيضحى فقيرها # غنيا و يغنى بعد بؤس فقيرها

فلا تقرب الأمر الحرام فإنه # حلاوته تغنى و يبقى مريرها

و كم قد رأينا من تغير عيشة # و أخرى صفا بعد اكدرار غدورها

فقال له المفضل: مثل هذا فليسهرك يا أمير المؤمنين.

[1] صاب: انصب في غزارة.

[2] كذا في ف. و في الأصول: فاستحسنها. و في «الخرانة»: «فاستحسنها كل من كان حاضرا في المجلس، و أكثروا التعجب من قوله»

[3] في «الخرانة» : «جاورونا» في موضع: «فارقونا» . و «تجاد» : في موضع «يجاد» .

[4] كذا في ف و «الخرانة» . و في الأصول: «عن مهل السماء» .

و قد أخبرني بهذا الخبر عمي رحمه الله أتم من هذا، قال: نسخت من كتاب المفضل بن سلمة: قال أبو عكرمة الضبي: قال المفضل الضبي:

كنت يوماً جالسا على بابي و أنا محتاج إلى درهم، و عليّ عشرة آلاف درهم [1]، إذ جاءني رسول المهديّ، فقال: أجب أمير المؤمنين. فقلت: ما بعث إليّ في هذا الوقت إلا لسعاية ساعة. و تخوّفته، لخروجي-كان-مع إبراهيم بن عبد الله بن حسن [2]، فدخلت منزلي، فتطهرت و لبست ثوبين نظيفين، و صرت إليه. فلما مثلث بين يديه سلمت، فردّ عليّ، و أمرني بالجلوس. فلما سكن جأشي، قال لي: يا مفضل، أيّ بيت قالته العرب أفخر؟ فتشككت ساعة، ثم قلت: بيت الخنساء. و كان مستلقيا فاستوى جالسا، ثم قال: و أي بيت هو؟ قلت قولها:

و إنّ صخرا لتأتم الهداة به # كأنه علم في رأسه نار

فأوماً إلى إسحاق بن بزيع [3]، ثم قال: قد قلت له ذلك فأباه. فقلت: الصواب ما قاله أمير المؤمنين. ثم قال:

حدّثني يا مفضل. قلت: أي الحديث أعجب إلى أمير المؤمنين؟ قال: حديث النساء. فحدّثته حتى انتصف النهار، ثم قال لي: /يا مفضل، أسهرني البارحة بيتا ابن مطير، و أنشد/البيتين المذكورين في الخبر الأول. ثم قال: ألهذين ثالث يا مفضل؟ نعم يا أمير المؤمنين. فقال: و ما هو؟ فأنشدته قوله:

و كم قد رأينا من تغير عيشة # و أخرى صفا بعد اكدرار غدبرها

و كان المهديّ رقيقا فاستعبر، ثم قال: يا مفضل، كيف حالك؟ قلت: كيف يكون حال من هو مأخوذ بعشرة آلاف درهم؟ فأمر لي بثلاثين ألف درهم، و قال: اقض دينك، و أصلح شأنك. فقبضتها و انصرفت.

يمدح المهدي فيمنحه سبعين ألف درهم

أخبرني يحيى بن عليّ، عن عليّ بن يحيى إجازة، و حدّثنا الحسن [4] بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم، عن عبد الله بن أبي سعد [5]، قال: حدّثني إسحاق بن عيسى بن موسى بن مجمع، أحد بني سوار بن الحارث الأسديّ، قال: أخبرني جدّي موسى بن مجمع، قال:

قال الحسين بن مطير في المهدي قصيدته التي يقول فيها:

إليك أمير المؤمنين تعسفت # بنا البيد هو جاء التّجاء خوب [6]

و لو لم يكن قدامها ما تقاذفت # جبال بها مغبرة و سهوب

فتى هو من غير التخلق ماجد # و من غير تأديب الرجال أديب

[1] كذا في ف. و في الأصول: و على يومئذ عشرة آلاف درهم دين.

[2] خرج إبراهيم بن عبد الله بن حسن العلويّ علي أبي جعفر المنصور العباسيّ في البصرة سنة 145 هـ (عن الفخري لابن الطقطقي) .

[3] أ، ج: بزيع.

[4] ج: الحسين.

[5] في بعض النسخ: ابن أبي سعيد. و الصحيح: سعد، و يلقب بالوراق. ذكر في «أساتيد الموشح» للمرزباني في عدّة مواضع.

[6] تعسفت: من العسف، و هو أن يأخذ المسافر على غير طريق و لا جادة و لا علم (بتحريك اللام) . و الهوجاء من الإبل: الناقة المسرعة، كأن بها هو جاء، و هو الطيش و التسرع. و النجاء: الإسراع. و خبوب: صيغة مبالغة من الخبب، و هو ضرب من عدو الإبل. و في الأصول: جنوب. تحريف.

علا خلقه خلق الرجال و خلقه # إذا ضاق أخلاق الرجال رحيب
/إذا شاهد الفؤاد سار أمامهم # جريء على ما يتقون وثوب
و إن غاب عنهم شاهدتهم مهابة # بها يقهر الأعداء حين يغيب
يعف و يستحي إذا كان خاليا # كما عف و استحيا بحيث رقيب

فلما أنشدتها المهديّ أمر له بسبعين ألف درهم و حصان جواد.

مسكنه

و كان الحسين من الثعلبية [1]، و تلك داره بها. قال ابن أبي سعد: و أرائها الشيخ.

يمدح المهدي بأبيات فيعطيه لكل بيت ألف درهم

أخبرني محمد بن خلف و كيع، قال: حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدّثني عبد الله بن أبي سعد، عن إسحاق بن عيسى، قال: دخل الحسين بن مطير على المهدي، فأنشده قوله:

لو يعبد الناس يا مهدي أفضلهم # ما كان في الناس إلا أنت معبود
أضحت يمينك من جود مصوّرة # لا بل يمينك منها صوّر الجود
لو أن من نوره مثقال خردلة # في السود طرا إذن لا بيضت السود

فأمر له لكل بيت بألف درهم.

المهدي يطرده لمدحه معن بن زائدة

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدّثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ، قال: حدّثني أبي، قال: خرج المهديّ يوما، فلقه الحسين بن مطير، فأنشده قوله: أضحت يمينك من جود مصوّرة # لا بل يمينك منها صوّر الجود

فقال: كذبت يا فاسق، و هل تركت من شعرك موضعا لأحد، بعد قولك في معن بن زائدة حيث تقول: ألمّا بمعن ثم قولا لقبره # سقيت الغوادي مربعا ثم مربعا

أخرجوه عني، فأخرجوه.

/و تمام الأبيات:

/

أيا قبر معن كنت أوّل حفرة # من الأرض خطت للمكارم مضجعا[2]

أيا قبر معن كيف وارتيت جوده # و قد كان منه البر و البحر مترعا

[1]الثعلبية: موضع بجوار زبالة التي كان يسكنها الحسين.

[2]كذا في ف. و في الأصول: للسماحة.

بلى قد وسعت الجود و الجود ميت # و لو كان حيا ضقت حتى تصدعا
فتى عيش في معروفه بعد موته # كما كان بعد السيل مجراه ممرعا[1]
أبى ذكر معن أن تموت فعاله # و إن كان قد لاقى حماما و مصرعا

أشعر العباسيين

أخبرني أحمد بن يحيى بن عليّ بن يحيى إجازة[2] قال: حدّثني ابن مهرويه قال: حدّثني عليّ بن عبيد الكوفي[3] قال: حدّثني الحسين بن أبي الخصيب الكاتب عن أحمد بن يوسف الكاتب، قال: كنت أنا و عبد الله بن طاهر عند المأمون و هو مستلق على قفاه، فقال لعبد الله بن طاهر: يا أبا العباس، من أشعر من قال الشعر في خلافة بني هاشم؟ قال: أمير المؤمنين أعلم بهذا و أعلى عينا. فقال له: عليّ ذاك فقل، و تكلم أنت أيضا يا أحمد بن يوسف. فقال عبد الله بن طاهر: أشعرهم الذي يقول: أيا قبر معن كنت أوّل خطة # من الأرض خطت للمكارم مضجعا[4]

فقال أحمد بن يوسف: بل أشعرهم الذي يقول:

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي # متأخّر عنه و لا متقدم[5]

/فقال: أبيت يا أحمد إلا غزلا! أين أنتم عن الذي يقول:

يا شقيق النفس من حكم # نمت عن ليلي و لم أنم[6]

أبو عبيدة يعجب بشعره

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أبو خليفة عن التّوزي، قال: قلت لأبي عبيدة: ما تقول في شعر الحسين بن مطير؟ فقال: و الله لوددت أن الشعراء قاربته في قوله: مخصرة الأوساط زانت عقودها # بأحسن مما زينتها عقودها

فصفر تراقبها، و حمر أكفها # و سود نواصيها، و بيض خدودها

وصفه للسحاب و المطر

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش، قال: أنشدنا محمد بن يزيد للحسين بن مطير، قال: كان سبب قوله هذه الأبيات أن واليا ولي المدينة، فدخل عليه الحسين بن مطير، فقيل له: هذا من أشعر الناس. فأراد أن يختبره، و قد كانت سحابة مكفهرة نشأت، و تتابع منها الرعد و البرق، و جاءت بمطر جود. فقال له: صف هذه السحابة. فقال: [1] في «شرح التبريزي» على «الحماسة» (2: 3 بولاق) : مرتعا.

[2] كذا في ف. و في الأصول: أحمد بن عبيد الله بن عمار.

[3] كذا في ف. و في الأصول: علي بن عبيد الله الكوفي.

[4] كذا في ف. و في الأصول: ... حفرة... للمكارم مضجعا.

[5] البيت مع أبيات أخرى لأبي الشيص. («الشعر و الشعراء» لابن قتيبة ص 535 و «الأغاني» آخر هذا الجزء.) [6] البيت مطلع قصيدة لأبي نواس.

مستضحك بلوامع مستعبر # بدماع لم تمرها الأقداء[1]
 فله بلا حزن و لا بمسرة # ضحك يراوح بينه و بكاء[2]
 كثرت لكثرة ودقه أطباؤه # فإذا تحلّب فاضت الأطباء[3]
 /و كأن بارقه حريق تلتقي # ربح عليه و عرفج و آلاء
 لو كان من لجاج السواحل ماؤه # لم يبق في لجاج السواحل ماء

صوت

إذا ما أم عبد اللّ # ه لم تحلل بواديه
 و لم تمس قريبا هيد # ج الحزن دواعيه[4]
 /غزال راعه القنا # ص تحميه صياصيه[5]
 و ما ذكرى حبيبا و # قليل ما أواتيه[6]
 كذى الخمر تمنها # و قد أنزف ساقيه[7]
 عرفت الربيع بالإكليب # ل عفته سوافيه[8]
 بجو ناعم الحودا # ن ملتف روايه[9]

الشعر مختلط، بعضه للنعمان بن بشير الأنصاري، و بعضه ليزيد بن معاوية، فالذي للنعمان بن بشير منه الثلاثة الأبيات الأول و البيت الأخير، و باقيها ليزيد بن معاوية[10]. و رواه من لا يوثق به و بروايته لنوفل بن أسد بن عبد العزى. فأما من ذكر أنه للنعمان بن بشير فأبو عمرو الشيباني؛ وجدت ذلك عنه في كتابه، /و خالد بن كلثوم، نسخته من كتاب[11]أبي سعيد السكري في مجموع[12]شعر النعمان. و تمام الأبيات للنعمان بن بشير بعد الأربعة الأبيات التي نسبتها إليه، فإنها متوالية[13]، قال: [1]لم تمرها الأقداء: لم يسئل دمعها وقوع القذى فيها. و أصل المري: الحلب.

[2]يراوح: كذا في الأصول. و في «معجم الأدباء» لياقوت (10: 172) : يؤلف.

[3]الودق: المطر. و الأطباء: جمع طبي بوزن قفل، و هو ثدي الحيوان. و البيت ساقط من الأصول ما عدا ف، مب.

[4]في «معجم البلدان» لياقوت (إكليل) : و لم تشف سقيما.

[5]الصياصي: أعالي الجبال.

[6]في «معجم البلدان» : قليلا.

[7]أنزف: ذهب عقله كله.

[8]الإكليل: موضع. و السوافي: جمع سافية، و هي الريح تسفي أي تحمل التراب و الرمال.

[9]الجو: الوادي المتسع. و الحوزان: نبت، أو بقلة من بقول الرياض، لها نور أصفر طيب الرائحة («اللسان» عن الأزهري) .

[10]مب: و سائرها ليزيد بن معاوية. و العبارة ساقطة من بقية الأصول.

[11]كذا في ف. و في الأصول: خط.

[12]كذا في ف. و في الأصول: جامع.

[13]ف: تعزى إليه.

فبحت اليوم بالأمر الـ # لذي قد كنت تخفيه [1]

فإن أكتمه يوما # فإنني سوف أبدية

و ما زلت أفدّيه # و أدنيه و أرقيه

و أسعى في هواه أ # بدا حتى ألقيه

فبات الريم مني > # ذرا زلت مراقبه [2]

و الغناء لمعبد: خفيف رمل بالوسطى عن عمرو. و ذكره إسحاق في
خفيف الرمل بالسبابة في مجرى البنصر، و لم ينسبه إلى أحد. و فيه
للغريض ثقيل أوّل بالوسطى، عن الهشامي و حنين.

[1]س: أخفيه. يخاطب نفسه.

[2]كذا في ف. و في الأصول: دلت مراقبه. و المراقبي: لعله يريد بها
أرجله التي يرقى بها.

3- أخبار النعمان بن بشير و نسبه

نسبه

هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة [1] بن خلاص [2] بن زيد بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج. و أمه عمرة بنت رواحة، أخت عبد الله بن رواحة، التي يقول فيها قيس بن الخطيم:

أجدّ بعمرة غيانها # فتهدج أم شاننا شانها [3]

و عمرة من سروات النسا # ء تنفج بالمسك أردانها

و له صحبة بالنبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، و لأبيه بشير بن سعد. و كان جاء إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و معه آخر، ليشهد معه غزوة له فيما قيل، فاستصغرها [4] فردّها.

أبوه

و أبوه بشير بن سعد أوّل من قام يوم السقيفة من الأنصار إلى أبي بكر رضي الله عنه فبايعه، ثم توالى الأنصار فبايعته. و شهد بشير بيعة العقبة و بدرا و أحدا و الخندق و المشاهد كلها، و استشهد يوم عين التمر [5] مع خالد بن الوليد.

هواه مع عثمان بن عفان

و كان النعمان عثمانيا، و شهد مع معاوية صفين، و لم يكن معه من الأنصار غيره، و كان كريما عليه، رفيعا عنده و عند يزيد ابنه بعده، و عمر إلى خلافة/مروان بن الحكم، و كان يتولى حمص. فلما بوع لمروان، دعا إلى ابن الزبير، و خالف على مروان، و ذلك بعد قتل الضحاك بن قيس بمرج راهط. فلم يجبه أهل حمص إلى/ذلك.

فهرب منهم، و تبعوه فأدركوه فقتلوه، و ذلك في سنة خمس و ستين.

أوّل مولود للأنصار بعد الهجرة

و يقال إن النعمان بن بشير أوّل مولود ولد بالمدينة بعد قدوم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليها. و قد قيل ذلك في عبد الله بن الزبير، إلا أن النعمان أوّل مولود ولد بعد مقدمه عليه السلام من الأنصار، روى ذلك عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم.

[1] ف، مب: معد بن حصين بن ثعلبة. و بقية الأصول: سعد بن نصر بن ثعلبة. و الظاهر أن كلاً من لفظي حصين و نصر من حشو الناسخين، فليس لهما وجود في نسب النعمان الذي أورده ابن دريد في «الاشتقاق» ص 271

و الخزرجي في «الخلاصة» ص 50 و مقدمة «ديوان النعمان» طبع دهلي بالهند ص أ.

[2] خلاس، بفتح الخاء و تشديد اللام: كذا في الأصول، و «تاج العروس» (خلس) و جامع الأصول. و في «الاشتقاق» و «خلاصة» الخزرجي: جلاس، بضم الجيم و تخفيف اللام.

[3] غنيانها: مصدر غنيت المرأة بزوجها، أي استغنت.

[4] ف: فاستصغره.

[5] عين التمر: بلدة قريبة من الأنبار، غربي الكوفة، فتحها خالد بن الوليد عنوة سنة 12 للهجرة في عهد أبي بكر.

و روى النعمان بن بشير عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ كثيرا.

يروى الحديث العدل بين الأولاد

حدّثني أحمد بن محمد بن الجعد الوشاء. قال حدّثني أبو بكر بن أبي شيبة، قال: حدّثنا عباد بن العوّام، عن الحصين، عن الشعبي، قال:

سمعت النعمان بن بشير يقول: أعطاني أبي عطية، فقالت أمي عمرة: لا أرضى حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه و سلم.

فأتى رسول الله فقال: ابني من عمرة أعطيته عطية فأمرتني أن أشهدك. فقال: أعطيت كل ولدك مثل هذا؟ قال: لا.

فقال: فاتقوا الله و اعدلوا بين أولادكم.

يرفض أن يعطي الكوفيين زيادتهم في العطاء لهوهم مع علي
أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدّثنا محمد بن سعيد، قال: حدّثنا العمري، عن الهيثم بن عدي، عن مجالد، عن الشعبي، قال:

أمر معاوية لأهل الكوفة بزيادة عشرة دنانير في أعطيتهم، و عامله يومئذ على الكوفة و أرضها النعمان بن بشير، و كان عثمانيا، و كان يبغض أهل الكوفة لرأيهم في عليّ عليه السلام. فأبى النعمان أن ينفذها لهم. فكلّموه و سألوه بالله، فأبى أن يفعل. و كان إذا خطب على المنبر أكثر قراءة القرآن. و كان يقول: لا ترون عليّ منبركم هذا أحدا بعدي يقول: إنه سمع رسول الله صلى الله عليه و سلم. فصعد المنبر يوما فقال: يا أهل الكوفة. فصاحوا[1]: ننشدك الله و الزيادة.

فقال: اسكتوا. فلما أكثروا قال: أ تدرّون ما مثلي و مثلكم؟ قالوا: لا. قال: مثل الضبع و الضب و الثعلب: فإن الضبع و الثعلب أتيا الضب في وجاره، فنادياه: أبا الحسل. فقال: سميعا دعوتما. قال: أتيناك لتحكم بيننا. قال:

في بيته يؤتي الحكم. قالت الضبع: إني حللت عييتي. قال: فعل الحرّة فعلت. قالت: فلقطت ثمرة. قال: طيبا لقطت. قالت: فأكلها الثعلب. قال: لنفسه نظر. قالت: فلطمته. قال: بجرمه. قالت: فلطمني. قال: حر انتصر.

قالت: فاقض بيننا. قال: قد فعلت. قال: حدث امرأة حديثين، فإن أبت فعشرة[2].

/فقال عبد الله بن همام السلولي:

زيادتنا نعمان لا تحبسنا # خف الله فينا و الكتاب الذي تتلو[3]

[1] في الأصول غير (ف) : فقام إليه أهل الكوفة فقالوا... .

[2] روى هذا المثل الميداني في («مجمع الأمثال» 2: 13) على لسان الأرنب و الثعلب و الضب. و رواه أبو هلال العسكري في «جمهرة الأمثال» ، في باب الحاء. و روايته أقرب إلى رواية المؤلف هنا. و قوله: «حدّث امرأة حديثين... إلخ» روايته في «الجمهرة» و «مجمع الأمثال» هكذا: «حدّث حديثين امرأة، فإن لم تفهم فأربعة» . قال الميداني: أي زد. و يروى: فأربع، أي كف. و أراد بالحديثين: حديثا واحدا تكرر مرتين، فكانك حدّثتها بحديثين. و المعنى: كرّر لها الحديث، لأنها أضعف فهما، فإن لم تفهم فاجعلهما أربعة. و قال أبو هلال: يضرب مثلا لسوء الفهم، و ظاهره خلاف باطنه. و حقيقته أنها إذا كانت لا تفهم حديثين، كانت بالأ تفهم أربعة أقرب. و قال بعض العلماء: إنما هو: إن لم تفهم فأربع، أي أمسك، و ذلك غلط. و لم نجد في روايات «كتب الأمثال» : فعشرة. و المراد: تكرار الحديث، لا حقيقة العدد. و كان الضب و قد تمثل بهذا المثل يوبخ الضيع لأنها أنثى لم تفهم كلامه من أول مرة.

[3] كذا في ف، مب. و في بقية الأصول: لا تحرمنا. و رواه أبو زيد الأنصاري في «نوادره» ص 4: تق الله فينا. و انظر «شرح الرضى على شواهد الشافية» ص 496.

فإنك قد حملت منا أمانة # بما عجزت عنه الصلّامة البزل[1]
 فلا يك باب الشر تحسن فتحه # و باب الندى و الخيرات له قفل[2]
 و قد نلت سلطانا عظيما فلا يكن # لغيرك جمّات الندى و لك البخل
 و أنت امرؤ حلو اللسان بليغه # فما باله عند الزيادة لا يحلو
 و قلبك قد كانوا علينا أئمة # يههم تقويمنا و هم عصل[3]
 إذا نصبوا للقول قالوا فأحسنوا # و لكنّ حسن القول خالفه الفعل[4]
 يذمون دنياهم و هم يرضعونها # أفويق حتى ما يدّر لهم ثعل[5]
 /فيا معشر الأنصار إني أحوكم # و إني لمعروف أنى منكم[6]أهل
 /و من أجل إيواء النبيّ و نصره # يحبكم قلبي و غيركم الأصل[7]

فقال النعمان بن بشير: لا عليه ألا يتقرّب[8]، فو الله لا أجزها و لا أنفذه أبدا.

يسمع غناء عزة الميلاء

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قال: حدّثنا عمر بن شبة، قال: حدّثنا الأصمعيّ[9]، قال: حدّثني شيخ قديم[10] من أهل المدينة. و أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ، قال: حدّثنا عمر بن شبة[9] قال: حدّثنا أبو غسان، عن أبي السائب المخزوميّ. و أخبرني الحسين بن يحيى المرداسيّ عن حماد بن إسحاق عن أبيه، قال: ذكر لي عن جعفر بن محرز الدوسيّ[11] قال: [1]الصلّامة: جمع صلخم كجعفر: يريد الجمال الصلبة الشديدة. و البزل: جمع بازل، و هو الجمل الذي انشق نابه، و ذلك في العام التاسع من عمره.

[2]كذا روى البيت في ف و في مب:

فلا تك باب الشر تحسن فتحه # لدينا، و باب الخير أنت له قفل

و في بقية الأصول المخطوطة:

و إن يك باب الشعر تحسن فتحه # فلا يك باب الخير ليس له قفل

و في س: «باب الشر». و في «رغبة الآمل» للمرصفي (1: 186): «باب الخير منك».

[3]أ، م: كرام بهم تقويمنا. و العصل: جمع أعصل: و هو المعوج فيه صلابة و شدّة.

[4] نصبوا للقول: تهيئوا له. و أصل النصب: أن يقوم المرء رافعا رأسه.
و في الأصول «أنصتوا للقول» .

[5] كذا في ف، مب. و في بقية الأصول: «بذمون دنيانا... يدر لها» . و أفويق: جمع أفواق، و هو جمع فيقة، بكسر الفاء، اسم اللبن يجتمع في الضرع بين الحلبتين، يريد أنهم يرضعونها، ثم يتركونها. مقدار ما يجتمع اللبن، فيرضعونها ثانية و هكذا. و الثعل: خلف زائد صغير في أخلاف الناقة و ضرع الشاة، لا يدّر من اللبن شيئا، و إنما ذكره للمبالغة في الارتضاع.

[6] أنى: حان. و في مب: أبى، و في بقية الأصول: أتى، بالتاء.

[7] «و غيركم الأصل» : يريد إني أحبكم و إن كان غيركم أهل.

[8] يتقرب: و هي رواية ف، مب ج. و في بقية الأصول: يقترب. يريد لا بأس عليه في ألا يكون قريبا من الأنصار.

[9] هذه العبارة عن ف، مب، و «الأغاني» 9: 13.

[10] في «الأغاني» (9: 13) : قدم من المدينة.

[11] «الأغاني» (9: 13) : السدوس.

دخل النعمان بن بشير المدينة في أيام يزيد بن معاوية و ابن الزبير، فقال: و الله لقد أخفقت أذناي من الغناء، فأسمعوني. ف قيل له: لو وجهت إلى عزة الميلاء، فإنها من قد عرفت. فقال: إي و رب الكعبة، إنها لممن تزيد النفس طيبا، و العقل شحذا. ابعثوا إليها عن رسالتي، فإن أبت صرت إليها. فقال له بعض القوم: إن النقلة تشتدّ عليها، لثقل بدنها، و ما بالمدينة دابة تحملها. فقال النعمان بن بشير: و أين النجائب عليها الهوادج؟ فوجه إليها بنجب، فذكرت علة. فلما عاد الرسول إلى النعمان قال لجليسه: أنت كنت أخبر بها، قوموا بنا. فقام هو مع خواص أصحابه حتى طرقتها. فأذنت و أكرمت و اعتذرت، فقبل النعمان عذرها، و قال لها: غني، فغنت:

صوت [1]

أجدّ بعمره غنيانها # فتعجر أم شاننا شانها
و عمرة من سروات النسا # ء تنفج بالمسك أردانها

قال: فأشير إليها أنها أمه، فأمسكت. فقال: غني، فو الله ما ذكرت إلا كرما و طيبا، و لا تغني سائر اليوم غيره. فلم نزل تغنيه هذا اللحن فقط حتى انصرف.

قال إسحاق: فتذاكروا هذا الحديث عند الهيثم بن عديّ، فقال: أ لا أزيدكم فيه طريفة؟ فقلنا: بلى، يا أبا عبد الرحمن. فقال: قال لقيط و نحن عند سعيد الزبيريّ [2]، قال عامر الشعبيّ:

اشتاق النعمان بن بشير إلى الغناء، فصار إلى منزل عزة الميلاء، فلما انصرف إذا امرأة بالبواب منتظرة له. فلما خرج شكت إليه كثرة غيبيان زوجها إياها، فقال النعمان: لأقضين بينكما بقضية لا تردّ عليّ، قد أحل الله له من النساء أربعاً: مثنى، و ثلاث، و رباع، له مرتان [3] بالنهار، و مرتان [3] بالليل.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال حدّثني عمي، عن العباس بن هشام [4]، عن أبيه؛ و أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، عن الكلبي [5]. و أخبرني عمي قال: حدّثنا الكرانيّ قال: حدّثني العمريّ عن الهيثم بن عديّ، قالوا:

أعشى همدان يمدحه

خرج أعشى همدان إلى الشام في ولاية مروان بن الحكم، فلم ينل فيها حظاً؛ فجاء إلى النعمان بن بشير وهو عامل على حمص، فشكا إليه حاله. فكلم له النعمان اليمانية، و قال لهم: هذا شاعر اليمن و لسانها، و استماحهم له. فقالوا: نعم، يعطيه كل واحد منا دينارين من عطائه. فقال: أعطه ديناراً، و اجعلوا ذلك معجلاً. فقالوا له:

[1] صوت: ساقطة من الأصول غير ف، مب.

[2] ف، مب: سعيد الزبيرى.

[3] مرتان: كذا في الموضعين بدون همز بين الراء و التاء في جميع الأصول المخطوطة، و هى لغة الحجاز بين الذين يفرون من الهمز.

و في المطبوعتين ب، س: مرأتان. و في «الأغاني» (9: 14) : امرأتان. أو لعله تثنية مرة أي يأتيها مرتين نهاراً، و مرتين ليلاً، فكأنه يأتي أربع نساء، اثنتين ليلاً، و اثنتين نهاراً.

[4] ف: العباس عن هشام. تحريف.

[5] كذا في ف. و في الأصول: ابن الكلبي.

أعطه إياه من بيت المال، و احتسب ذلك على كل رجل من عطائه. ففعل النعمان ذلك، و كانوا عشرين ألفاً، فأعطاه عشرين ألف دينار، و ارتجعا متهم عند العطاء. فقال الأعشى يمدح النعمان: و لم أر للحاجات عند التماسها # كنعمان نعمان الندى ابن بشير

/إذا قال أو في ما يقول و لم يكن # كمدل إلى الأقوام جبل غرور

متى أكفر النعمان لا ألف شاكرا # و ما خير من لا يقتدي بشكور

فلو لا أخو الأنصار كنت كنازل # ثوى ما ثوى لم ينقلب بنقير

الأخطل يهجو الأنصار

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، و حبيب بن نصر المهلبى قال: حدّثنا عمر بن شبة، قال: حدّثنا يحيى الزبيري [1] قال حدّثني ابن أبي زريق، قال: شبّب عبد الرّحمن بن حسان برملة بنت معاوية، فقال: رمل هل تذكرين يوم غزال # إذ قطعنا مسيرنا بالتمني

إذ تقولين عمرك الله هل شيء # و إن جلّ سوف يسليك عني

أم هل اطمعت منكم يا ابن حسا # ن كما قد أراك أطمعت مني [2]

/فبلغ ذلك يزيد بن معاوية، فغضب و دخل على معاوية، فقال: يا أمير المؤمنين، أ لا ترى إلى هذا العالج [3] من أهل يثرب، يتهمك بأعراضنا، و يشبب بنسائنا؟ فقال: و من هو؟ قال: عبد الرّحمن بن حسان. و أنشده ما قال.

فقال: يا يزيد؛ ليس العقوبة من أحد أقبح منها بذوي القدرة، و لكن أمهل حتى يقدم وفد الأنصار، ثم أذكرني به.

فلما قدموا أذكره به. فلما دخلوا، قال: يا عبد الرّحمن، أ لم يبلغني أنك شببت برملة بنت أمير المؤمنين؟ قال: بلى، و لو علمت أن أحدا أشرف لشعري منها لذكرته. فقال: فأين أنت عن أختها هند؟ قال: و إن لها لأختا يقال لها هند؟ قال: نعم. و إنما أراد معاوية أن يشبب بهما جميعا، فيكذب نفسه. قال: فلم يرض يزيد ما كان من معاوية في ذلك، فأرسل إلى كعب بن الجعيل، فقال: أهج الأنصار. فقال: أفرق من أمير المؤمنين، و لكن أدلك على هذا الشاعر الكافر الماهر الأخطل. قال: فدعاه، فقال له: أهج الأنصار. فقال: أفرق من أمير المؤمنين. قال: لا تخف شيئا، أنا بذلك لك. فهجاهم، فقال: و إذا نسبت ابن الفريعة خلته # كالجحش بين حمارة و حمار [4]

لعن الإله من اليهود عصابة # بالجزع بين صليصل و صدار[5]

[1] ف: أبا يحيى الزهري.

[2] كذا في ف. و في بقية الأصول: اطمعت يا ابن حسان في ذاك.

[3] للعلاج في «لسان العرب» معان، منها الرجل الغليظ، و الرجل من كفار العجم، و هو لفظ شائع عندهم في السب. و في ج: العجل، تحريف.

[4] ابن الفريعة: كنية حسان بن ثابت الأنصاري، و الفريعة: أمه، و هي فريعة بنت خالد بن خنيس بن لوزان. و أصل معنى الفريعة: القملة. أو لعله الفارعة ثم صغره تصغير الترخيم.

[5] اليهود: كذا في ف، (ب 13: 148). و في بقية الأصول: المهور، و لعله تحريف. و صليصل: تصغير صلصل، موضع بناحية المدينة، على سبعة أميال منها. و صدار، كغراب: موضع قرب المدينة، و في ف: و صغار.

- قوم إذا هدر العصير رأيتهم # حمرا عيونهم من المسطار[1]
 خلّوا المكارم لستم من أهلها # و خذوا مساحيكم بني النجار[2]
 إن الفوارس يعرفون ظهوركم # أولاد كل مقبّح أكار[3]
 ذهبت قريش بالمكارم و العلا # و اللؤم تحت عمائم الأنصار[4]

فبلغ ذلك النعمان بن بشير، فدخل على معاوية، فحسر عمامته عن رأسه، و قال: يا أمير المؤمنين، أ ترى لؤما؟ قال: بل أرى كرما و خيرا. فما ذاك؟ قال: زعم الأخطل أن اللؤم تحت عمائم الأنصار. قال: أو فعل ذلك؟ قال: نعم. قال لك لسانه. و كتب فيه أن يؤتى به. فلما أتى به، سأل الرسول أن يدخله إلى يزيد أولا، فأدخله عليه. فقال له: هذا الذي كنت أخاف. قال: لا تخف شيئا. و دخل إلى معاوية، فقال: علام أرسل إلى هذا الرجل الذي يمدحنا، و يرمي من وراء جمرتنا[5]؟ قال: هجا الأنصار. قال: و من زعم ذلك؟ قال: النعمان بن بشير. قال: لا تقبل قوله عليه، و هو المدعى/لنفسه، و لكن تدعوه بالبينة، فإن أثبت شيئا أخذت به له. فدعاه بالبينة، فلم يأت بها، فخلى سبيله، فقال الأخطل: و إني غداة استعبرت أم مالك # لراض من السلطان أن يتهددا[6]

- /و لو لا يزيد ابن الملوك و سعيه # تجللت حدبارا من الشر أنكدا[7]
 فكم أنقدتني من خطوب حباله # و خرساء لو يرمى بها الفيل بلدا[8]
 و دافع عني يوم جلق غمرة # و همّا ينسبيني الشراب المبردا[9]
 و بات نجيا في دمشق لحية # إذا همّ لم ينم السليم و أقصدا[10]
 يخافته طورا، و طورا إذا رأى # من الوجه إقبالا ألخّ و أجهدا[11]
 أبا خالد دافعت عني عظيمة # و أدركت لحمي قبل أن يتبدا

[1]المسطار: كذا في ف. و في (ب 13: 148)، و في بقية الأصول: المصطار، و هما لغتان في الخمر التي اعتصرت حديثا من أبكار العنب، أو الخمر الحامضة.

[2]المساحي: جمع مسحاة، و هي المجرفة من الحديد، يجرف بها الطين من على وجه الأرض. يهجوهم بأنهم حراثون، يقلبون الأرض بمساحيهم. و بنو النجار: فريق من أهل المدينة.

[3]الأكار: الحراث الزارع.

- [4] كذا في ف. و في أكثر الأصول: «بالمكارم كلها» .
- [5] أصل الجمرة: القبيلة التي لا تنضم إلى غيرها بحلف أو نحوه في القتال؛ و المراد هنا: الجماعة مطلقا.
- [6] «غداة استعبرت»: كذا في ف و «الأغاني» (ب 13: 148) . و في جميع الأصول هنا: «و إن استعبرت» . و يلزم على هذه الرواية قطع همزة الوصل للضرورة.
- [7] تجللت: علوت. و الحدبار من النوق: الضامرة التي قد يبس لحمها من الهزال، و بدا عظم ظهرها. و جعل ذلك مثلا للأمر الصعب.
- و هذه رواية (ب 13: 149) . و في سائر الأصول هنا «تحللت جرباذاي» تحريف.
- [8] الخرساء: كذا في «الأغاني» (ب 13: 149) و في سائر الأصول: كرساء. تحريف. و الخرساء: الداهية. و بلد: ضعف و استكان، أو سقط إلى الأرض. و في ف: «عردا» .
- [9] الغمرة: الشدة. و الشراب: كذا في ف. و في الأصول: السلاف. و هو خالص الخمر، أو ما سال من العنب قبل أن يعصر.
- [10] نجيا: مسارا. و الحية هنا: الرجل الداهي الشديد. و السليم: الملدوغ. و أقصدت الحية الرجل: إذا عضته فمات في مكانه.
- [11] البيت عن ف، مب. -

و أطفأت عني نار نعمان بعد ما # أغذ لأمر فاجر و تجردا[1]

و لما رأى النعمان دوني ابن حرّة # طوى الكشح إذ لم يستطعني و عرّدا[2]

حدّثني عمي، قال: حدّثنا أحمد بن الحارث الخراز، عن المدائني، عن أبي بكر الهذلي، قال: لما أمر يزيد بن معاوية كعب بن الجعيل بهجاء الأنصار، قال له: أراذي أنت إلى الكفر بعد الإسلام؟ أهجو قوما آووا رسول الله صلى الله عليه و سلم/ و نصره؟ قال: أما إذ كنت غير فاعل فأرشدني إلى من يفعل ذلك. قال: غلام منا خبيث الدين نصراني، فدلّه على الأخلل.

تهاجي عبد الرّحمن بن حسان و عبد الرّحمن بن الحكم

أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن أبي الخطاب، قال: لما كثر الهجاء بين عبد الرّحمن بن حسان بن ثابت و عبد الرّحمن بن الحكم بن أبي العاصي، و تفاحشا، كتب معاوية إلى سعيد بن العاصي و هو عامله على المدينة، أن يجلد كل واحد منهما مائة سوط، و كان ابن حسان صديقا لسعيد، و ما مدح أحدا غيره قط، فكره أن يضربه أو يضرب ابن عمه، فأمسك عنهما. ثم ولي مروان. فلما قدم أخذ ابن حسان فضربه مائة سوط، و لم يضرب أخاه. فكتب ابن حسان إلى النعمان بن بشير و هو بالشام، و كان كبيرا أثيرا مكينا عند معاوية: ليت شعري أ غائب ليس بالشا # م خليلي أم راقد نعمان[3]

أية ما يكن فقد يرجع الغا # نب يوما و يوقظ الوسنان

إن عمرا و عامرا أبونا # و حراما قدما على العهد كانوا

أفهم مانعوك أم قلة الك # تآب أم أنت عاتب غضبان

أم جفاء أم أعوزتك القرايط # س أم امري به عليك هوان

يوم أنبت أن ساقى رضّت # و أتكم بذلك الركبان

ثم قالوا إن ابن عمك في بلد # وى أمور أتى بها الحدّثان

/فنسيت[4]الأرحام و الودّ و الصّد # بة فيما أتت به الأزمان

إنما الرمح فاعلمنّ قناة # أو كبعض العيدان لو لا السنان

و هي قصيدة طويلة. فدخل النعمان بن بشير على معاوية، فقال: يا أمير المؤمنين، إنك أمرت سعيدا بأن يضرب ابن حسان و ابن الحكم مائة مائة، فلم يفعل، ثم وليت أخاه، /فضرب ابن حسان و لم يضرب أخاه: قال. فتريد ما ذا[5]؟ [1]أغذ: أسرع، و هذه رواية ف، مب. و في بقية الأصول: أعد.

[2] البيت عن ف، م.ب. و عرد عنه: انحرف و بعد.

[3] ليس بالشام كذا في ف، م.ب. و في بقية الأصول: أنت بالشام. و راقد: كذا في (ب 13: 152). و في م.ب: شاهد. و في بقية الأصول: عاتب، و يؤيد الرواية الأولى قوله في البيت بعده: «و يوفظ الوسنان» .

[4] كذا في ب، و في سائر الأصول المخطوطة: فتئت.

[5] آخر ما ذا عن صدر الجملة مع أنها من ألفاظ الاستفهام التي لها صدر الكلام، و هو أسلوب عربي مخصوص بما إذا ركبت مع ذا (انظر حاشية يس على «التصريح» : باب الاسم الموصول) .

قال: أن تكتب إليه بمثل ما كتبت به إلى سعيد. فكتب معاوية إليه يعزم عليه أن يضرب أخاه مائة. فضربه خمسين، وبعث إلى ابن حسان بحلة، و سأله أن يعفو عن خمسين. ففعل، و قال لأهل المدينة: إنما ضربني حد الحر مائة، و ضربه حد العبد خمسين. فشاعت هذه الكلمة حتى بلغت ابن الحكم. فجاء إلى أخيه فأخبره، و قال: لا حاجة لي فيما عفا عنه ابن حسان. فبعث إليه مروان: لا حاجة لنا فيما تركت، فهلم فاقتص من صاحبك. فحضر فضربه مروان خمسين أخرى.

امراته الكلبية

أخبرني الحسن بن علي، قال: أخبرنا أحمد بن الحارث، قال: حدثنا المدائني، عن يعقوب بن داود الثقفي و معاوية بن محارب[1]:

أن معاوية تزوج امرأة من كلب، فقال لامراته ميسون أم يزيد بن معاوية: ادخلي فانظري إلى ابنة عمك هذه[2]. فأنتها فنظرت إليها، ثم رجعت فقالت: ما رأيت مثلها، و لقد رأيت خالا تحت سرتها ليوضعن تحت مكانه في حجرها/رأس زوجها. فتطير من ذلك، فطلقها، فتزوجها حبيب بن مسلمة، ثم طلقها، فتزوجها النعمان بن بشير، فلما قتل وضعوا رأسه في حجرها.

مقتله

قالوا: و كان النعمان بن بشير لما قتل الضحاك بن قيس بمرج راهط، في خلافة مروان بن الحكم، أراد أن يهرب من حمص، و كان عاملا عليها، فخالف و دعا لابن الزبير، فطلبه أهل حمص، فقتلوه و احتزوا رأسه. فقالت امرأته هذه الكلبية: ألقوا رأسه في حجري، فأنا أحق به. فألقوه في حجرها، فضمته إلى جسده، و كفته و دفنته.

يغضب من معاوية فيرضيه

أخبرني هاشم بن محمد أبو دلف الخزاعي، قال: حدثنا أبو غسان دماذ، قال: حدثنا أبو عبيدة، قال:

نظر معاوية إلى رجل في مجلسه، فراقه حسنا وشارة و جسما، فاستنطقه فوجده سديدا. فقال له: ممن أنت؟ قال: ممن أنعم الله عليه بالإسلام، فاجعلني حيث شئت يا أمير المؤمنين. قال: عليك بهذه الأزدي الطويلة العريضة، الكثير عددها، التي لا تمنع من دخل فيهم، و لا تبالي من خرج منهم. فغضب النعمان بن بشير، و وثب من بين يديه، و قال: أما و الله

أنك ما علمت لسيئ المجالسة لجليسك، عاق بزورك [3]، قليل الرعاية لأهل
الحرمة بك.

فأقسم عليه إلا جلس فجلس. فضاحكه معاوية طويلا، ثم قال له: إن
قوما أولهم غسان و آخرهم الأنصار، لكرام.
و سأله عن حوائجه، فقضاها حتى رضى.

أول شعر قاله

نسخت من كتاب أبي سعيد السكري بخطه: أخبرنا ابن حبيب، قال:
قال خالد بن كلثوم.

/خرج النعمان بن بشير في ركب من قومه و هو يومئذ حديث السن،
حتى نزلوا بأرض من الأردنّ يقال لها [1] كذا في ف، مب و في بقية
الأصول: مسلمة بن محارب.

[2] كانت ميسون بنت بحدل أم يزيد كلبية أيضا، و كليب من قضاة.

[3] الزور: مصدر مراد به الزائر أو الزائرون.

حفير[1]، و حاضرتها بنو القين. فأهدت لهم امرأة من بني القين يقال لها ليلي، هدية[2]. فبينما القوم يتحدثون و يذكرون الشعراء، إذ قال بعضهم: يا نعمان هل قلت شعرا؟ قال: لا و الله ما قلت، فقال شيخ من الحارث بن الخزرج[3] يقال له ثابت بن سماك: لم تقل شعرا قط؟ قال: لا. قال: فأقسم عليك لتربطن إلى هذه السرحة، فلا تفارقها حتى يرتحل القوم، أو تقول شعرا. فقال عند ذلك، و هو أول شعر قاله: يا خليلي و دعا دار ليلي # ليس مثلي يحل دار الهوان

إن قينية تحل محبا # و حفيرا فجنبتي ترفلان[4]

لا تؤاتيك في المغيب إذا ما # حال من دونها فروع قنان[5]

إن ليلي و لو كلفت بليلى # عاقها عنك عائق غير و ان[6]

قال: و ضرب الدهر على ذلك، و أتى عليه زمن طويل. ثم أن ليلي القينية قدمت عليه بعد ذلك، و هو أمير على حمص، فلما رآها عرفها فأنشأ يقول: ألا استأذنت ليلي فقلنا لها لجي # و مالك ألا تدخلني بسلام

فإن أناسا زرتهم ثم حرّموا # عليك دخول البيت غير كرام

و أحسن صلتها، و رفدها[7] طول مقامها، إلى أن رحلت عنه.

الأنصار خير القاب أهل المدينة

أخبرني عمي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن الحسن بن مسعود، عن أبيه، عن مشيخة من الأنصار، قال: حضرت وفود الأنصار باب معاوية بن أبي سفيان، فخرج إليهم حاجبه سعد أبو درة[8]- و قد حجب بعده عبد الملك بن مروان- فقالوا له: استأذن للأنصار. فدخل إليه و عنده عمرو بن العاص، فاستأذن لهم. فقال لهم عمرو: ما هذا اللقب يا أمير المؤمنين؟ أردد القوم إلى أنسابهم. فقال معاوية: إني أخاف من ذلك الشنعة. فقال: هي كلمة تقولها، إن مضت عصتهم[9] و نقصتهم، و إلا فهذا الاسم راجع إليهم. فقال له: أخرج فقل: من كان هاهنا من ولد عمرو بن عامر فليدخل. فقالها الحاجب، فدخل ولد عمرو بن عامر كلهم إلا الأنصار. فنظر معاوية إلى عمرو نظرا [1] كذا في ف، م ب و معجم البلدان « لياقوت و في البيت الثاني من الأبيات الآتية. و قد اشتبه أمره على ياقوت، فذكر الشعر الآتي مرة ثانية في رسم ضفير. و الصواب: حفير، بالحاء المهملة.

[2] ج: هبة.

[3] كذا في ف، مب، ج. و في الأصول: الحارث بن الحارث. و في ج بعدها خرم بمقدار اثنتي عشرة صفحة من مطبوعة بولاق.

[4] محب و حفير و ترفلان: مواضع بالشام. و في «معجم البلدان» لياقوت: «فحفيرا فجنتي ترفلان» .

[5] قنان: جبل بأعلى نجد.

[6] في «معجم البلدان» : و إن، في موضع: و لو. و هي أجود. و غيروان: كذا في ف، مب، و «معجم ياقوت» . و في الأصول: «و أوان» .

تحريف.

[7] كذا في ف، مب. و في الأصول: فاستحسن صلتها و زودها. و في س و «الديوان» : فأحسن صلتها و زودها.

[8] كذا في ف، مب. و في الأصول: أبو درة.

[9] كذا في ف. و في مب، و «الديوان» : عضضتهم. و في الأصول:

عرتهم.

منكرا، فقال له: باعدت جدا. فقال: اخرج فقل: من كان هاهنا من الأوس و الخزرج فليدخل. فخرج فقالها، فلم يدخل [1]أحد. فقال له معاوية: أخرج فقل: من كان هاهنا من الأنصار فليدخل. فخرج فقالها، فدخلوا يقدمهم النعمان بن بشير و هو يقول: يا سعد لا تعد الدعاء فما لنا # نسب نجيب به سوى الأنصار [2]

نسب تخيّرهِ الإله لقومنا # أثقل به نسبا على الكفار [3]

إن الذين ثووا بيد منكم # يوم القليب هم وقود النار

/فقال معاوية لعمرؤ: قد كنا أغنياء عن هذا [4].

الشعراء من آل النعمان

و النعمان بن بشير: هو من المعروفين في الشعر سلفا و خلفا، جده شاعر، و أبوه شاعر، و عمه شاعر، و هو شاعر، و أولاده و أولاده شعراء.

فأما جده سعد بن الحصين [5] فهو القائل.

إن كنت سائلة و الحق معتبة # فالأرد نسبتنا و الماء غسان [6]

شم الأنوف لهم عز و مكرمة # كانت لهم من جبال الطود أركان [7]

و عمه الحسين بن سعد أخو بشير بن سعد، القائل:

إذا لم أزل إلا لأكل أكلة # فلا رفعت كفي إليّ طعامي

فما أكلة إن نلتها بغنيمة # و لا جوعة إن جعتها بغرام

و أبوه بشير بن سعد الذي يقول [8]:

[1] عن ف و مب.

[2] كذا في ف، مب. و في الأصول: لا تجب الدعاء. و في «الديوان»: لا تعد النداء... نجيب له.

[3] كذا في ف، مب و «الديوان». و في الأصول: إلى الكفار.

[4] زاد «الديوان» في هذا الخبر هنا: «فقام مغضبا فانصرف، فبعث فيه معاوية، فرده و ترصاه، و قضى حوائجه و حوائج من كان معه من الأنصار، و قال لعمرؤ: قد كنا عن هذا أغنياء» .

[5] كذا في جميع الأصول. و هو غلط من المؤلف نبه عليه ناشر «الديوان». و لعل صوابه: سعد أبو الحسين. و الحسين: عم النعمان بن

بشير. و البيتان المنسوبان إليه ينسبان أيضا إلى حسان بن ثابت، و هما في «ديوانه» مع بعض اختلاف في الرواية.

[6]معتبة: موجدة. يريد أن الحق يثقل على النفوس سماعه، فيورث العتاب و الغضب. و في «ديوان حسان»: مغضبة. و يروى الشطر الأول في «ديوان النعمان» (ص 13) و «سيرة ابن هشام» (1:10) «إما سألت فإننا معشر نجب»، و في «ديوان حسان» و «سيرة ابن هشام»: «الأسد نسبتنا»: و الأسد: لغة في الأزدي، و هو الأسد بن الغوث، من أجود الأنصار. و غسان: ماء بسد مأرب باليمن، كان شربا لبني مازن بن الأزدي بن الغوث، و هم الأنصار و بنو جفنة و خزاعة. و يقال: غسان: ماء بالمشلل، قريب من الجحفة: (عن «معجم البلدان» لياقوت) .

[7]جبال الطود: هي جبال السراة. و في «ديوان حسان»: «كجبال الطود»، و فيه أيضا: «لهم مجد» .

[8]ذكر ياقوت الأبيات: 1، 2، 5 و بيتا آخر من القصيدة، و نسبها لبشير بن سعد أبي النعمان، و نسبها السكري إلى حسان بن ثابت، و هي في «ديوانه» (ص 42) . و تنسب أيضا لسعد بن الحصين من بني الحارث بن الخزرج. و يبدو أن الأبيات المذكورة هنا ملفقة من أقوال هؤلاء الشعراء لأن المعنى غير متسق فيها جميعها.

- لعمره بالبطحاء بين معرّف # و بين المطاف مسكن و محاضر[1]
 لعمرى لحيّ بين دار مزاحم # و بين الجثا لا يجشم السير حاضر[2]
 وحي حلال لا يروع سربهم # لهم من وراء القاصيات زوافر[3]
 أحق بها من فتية و ركائب # يقطع عنها الليل عوج ضوامر[4]
 /تقول و تذري الدمع عن حر وجهها # لعلك نفسي قبل نفسك باكر[5]
 أباح لها بطريق فارس غائطا # لها من ذرا الجولان بقل و زاهر[6]
 /فقرّبتها للرحل و هي كأنها # ظليم نعام بالسماوة نافر
 فأوردتها ماء فما شربت به # سوى أنه قد بلّ منها المشافر
 فباتت سراها ليلة ثم عرست # بيثرب و الأعراب باد و حاضر

قال خالد بن كلثوم:

غضبه من هجاء الأخطل للأنصار

و دخل النعمان بن بشير على معاوية لما هجا الأخطل الأنصار، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول: معاوي إلاّ تعطنا الحق تعترف # لحي الأزد مشدودا عليها العمائم

أ يشتمنا عبد الأرقام ضلة # و ما ذا الذي تجدى عليك الأرقام[7]

[1]الظاهر من رواية (ف) أن البطحاء، هي بطحاء مكة. و معرف: موضع الوقوف بعرفات، و المطاف: حيث يطوف الناس بالبيت. و في الأصول: بيت، في مكان: «بين» الأولى. و البطاح، في مكان: «المطاف». و المعنى على هذه قريب من معنى الرواية الأولى. فهما تحددان مواضع قرب مكة. و في «ديوان حسان» و «معجم البلدان» لياقوت: «لعمرك» في مكان «لعمره». و في «ديوان حسان» أيضا: «نطاة» في مكان «البطاح». و في «معجم ياقوت»: «النطاق»، و على هذه الروايات الأخيرة يختلف معنى البيت، إذ يكون قصد الشاعر تحديد مكان قريب من المدينة، و هو الأشبه بالشاعر، لقرب موطنه (المدينة) من هذه الأماكن.

[2]الجثا: الحجارة التي توضع على حدود الحرم، أو هي الأنصاب التي كانت تذبح عليها الذبائح، واحدها جثوة. و جثا أيضا كربا: جبل من جبال أجأ، مشرف على رمل طيئ. و الجثوة أيضا: حجارة من تراب متجمع كالبقر.

[3]الحي الحلال: القوم المقيمون بأرضهم. و السرب: المال الراعي من الإبل، أو من جميع الماشية. و القاصيات: جمع قاصية: موضع، و لعله جمعه بما حوله. و الزوافر: جمع زافرة، و هم الرهط و العشيرة و الأنصار. و في الأصول: «وحي حلال لا يكثر» ، تحريف. و في «ديوان حسان» : لا يكمش، أي لا يساق بإعجال.

[4]قبل هذا البيت في «ديوان حسان» بيت آخر، و هو.

إذا قيل يوما اطعنوا قد أتيتم # أقاموا و لم تجلب إليهم أباعر

و يظهر لنا أن الأبيات غير متلاحقة، أو ليست من قصيدة واحدة، لغموض الصلة بينها. و العوج: جمع أعوج و عوجاء، و هو من الخيل و الإبل ما كان في يديه عوج، و هو من الصفات المستحسنة فيها. و الضوامر: جمع ضامر و ضامرة، و هي القليلة اللحم و الشحم.

[5]لعل الضمير في تقول يرجع إلى «عمرة» . و تذري: تسقط. و باكر: وصف من بكر إذا تقدّم، تريد أنك مقدم على إهلاكي قبل أن تهلك نفسك بهذه الرحلة.

[6]الغائط: المكان المنخفض يزرع.

[7]الأراقم: أحياء من تغلب، و هم ستة: جشم، و مالك، و عمرو، و ثعلبة، و معاوية، و الحارث، بنو بكر بن حبيب بن غنم بن تغلب. و يريد بعبد الأراقم: الأخطل. أي عبد من الأراقم.

فمالي ثأر غير[1]قطع لسانه # فدونك من يرضيه عنك الدراهم
و أرع رويدا لا تسمتا دنية # لعلك في غب الحوادث نادم[2]
متى تلق منا عصابة خزرجية # أو الأوس يوما تخترمك المخارم[3]
و تلقك خيل كالقطا مسبطرة # شماطيظ أرسال عليها الشكائم[4]
يسومها العمران عمرو بن عامر # و عمران حتى تستباح المحارم
و يبدو من الخود الغريرة حجلها # و تبيض من هول السيوف المقادم
فتطلب شعب الصدع بعد انفتاحه # فتعيا به فالآن و الأمر سالم
/و إلا فبزي لامة تبعيه # مواريث آبائي و أبيض صارم
و أجرد خوَار العنان كأنه # بدومة موشي الذراعين صائم[5]
و أسمر خطي كأن كعوبه # نوى القسب فيها لهزمي ضبارم[6]
فإن كنت لم تشهد بيدر وقية # أذلت قريشا و الأنوف رواغم
فسائل بنا حي لؤي بن غالب # و أنت بما تخفي من الأمر عالم
أ لم تتدركم يوم بدر سيوفنا # و ليلك عما ناب قومك نائم[7]
ضربناكم حتى تفرق جمعكم # و طارت أكف منكم و جماجم
و عاذت على البيت الحرام عوانس # و أنت على خوف عليك تائم[8]
و عضت قريش بالأنامل بغضة # و من قبل ما عضت علينا الأباهم[9]
فكنا لها في كل أمر تكيده # مكان الشجا و الأمر فيه تفاقم
فما إن رمى رام فأوهى صفاتنا # و لا ضامنا يوما من الدهر صائم
و إني لأغضي عن أمور كثيرة # سترقى بها يوما إليك السلام
أصانع فيها عبد شمس و انني # لتلك التي في النفس مني أكاتم

[1] «غير» كذا في ف. و في الأصول: «دون» .

[2] «و أرع رويدا» أي كن برعيتك شفيقا. و في الأصول عدا ف: «و

راغ» .

[3]تخترمك: تهلكك. و المخارم: الطرق في الجبال. يريد: نغزوك

فتصبح طريدا تتجاذبك مخارم الجبال، فتهلك.

[4]مسبطرة: طويلة سريعة. و شماطيظ: المتفرقة المتتابعة. و

الأرسال: جمع رسل، بمعنى شماطيظ.

- [5] البيت عن ف وحدها، مب. و رواية الأخيرة: صارم.
- [6] القسب: التمر اليابس يتفتت في الفم، صلب النوى، تشبه بنواه الرماح في الصلابة. و اللهزم و اللهزمي: القاطع من الأسنان.
- و الضبارم: الشديد الخلق من الأسد، استعاره و صفا للرمح. و في ف، مب: خثارم. و في بقية الأصول: حيازم، و لعلها تحريف عما أثبتناه.
- [7] «ليلك نائم» : كذا في ف. يريد و أنت نائم غافل في ليلك. و في الأصول: قائم. و هي صحيحة.
- [8] عازت على البيت: كذا في الأصول. و الذي في «المعاجم» : عاز بكذا، إذا التجأ إليه، فلعل الأصل: عازت إلى البيت.
- [9] كذا في ف، مب. و في الأصول: الأدهم.

فلا تشتمنا يا ابن حرب فإنما # ترقّي إلى تلك الأمور الأشائم[1]
 فما أنت و الأمر الذي لست أهله # و لكن ولي الحق و الأمر هاشم
 /إليهم يصير الأمر بعد شتاته # فمن لك بالأمر الذي هو لازم
 بهم شرع الله الهدى و اهتدى بهم # و منهم له هاد إمام و خاتم

ينصر عبد الرحمن بن حسان

/قال: فلما بلغت هذه الأبيات معاوية، أمر بدفع الأخطل إليه، ليقطع لسانه. فاستجار بيزيد بن معاوية، فمنع منه، و أرضوا النعمان، حتى رضى و كف عنه.

و قال عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه: لما ضرب مروان بن الحكم عبد الرحمن بن حسان الحد، و لم يضرب أخاه، حين تهاجيا و تقاذفا، كتب عبد الرحمن إلى النعمان بن بشير يشتكى ذلك إليه، فدخل إلى معاوية، و أنشأ يقول: يا ابن أبي سفيان ما مثلنا # جار عليه ملك أو أمير

اذكر بنا مقدم أفراسنا # بالحنو إذ أنت إلينا فقير
 و اذكر غداة الساعديّ الذي # أترككم بالأمر فيها بشير[2]
 و احذر عليهم مثل بدر فقد # مر بكم يوم بدر عسير
 إن ابن حسان له نائر # فأعطه الحق تصحّ الصدور[3]
 و مثل أيام لنا شتتت # ملكا لكم أمرك فيها صغير
 أما ترى الأزدي و أشياعها # نحوك خزرا كاظمات تزيّر[4]
 يطوف[5] حولي منهم معشر # إن صلت صالوا و هم لي نصير
 /يأبى لنا الضيم فلا يعتلي # عز منيع و عديد كثير
 و عنصر في حرّ جرثومة # عاديّة تنقل عنها الصخور[6]

لقب الأنصار

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدّثني أحمد بن الهيثم الفراسي، قال: حدّثني العمري، عن الهيثم بن عديّ، قال: [1]البيت: عن ف، م.ب. و الأشائم بالرفع نعت مقطوع عما قبله.

[2]الساعديّ: يريد اليوم الساعدي، نسبة إلى بني ساعدة من الأنصار أصحاب السقيفة، و قد كان بشير بن سعد أبو النعمان أوّل أنصاري بايع أبا بكر بالخلافة، مؤثرا بها قريشا على قومه.

[3] تائر: ناصر، يثور له و يطالب بحقه.

[4] نحوك: كذا في ف، ف، مب. و في الأصول: تجول. و الخزر: جمع أخزر، و هو الذي ينظر بمؤخر عينه غضبا. و تزيير: تصيح غضبا كالأسد، و أصله تزئر، بوزن تضرب، فسهل الهمزة.

[5] يطوف: كذا في ف، ف، مب. و في الأصول: يصول.

[6] حر جرثومة: كذا في ف. و في الأصول: عز جرثومة. و الجرثومة: الأصل.

حضرت الأنصار باب معاوية و معهم النعمان بن بشير، فخرج إليهم سعد أبو درة، و كان حاجب معاوية، ثم حجب عبد الملك بن مروان، فقال: استأذن لنا. فدخل، فقال لمعاوية: الأنصار بالباب. فقال له عمرو بن العاص: ما هذا اللقب الذي قد جعلوه نسبا؟ أرددهم إلى نسبهم. فقال معاوية: إن علينا في ذلك شناعة. قال: و ما في ذلك؟ إنما هي كلمة مكان كلمة، و لا مردّ لها. فقال له معاوية: اخرج فنأد من بالباب من ولد عمرو بن عامر فليدخل. فخرج فنأد بذلك، فدخل من كان هناك منهم سوى الأنصار. فقال له: أخرج فنأد من كان ها هنا من الأوس و الخزرج فليدخل. فخرج فنأد ذلك، فوثب النعمان بن بشير، فأنشأ يقول: يا سعد لا تعد الدعاء فما لنا # نسب نجيب به سوى الأنصار

نسب تخيره الإله لقومنا # أثقل به نسبا على الكفار

إن الذين ثووا بيد منكم # يوم القليب هم وقود النار

و قام مغضبا و انصرف. فبعث معاوية فرده، فترضاه و قضى حوائجه و حوائج من حضر معه من الأنصار.

مختار شعره

و من مختار شعر النعمان قوله، رواها خالد بن كلثوم، و اخترت منها: إذا ذكرت أم الحويرث أخضلت # دموعي على السربال أربعة سكباً [1]

/كأنّي لما فرّقت بيننا التوى # أجاور في الأغلال تغلب أو كلبا

/و كنا كماء العين و الجفن لا ترى # لوأش بغى نقض الهوى بيننا إرباً [2]

فأمسى الوشاة غيروا وديّ بيننا # فلا صلة ترعى لديّ و لا قربي

جری بیننا سعی الوشاة فأصبحت # كأنّي-و لم أذنب-جنيت لها ذنبا

فإن تصرمني تصرمي بي واصلا # لدي الود معراضا إذا ما التوى صعبا

عزوفاً إذا خاف الهوان عن الهوى # و يأبى فلا يعطي مودته غصبا

فإن أستطع أصبر و إن يغلب الهوى # فمثل الذي لاقيت كلفني نصبا [3]

و اخترت هذه الأبيات من قصيدة أخرى، و أولها:

أهيج دمعك رسم الطلل # عفا غير مطرد كالخلل [4]

نعم فاستهلّ لعرفانه # يسح و يهمي بفيض سبل [5]

ديار الألوفا و أترابها # و أنت من الحب كالمختبل [6]

[1]أخضل الدمع الثوب: بله. و قد ضمنه الشاعر معنى سقط، فعدها بعلي.

[2]الجفن: كذا في ف، م.ب. و في الأصول: الحسير. تحريف. و الإرب: الحاجة.

[3]النصب: الداء و البلاء و الشر.

[4]الخلل: جمع خلة، و هي بطانة تنقش بالذهب، يغشى بها جفن السيف.

[5]استهل: جرى و سال. و السيل: المطر الجود الهاطل. و رواية الشطر الثاني في «الديوان» ص 10: «سراعا و جادت بفيض سبل» .

[6]رواية الشطر الثاني في «الديوان» : «إذا أنت ملحب كالمختبل» .

ليالي تسبي قلوب الرجا # ل تحت الخدور بحسن الغزل
 من الناهضات بأعجازهنّ # حين يقوم جزيل الكفل
 كأن الرّضاب و صوب السحا # ب بات يشاب بذوب العسل
 من الليل خالط أنيابها # بعيد الكرى و اختلاف العلل[1]

/أخذ هذا المعنى جميل منه، فقال:

و كأن طارقها على علل الكرى # و النجم و هنا قد دنا لتغوّر[2]
 يشتمّ ريح مدامة معلولة # بسحيق مسك في ذكي العنبر[3]

و في هذه القصيدة يقول النعمان:

و أروع ذي شرف حازم # صروم وصول حبال الخلل[4]
 كريم البلاء صبور اللقا # ء صافي الثناء قليل العذل[5]
 عظيم الرماد طويل العما # د واري الزناد بعيد القفل[6]
 أقمت له و لأصحابه # عمود السرى بدمول رمل[7]
 مداخلة سرحة جسرة # على الأبن دوسرة كالجمل[8]

عبد الله بن النعمان

و من شعراء ولد النعمان بن بشير، ابنه عبد الله بن النعمان، و هو
 القائل: ما ذا رجاؤك غائباً # من لا يسرك شاهداً

و إذا دنوت يزيده # منك الدنو تباعدا

[1]اختلاف العلل: حدوث النوم بعد النوم. و رواية «الديوان»: من
 الليل شارك أنيابها # بعيد الرقاد و بعيد الكسل

[2] و هنا: ساعة في وسط الليل.

[3]يشتم: كذا في ف، مب. و في الأصول: كنسيم. و في «الأغاني»
 (8: 101) : يستاف: و هو بمعنى يشتم. و رواية البيت في هذا الموضع من
 «الأغاني»: يستاف ريح مدامة معجونة # بذكي مسك أو سحيق العنبر

[4]الأروع من الرجال: الذي يعجبك حسنه. و الخلل: جمع خلة، و هي
 الحبيبة. و رواية الشطر الأول في «الديوان»: و أفيح ذي سرب حازم

[5] في «الديوان» : «قليل العلل» .

[6] القفل: كذا في مب، و «الديوان» ، و هو الرجوع من أماكن الغزو البعيدة. و في بقية الأصول: العقل. تحريف.

[7] العمود: طريق السير الذي تستقيم عليه السيارة. و الذمول: الناقة تسير الذميل، و هو ضرب من سير الإبل فوق العنق. و رمل: أي ذات رمل، و هو ضرب من السير السريع، و هو الهرولة. و في «الديوان» : «و لأشباهه» في مكان «و لأصحابه» .

[8] مداخلة: كذا في ف، مب، أ، «الديوان» . و هي المكتنزة المدمجة الخلق. و في س: بذعلبة، و هي الناقة السريعة، شبهت بالذعلبة، و هي النعام. و السرحة: الطويلة الجسم، و أصلها الشجرة العظيمة. و الجسرة: الماضية، أو الطويلة الضخمة. و الأين: التعب و الكلال. و الدوسرة: الضخمة الشديدة.

عبد الخالق بن أبان

و منهم عبد الخالق بن أبان بن النعمان بن بشير، شاعر مكثّر، و هو القائل في قصيدة طويلة: و شاد أبونا الشيخ عمرو بن عامر # بأعلى ذرا العلياء ركنا تأثلا

و خطّ حياض المجد مترعة لنا # ملاء فعلّ الصفو منها و أنها
و أشرع فيها الناس بعد، فما لهم # من المجد إلا سؤره حين أفضلًا [1]
و في غيرنا مجد من الناس كلهم # فأما كمثل العشر من مجدنا فلا
/و له أشعار كثيرة لم أحب الإطالة بذكرها.

شبيب بن يزيد

و منهم شبيب بن يزيد [2] بن النعمان بن بشير، شاعر مكثّر مجيد، و هو القائل من قصيدة طويلة، يعاتب بني أمية عند اختلاف أمرهم في أيام الوليد بن يزيد و بعده، أولها: يا قلب صبرا جميلا لا تمت حزنا # قد كنت من أن ترى جلد القوى قمنا [3]

يقول فيها:

بل أيها [4] الراكب المزجي مطيته # لقيت حيث توجهت الثنا الحسننا
/أبلغ أمية أعلاها و أسفلها # قولا ينقّر عن نؤامها الوسنا
إن الخلافة أمر كان يعظمه # خيار أولكم قدما و أولنا
فقد بقرتم بأيديكم بطونكم # و قد وعظمت فما أحسنتم الأذنا [5]
أغريتم بكم جهلا عدوكم # في غير فائدة فاستوسقوا سننا [6]
لما سفكتم بأيديكم دماءكم # بغيا و غشيتم أبوابكم درنا

إبراهيم بن بشير

و منهم إبراهيم بن بشير بن سعد، أخو النعمان، شاعر مكثّر، و هو القائل في قصيدة طويلة: أشاقتك أظعان الحدوج البواكر # كنخل التجير الشامخات المواقر [7]

[1] أشرع فيها الناس: أي وردوا حياض المجد بعده. و السؤر: البقية تبقى في الحوض و نحوه بعد الشرب. و كذا ورد البيت في مب.
و في ف: ما لهم من الجد. و في بقية الأصول و «الديوان»: فنالهم من المجد.

[2] كذا في ف، مب. و في الأصول: زيد.

[3] يقال: قمن بكذا، و قمن منه: جدير به.

[4] كذا في ف، مب. و في الأصول و «الديوان»: يا أيها.

[5] أذن له أذنا (بتحريك الذال): استمع.

[6] البيت عن ف، مب. و في مب: أعثرتم، في موضع: أغريتتم. و استوسقوا: اجتمعوا و السنن: الطريق الواضح. يريد: اجتمعوا و اتفقوا على عدوانكم.

[7] النجير: مكان. و المواقر: جمع موقرة، و هي ذوات الأحمال. و في «الديوان»: الكارعات، في موضع: الشامخات. -

على كل فتلاء الذراعين جسرة # و أعيس نضّاح المهذّ عذافر[1]
 نعم فاستدرت عبرة العين لوعة # و ما أنت عن ذكرى سليمى بصابر
 و لم أر سلمى بعد إذ نحن جيرة # من الدهر إلا وقفة بالمشاعر
 ألا ربّ ليل قد سرّيت سواده # إلى ربح الأعجاز غرّ المحاجر[2]
 /ليالي يدعوني الصبا فأجيبه # أجر إزارى عاصيا أمر زاجرى
 و إذ لمّتي مثل الجناح أثينة # أمشّى الهوينى لا يروّع طائرى
 فأصبحت قد ودعت كم بغيره # مخافة ربي يوم تبلى سرائرى[3]

حميدة بنت بشير

و بنت النعمان بن بشير، و اسمها حميدة، كانت شاعرة ذات لسان و
 عارضة و شر، فكانت تهجو أزواجها.

و كانت تحت الحارث بن خالد المخزومي، و قيل بل كانت تحت
 المهاجر بن عبد الله بن خالد، فقالت فيه: كهول دمشق و شبانها # أحب
 إليّ من الجالية[4]

صماهم كصماح التيو # س أعيأ على المسك و الغاليه[5]

و قمل يدب ديب الجراد # أكاريس أعيأ على الغاليه[6]

فطلقها. فتزوّجها روح بن زبياع، فهجته، و قالت تخاطب أخاها الذي
 زوّجها من روح، و تقول: أضل الله حلمك من غلام # متى كانت مناكحنا
 جذام

أ ترضى بالأكارع و الدّناى # و قد كنا يقر لنا السنام

و قالت تهجو روحا.

بكى الخرّ من روح و أنكر جلده # و عجت عجيجا من جذام المطارف

و قال العباء نحن كنا ثيابهم # و أكسية كدرية و قطائف[7]

[1]فتلاء الذراعين: في ذراعيها فتل و بعد عن الجنين، و هو صفة
 مستحسنة في الناقة. و الجسرة: الماضية أو الطويلة الضخمة. و في
 الأصول عدا ف: مهجر، و هي الناقة الفائقة في الشحم و السمن. و جمل
 أعيس: فيه أدمة. و النضاح: من النضخ و هو شدة فور الماء في جيشانه و
 انفجاره من ينبوعه. و المهذ: مصدر ميمي بمعنى المهذّ، و هو هدير الفحل،

شبه صوته عند هديره بجيشان الماء إذا فارعن الينبوع. و جمل عذافر: صلب
عظيم شديد.

[2]ردح: جمع رداح، و هي الضخمة. و في مب: رجح. و الأعجاز: كذا
في ف، مب. و في الأصول: الأكفال.

[3]تبلى: تختبر.

[4]الجالية: القوم الذين جلوا عن بلادهم.

[5]الصماح: العرق المنتن، و هو الصنان. و صماحهم كصماح: كذا في
ف، مب. و في الأصول: صنانهم كصنان. و في «ديوان النعمان» (ص 41) :
له دفر كصنان. و الدفر: هو الصنان.

[6]أكاريس: جمع أكراس، و هذا جمع كراس بالكسر، و هو الجماعة
من كل شيء. كذا رواية الشطر في ف. و في الأصول و «الديوان» : (دأعيا
على الغالي و الغالية) . و في مب: (دأعيا الغداة على الغالية) .

[7]العباء: نوع من ثياب الأعراب غليظ خشن. و رواية الشطر الأول
في «الديوان» : «و قال العبا قد كنت حينا ثيابهم» .

/فطلقها روح، و قال: سلط الله عليك بعلا يشرب الخمر و يقيئها في
حجرك. فتزوَّجت بعده الفيض بن أبي عقيل الثقفي، و كان يسكر و يقيء
في حجرها. فكانت تقول: أُجيبت فيّ دعوة روح. و قالت في الفيض: سمّيت
فيضا و ما شيء تفيض به # إلا بسلكك بين الباب و الدار[1]

فتلك دعوة روح الخير أعرفها # سقى الإله صداه الأوطف الساري[2]

و قالت فيه:

و هل أنا إلا مهرة عربية # سليلة أفراس تجلّ لها بغل[3]

فإن نتجت مهرا كريما فبالحري # و إن كان إقراف فما أنجب الفحل[4]

هكذا روى خالد بن كلثوم هذين البيتين لها، و غيره يرويهما لمالك بن
أسماء لما تزوّج الحجاج أخته هنداً.

و هي القائلة لما تزوّج الحجاج أختها أم أبان:

قد كنت أرجو بعض ما يرجو الراج # أن تنكحيه ملكا أو ذا تاج

إذا تذكرت نكاح الحجاج # تضرّم القلب بحزن وهّاج

و فاضت العين بماء نجاج # لو كان نعمان قتيل الأعلاج

مستوي الشخص صحيح الأوداج # ما نلت ما تلت بختل الدراج[5]

فأخرجها الحجاج من العراق، و ردها إلى الشام.

صوت

نفرت قلوصي من حجارة حرّة # بنيت على طلق اليمين وهوب

لا تنفري يا ناق منه فإنه # شرّيب خمر مسعر لحروب

لا يبعدنّ ربيعة بن مكّدم # و سقى الغوادي قبره بذنوب

لو لا السّفار و بعد خرق مهمه # لتركتها تحبو على العرقوب[6]

[1] بسلكك: كذا في الأصول. و في «الديوان» (ص 39) : بجعرك.

[2] البيت عن ف و «الديوان». و الصدى: عظام الموتى تصير هامة
فتطير كزعم الجاهلية (عن «تاج العروس») . و الأوطف: السحاب
المسترخي الجوانب لكثرة مائه.

[3] روى ابن قتيبة في «أدب الكتاب» الشطر الأول: «و هل هند إلا
مهرة عربية» و نسب الشعر إلى هند بنت النعمان بن بشير، أخت حميدة. و

أنكر بعضهم لفظ «بغل» بالباء، و قالوا: هي تصحيف، و الصواب نغل بالنون،
بوزن سهم و كنف، و هو الخسيس من الناس و الدواب، أو الفاسد النسب
(انظر «التاج» في نغل) .

[4] إقراف: كذا في ف. و في الأصول: إقرافا. و في «الديوان» : و إن
يك إقراف فما أنجب: و كذا في مب. و في بقية الأصول و «الديوان» : فمن
قبل الفحل.

[5] ختل: خداع. و الدراج: طائر شبيه بالحجل و أكبر منه، أرقط بسواد
و بياض، قصير المنقار، شبهت به أختها.

[6] يريد لو لا طول رحلته في الفلوات المترامية لعقر ناقته على قبر
ربيعة بن مكرم. قال صاحب «العقد الفريد» (يوم الكديد) : و كان ربيعة بن
مكرم يعقر على قبره في الجاهلية، و لم يعقر على قبر أحد غيره.

يقال إن الشعر لحسان بن ثابت الأنصاريّ، و يقال: إنه لضرار بن الخطاب الفهريّ.

أخبرني أبو خليفة إجازة عن محمد بن سلام، قال: الصحيح أن هذه الأبيات لعمر بن شقيق، أحد بني فهر بن مالك. و من الناس من يرونها لمكرّم بن حفص بن الأحنف الفهري[1]، و عمرو بن شقيق أولى بها.

و الغناء[2] لمالك: خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر[2].

[1] الفهري: كذا في ف. و في بقية الأصول: العامري. و نسب أبو تمام في «الحماسة» (2: 187) الأبيات إلى حفص بن الأحنف الكناني. و نسبها التبريزي عن أبي رباح إلى حفص بن الأحنف العامري، و إلى كرز بن خالد الفهري. و في الاسم الذي ذكره المؤلف تلفيق من هذه الأسماء. و يوم الكديد مذكور في «شرح الحماسة» ، مع بعض الاختلاف في التفاصيل و الأقوال و الأشعار.

(2-2) العبارة عن ف، مب.

4- أخبار مقتل ربيعة و نسبه

نسبه و مقتله

و هذا الشعر قيل في قتل ربيعة بن مكدّم بن عامر بن حرثان بن جذيمة بن علقمة بن جذل الطعان بن فراس بن عثمان بن ثعلبة بن مالك بن كنانة، أحد فرسان مضر المعدودين، و شجعانهم المشهورين، قتله نبيشة بن حبيب السلمى في يوم الكديد.

و كان السبب في ذلك فيما ذكره محمد بن الحسن بن دريد، إجازة عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة؛ و نسخته أيضا من رواية الأصمعي و حماد صاحب أبي غسان دماذ و الأثرم، فجمعتها ها هنا.

قال أبو عبيدة: قال أبو عمرو بن العلاء: وقع تدارؤ[1] بين نفر من بني سليم بن منصور و بين نفر من بني فراس بن مالك بن كنانة، فقتلت بنو فراس رجلين من بني سليم بن منصور، /ثم إنهم ودوهما. ثم ضرب الدهر ضربانه، فخرج نبيشة بن حبيب السلمى غازيا، فلقى طعنا من بني كنانة بالكديد، في نفر من قومه، و بصر بهم[2] نفر من بني فراس بن مالك، فيهم عبد الله بن جذل الطعان بن فراس، و الحارث بن مكدّم أبو الفارعة، قال: بعضهم أبو الفرعة، أخو ربيعة بن مكدّم، قال: و هو مجدور يومئذ يحمل في محفة، فلما رأهم أبو الفارعة، قال: هؤلاء بنو سليم يطلبون دماءهم. فقال أخوه ربيعة بن مكدّم: أنا أذهب حتى أعلم علم القوم، فأتيتكم بخبرهم. فتوجه نحوهم، فلما ولى، قال بعض الطعن: هرب/ربيعة. فقالت أخته أم عزة بنت مكدّم: أين تنتهي نفرة الفتى؟ فعطف و قد سمع قول النساء، فقال: لقد علمن أنني غير فرق # لأطعنن طعنه و أعتنق

أعمل فيهم حين تحمر الحدق # عضبا حساما و سنانا يأتلق[3]

قال: ثم انطلق يعدو به فرسه، فحمل عليه بعض القوم، فاستطرد له في طريق الطعنت. و انفرد به رجل من القوم، فقتله ربيعة. ثم رماه نبيشة أو طعنه، فلحق بالطعن يستدمي، حتى أتى إلى أمه أم سيار، فقال: اجعلي على يدي عصابة، و هو يرتجز و يقول: شدي عليّ العصب أم سيار # لقد رزيت فارسا كالدينار

يطعن بالرمح أمام الأدبار

[1] تدارؤ: تدافع في خصومة و اختلاف.

[2] كذا في ف، مب. و في الأصول: في ركب من قومه و ظفر بهم.

[3] كذا ورد الشعر في مب. و في ف: «و أصبحهم حين تحمر الحدق»
. و في بقية الأصول: «أصبحهم صاح بمحمر الحدق». و كلاهما محرف.

فقال أمه:

إنا بنو ثعلبة بن مالك # مرزاً أختيارنا كذلك

من بين مقتول و بين هالك # و لا يكون الرزء إلا ذلك

قال أبو عبيدة: و شدت أمه عليه عصابة. فاستسقاها ماء، فقالت: إنك إن شربت الماء مت، فكرّ على القوم. فكر راجعا يشد على القوم و يذبهم، و نزفه الدم حتى اثن، فقال للظعن: أوضعن [1] ركابكن خلفي، حتى تنتهين إلى أدنى بيوت الحي، فإني لما بي، و سوف أقف دونكن لهم على العقبة، و أعتمد على رمحي، فلن يقدموا عليكم لمكاني. ففعلن ذلك، فنجون إلى مأمهن.

/قال أبو عبيدة: قال أبو عمرو بن العلاء: و لا نعلم قتيلا و لا ميتا حمى ظعائن غيره. قال: و إنه يومئذ لغلام له ذؤابة. قال: فاعتمد على رمحه، و هو واقف لهن على متن فرسه، حتى بلغن مأمهن، و ما تقدّم القوم عليه.

فقال: نبيشة بن حبيب: إنه لمائل العنق، و ما أظنه إلا قد مات. فأمر رجلا من خزاعة كان معه أن يرمي فرسه.

فرماها فقمصت و زالت، فمال عنها ميتا. قال: و يقال بل الذي رمى فرسه نبيشة. فانصرفوا عنه، و قد فاتهم الظعن.

قال أبو عبيدة: و لحقوا يومئذ أبا الفرعة الحارث بن مكرم، فقتلوه، و ألقوا على ربيعة أحجارا.

أشعار في رثائه

فمر به رجل من بني الحارث بن فهر، فنفرت ناقته من تلك الأحجار التي أهليت على ربيعة. فقال يرثيه و يعتذر ألا يكون عقر ناقته على قبره، و حض على قتله، و عير من فر و أسلمه من قومه: نفرت قلوصى من حجارة حرة # بنيت على طلق اليدين و هوب

لا تنفري يا ناق منه فإنه # سبّاء خمر مسعر لحروب

لو لا السّفار و بعد خرق مهمه # لتركنتها تجبو على العرقوب

/فر الفوارس عن ربيعة بعد ما # نجاهم من غمة المكروب [2]

يدعو عليا حين أسلم ظهره # فلقد دعوت هناك غير مجيب

لله در بني عليّ إنهم # لم يحمشوا غزوا كولغ الذيب [3]

نعم الفتى أدى نبيشة بزه # يوم الكديد، نبيشة بن حبيب[4]

لا يبعدن ربيعة بن مكرم # و سقى الغوادي قبره بذنوب

/قال أبو عبيدة: و يقال إن الذي قال هذا الشعر هو ضرار بن الخطاب بن مرداس، أحد بني محارب بن فهر.

و قال آخر: هو حسان بن ثابت. و قال الأثرم: أنشدني أبو عبيدة مرة أخرى هذا البيت: و سقى الغوادي قبره بذنوب

[1]الإيضاع: نوع من السير سريع.

[2]غمة: كذا في ف، مب. و في الأصول: غمرة.

[3]هذا البيت و الذي بعده عن ف، مب. و يحمشوا: يحرضوا على القتال و يلهبوه. و الولغ: مصدر ولغ الذئب في الماء: شرب منه.

[4]البز: السلاح، درعا و غيرها.

و احتج به في قول الله عز و جل: **دُنُوبًا مِثْلَ دُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ** [1]. فسأله لمن هذا البيت، فقال: لمكّرز بن حفص بن الأحنف، أحد بني عامر بن لؤي، رجل من قريش الظواهر؛ و لم يسمه هاهنا.

و قال عبد الله بن جذل الطعان و اسمه بلعاء:

لأطلبين بريعة بن مكرم # حتى أنال عصية بن معيص

يقال إن عصية من بني سليم، و هو عصية بن معيص بن عامر بن لؤي

و تقاد كل طمرة ممحوصة # و مقلص عبل الشوى ممحوص [2]

و قال رجل من بني الحارث بن الخزرج من الأنصار يرثي بريعة بن مكرم. و قال أبو عبيدة: زعم أبو الخطاب الأخفش أنه لحسان بن ثابت، يحض على قتله.

و لأصرفنّ سوى حذيفة مدحتي # لفتى الشتاء و فارس الأجراف [3]

مأوى الصّريك إذا الرياح تناوحت # ضخم الدّسيسة مخلف متلاف [4]

/من لا يزال يكب كل ثقيلة # كوما غير مسائل منزاف [5]

رحب المباءة و الجناب موطأ # مأوى لكل معتق بسواف [6]

فسقى الغوادي قبرك ابن مكرم # من صوب كل مجلجل و كآف [7]

أبلغ بني بكر و خص فوارسا # لحقوا الملامة دون كل لحاف

أسلمتم جذل الطعان أخاكم # بين الكديد و قلة الأعراف [8]

الأعراف: رمل، قال الأثرم: الأعراف كل ما ارتفع، و منه قول الله تعالى: **وَ نَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ** .

حتى هوى متزايلأ أوصاله # للحد بين جنادل و قفاف [9]

[1] سورة الذاريات آية: 59.

[2] الطمرة: الفرس الطويلة القوائم الخفيفة المستعدة للعدو. و الممحوصة: القليلة لحم القوائم، التي خلصت من الرهل. و المقلص: الحصان الطويل القوائم المنضم البطن. و عبل الشوى: ضخم الأطراف.

[3] لفتى الشتاء: الذي يطعم في الشتاء وقت الجذب. و في «ديوان قيس بن الخطيم»: لفتى العشي. و في الأصول: لفتى اليسار.

و الأجراف: موضع («التاج») . و ذكر البكري في «التنبيه» (ص 67)
أن اللغويين يروون البيت على أن «سوى» هنا بمعنى «قصد» ، ثم قال إن
الشاعر إنما قال: «إلى حذيفة» أما «سوى» فموضوع.

[4]الضريك: المحتاج. و تناوحت الريح: هبت من جهات مختلفة متقابلة،
و ذلك في السنة، و قلة الأندية، و يبس الهواء، و شدة البرد.
و الدسيعة: مائدة الرجل إذا كانت كريمة، أو الجفنة.

[5]الثقلية: يريد الناقة الضخمة السمينة. و الكوماء: العظيمة السنام. و
غير مسائل: أي لا يسأل أحدا عونا على الكرم كما يفعل أصحاب الميسر. و
الشطر الثاني في «ديوان قيس بن الخطيم» : «و زماء غير محاول
الإنزاف» .

[6]المبأة: المنزل. و المعتق من الإبل: المسن. و السواف: مرض
يصيب الإبل. يريد أنه لم يبق غير مسان الإبل التي أصابها المرض، أما
شبابها فإنه ينحرها للضيغان. و في ف: معتق مسواف. و في مب: مدفع
مسواف. و في «ديوان قيس» : معصب مسواف.

[7]قبرك: كذا في ف. و في الأصول: رمسك. و المجلجل: المطر ذو
الرعد. و الوكاف: المنهمر.

[8]الكديد: موضع على اثنين و أربعين ميلا من مكة.

[9]متزايل: كذا في ف، مب. و في الأصول: متدائلا: أي مسرعا. و
القفاف: جمع قف، و هو الأرض الغليظة.

للّه در بني عليّ إن هم # لم يثأروا عوفا و حيّ خفاف[1]

قال الأثرم: و أنشدنا أبو عبيدة هذه القصيدة مرة لقيس بن الخطيم حين قتل قاتل أبيه، فقال: تذكر ليلي حسنها و صفاءها / و قال ابن جذل الطعان في ذلك أيضا:

ألا اللّه در بني فراس # لقد أورثتم حزنا و جيعا

غداة ثوى ربيعة في مكرّ # تمج عروقه علقا نجيعا[2]

فلن أنسى ربيعة إذ تعالی # بكاء الطّعن تدعو يا ربيعا

و قال كعب بن زهير، و أمه من بني أشجع بن عامر بن الليث بن بكر بن كنانة، يرثي ربيعة بن مكرم، و يحض على بني سليم، و يعير بني كنانة[3] بالدماء التي أدوها إلى بني سليم، و هم لا يدركون قتلاهم عندهم بدرك قتل فيهم و لا دية: /

بان الشباب و كل إلف بائن # ظعن الشباب مع الخليط الطاعن

قالت أميمة ما لجسمك شاحبا # و أراك ذا بتّ و لست بدائن

غصّي ملامك إن بي من لومكم # داء أظن مما طلي أو فاتني

أبلغ كنانة غنّها و سمينها # الباذلين رباعها بالقاطن[4]

أن المذلة أن تطلّ دماؤكم # و دماء عوف ضامن في العاهن[5]

أموالكم عوض لهم بدمائهم # و دماؤكم كلف لهم بطعائن[6]

طلبوا فأدرک و ترهم مولاهم # و أبت محاملکم إباء الحارن[7]

/شدوا المآزر فاثأروا بأخيكم # إن الحفائط نعم ربح الثامن[8]

كيف الحياة ربيعة بن مكرم # يغدى عليك بمزهر أو قائن[9]

[1] بنو عليّ: قبيلة من كنانة، و هم بنو عبد مناة، و ليسوا من كنانة قريش. و إن هم: كذا في ف، مب. و في الأصول: إنهم.

[2] البيت عن ف، مب. و العلق: الدم. و النجيع: الدم، أو الدم المصبوب، أو دم الجوف.

[3] العبارة عن ف، مب.

[4] الباذلين: كذا في الأصول. و لعله يريد التاركين لأعدائهم ديارهم بمن فيها من القطان. و في ف، مب: النازلين.

[5] ضامن: مضمون. و العاهن: الثابت.

[6] ف: عوض... كلف لكم. و في الأصول: غرض... كلف لهم. يريد: إذا قتلتموهم دفعتم أموالكم في دياتهم، و إذا سببتم طعائهم لم يكفوا عن حربكم و قتلكم.

[7] محاملكم: كذا في الأصول. و في ف، ف، مب: محاصلكم. و في «ديوان كعب بن زهير» (229 طبعة دار الكتب) : ساعاتكم.

[8] كذا روي البيت في ف، ف، مب. و في الأصول: و اثاروا... ربح الثامن. و في «ديوان كعب» : شدوا المآزر فانعشوا أموالكم # إن المكارم...

[9] المزهر: العود. و القائن: صاحب القيان و مدربهن. و في ف، ف، مب: و أقائن. و في الأصول: أو كائن، و في «الديوان» : كيف الأسى و ربيعة بن مكرم # يودي عليك بفتية و أفاتن

و هو التريكة بالعراء و حارث # فقع القراقر بالمكان الواتن[1]
 كم غادروا لك من أرامل عيّل # جزر الصّباع و من ضريك واكن[2]
 و قالت أم عمرو أخت ربيعة ترثي ربيعة:

ما بال عينك منها الدمع مهراق # سخّا و لا عازب لا لا و لا راقبي[3]
 أبكي على هالك أودي و أورثني # بعد التفرق حزنا بعده باقي
 لو كان يرجع ميتا وجد ذي رحم # أبقى[4]أخي سالما وجدني و إشفافي
 /أو كان يفدى لكان الأهل كلّهم # و ما أتر من مال له واقبي
 لكن سهام المنايا من نصين له # لم ينجه طب ذي طب و لا راقبي[5]
 فاذهب فلا يبعدنك الله من رجل # لاقى الذي كلّ حي مثله لاقبي
 فسوف أبكيك ما ناحت مطوقة # و ما سرّيت مع الساري على ساقبي
 أبكي لذكرته عبري مفعّجه # ما إن يجف لها من ذكره ماقي

و قال عبد الله يرثيه:

خلى عليّ ربيعة بن مكدم # حزنا يكاد له الفؤاد يزول
 فإذا ذكرت ربيعة بن مكدم # ظلت لذكراه الدموع تسيل
 نعم الفتى حيا و فارس بهمة # بردي بشكته أقبّ ذعول[6]
 سقت الغواذي بالكديد رمّة[7] # و الناس إما هالك و قتيل
 فإذا لقيت ربيعة بن مكدم # فعلى ربيعة من نداء قبول
 كيف العزاء و لا تزال خريدة # تبكي ربيعة عادة عطبول[8]

[1]التريكة: يعني ربيعة بن مكدم، و التريكة: البيضة يتركها النعام حين تنقف، و يدفنها تحت التراب. أراد أن ربيعة تريكة بالقاع مدفون، كما تركت هذه البيضة. و في «الديوان»: «و هو التريكة بالمكر». و في مب: رهن العريكة. و في ف: «رهن الفريكة بالعراق». و في الأصول: «و من العريكة بالعراق». و العراق: تحريف عن العراء. و حارث: هو أخو ربيعة. و فقع القراقر: مثل يضرب للذليل.

و أصل الفقع أردأ الكمأة، تطؤه الدواب بحوافرها. و الواتن: الثابت المقيم.

[2]جزر الصّباع: طعاما للضباع. و الضريك: الفقير السيئ الحال. و الواكن: الجالس عجزا. و رواية «الديوان»: كم غادروا من ذي أرامل عائل

جزر السباع و من ضريك حاجن

و الحاجن: المقيم بالداء.

[3] راقى: مخفف عن راقئ، و هو الساكن. و في «ذيل الأمالي» (12)
: «فلا عازب عنها و لا راقى» .

[4] كذا في ف، مب و «ذيل الأمالي» . و في الأصول: «أديم لي
سالما» .

[5] نصبن: كذا في ف، مب، و «ذيل الأمالي» . و في الأصول: تصير. و
في الأصول: أيضا: «لم يغنه» .

[6] البهمة: الشجاع الذي لا يدري قرنه من أين يأتيه. و الشبكة: الدرع.
و الأقب: الضامر البطن من الخيل. و الذءول: من الذألان، و هو مشي سريع
خفيف.

[7] كذا روى الشطر الأول في ف. و في مب: سقت الكديد و من به
رجبية. و في الأصول: (سبقت به أم الكديد رمية) . تحريف.

[8] العطبول: الجارية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق.

يأبى لي الله المذلة إنما # يعطى المذلة عاجز تنبيل[1]

و قال عبد الله أيضا يرثيه:

نادى الطعائن يا ربيعة بعد ما # لم يبق غير حشاشة و فواق[2]

/فأجابها و الرمح في حيزومه # أنفا بطعن كالشعيب دفاق[3]

/يا ربط إن ربيعة بن مكدم # و ربيع قومك آذنا بفراق[4]

و لئن هلكت لربّ فارس بهمة # فرجت كربته و ضيق خناق

و قال أيضا يتوعد بني سليم:

و لست لحاضر إن لم أزركم # كتائب من كنانة كالصريم[5]

على قبّ الأياطل مضمرات # أضربّ بنيتها علك الشكيم[6]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدّثنا يعقوب بن إسرائيل، قال: حدّثني الطلحي، قال: أخبرني عبد الله بن إبراهيم الجمحي و محمد بن الحسن بن زبالة في مجلس واحد، قالوا: مرّ حسان بن ثابت بقبر ربيعة بن مكدم الكناني[7]، بثنية كعب، و يقال: بثنية غزال، فقلصت به راحلته، فقال[7]: نفرت قلوصي من حجارة حرّة # بنيت على طلق اليمين وهوب

لا تنفري يا ناق منه فإنه # شربّ خمر مسعر لحروب

لو لا السّفار و بعد خرق مهمه # لتركها تحبو على العرقوب

فبلغ شعره بني كنانة، فقالوا: و الله لو عقرها لسقنا إليه ألف ناقة سود الحدق.

يقتل فارسين من أصحاب دريد بن الصّمة فيهب له رمحه

أخبرني محمد بن الحسين بن دريد، قال: حدّثنا السجستاني، قال: حدّثنا أبو عبيدة، قال: خرج دريد بن الصّمة في فوارس من بني جشم، حتى إذا كانوا بواد لبني كنانة يقال له الأخرم، و هو يريد الغارة على بني كنانة، رفع له رجل من ناحية الوادي معه طعينة. فلما نظر إليه قال لفارس من أصحابه: صح به أن خلّ عن الطعينة و انج بنفسك، و هو لا يعرفه. فأنتهى إليه الرجل، فصاح به، و ألح عليه. فلما أتى ألقى الزمام و قال للطعينة: [1]كذا في ف، مب. و في الأصول: يأبى لك. و التنبيل: كذا في الأصول، و ليس في «المعاجم» فعليل من تنبل. و المراد: القصير العاجز.

[2]كذا في ف، مب. و في الأصول: دعت الطعينة. و الفواق: ريح يخرج من المعدة إلى الفم.

[3]مب: علقا. في موضع: أنفا.

[4]كذا في ف، مب. و في الأصول: دنا بفراق.

[5]الحاضر: الحي المقيمون في أرضهم صيفا و شتاء. يريد: لست منسوبا إلى حي قوي. و في مب: «لحاصن» ، و هي المرأة العفيفة الشريفة. و في الأصول: «و لست لصاحبي إن لم تجئكم» . و الصريم: الليل، يريد أنها لكثرتها يكون منظرها أسود كالليل.

[6]الأباطل: جمع أبطل، و هو الخاصرة. الأياطل: كذا في ف. و في الأصول: البطون. و التي: الشحم. و أضربه: أزاله.

(7-7) العبارة عن ف، مب.

سيري على رسلك سير الآمن # سير رداح ذات جأش ساكن
إن اثنائي دون قرني شائي # و ايلي بلائي و اخبري و عايني

ثم حمل على الفارس فقتله، و أخذ فرسه، فأعطاه الطعينة. فبعث دريد فارسا آخر، لينظر ما صنع صاحبه، فرآه صريعا. فصاح به، فتصامم عنه، فظنّ أنه لم يسمعه. فغشيه، فألقى الزمام إليها، ثم حمل على الفارس، فطعنه فصرعه، و هو يقول: خلّ سبيل الحرة المنيعة # إنك لاق دونها ربيعة

في كفه خطية مطيعة[1] # أو لا، فخذها طعنة سريعه

فالتعن منى في الوعى شريعه

فلما أبطأ على دريد بعث فارسا آخر لينظر ما صنعا؟ فاتتهى إليهما، فرآهما صريعين، و نظر إليه يقود طعينته، و يجرر رمحه. فقال له الفارس: خل عن الطعينة. فقال لها ربيعة: اقصدي قصد البيوت، ثم أقبل عليه فقال: ما ذا تريد من شتيم عابس[2] # أ لم تر الفارس بعد الفارس

أرداهما عامل رمح يابس؟

/ثم طعنه فصرعه، و انكسر رمحه. فارتاب دريد، و ظنّ أنهم قد أخذوا الطعينة، و قتلوا الرجل. فلحق بهم، فوجد ربيعة لا رمح معه و قددنا من الحيّ، و وجد القوم قد قتلوا. /فقال دريد: أيها الفارس، إن مثلك لا يقتل، و إن الخيل ثائرة بأصحابها، و لا أرى معك رمحا، و أراك حديث السنّ، فدونك هذا الرمح، فإني راجع إلى أصحابي، فمثبّط عنك. فأتى دريد أصحابه، و قال: إن فارس الطعينة قد حماها، و قتل فوارسكم، و انتزع رمحي، و لا طمع لكم فيه.

فانصرف القوم. و قال دريد في ذلك:

ما إن رأيت و لا سمعت بمثله # حامي الطعينة فارسا لم يقتل

أردى فوارس لم يكونوا نهزة # ثم استمرّ كأنه لم يفعل[3]

متهلل تبدو أسرة وجهه # مثل الحسام جلته كف الصيقل[4]

يزجي طعينته و يسحب رمحه # متوجها بمناه نحو المنزل[5]

و ترى الفوارس من مخافة رمحه # مثل البغاث خشين وقع الأجدل[6]

يا ليت شعري من أبوه و أمه # يا صاح من يك مثله لم يجهل!

فقال ربيعة:

[1] في الأصول عدا ف، مب: منيعة.

[2] شتيم: كربه الوجه.

[3] نهزة: فرصة لمن يريدهم بشر.

[4] في الأصول عدا ف، مب: أيدي الصيقل.

[5] في «سمط اللآئ» (ص 912) : يسحب ذيله. و بمناه: كذا في ف،
و في الأصول: يمناه، من اليمن، يقال: توجه فلان يمينه و يمناه: أي توجه
ظافرا ميمونا، و ضدّه: توجه فلان شماله: أي على أمر مشئوم.

[6] البغات (مثلث الباء) : الطيور الضعيفة. و الأجدل: الصقر.

إن كان ينفعك اليقين فسائلي # عني الطعينة يوم وادي الأخرم
 عل هي لأول من أتاها نهزة # لو لا طعان ربيعة بن مكرم
 / إذ قال لي أدنى الفوارس ميتة # خلّ الطعينة طائعا لا تندم
 فصرفت راحلة الطعينة نحوه # عمدا ليعلم بعض ما لم يعلم
 و هتكت بالرمح الطويل إهابه # فهوى صريعا لليدين و للغم
 و منحت آخر بعده جياشة # نجلاء فاغرة كشدق الأضجم [1]
 و لقد شفعتهما بآخر ثالث # و أبي الفرار لي الغداة تكرمي

قال:

فلم يلبث بنو مالك بن كنانة رهط ربيعة بن مكرم، أن أغاروا علي بني
 جشم رهط دريد، فقتلوا و أسروا و غنموا، و أسروا دريد بن الصمة، فأخفي
 نسبه. فبينما هو عندهم محبوس، إذ جاء نسوة يتهادين إليه. فصرخت امرأة
 منهنّ، فقالت: هلكتم و أهلكتم، ما ذا جرّ علينا قومنا؟ هذا و الله الذي أعطى
 ربيعة رمحه يوم الطعينة. ثم ألقت عليه ثوبها و قالت: يا آل فراس، أنا جارة
 له منكم، هذا صاحبنا يوم الوادي. فسألوه من هو؟ فقال: أنا دريد بن الصمة،
 فمن [2] صاحبي؟ قالوا: ربيعة بن مكرم، قال: [2] فما فعل؟ قالوا: قتله بنو
 سليم، قال: فمن الطعينة التي كانت معه؟ قالت المرأة: ربيعة بنت جدل
 الطعان، و أنا هي، و أنا امرأته. فحبسه القوم، و أمروا أنفسهم، و قالوا: لا
 ينبغي أن تكفر نعمة دريد على صاحبنا. و قال بعضهم: و الله لا يخرج من
 أيدينا إلا برضا المخارق الذي أسره.

و انبعثت المرأة في الليل، فقالت:

/

سنجزى دريدا عن ربيعة نعمة # و كل فتى يجزى بما كان قدّما
 فإن كان خيرا كان خيرا جزاؤه # و إن كان شرا كان شرا مذمّما
 سنجزيه نعمى لم تكن بصغيرة # بإعطائه الرمح السديد المقوّما
 فقد أدركت كفاه فينا جزاءه # و أهل بأن يجزى الذي كان أنعما
 / فلا تكفروه حق نعماه فيكم # و لا تركبوا تلك التي تملأ الفما
 فلو كان حيا لم يضق بثوابه # ذراعا، غنيا كان أو كان معدما
 ففكوا دريدا من إيسار مخارق # و لا تجعلوا البؤسى إلى الشر سلما

فأصبح القوم فتعاونوا بينهم، فأطلقوه، و كسته ربطة و جهزته، و لحق بقومه. و لم يزل كافا عن غزو بني فراس حتى هلك.

[1]منحت: كذا في ف، ق، مب. و في أ: نسخت. و في س: نضحت، و كلاهما تحريف. و جياشة: طعنة تجيش بالدم. و الأضجم: صفة من الضجم، و هو عوج في الفم، و ميل في الشدق. و في ف: الأسم، و معناه: الأسود، يريد زق الخمر.

(2-2) العبارة عن ف، مب.

أحيل الناس و أشجعهم و أجبنهم

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك، قال: حدّثني محمد بن يعقوب بن أبي مريم العدويّ [1] البصري، قال: حدّثني محمد بن عمر الأزدي، قال: حدّثني أبو البلاد [2] الغطفاني و قبيصة بن ميمون [3] الصادري، قال: سألت عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمرو بن معد يكرب الزبيدي: من أشجع من رأيت؟ فقال: و الله يا أمير المؤمنين لأخبرنك عن أحيل [4] الناس، و عن أشجع الناس، و عن أجبن الناس. فقال له عمر: هات. فقال: أربعت المدينة، فخرجت كأحسن ما رأيت، و كانت لي فرس شممقة [5] طويلة سريعة الإبقاء [6]، تمطّق [7] بالعرق تمطّق الشيخ/ بالمرق، فركبتها، ثم آليت لا ألقى أحدا إلا قتلته. فخرجت و عليّ مقدّي [8]، فإذا أنا بفتى بين غرضين [9]، فقلت له: خذ حذرک، فإنني قاتلك. فقال: و الله ما أنصفتني يا أبا ثور، أنا كما ترى أعزل أميل [10] عوّارة- و العوّارة: الذي لا ترس معه- فأنظرني حتى آخذ نبلي. فقلت: و ما غناؤها عنك؟ قال: أمتنع بها. قلت: خذها. قال: لا و الله أو تعطيني من العهود ما يثلجني أنك لا ترؤعني حتى آخذها. فأثلجته، فقال: و إله قريش لا آخذها أبدا. فسلم و الله مني و ذهبت؛ فهذا أحيل الناس.

ثم مضيت حتى اشتعل عليّ الليل، فو الله إني لأسير في قمر زاهر [11]، كالنور الظاهر [12]، إذا بفتى على فرس يقود طعينة، و هو يقول: يا لدينا يا لدينا # ليتنا يعدى علينا

ثم يبلى ما لدينا

ثم يخرج حنظلة من مخلاته، فيرمي بها في السماء، فلا تبلغ الأرض حتى ينظمها بمشقص [13] من نبله. فصحت به: خذ حذرک ثكلتك أمك، فإنني قاتلك. فمال عن فرسه فإذا هو في الأرض. فقلت: إن هذا إلا استخفاف. فدنوت منه، و صحت به: ويلك: ما أجهلك! فما تحلل و لا زال عن موضعه، فشككت الرمح في إهابه، فإذا هو كأنه قد مات منذ سنة، فمضيت و تركته؛ فهذا أجبن الناس.

[1] الأصول عدا ف، مب: العذري.

[2] في الأصول عدا ف، مب: أبو العلاء.

[3] في الأصول عدا ف، مب: منهور.

[4]أحيل: كذا بالياء من الحيل بمعنى الحيلة، أي الحذق (انظر «تاج العروس») .

[5]الشمقمقة: الطويلة.

[6]يريد بشرية الإبقاء، أنها تسرع استئناف الجري بعد التعب.

[7]التمطق: إصاق اللسان بالغار الأعلى، فيسمع له صوت عند استطابة الشيء، يريد أن العرق يسيل من وجهها إلى فمها، فتمطق، لالفها الجري و مزاوله الأسفار.

[8]المقد: حديدة يقد بها الجلد، يريد بها سيفه.

[9]الغرض: شعبة في الوادي غير كاملة.

[10]اعزل: لا سلاح معه. و أميل: لا يستقر على الخيل.

[11]كذا في ف، مب. و في الأصول: باهر.

[12]ف: الناظر.

[13]المشقص: نصل طويل غير عريض. -

ثم مضيت فأصبحت بين دكادك [1]هرشى [2]إلى غزال [3]، فنظرت إلى أبيات، /فعدلت إليها، فإذا فيها جوار ثلاث، كأنهن نجوم الثريا. فبكين حين رأييني، فقلت: ما يبكيكن؟ فقلن: لما ابتلينا به منك، و من ورائنا أخت هي أجمل منا. فأشرفت من فدقد، فإذا بمن لم أر شيئاً قط أحسن من وجهه، و إذا بغلام يخصف نعله، عليه ذؤابة يسحبها. فلما نظر إليّ وثب على الفرس مبادراً، ثم ركض، فسبقني إلى البيوت، فوجدهن قد ارتعن، فسمعتة يقول لهن: مهلا نسيّاتي إذن لا ترتعن # إن يمنع اليوم نساء تمنعن

أرخين أذيال المروط و ارتعن [4]

فلما دنوت منه، قال: أ تطردني أم اطردك؟ قلت: أطردك. فركض و ركضت في أثره، حتى إذا مكنت السنان [5] في لفتته- و اللفتة أسفل من الكتف- اتكأت عليه، فإذا هو و الله مع/لب [6]فرسه، ثم استوى في سرجه. فقلت: أقلني.

قال: اطرد. فتبعته حتى إذا ظننت أن السنان في ماضغيه اعتمدت عليه، فإذا هو و الله قائم على الأرض، و السنان ماض زالج. و استوى على فرسه، فقلت: أقلني. قال: اطرد. فطردته، حتى إذا مكنت السنان في متنه، اتكأت عليه و أنا أظن أنني قد فرغت منه، فمال في ظهر فرسه [7]حتى نظرت إلى يديه [8]في الأرض، و مضى السنان زالجا. ثم استوى و قال: أبعد ثلاث؟ تريد ما ذا؟ اطردني ثكلتك أمك. فوليت و أنا مرعوب منه. فلما غشيني و وجدت حسن السنان، التفت فإذا هو يطردني بالرمح بلا سنان، /فكف عني و استنزلي، فنزلت و نزل، فجز ناصيتي، و قال: انطلق، فإني أنفس بك عن القتل. فكان ذلك و الله يا أمير المؤمنين عندي أشد من الموت؛ فذاك أشجع من رأيت.

و سألت عن الفتى، فقيل: ربيعة بن مكدم الفراسي، من بني كنانة.

و قد أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري هذا الخبر و فيه خلاف للأول. قال: حدّثنا عمر بن شبة، قال: حدّثني محمد بن موسى الهذلي، قال: حدّثني سكين بن محمد، قال: دخل عمرو بن معد يكرب على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال له: يا أبا ثور، من أين أقبلت؟ قال: من عند سيد بني مخزوم، أعظمها هامة، و أمدها قامة، و أقلها ملامة، و أفضلها حلما، و أقدمها سلما، و أجرؤها مقدا. قال: و من هو؟ قال: سيف الله و سيف رسوله [9]، قال: و أي شيء صنعت عنده؟ قال: أتيت زائراً، فدعا لي

بكعب و قوس و ثور[10]. فقال عمر: و أبيك إن في هذا لشبعا. قال: لي أو لك يا أمير المؤمنين؟ قال: لي و لك. قال [1]الدكادك: جمع دكدك، و هو ما تلبد من الرمل بعضه على بعض بالأرض، و لم يرتفع كثيرا.

[2]هرشى: هضبة ململمة لا تنبت شيئا، على ملتقى طريق الشام و طريق المدينة إلى مكة.

[3]غزال: واد بين هرشى و الجحفة.

[4] («اللسان» : حلق) : رخين أذيال الحقى. و في «شرح التبريزي للحماسة» (4: 159) : أسبلن أذيال الحقى و اربعن. و الحقى: جمع حقو، و هو الإزار. و زاد «اللسان» بيتا رابعا هو: «مشى حميات كأن لم يفزعن» . و ترتيب الأبيات مختلف فيه عنه في «الأغاني» .

[5]من هنا يتصل الكلام في م بعد انقطاعه بمقدار اثنتي عشرة صفحة من صفحات س.

[6]لبب الفرس: نحره.

[7]في الأصول عدا ف: فمال في سرجه.

[8]في الأصول عدا ف: بدنه.

[9]يريد خالد بن الوليد.

[10]الكعب: الصبة من السمن. و القوس: ما يبقى في أصل الجلة من التمر. و الثور: الكتلة من الأقط («لسان العرب» : كعب) .

له: فو الله إني لأكل الجذعة، و أشرب التبن من اللبن رثينة
و[1]صرفا، فلم تقول هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال له عمر:

أي أحياء قومك خير؟ قال: مذحج، و كل قد كان فيه خير، شداد
فوارسها، فوارس أبطالها، أهل الربا و الرباح[2].

قال عمر: و أين سعد العشيرة؟ قال: هم أشدنا شريسا، /و أكثرنا
خميسا[3]، و أكرمنا رئيسا، و هم الأوفياء البررة، المساعير[4]الفجرة. قال
عمر: يا أبا ثور، أ لك علم بالسلاح؟ قال: على الخبير سقطت، سل عما بدا
لك. قال:

أخبرني عن التبل. قال: منايا تخطئ و تصيب. قال: فأخبرني عن الرمح
قال: أخوك و ربما خانك. قال: فأخبرني عن الترس. قال: ذاك مجرّ و عليه
تدور الدوائر. قال: أخبرني عن الدرع. قال: مشغلة للفارس، متعبة للراجل.

قال: أخبرني عن السيف. قال: عنه قارعتك[5]لأمك الهبل، قال: لا، بل
لأمك. قال عمرو: بل لأمك، فرفع عمر الدرة، فضرب بها عمرا، و كان عمرو
محتبيا، فانحلت حبوته، فاستوى قائما، و أنشأ يقول:

أ تضريني كأنك ذو رعين # بخير معيشة أو ذو نواس[6]

فكم ملك قديم قد رأينا # و عز ظاهر الجيروت قاسي[7]

فأضحى أهله بادوا و أضحى # ينقل من أناس في أناس[8]

/قال: صدقت يا أبا ثور، و قد هدم ذلك كله الإسلام، أقسمت عليك لما
جلست. فجلس. فقال له عمر: هل كععت[9]من فارس قط ممن لقيت؟
قال:

اعلم يا أمير المؤمنين، أني لم أستحل الكذب في الجاهلية، فكيف
أستحله في الإسلام؟ و لقد قلت لجهة من خيلي، خيل بني زبيد، أغيروا بنا
على بني البكاء. فقالوا: بعيد علينا المغار. فقلت: فعلى بني مالك بن كنانة،
قال: فاتينا على/قوم سراة. فقال عمر: ما علمك بأنهم سراة. قال: رأيت
مزاود خيلهم كثيرة، و قدورا مثقاة[10]، و قباب آدم، فعرفت أن القوم
سراة. فتركت خيلي حجرة[11]، و جلست في موضع أسمع كلامهم، فإذا
بجارية منهم [1]الجدعة من الغنم: ما تكون سنها بين ستة أشهر و سنة. و
التبن: القدح الكبير. و الرثينة: اللبن الحليب يصب عليه اللبن الحامض،

فيروب من ساعته. و الصريف: اللبن الذي ينصرف عن الضرع حارا وقت حلبه.

[2]الربا و الرباح: النماء و الكثرة. و لعله يريد أنهم ذوو عدد و فير ، أو ذوو مال كثير، أو أنهم يجزلون العطاء لمن يصنع إليهم خيرا.

[3]الشريس: الشراسة، و هي عسر الخلق و الشدة. و الخميس: الجيش. و في «اللسان» : هم أعظمتنا خميسا، و أشدنا شريسا.

[4]المساعير: جمع مسعر (بكسر الميم و فتح العين) ، و مسعر الحرب: موقدها و مهيجها، و هو من صيغ المبالغة.

[5]المقارعة: أصلها المضاربة بالسيوف في الحرب، و لعل المقصود بها هنا: المصاولة باللسان. و ظاهر العبارة أن عمرا يرى أن السيف هو أعظم السلاح، بدليل قوله فيما نقله الأبيشيبي في «المستطرف» في وصف السيف (1: 22) «هو العدة عند الشدة» . و انظر «سرح العيون، في شرح رسالة ابن زيدون» (ص 312) .

[6]في «مروج الذهب» للمسعودي (1: 217 دار الرجاء) : أتوعدني... بأنعم عيشة.

[7]في «مروج الذهب» :

فكم قد كان قبلك من مليك # عظيم ظاهر...

[8]الشطر الأول في «مروج الذهب» : «فأصبح أهله بادوا و أمسى» . و زاد بعده البيت:

فلا يغرك ملكك كل ملك # يصير مذلة بعد الشمس

[9]كععت: ضعفت و جينت.

[10]مثفاة: منصوبة على الأثافي، استعدادا للطبخ.

[11]حجرة: جانبا و ناحية.

قد خرجت من خيمتها، فجلست بين صواحب لها، ثم [1]دعت وليدة من ولاندها، فقالت: ادعي فلانا. فدعت لها برجل من الحي، فقالت له: إن نفسي تحدّثني أن خيلاً تغير على الحي، فكيف أنت إن زوجتك نفسي؟ فقال: أفعّل و أصنع، و جعل يصف نفسه فيفرط. فقالت له: انصرف حتى أرى رأيي. و أقبلت على صواحباتها، فقالت: ما عنده خير، ادعي لي فلانا. فدعت بأخر. فخاطبته بمثل ما خاطبت به صاحبه، فأجابها بنحو جوابه، فقالت له: انصرف حتى أرى رأيي. و قالت لصواحباتها: و لا عند هذا خير أيضاً. ثم قالت للوليدة ادعي لي ربيعة بن مكدّم. فدعته، فقالت له مثل قولها للرجلين، فقال لها: إن أعجز العجز وصف المرء نفسه، و لكنني إذا لقيت أعذرت، و حسب المرء غناء أن يعذر. فقالت له: قد زوجتك نفسي، فاحضر غدا مجلس الحي، ليعلموا ذلك. فانصرف من عندها، و انتظرت حتى ذهب الليل، و لاح الفجر، فخرجت/من مكمني، و ركبت فرسي، و قلت لخليتي: أغيري، فأغارت، و تركتها و قصدت نحو النسوة و مجلسهن، فكشفت عن خيمة المرأة، فإذا أنا بامرأة تامة الحسن، فلما ملأت بصرها مني، أهوت إليّ درعها فشقتة و قالت: وا ثكلاه؟ و الله ما أبكي على مال و لا تلام، و لكن على أخت من وراء هذا القوز [2]، تبقى بعدي في مثل هذا الغائط، فتهلك ضيعة، و أومات بيدها إلى قوز رمل إلى جانبهم. فقلت: هذه غنيمة من وراء غنيمة. فدفعت فرسي حتى أوفيت على الأيفاع، فإذا أنا برجل جلد نجد، أهلب [3]أغلب، يخصف نعله، و إلى جنبه فرسه و سلاحه. فلما رأيته رمى بنعله، ثم استوى على فرسه، و أخذ رمحه، و مضى و لم يحفل بي. فطفت أشجره بالرمح خفقا [4]، و أقول له: يا هذا استأسر [5]. فمضى ما يحفل بي، حتى أشرف على الوادي. فلما رأى الخيل تحوي إبله استعبر باكياً، و أنشأ يقول: قد علمت إذ [6]منحتني فاها # أني سأحوي اليوم من حواها

بل ليت [7]شعري اليوم من دهاها

فأجبتة:

عمرو على طول الوجى [8]دهاها # بالخيل يحميها على وجاهها [9]

حتى إذا حل بها احتواها [10]

فحمل عليّ و هو يقول:

[1]سقط من أ، م بقية أخبار ربيعة بن مكدّم، و أول أخبار المغيرة بن

شعبة.

[2] القوز بالفتح: الرمل المستدير المرتفع.

[3] الأهلب: الكثير شعر الرأس و الجسد. و عبارة المسعودي في «مروج الذهب» (ج 1 ص 218) : فإذا أنا بـغلام أصهب الشعر أهدب.

و لعله محرف عن أهلب أو أهدب بالدال، و هو الكثير شعر العينين.

[4] شجره بالرمح: طعنه حتى اشتبك فيه. و الخفق: الضرب بشيء عريض، و لعله يريد أنه يضربه بزج الرمح لا بسنانه، أو لعله الضرب الخفيف، من الخفقة، و هي النعسة الخفيفة.

[5] استأسر: كن أسيرا لي.

[6] في «مروج الذهب» : أقول لما. و بعده: «و ألبستني بكرة رداها» .

[7] كذا في ف، مب. و في الأصول: يا ليت. و في «مروج الذهب» : فليت.

[8] الوجى: الحفا، و هو أن يرق القدم أو الحافر و ينسحج من طول السفر. و في «المروج» : الردى.

[9] في «المروج» : «بالخيل تتبعها على هواها» .

[10] في «المروج» : حواها.

أهون بنصر العيش في دار ندم # أبيض دمعا كلما فاض انسجم
 أنا ابن عبد الله [1] محمود الشيم # مؤتمن الغيب و فيّ بالذمم
 أكرم [2] من يمشي بساق و قدم # كالليث إن هم بتقصام قصم

فحملت عليه و أنا أقول:

أنا ابن ذي التقليد في الشهر الأصم # أنا ابن ذي الإكليل قتال البهم [3]
 من يلقتني يود كما أودت إرم # أتركه لحما على ظهر وضم [4]

/و حمل علي و هو يقول:

هذا حمى قد غاب عنه ذائده # الموت ورد و الأنام وارده

و حمل علي فضربني، فرغت و أخطاني، فوقع سيفه في
 قربوس [5] السرج، فقطعه و ما تحته، حتى هجم على مسح الفرس. ثم ثنى و
 بضربة أخرى، فرغت و أخطاني، فوقع سيفه على مؤخر السرج فقطعه حتى
 وصل إلى فخذ الفرس، و صرت راجلا. /فقلت: ويحك! من أنت؟ فو الله ما
 ظننت أحدا من العرب يقدم عليّ إلا ثلاثة: الحارث بن ظالم، للعجب و
 الخيلاء؛ و عامر بن الطفيل للسن و التجربة؛ و ربيعة بن مكرم للحدائثة و
 الغرّة، فمن أنت ويلك؟ قال: بل الويل لك، فمن أنت؟ قلت: عمرو بن معد
 يكرب، قال: و أنا ربيعة بن مكرم. قلت: يا هذا، إني قد صرت راجلا، فاختر
 مني إحدى ثلاث، إن شئت اجتلدنا بسيفينا حتى يموت الأعجز، و إن شئت
 اصطرعنا، فأينا صرع صاحبه حكم فيه؛ و إن شئت سالمتك و سالمتي. قال:
 الصلح إذن إن كان لقومك فيك حاجة، و ما بي أيضا على قومي هوان. قلت:
 فذاك لك. و أخذت بيده، حتى أتيت أصحابي، و قد حازوا نعمه، فقلت: هل
 تعلمون أني كععت عن فارس قط من الأبطال إذا لقيته؟ قالوا: نعيذك من
 ذاك. قال: قلت: فانظروا هذا النعم الذي حزتموه، فخذوه مني غدا في بني
 زبيد، فإنه نعم هذا الفتى، و الله لا يوصل إلى شيء منه و أنا حيّ. فقالوا
 لحاك الله فارس قوم! أشقيتنا [6] حتى إذا هجمنا على الغنيمة الباردة
 فثأتنا [7] عنها. قال: قلت إنه لا بد لكم من ذلك، و أن تهبوا لي و لربيعة بن
 مكرم. فقالوا: و إنه لهو؟ قلت: نعم. فردوها و سالمته، فأمن حربي و أمنت
 حربه حتى هلك.

و في بعض هذه الأراجيز التي جرت بين عمرو بن معد يكرب و ربيعة
 بن مكرم غناء، نسبتها، و قد جمع شعراهما معا في لحن واحد، و هو: [1] في
 «المروج»: أنا عبيد الله.

[2] في «المروج» : و خير. و بعده: «عدوه يفديه من كل السقم» .

[3] التقليد: أن يجعل في عنق البدنة و نحوها شيئاً يعلم به أنه هدى. و الشهر الأصم: رجب، لأنه كان لا يسمع فيه صوت مستغيث و لا حركة قتال و لا قعقة سلاح، لأنه من الأشهر الحرم. و الإكليل: كذا في «المروج» ، و هو التاج، و كان عمرو بن معد يكرب الزبيدي من اليمن، و ملوكهم يلبسون التيجان. و في مب: أنا ابن عبد الله. و في بقية الأصول: أنا ابن ذي الأكال.

[4] الوضم: الخوان من الخشب أو نحوه يقطع عليه القصاب اللحم. و يقال: فلان لحم على وضم، مثل يضرب للدليل.

[5] القربوس كحلزون: حنو السرج أي الجزء المرتفع من مقدمه و من مؤخره. و المسح: ثوب غليظ من الشعر يجعل تحت السرج.

[6] كذا في مب. و في ف: أسقيتنا. و في بقية الأصول: أنسأتنا.

[7] فثأه: ثبط عزيمته و سكنه.

صوت

أنا ابن ذي التقليد في الشهر الأصم # أنا ابن عبد الله قتال البهم
 أكرم من يمشي بساق و قدم # من يلقني يود كما أودت إرم
 أتركه لحما على ظهر و ضم # كالليث إن هم بتقصام قصم
 مؤتمن الغيب و في بالذمم

ذكر أحمد بن يحيى المكي: أن الغناء في هذا الشعر لحنين، خفيف
 ثقيل، بإطلاق الوتر في مجرى البصر، و ذكر الهشامي أنه لابن سرجيس
 الملقب بقراريط.

حدّثني قمرية العمرية جارية عمرو بن بانة، أنها أخذت عن أحمد بن
 العلاء هذا اللحن، فقال لها: انظري أي صوت أخذت، فو الله لقد أخذته عن
 مخارق، فلما استوى لي قال لي مخارق: انظري أي صوت أخذت، فو الله لقد
 أخذته عن يحيى المكي، فلما غنيته الرشيد أطربه، فوهب لي يحيى عشرة
 آلاف درهم.

أجود بيت في وصف الطعنة

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدّثني محمد بن الحسن
 الأحول، عن الطرسوسي، عن ابن الأعرابي، قال: أجود بيت و صفت به
 الطعنة قول أهبان بن عادياء قاتل ربيعة بن مكرم، حيث يقول: و لقد طعنت
 ربيعة بن مكرم # يوم الكديد فخر غير موسد

في ناع شرقت بما في جوفه # منه بأحمر كالعقيق المجسد

صوت

أدركت ما منيت نفسي خاليا # لله درك يا ابنة النعمان!
 إني لحلفك بالصليب مصدق # و الصّلب [2]أصدق حلقة الرهبان
 و لقد رددت على المغيرة ذهنه # إن الملوك بطيئة الإذعان
 يا هند حسبك قد صدقت فأمسكي # و الصدق خير مقالة الإنسان

الشعر للمغيرة بن شعبة الثقفي، يقوله في هند بنت النعمان بن
 المنذر، و قد خطبها فردّته. و خبره في ذلك و غيره يذكرها هنا إن شاء الله.
 و الغناء لحنين، ثاني ثقيل بالبصر، عن الهشامي و إبراهيم.

[1] سقط هذا الصوت و أول ترجمة المغيرة من جميع النسخ عدا (ف، مب) . و قد نشر في مجلة جمعية المستشرقين الألمانين في المجلد الخمسين سنة 1896 صفحة 145. و ثبت الساقط عن هذه الأصول الثلاثة.

[2] الصلب، بضم الصاد و اللام: جمع صليب، و سكنت اللام للشعر.

تنبيه-أوردت (ف، مب) بعد أخبار ربيعة بن مكرم صوتا من الغناء، من شعر عنتره، ثم أوردتا: «ذكر عنتره و نسبه و أخباره» ، ثم ذكرتا «أخبار المغيرة و نسبه» .

5- أخبار المغيرة بن شعبة و نسبه

نسبه

هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قسي، وهو ثقيف. و يكنى أبا عبد الله. و كان يكنى أبا عيسى، فغيرها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، و كناه أبا عبد الله.

و أمه أسماء بنت الأفقم بن أبي عمرو بن ظويلم بن جعيل بن عمرو بن دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن.

دهاؤه

و كان المغيرة بن شعبة من دهاة العرب و حزمته، و ذوي الرأي منها، و الحيل الثاقبة، و كان يقال له في الجاهلية و الإسلام مغيرة الرأي، و كان يقال: ما اعتلج في صدر المغيرة أمران إلا اختار أحزمهما.

مشاهده

و صحب النبي صلى الله عليه و سلم، و شهد معه الحديبية و ما بعدها. و بعثه أبو بكر رضي الله عنه إلى أهل التَّجِير [1]. و شهد فتح اليمامة و فتوح الشام. و كان أعور، أصيبت عينه في يوم اليرموك، و شهد القادسية مع سعد بن أبي وقاص. فلما أراد مراسلة رستم، لم يجد في العرب أدهى منه و لا أعقل، فبعث به إليه، و كان السفير بينهما حتى وقعت الحرب.

ولايته و حروبه

و ولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه عدّة ولايات، إحداها البصرة. و فتح و هو واليها ميسان و دست ميسان و أبر قباد. و قاتل الفرس بالمرغاب فهزمهم، و نهض إلى من كان بسوق الأهواز، فقاتلهم و هزمهم، و فتحها [2].

و انحازوا إلى نهر تيرى و مناذر الكبرى، فزحف إليهم، فقاتلهم و هزمهم و فتحها. و خرج إلى المشرق مع النعمان بن المقرن، و كان المغيرة على [3] مسيرته، و كان عمر قد عهد: إن هلك النعمان، فالأمير حذيفة، فإن هلك حذيفة، فالأمير المغيرة بن شعبة.

و لما فتحت نهاوند، سار المغيرة في جيش إلى همذان ففتحها.

و ولاه عمر رضي الله عنه بعد ذلك الكوفة، فقتل عمر و هو و اليها. و ولاه أيضا إياها معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، فكان عليها إلى أن مات بها.

و هو أوّل من وضع ديوان الإعطاء بالبصرة، و رتب الناس فيه.
فأعطاهم على الديوان. ثم صار ذلك رسماً لهم بعد ذلك يحتذونه.

[1]النجير، بصيغة التصغير: حصن باليمن، تحصن فيه الأشعث بن قيس
بن معد يكرب و أبضعة بن معد يكرب لما ارتدا، من المهاجر بن أبي أمية.
(انظر رسم النجير في «معجم ما استعجم» للبكري) .

[2]كذا في مب. و في ف: و نهض و فتحها.

[3]المغيرة ساقطة من ف، مب.

إسلامه

قال محمد بن سعد كاتب الواقدي: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدّثني محمد بن سعيد الثقفي، و عبد الرّحمن بن [1] عبد العزيز و عبد الملك بن عيسى الثقفي و عبد الله بن عبد الرّحمن [1] بن يعلى بن كعب، و محمد بن يعقوب بن عتبة، عن أبيه و غيرهم، قالوا: قال المغيرة بن شعبة:

كنا قوما من العرب متمسكين بديننا، و نحن سدنة اللات، فأراني لو رأيت قوما قد أسلموا ما تبعتهم.

فأجمع [2] نفر من بني مالك الوفود [2] على المقوقس، و أهدوا له هدايا. فأجمعت الخروج معهم. فاستشرت عمي عروة بن مسعود، فنهاني، و قال لي: ليس معك من بني أبيك أحد. فأبيت إلا الخروج، و خرجت معهم، و ليس معهم أحد من الأحلاف غيري، حتى دخلنا الإسكندرية، فإذا المقوقس في مجلس مطل على البحر. فركب قاربا حتى حاذيت مجلسه، فنظر إليّ فأنكرني، و أمر من يسألني ما أنا [3]؟ و ما أريد؟ فسألني الأمور، فأخبرته بأمرنا، / و قدومنا عليه. فأمر بنا أن ننزل في الكنيسة، و أجرى علينا ضيافة. ثم دعا بنا، فنظر إلى رأس بني مالك، فأدناه إليه، و أجلسه معه، ثم سأله: أكل القوم من بني مالك؟ فقال: نعم، إلا رجلا واحدا من الأحلاف. فعرفه إياي، فكنت أهون القوم عليه. و وضعوا هداياهم بين يديه، فسربها، و أمر بقبضها. و أمر لهم بجوائز، و فضل بعضهم على بعض، و قصر بي، فأعطاني شيئا قليلا لا ذكر له.

و خرجنا، فأقبلت بنو مالك يشترون هدايا لأهلهم [4] و هم مسرورون، و لم يعرض عليّ أحد منهم مواساة.

و خرجوا، و حملوا معهم خمرا، فكانوا يشربون منها و أشرب معهم، و نفسي تأبى أن تدعني معهم. و قلت: ينصرفون إلى الطائف بما أصابوا [5] و ما حباهم به الملك، و يخبرون قومي بتقصيره بي، و ازدرائه إياي. فأجمعت على قتلهم.

فقلت: أنا أجد صداعا، فوضعوا شرابهم و دعوني. فقلت: رأسي يصدع، و لكني أجلس و أسقيكم، فلم ينكروا شيئا، و جلست أسقيهم و أشرب القدح بعد القدح. فلما دبّت الكأس فيهم، اشتهاوا الشراب، فجعلت أصرف لهم و أترع الكأس، فيشربون و لا يدرون. فأهدتهم [6] الكأس، حتى ناموا ما يعقلون. فوثبت إليهم، فقتلتهم جميعا، و أخذت جميع ما كان معهم.

فقدمت على النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فوجدته جالسا في المسجد مع أصحابه، و على ثياب السفر، فسلمت بسلام الإسلام.

فنظر إليّ أبو بكر بن أبي قحافة، و كان بي عارفا، فقال: ابن أخي عروة؟ قلت: نعم، جئت أشهد أن لا إله إلا الله، و أن محمدا رسول الله. فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الحمد لله الذي هداك إلى الإسلام. / فقال أبو بكر رضي الله عنه:

أ فمن مصر أقبلتم؟ قلت: نعم. قال: فما فعل المالكيون الذين كانوا معك؟ قلت: كان بيني و بينهم بعض ما يكون بين العرب و نحن على دين الشرك، فقتلتهم و أخذت أسلابهم، و جئت بها إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليخمسها، و يرى فيها (1-1) العبارة ساقطة من ف.

(2-2) ف: فاجتمع... للوفود.

[3] ف: ممن أنا.

[4] ف: لأهاليهم.

[5] ف: أرادوا.

[6] كذا في مب و مجلة المستشرقين الألمانية. و في ف: فهمدتهم. و لعل الكلمة محرفة عن أخدمتهم، أو عن: فهدتهم. يقال: هدني الأمر و هدّ ركني: إذا بلغ منه و كسره.

رأيه، فإنما هي غنيمة من مشركين و أنا مسلم مصدق بمحمد صلى الله عليه و سلم. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: أما إسلامك فنقبله [1]، و لا نأخذ من أموالهم شيئاً، و لا نخمسها [1]، لأن هذا غدر، و الغدر لا خير فيه. فأخذني ما قرب و ما بعد، و قلت: يا رسول الله، إنما قتلهم و أنا على دين قومي، ثم أسلمت حين دخلت عليك الساعة. قال: فإن الإسلام [2]/يجب ما كان قبله. و كان قتل منهم ثلاثة عشر إنساناً. فبلغ ذلك ثقيفاً بالطائف، فتداعوا للقتال، ثم اصطلحوا على أن يحمل عمي عروة بن مسعود ثلاث عشرة دية.

قال المغيرة: و أقمت مع النبي صلى الله عليه و سلم حتى اعتمر عمرة الحديبية، في ذي القعدة سنة ست من الهجرة، فكانت أول سفره خرجت معه فيها، و كنت أكون مع أبي بكر، و ألزم النبي صلى الله عليه و سلم فيمن يلزم.

و بعثت قريش عام الحديبية عروة بن مسعود إلي النبي صلى الله عليه و سلم، و فاتاه يكلمه، و جعل يمس لحية رسول الله صلى الله عليه و سلم و أنا قائم علي رأسه، مقتنع في الحديد. فقلت لعروة، و هو يمس لحية رسول الله صلى الله عليه و سلم: اكفف يدك قبل ألا تصل إليك.

فقال عروة: يا محمد، من هذا؟ ما أفضله و أغلظه! فقال: هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة. فقال عروة: يا عدو الله، ما غسلت عني سواتك إلا بالأمس، يا غدر.

أول ما عرف من دهائه

أخبرني محمد بن خلف، قال: حدّثني أحمد [3] بن الهيثم الفراسي، قال: حدّثنا العمري، عن الهيثم بن عدي، عن مجالد، عن الشعبي، قال: قال المغيرة بن شعبة:

أول ما عرفني به العرب من الحزم [4] و الدهاء، أني كنت في ركب من قومي، في طريق لنا إلى الحيرة. فقالوا لي: قد اشتهينا الخمر، و ما معنا إلا درهم زائف. فقلت: هاتوه و هلمّوا زقّين. فقالوا: و ما يكفيك لدرهم زائف زق واحد؟ فقلت: أعطوني ما طلبت و خلاكم ذم، ففعلوا و هم يهزءون بي. فصبت في أحد الزقين شيئاً من ماء، ثم جئت إلي خمار، فقلت له: كل لي ملء هذا الزق. فملأه. فأخرجت الدرهم الزائف، فأعطيته إياه، فقال لي: ما

هذا؟ ويحك! أ مجنون أنت؟ فقلت: مالك؟ قال: إن ثمن هذا الزق عشرون درهما جيادا، و هذا درهم زائف.

فقلت: أنا رجل بدويّ، و ظننت أن هذا يصلح كما ترى، فإن صلح، و إلا فخذ شرابك. فإكتال مني ما كاله، و بقي في زقي من الشراب بقدر ما كان فيه من الماء، فأفرغته في الزق الآخر، و حملتهما على ظهري، و خرجت، و صببت في الزق الأوّل ماء.

و دخلت إلى خمار آخر، فقلت: إني أريد ملء هذا الزق خمرا، فانظر إلى ما معي منه، فإن كان عندك مثله فأعطني. فنظر إليه، و إنما أردت ألا يستريب بي إذا رددت الخمر عليه. فلما رآه قال: عندي أجود منه. قلت:

هات. فأخرج لي شرابا، فاكتلته في الزق الذي فيه الماء. ثم دفعت إليه الدرهم الزائف، فقال لي مثل قول صاحبه.

(1-1) ف: فقبلته... و لا أخمسه.

[2] إلى هنا ينتهي الساقط من بعض النسخ.

[3] ج: محمد.

[4] ج، ف، مب: بالحزم.

فقلت: خذ خمرك. فأخذ ما كان كاله لي، و هو يرى أنني خلطته بالشراب الذي أريته إياه. و خرجت فجعلته مع الخمر الأوّل.

/و لم أزل أفعل ذلك بكل خمار في الحيرة، حتى ملأت زقي الأوّل و بعض الآخر. ثم رجعت إلى أصحابي، فوضعت الزقين بين أيديهم، و رددت درهمهم. فقالوا لي: ويحك! أيّ شيء صنعت؟ فحدّثتهم، فجعلوا يعجبون.

و شاع لي الذكر في العرب بالدهاء حتى اليوم.

هو أول من خضب بالسواد

قال محمد بن سعد: أخبرنا محمد بن معاوية النيسابوري، قال: حدّثنا داود بن خالد، عن العباس بن عبد الله بن معبد[1] بن العباس، قال:

أول من خضب بالسواد المغيرة بن شعبة. خرج على الناس و كان عهدهم به أبيض الشعر، فعجب الناس منه.

يغضب لأبي بكر الصديق

قال محمد: و أخبرني شهاب بن عباد، قال: حدّثنا إبراهيم بن حميد الرّواصي، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي خازم، عن المغيرة بن شعبة، قال:

كنت جالسا عند/أبي بكر، إذ عرض عليه فرس له، فقال له رجل من الأنصار: احملني عليها. فقال أبو بكر:

لأن أحمل عليها غلاما قد ركب الخيل على غرلته[2]، أحب إليّ من أن أحملك عليها. فقال له الأنصاري: أنا خير منك و من أبيك. قال المغيرة: فغضبت لما قال ذلك لأبي بكر رضي الله عنه، فقممت إليه، فأخذت برأسه، فركبته، و سقط على أنفه، فكأنما كان عزالي[3]مزادة. فتوعدني الأنصار أن يستقيدوا مني، فبلغ ذلك أبا بكر. فقام فقال:

أما بعد. فقد بلغني عن رجال منكم زعموا أنني مقيدهم من المغيرة. و والله لأن أخرجهم من دارهم، أقرب إليهم من أن أقيدهم[من]وزعة الله[4]الذين يزعون إليه.

يخطب هند بنت النعمان فترفض

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي و حبيب بن نصر المهلبّي، قالوا: حدّثنا عمر بن شبة، قال: حدّثنا محمد بن سلام الجمحي، قال: حدّثنا حسان

بن العلاء الرياحي، عن أبيه، عن الشعبي، قال:

ركب المغيرة بن شعبة إلى هند بنت النعمان بن المنذر، و هي بدير هند[5]، منتصرة عمياء، بنت تسعين سنة.

فقال له: من أنت؟ قال: أنا المغيرة بن شعبة. قالت: أنت عامل هذه المدرة؟ تعني الكوفة. قال: نعم. قالت:

فما حاجتك؟ قال: جئتك خاطبا إليك نفسك. قالت: أما و الله لو كنت جئت تبغي جمالا أو دينا أو حسبا لزوّجناك، و لكنك أردت أن تجلس في موسم من مواسم العرب، فتقول: تزوّجت بنت النعمان بن المنذر؛ و هذا و الصليب أمر [1]ف: سعيد.

[2]يريد: ركبها في صغره، و اعتادها قبل أن يختن. و الغرلة: القلفة.

[3]يريد أن أنفه انفجر بالدم كأنه فم مزادة. و قد تحرفت هذه العبارة في الأصول، فجاءت في س: فكأنما عدلي مزادة. و في ج: فكأنما عدلي مزادة. و في أ، م: فكأنما عزل لي مزادة. و في م، ف: فكأنما كان عزلتي مزادة. و هذه أقربها إلى الصواب. و العزالي:

جمع عزلاء و هو فم المزادة الأسفل ينصب منه الماء بكثرة.

[4]من: ساقطة من الأصول. و الوزعة: جمع وازع، و هو الذي يكف الناس عن الإقدام على الشر. و في ف: وزعة الدين.

[5]أ، م، س: يومئذ، في مكان بدير هند. و في ف: بديرهم. -

لا يكون أبدا، أ و ما يكفيك فخرا أن تكون في ملك النعمان و بلاده،
تدبرهما كما تريد! و بكت.

فقال لها: أي العرب كان أحب إلى أبيك. قالت: ربيعة. قال: فأين كان
يجعل قيسا؟ قالت: ما كان يستعيتهم من طاعة [1]. قال: فأين كان يجعل
ثقيفا؟ قالت: رويدا لا تعجل. بينا أنا ذات يوم جالسة في خدر لي، إلى جنب
أبي، إذ دخل عليه رجلان، أحدهما من هوازن، و الآخر من بني مازن، كل
واحد منهما يقول: إن ثقيفا منا، فأنشأ أبي يقول [2]: /

إن ثقيفا لم يكن هوازنا # و لم يناسب عامرا و مازنا

إلا قريبا فانشر [3] المحاسنا

فخرج المغيرة و هو يقول:

أدركت ما منيت نفسي خاليا # لله درك يا ابنة النعمان!

و ذكر الأبيات التي مضت، و ذكرت الغناء فيها.

يسمع هجاء من حسان فيجيزه

أخبرني محمد بن خلف، قال: أخبرنا الحارث بن محمد، قال: قال أبو
عبيدة: قال العلاء بن جرير العنبري: بينا حسان بن ثابت ذات يوم جالس
بالخيف من مئى و هو يومئذ مكفوف، إذ زفر زفرة، ثم أنشأ يقول: و كأن
حافرها بكل خميلة # صاع يكيل به شحيح معدم

عاري الأشاجع من ثقيف أصله # عبد و يزعم أنه من يقدم [4]

قال: و المغيرة بن شعبة يسمع ما يقول، فبعث إليه بخمسة آلاف
درهم. فلما أتاه بها الرسول قال: من بعث بهذه؟ قال: المغيرة بن شعبة،
سمع ما قلت. فقال: وا سواتاه! و قبلها.

تزوّج أكثر من ثمانين امرأة

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال: حدّثنا عيسى بن إسماعيل
العتكي [5]، قال حدّثنا محمد بن سلام الجمحيّ، قال: أحسن المغيرة بن
شعبة إلى أن مات ثمانين امرأة، فيهن ثلاث بنات لأبي/سفيان بن حرب، و
فيهن حفصة بنت سعد بن أبي وقاص، و هي أم ابنة حمزة بن المغيرة، و
عائشة بنت جرير بن عبد الله.

[1] كذا في ف. و في بعض الأصول: كان يستعفيهم من طاعته. و في
مب: قالت بحيث كان يراهم من طاعته.

[2] كذا في الأصول. و في «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد (2: 393) اختلاف عما هنا، قال: «قالت: أذكر و قد اختصم إليه رجلان منهم. أحدهما ينتهي إلى إياد، و الآخر إلى هوازن، فقضى للإيادي، و قال: إن ثقيفا لم يكن هوزيا # و لم يناسب عامرا و مازنا

فقال المغيرة: أما نحن فمن بكر بن هوازن، فليقل أبوك ما شاء. ثم انصرف.» .

[3] فانشروا: كذا في ج، ف، مب. و في أ، م: فانشدوا. و في س: فانشروا.

[4] يقدم كينصر: أبو قبيلة، و هو ابن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار، يريد أن عبدا ينتسب إلى أعرق العرب نسبا.

[5] ف: الثقفي. و في سائر الأصول: إسماعيل بن عيسى.

يخاف العزل فيقدم العيد

و قال أبو اليقظان:

صلى المغيرة بالناس سنة أربعين، في العام الذي قتل فيه عليّ بن أبي طالب عليه السلام. فجعل يوم الأضحى يوم عرفة، أظنه خاف أن يعزل، فسبق ذلك. فقال الراجز:

سيرى رويدا و ابتغى المغيرة # كلفتها الإدلاج بالظهيره

رجل مطلق

قال: و كان المغيرة مطلقا. فكان إذا اجتمع عنده أربع نسوة قال: إنكن لطويلات الأعناق، كريمات الأخلاق، و لكني رجل مطلق، فاعتددن.

يصف النساء

و كان يقول: النساء أربع، و الرجال أربعة: رجل مذكر و امرأة مؤنثة، فهو قوام عليها؛ و رجل مؤنث و امرأة مذكرة، فهي قوامة عليه؛ و رجل مذكر و امرأة مذكرة، فهما كالوعلين ينتطحان؛ و رجل مؤنث و امرأة مؤنثة، فهما لا يأتیان بخير، و لا يفلحان.

تزوج تسعا و ثمانين امرأة

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا الأصمعيّ قال: حدثنا أبو هلال عن مطير[1]الوراق، قال: قال المغيرة بن شعبة:

نكحت تسعا و ثمانين امرأة، أو قال: أكثر من ثمانين امرأة، فما أمسكت امرأة منهن على حب؛ أمسكها لولدها، و لحسبها، و لكذا و لكذا.

يصف العربيات

قال أبو زيد: و بلغني أنهم ذكروا النساء عند المغيرة بن شعبة، فقال: أنا أعلمكم بهن: تزوجت ثلاثا و تسعين امرأة، منهن سبعون بكرا، فوجدت اليمانية كثوبك: أخذت بجانبه فاتبعك بقيته؛ و وجدت الربعية أمتك: أمرتها فأطاعتك؛ و وجدت المضرية قرنا ساورته، فغلبته أو غلبك.

رأى امرأة له تخلل في الصباح فطلقها

حدثنا ابن عمار قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا أبو عاصم قال: رأى المغيرة امرأة له تخلل بعد صلاة الصبح، فطلقها. فقالت: علام

طلقني[2]؟ قيل: رآك تخللين، فظن أنك أكلت. فقالت: أبعده الله! والله ما أتخلل إلا من السواك[3].

[1] ف، مب: مطر.

[2] كذا في س، ف، مب. و هو الصواب، بدليل أن الجواب بصيغة المبني للمجهول. و في أ، ج، م: طلقنتي.

[3] ذكر هذا الخبر المسعودي في «مروج الذهب» (في أخبار الحجاج) و نسب الحادثة فيه إلى الحارث بن كلدة الثقفي مع الفارعة زوجته؛ قال: دخل عليها مرة سحرا، فوجدها تتخلل، فبعث إليها بطلاقها؛ فقالت: لم بعث إليّ بطلاقي؟ هل لشيء رابك مني؟

عمر يغير كنيته

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني موسى بن إسماعيل قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن زيد بن أسلم:

أن رجلا جاء فنأدى يستأذن لأبي عيسى، على أمير المؤمنين. فقال عمر: أيكم أبو عيسى؟ قال المغيرة بن شعبة: أنا. فقال له عمر: هل لعيسى من أب؟ أ ما يكفيكم معاشر العرب أن تكتنوا بأبي عبد الله، و أبي عبد الرحمن! فقال له رجل من القوم: أشهد أن النبي صلى الله عليه و سلم كناه بها. فقال له عمر: إن النبي صلى الله عليه و سلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر، و أنا لا أدري ما يفعل بي. فكناه أبا عبد الله.

أعرابي يصف عور الكوفة

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدثنا أبو غسان دماذ، عن أبي عبيدة، قال: حدثني عمرو بن بحر أبو عثمان الجاحظ، قال:

/كان الجمال بالكوفة ينتهي إلى أربعة نفر: المغيرة بن شعبة؛ و جرير بن عبد الله، و الأشعث بن قيس، و حجر بن عديّ، و كلهم كان أعور؛ فكان المغيرة و الأشعث و جرير يوما متواقفين بالكوفة بالكناسة، فطلع عليهم أعرابي. فقال لهم المغيرة: دعوني أحرکه. قالوا: لا تفعل، فإن للأعراب جوابا يؤثر. قال: لا بدّ. قالوا: فأنت أعلم. قال له: يا أعرابي، هل تعرف المغيرة بن شعبة؟ قال: نعم أعرفه أعور زانيا. فوجم. ثم تجلد فقال: هل / تعرف الأشعث بن قيس؟ قال: نعم، ذاك رجل لا يعرى قومه [1]. قال: و كيف ذاك؟ قال: لأنه حائك ابن حائك.

قال: فهل تعرف جرير بن عبد الله؟ قال: و كيف لا أعرف رجلا لولاه ما عرفت عشيرته. قالوا له: قبحك الله، فإنك شر جليس، فهل تحب أن نوقر لك بعيرك هذا مالا و تموت أكرم العرب؟ قال: فمن يبلغه أهلي إذن؟ فانصرفوا عنه و تركوه.

حوار له مع ابن لسان الحمرة

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثني أبو سعيد السكريّ، قال: حدثنا محمد بن أبي السريّ -و اسم أبي السريّ سهل بن سلام الأزدي- قال: حدثني هشام بن محمد قال: أخبرنا عوانة بن الحكم، قال:

خرج المغيرة بن شعبة و هو على الكوفة يومئذ، و معه الهيثم بن الأسود النخعيّ، بعد غبّ مطر، يسير بظهر الكوفة و الحوف، فلقي ابن

لسان[2]الحمرة، أحد بني تيم الله بن ثعلبة، و هو لا يعرف المغيرة. فقال له المغيرة:

قال: نعم، دخلت عليك في السحر و أنت تتخللين؛ فإن كنت بادرى الغداء، فأنت شرهة؛ و إن كنت بت و الطعام بين أسنانك فأنت قذرة. فقالت: كل ذلك لم يكن، لكنني تخللت من شظايا السواك. و ذكر ابن عبد ربه في كتابه «العقد»: أن الفارعة المذكورة كانت زوجة المغيرة بن شعبة، و أنه هو الذي طلقها لأجل الحكاية المذكورة في التخلل. و انظر الخبر في «وفيات الأعيان» لابن خلكان، في ترجمة الحجاج.

[1]كذا جاءت هذه العبارة في ف، ج، مب. و فيها إشارة إلى أنه حائك ابن حائك. و في بقية الأصول: لا يعدى قومه. تحريف.

[2]الحمرة: ضرب من العصافير. و ابن لسان الحمرة: هو عبد الله بن حصين بن ربيعة بن جعفر بن كلاب التيمي. و قيل: هو ورقاء بن الأشعر، كان خطيبا بليغا نسابا، ضرب به المثل، فقيل: «أنسب من ابن لسان الحمرة». . (عن «مجمع الأمثال» للميداني، و «تاج العروس» للزبيدي) .

من أين أقبلت يا أعرابي؟ قال: من/السماوة. قال: فكيف تركت الأرض خلفك؟ قال: عريضة أريضة [1]. قال:

و كيف كان المطر؟ قال: عقى الأثر، و ملأ الحفر. قال: ممن أنت؟ قال: من بكر بن وائل. قال: فكيف علمك بهم؟ قال: إن جهلتهم لم أعرف غيرهم. قال: فما تقول في بني شيبان؟ قال: سادتنا و سادة غيرنا. قال: فما تقول في بني ذهل؟ قال: سادة نوكى. قال: فقيس بن ثعلبة؟ إن جاورتهم سرقوك، و إن أئمتتهم خانوك؟ قال: فبنو تيم الله بن ثعلبة؟ قال: رعاء البقر [2]، و عراقيب الكلاب. قال: فما تقول في بني يشكر؟ قال: صريح تحسبه مولى.

(قال هشام: لأن في ألوانهم حمرة) . قال: فعجل؟ قال: أحلاس [3] الخيل. قال: فحنيفة؟ قال: يطعمون الطعام، و يضربون الهام. قال: فعنزة؟ قال: لا تلتقي بهم الشفتان لؤما [4]. قال: فضبيعة أضجم؟ [5] قال: جدعا و عقرا [6].

قال: فأخبرني عن النساء. قال: النساء أربع: ربيع مربع، و جميع تجمع، و شيطان سممع، و غل لا يخلع [7].

قال: /فسّر. قال: أما الربيع المربع فالتى إذا نظرت إليها سرتك، و إذا أقسمت عليها أبرتك؛ و أما التى هي جميع تجمع، فالمرأة تتزوجها و لها نشب، فتجمع نشبك إلى نشبها؛ و أما الشيطان السممع، فالكالحة في وجهك إذا دخلت، و المولولة في أترك إذا خرجت؛ و أما الغل الذي لا يخلع، فبنت عمك السوداء القصيرة، الفوهاء الدميمة، التى قد نثرت لك بطنها، إن طلقته ضاع ولدك، و إن أمسكتها فعلى جدع أنفك. فقال له المغيرة: بل أنفك. ثم قال له: ما تقول في أميرك المغيرة بن شعبة؟ قال: أعور زئاء. فقال الهيثم: فض الله فاك! ويلك! هذا الأمير المغيرة.

فقال: إنها كلمة و الله تقال. فانطلق به المغيرة إلى منزله، و عنده يومئذ أربع نسوة، و ستون أو سبعون أمة. قال له:

ويحك! هل يزني الحر و عنده مثل هؤلاء؟ ثم قال لهن المغيرة: ارمين إليه بحلاكن. ففعلن، فخرج الأعرابي بملء كسائه ذهباً و فضة.

ينصح علياً ثم يغشه

أخبرني عبيد الله بن محمد، قال: حدثنا الخزاز، عن المدائني، عن أبي مخنف، و أخبرني أحمد [8] بن عيسى العجلي قال: حدثنا الحسن بن نصر،

قال: حدثني أبي نصر بن مزاحم قال: حدثنا عمر بن سعد[9]، عن أبي مخنف عن رجاله:

[1]أرض أريضة: معشبة خصبة.

[2]ف، مب: النقد، وهي صغار الغنم.

[3]أحلاس الخيل: شجعان فرسان، ملازمون لركوب الخيل.

[4]لعله يريد أنهم لا يكفون عن ثلب الناس و الفخر عليهم.

[5]كذا في ف، مب. و في أ، م، ج: أحجم. تحريف. و ضبيعة أضجم. هو ضبيعة بن أسد بن ربيعة، أو ضبيعة بن ربيعة بن نزار، و هو المعروف بالأضجم، كما في «المقدمة الفاضلية» لابن الجواني النسابة؛ و معناه: المعوج الفم. و ضبيعة بن أسد بن ربيعة؛ قال ابن دريد: و هي ضبيعة أضجم.

[6]جدعا و عقرا: دعاء عليهم بالجدع و العقر، يريد أصابهم الاستئصال و الفناء.

[7]ذكر صاحبنا «اللسان» و «التاج» كلام ابن لسان الحمرة في وصف النساء أتم تفصيلا مما ذكره المؤلف هنا. قال: «النساء أربع: فربيع مربع، و جميع تجمع، و شيطان سمعمع، و غل لا يخلع. فقال: فسر. قال: الربيع المربع: الشابة الجميلة التي إذا نظرت إليها سرتك، و إذا أقسمت عليها أبرتك. و أما الجميع التي تجمع: فالمرأة تتزوجها و لك نشب، و لها نشب، فتجمع ذلك. و أما الشيطان السمعمع: فهي المرأة الكالحة في وجهك إذا دخلت، المولولة في إترك إذا خرجت. قال: و أما الغل التي لا تخلع: فبنت عمك القصيرة الفوهاء: الدميمة السوداء، التي نثرت لك ذا بطنها، فإن طلقها ضاع ولدك، و إن أمسكتها أمسكتها على مثل جدع أنفك» .

و في «اللسان» : امرأة سمعمعة: كأنها غول أو ذئبة. و الورهاء: التي لا تعني بالكحل. و هي رواية الأصول عدا ف، مب.

[8]ج: محمد.

[9]ف: شبة.

أن المغيرة بن شعبة جاء إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال له: أكتب إلى معاوية فوله الشام، و مره بأخذ البيعة لك، فإنك إن لم تفعل و أردت عزله حاربك. فقال علي عليه السلام: **مَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا**. فانصرف المغيرة و تركه. فلما كان من غد جاءه، فقال: إني فكرت فيما أشرت به عليك أمس، فوجدته خطأ، و وجدت رأيك أصوب. فقال له علي: لم يخف علي ما أردت؛ قد نصحتني في الأولى، و غششتني في الآخرة، و لكني و الله لا آتي أمرا أجد فيه فسادا لديني، طلبا لصلاح دنياي. فانصرف المغيرة.

يخدع مصقلة بن هبيرة الشيباني

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني إبراهيم بن سعيد بن شاهين، قال: حدثني محمد بن يونس الشيرازي، قال: حدثني محمد بن غسان الضبي، قال: حدثني زاجر بن عبد الله الثقفي، مولى الحجاج بن يوسف، قال:

كان بين المغيرة بن شعبة و بين مصقلة بن هبيرة الشيباني تنازع، فصرع له المغيرة، و تواضع في كلامه، حتى طمع فيه مصقلة. و استعلى عليه، فشتمه. فقدمه المغيرة إلى شريح، و هو القاضي يومئذ، فأقام عليه البينة، فضربه الحد. فآلى مصقلة ألا يقيم ببلدة فيها المغيرة بن شعبة ما دام حيا، و خرج إلى بني شيبان، فنزل فيهم إلى أن مات المغيرة. ثم دخل الكوفة، فتلقاته قومه، و سلموا عليه. فما فرغ من التسليم حتى سألهم عن مقابر ثقيف، فأرشدوه إليها. فجعل قوم من مواليه يلتقطون له الحجارة، فقال: ما هذا؟ قالوا: ظننا أنك تريد أن ترجم قبره. فقال: ألقوا ما في أيديكم. فألقوه، و انطلق حتى وقف على قبره، ثم قال: و الله لقد كنت ما علمت نافعا لصديقك، ضائرا [1] لعدوك، و ما مثلك إلا كما قال مهلهل في أخيه كليب:

إن تحت الأحجار حزما و عزما # و خصيما ألدًا ذا معلق [2]

حية في الوجار أريد لا يند # فع منه السليم نفت الراقي

/و أخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف بن المرزبان، عن أحمد بن القاسم، عن العمري، عن الهيثم بن عدي، عن مجالد، عن الشعبي: أن مصقلة قال له: و الله إني لأعرف شبيهي في عروة ابنك. فأشهد عليه بذلك، و جلده الحد. و ذكر باقي الخبر مثل الذي قبله.

يحاول أن يخدع عمر بن الخطاب فلا ينخدع

أخبرني محمد بن عبد الله [3] الرازي، قال: حدثنا أحمد بن الحارث، عن المدائني، عن مسلمة [4] بن محارب، قال:

[1] ضائرا: كذا في ف، مب. و في سائر النسخ: صابرا.

[2] يقال: رجل معلاق، و ذو معلاق: أي خصم، شديد الخصومة، يتعلق بالحجج و يستدركها. و المعلاق: اللسان البليغ. و رواه ابن دريد: ذا مغلاق؛ قال الزمخشري عن المبرد: من رواه بالعين المهملة فمعناه: إذا علق خصيا لم يتخلص منه؛ و بالغين المعجمة فتأويله: يعلق الحجة على الخصم. (انظر «تاج العروس» في علق).

[3] ف، مب: عبيد الله بن محمد الرازي.

[4] كذا في ف، مب. و في سائر الأصول: سلمة.

قال رجل من قريش لعمر بن الخطاب رضوان الله عليه: أ لا تتزوج أم كلثوم بنت أبي بكر، فتحفظه بعد وفاته، و تخلفه في أهله. فقال عمر: بلى، إني لأحب ذلك؛ فإذهب إلى عائشة، فاذا ذكر لها ذلك، وعد إلي بجوابها. فمضى الرسول إلى عائشة، فأخبرها بما قال عمر، فأجابته إلى ذلك، و قالت له: حبا و كرامة [1]. و دخل إليها بعقب ذلك المغيرة بن شعبة، فأراها مهمومة. فقال لها: مالك يا أم المؤمنين؟ فأخبرته برسالة عمر، و قالت: إن هذه جارية حدثت، و أردت لها ألين عيشا من عمر. فقال لها: عليّ أن أكفيك. و خرج من عندها، فدخل على عمر، فقال:

بالرفاء و البنين، قد بلغني ما أتيت من صلة أبي بكر في أهله، و خطبتك أم كلثوم. فقال: قد كان ذلك. قال: إلا أنك، يا أمير المؤمنين، رجل شديد الخلق على أهلك، و هذه صبية حديثة السن، فلا تزال تنكر عليها الشيء، فتضربها فتصيح: يا أبتاه! فيغمك ذلك، و تتألم له عائشة، و يذكرون أبا بكر، فيكون عليه، فتجدد لهم المصيبة به، مع قرب عهدها في كل يوم. فقال له: متى كنت عند عائشة [2]، و اصدقني؟ فقال: أنفا. فقال عمر: أشهد أنهم كرهوني، فتضمنت لهم أن تصرفني عما طلبت، و قد أعفيتهم. فعاد إلى عائشة، فأخبرها بالخبر، و أمسك عمر من معاودتها.

قضية الزنا

حدثنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري و أحمد بن عبيد الله بن عمار، قالا: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا عليّ بن محمد النوفلي، عن محمد بن سليمان الباقلاني، عن قتادة، عن غنيم بن قيس، قال:

كان المغيرة بن شعبة يختلف إلى امرأة من ثقيف يقال لها الرّقطاء، فلقيه أبو بكر، فقال له: أين تريد؟ قال:

أزور آل فلان [3]. فأخذ بتلابيبه، و قال: إن الأمير يزار و لا يزور.

وحدثنا بخبره لما شهد عليه الشهود عند عمر رضي الله عنه، أحمد بن عبيد الله بن عمار، و أحمد بن عبد العزيز، قالا: حدثنا عمر بن شبة، فرواه عن جماعة من رجاله، بحكايات متفرقة.

قال عمر بن شبة: حدثني أبو بكر العليمي، قال: أخبرنا هشام، عن عيينة بن عبد الرحمن بن جوشن، عن أبيه، عن أبي بكر.

قال عمر بن شبة: و حدّثنا عمرو بن عاصم، قال: حدثنا حماد بن سلمة،
عن عليّ بن يزيد، عن عبد الرّحمن بن أبي بكر.

قال أبو زيد عمر بن شبة: و حدّثنا عليّ بن محمد بن حباب بن موسى،
عن مجالد، عن الشعبيّ.

قال: و حدّثنا محمد بن عبد الله الأنصاريّ، قال: حدثنا عوف، عن
قسامة بن زهير.

قال أبو زيد عمر بن شبة: قال الواقديّ: حدثنا عبد الرّحمن بن محمد
بن أبي بكر، عن أبيه، عن مالك بن أوس[4] بن الحدثان.

[1] ف: نعم و حب و كرامة. مب: نعم و كرامة.

[2] ف: متى عهدك بعائشة.

[3] آل فلان: كذا في ج، س، مب. و في أ، م: دار فلان. و في ف:
فلانا.

[4] في الأصول: أنس. و التصويب عن «الخلاصة» للخزرجي.

/قال: و حدّثني محمد بن الجهم، عن علي بن أبي هاشم، عن إسماعيل بن أبي عبله، عن عبد العزيز بن صهيب، عن أنس بن مالك:

أن المغيرة بن شعبة كان يخرج من دار الإمارة وسط النهار، و كان أبو بكره يلقاه فيقول له: أين يذهب الأمير؟ فيقول: أتى حاجة. فيقول له: حاجة ما ذا؟ إن الأمير يزار و لا يزور.

قال: و كانت المرأة التي يأتيها جارة لأبي بكره. قال: فبينما أبو بكره في غرفة له مع أصحابه و أخويه نافع و زياد، و رجل آخر، يقال له شبل بن معبد، و كانت غرفة جارتها تلك بحذاء غرفة أبي بكره. فضربت الريح باب المرأة ففتحته. فنظر القوم فإذا هم بالمغيرة ينكحها. فقال أبو بكره: هذه بلية ابتليت بها، فانظروا. فانظروا حتى أثبتوا. فنزل أبو بكره فجلس حتى خرج عليه المغيرة من بيت المرأة، فقال له: إنه قد كان من أمرك ما قد علمت، فاعتزلنا. قال: و ذهب ليصلي بالناس الظهر، فمنعه أبو بكره، و قال له: لا و الله لا تصلي بنا و قد فعلت ما فعلت.

فقال الناس: دعوه فليصل، فإنه الأمير، و اكتبوا بذلك إلى عمر. فكتبوا إليه، فورد كتابه بأن يقدموا عليه جميعا، المغيرة و الشهود.

و قال المدائني في حديثه عن حباب بن موسى: و بعث عمر بأبي موسى الأشعريّ على البصرة. و عزم عليه ألا يضع كتابه من يده حتى يرحل المغيرة بن شعبة. قال: قال عليّ بن أبي هاشم [1] في حديثه: إن أبا موسى قال لعمر لما أمره أن يرحله من وقته: أو خير من ذلك يا أمير المؤمنين: نتركه يتجهز ثلاثا، ثم يخرج. قال: فصلينا صلاة الغداة بظهر المربد، و دخلنا المسجد، فإذا هم يصلون: الرجال و النساء مختلطين. فدخل رجل على المغيرة، فقال له: إني رأيت أبا موسى في جانب المسجد، عليه/برنس. فقال له المغيرة: ما جاء زائرا و لا تاجرا. فدخلنا [2] عليه و معه صحيفة ملء يده [3]، فلما رأنا [4] قال: الأمير؟ فأعطاه أبو موسى الكتاب. فلما قرأه ذهب يتحرك عن سريره. فقال له أبو موسى: مكانك، تجهز ثلاثا.

و قال الآخرون: إن أبا موسى أمره أن يرحل من وقته. فقال له المغيرة: لقد علمت ما وجهت فيه، فألا تقدمت فصليت. فقال له أبو موسى: ما أنا و أنت في هذا الأمر إلا سواء. فقال له/المغيرة: فإني أحب أن أقيم ثلاثا لأتجهز. فقال: قد عزم عليّ أمير المؤمنين ألا أضع عهدي من يدي إذا

قرأته عليك، حتى أرخلك إليه. قال: إن شئت شققتني و أبررت قسم أمير المؤمنين. قال: و كيف؟ قال: تؤجلني إلى الظهر، و تمسك الكتاب في يدك.

قالوا: فقد رنى أبو موسى يمشي مقبلا و مدبرا، و إن الكتاب لفي يده معلقا بخيط. فتجهز المغيرة، و بعث إلى أبي موسى بعقيلة، جارية عربية من سبي اليمامة، من بني حنيفة؛ و يقال إنها مولدة الطائف، و معها خادم لها. و سار المغيرة حين صلى الظهر، حتى قدم على عمر. و قال في حديث محمد بن عبد الله الأنصاري: فلما قدم على عمر.

قال له: إنه قد شهد عليك بأمر إن كان حقا لأن تكون مت قبل ذلك كان خيرا لك.

قال أبو زيد: و حدّثني الحكم بن موسى، قال: حدّثنا يحيى بن حمزة، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري، عن مصعب بن سعد:

[1] كذا في ف. و في مب، ج، أ، م، س: علي بن هشام.

[2] أ، م، س، ج: فدخلت.

[3] ملء يده: كذا في ب. و في سائر النسخ: مثل هذه.

[4] أ، م: رآها.

أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جلس، و دعا المغيرة و الشهود. فتقدم أبو بكر. فقال له: أ رأيت بين فخذيهما، قال: نعم و الله، لكأني أنظر إلى تشريم/جدريّ بفخذيهما. فقال له المغيرة: لقد ألفت النظر. فقال له:

لم آل أن أثبت ما يخزيك الله به؟ فقال له عمر: لا و الله حتى تشهد لقد رأيت يلع فيه كما يلع المرود في المكحلة.

فقال: نعم أشهد على ذلك. فقال له: اذهب عنك مغيرة، ذهب ربعك.

ثم دعا نافعاً فقال له: علام تشهد؟ قال: على مثل شهادة أبي بكر. قال: لا، حتى تشهد أنه كان يلع فيه ولوج المرود في المكحلة. فقال: نعم حتى بلغ قذذه [1]. فقال: اذهب عنك مغيرة، ذهب نصفك. ثم دعا الثالث.

فقال: علام تشهد؟ فقال: على مثل شهادة صاحبيّ. فقال له عليّ بن أبي طالب عليه السلام: اذهب عنك مغيرة، ذهب ثلاثة أرباعك. قال: حتى مكث يبكي إلى المهاجرين، فبكوا. و بكى إلى أمهات المؤمنين، حتى بكين معه، و حتى لا يجالس هؤلاء الثلاثة أحد من أهل المدينة.

قال: ثم كتب إلى زياد، فقدم على عمر. فلما رآه جلس له في المسجد، و اجتمع إليه رعوس المهاجرين و الأنصار. قال المغيرة: و معي كلمة قد رفعتها لأكلم القوم. قال: فلما رآه عمر مقبلاً قال: إني لأرى رجلاً لن يخزي الله على لسانه رجلاً من المهاجرين.

قال أبو زيد: و حدّثنا عفان، قال: حدّثنا السريّ بن يحيى، قال: حدّثنا عبد الكريم بن رشيد، عن أبي عثمان النهديّ، قال:

لما شهد عند عمر الشاهد الأوّل على المغيرة، تغير لذلك لون عمر. ثم جاء آخر فشهد، فانكسر لذلك انكساراً شديداً. ثم جاء رجل شابّ [2] يخطر بين يديه، فرفع/عمر رأسه إليه، و قال له: ما عندك يا سلح العقاب.

و صاح أبو عثمان صيحة تحكي صيحة عمر. قال عبد الكريم: لقد كدت أن يغشى عليّ.

و قال آخرون: قال المغيرة: فقمت إلى زياد، فقلت له: لا مخبأ لعطّر بعد عروس. ثم قلت: يا زياد، اذكر الله، و اذكر موقف يوم القيامة؛ فإن الله و كتابه و رسوله و أمير المؤمنين قد حقنوا دمي، إلا أن تتجاوز إلى ما لم تر ما رأيت، فلا يحملك شر منظر رأيت على أن تتجاوز به إلى ما لم تر، فو الله

لو كنت بين بطني و بطنها ما رأيت أين سلك ذكري منها. قال: فترنقت عيناه، و احمرّ وجهه، و قال: يا أمير المؤمنين، أما أن أحقّ ما حقّ القوم فليس ذلك عندي؛ و لكنني رأيت مجلسا قبيحا، و سمعت نفسا حثيثا و انبهارا، و رأيت متبطنها. فقال له: أ رأيت يدخله كالميل في المكحلة. فقال: لا.

و قال غير هؤلاء: إن زيادا قال له: /رأيت رافعا برجليها، و رأيت خصيتيه تترددان بين فخذيها، و رأيت حفزا شديدا، و سمعت نفسا عاليا. فقال له: أ رأيت يدخله و يخرج كالميل في المكحلة؟ فقال: لا. فقال عمر: الله أكبر. قم إليهم فاضربهم. فقام إلى أبي بكر، فضربه ثمانين، و ضرب الباقيين، و أعجبه قول زياد، و درأ عن المغيرة الرجم. فقال أبو بكر بعد أن ضرب: فإني أشهد أن المغيرة فعل كذا و كذا. فهم عمر بضربه، فقال له عليّ عليه السلام: إن ضربته رجمت صاحبك. و نهاه عن ذلك.

[1]قذذه: جمع قذة، و هي جانب الحياء.

[2]شاب: كذا في ف، مب. و في سائر النسخ: شديد. -

قال: يعني أنه إن ضربه جعل شهادته بشهادتين، فوجب بذلك الرجم على المغيرة.

قال: و استتاب عمر أبا بكر. فقال: إنما تستتيني لتقبل شهادتي. قال: أجل. قال: لا أشهد بين اثنين ما بقيت في الدنيا. قال: فلما ضربوا الحدّ/قال المغيرة: الله أكبر، الحمد لله الذي أخزاكم. فقال له عمر: اسكت أخزي الله مكانا رأوك فيه [1]. قال: و أقام أبو بكره على قوله، و كان يقول: و الله ما أنسى رقط فخذيتها. قال: و تاب الاثنان، فقبلت شهادتهما. قال: و كان أبو بكره بعد ذلك إذا دعي إلى شهادة يقول: اطلب غيري، فإن زيادا قد أفسد عليّ شهادتي.

قال أبو زيد: و حدّثني سليمان بن داود بن عليّ، قال: حدّثني إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن جدّه، قال: لما ضرب أبو بكره أمرت أمه بشاة فذبحت، و جعلت جلدها على ظهره. قال: فكان أبي يقول: ما ذلك ذاك إلا من ضرب شديد.

حدّثنا ابن عمار و الجوهريّ قالوا: حدّثنا عمر بن شبة قال: حدّثنا عليّ بن محمد، عن يحيى بن زكريا، عن مجالد، عن الشعبيّ، قال: كانت أم جميل بنت عمر، التي رمي بها المغيرة بن شعبة بالكوفة، تختلف إلى المغيرة في حوائجها، فيقضيها لها. قال: و واقفت عمر بالموسم و المغيرة هناك، فقال له عمر: أتعرف هذه؟ قال: نعم؛ هذه أم كلثوم بنت عليّ [2]. فقال: له عمر: أنت جاهل عليّ؟ و الله ما أظن أبا بكره كذب عليك، و ما رأيتك إلا خفت أن أرمى بحجارة من السماء.

حدّثني أحمد بن الجعد، قال: حدّثنا محمد بن عباد، قال: حدّثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن أبي جعفر، قال: /قال عليّ بن أبي طالب عليه السّلام: لئن لم ينته المغيرة لأتبعنه أحجاره. و قال غيره: لئن أخذت المغيرة لأتبعنه أحجاره.

حسان يهجو المغيرة

أخبرني ابن عمار و الجوهريّ قالوا: حدّثنا عمر بن شبة، قال: حدّثنا المدائني، قال: قال حسان بن ثابت يهجو المغيرة بن شعبة في هذه القصة:

لوان اللؤم ينسب كان عبدا # قبيح الوجه أعور من ثقيف

تركت الدين و الإسلام لما # بدت لك غدوة ذات التّصيف

و راجعت الصّبا و ذكرت عهدا # من القينات و الغمز اللطيف [3]

[1] رأوك فيه: كذا في ف، مب. و في سائر النسخ: و اراك.

[2] مب: عاتكة بنت معاوية.

[3] كذا رواية البيت في ف. و في سائر النسخ: ... لها... العمر اللطيف.

يتزوج و هو في طريقه إلى المحاكمة

أخبرني الجوهرِيُّ و ابن عمار، قالَا: حدَّثنا عمر بن شبة، قال: حدَّثنا المدائني عن عبد الله بن سلم الفهري، قال: لما شخص المغيرة إلى عمر، رأى في طريقه جارية فأعجبته، فخطبها إلى أبيها. فقال له: أنت على هذه الحال؟ قال: و ما عليك؟ إن أعف، فهو الذي تريد؛ و إن أقتل ترتني. فزوجه.

قال أبو زيد: قال الواقدي. تزوجها بالرقم [1]. و هي امرأة من بني مرة. فلما قدم بها على عمر، قال: إنك لفارغ القلب، طويل الشبق.

و قال محمد بن سعد: أخبرني محمد بن/عبد الله الأسدي، قال: حدَّثنا مسعر، عن زياد بن علاقة، قال: سمعت جرير بن عبد الله حين مات المغيرة بن شعبة يقول: استغفروا لأميركم هذا، فإنه كان يحب العافية [2].

صفته

قال: و كان المغيرة أصهب الشعر جدا، أكشف، يفرق رأسه قرونا أربعة، أقلص الشفتين، مهتوما، ضخم الهامة، عبل الذراعين، بعيد ما بين المنكبين.

وفاته

قال: و قال الواقدي، حدَّثني محمد بن موسى الثقفي، عن أبيه، قال: مات المغيرة بن شعبة بالكوفة سنة خمسين، في خلافة معاوية، و هو ابن سبعين سنة. و كان رجلا طوالا أعور، أصيبت عينه يوم اليرموك.

صوت

جنية و لها جن يعلمها # رمى القلوب بقوس ما لها وتر

إن كان ذا قدرا يعطيك نافلة # منا و يحرمانا، ما أنصف القدر

الشعر لمحمد بن بشير الخارجي، و الغناء لإبراهيم: هزج بالبنصر، عن الهشامي.

[1] الرقم: موضع بالحجاز قريب من وادي القرى.

[2] مب: العاقبة.

6- أخبار محمد بن بشير الخارجي و نسبه

نسبه و شعره

هو محمد بن بشير بن عبد الله بن عقيل بن أسعد بن حبيب بن سنان[1] بن عدي بن عوف بن بكر بن يشكر بن عدوان الخارجي، من بني خارجة بن عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر. و يقال لعدوان و فهم: ابنا جديلة، نسبا إلى أمهما جديلة بنت مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر، و يكنى محمد بن بشير أبا سليمان؛ شاعر فصيح حجازي مطبوع، من شعراء الدولة الأموية. و كان منقطعا إلى أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة القرشي، أحد بني أسد بن عبد العزى، و هو جد ولد عبد الله بن الحسين بن الحسن، لأهمهم هند بنت أبي عبيدة بن زمعة القرشي؛ ولدت لعبد الله محمدا و إبراهيم و موسى. و كانت لمحمد بن بشير فيه مدائح و مرات مختارة، و هي عيون شعره، و كان يبدو في أكثر زمانه، و يقيم في بوادي المدينة، و لا يكاد يحضر مع الناس.

رواة أخباره

أخبرني بقطعة من أخباره الحسن بن علي، قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثني مصعب الزبيري. قال أحمد: و حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني سليمان بن عياش[2] السعدي و عمي مصعب. و حدثني بقطعة أخرى منها عيسى بن الحسن الوارق، عن الزبير، عن سليمان بن عياش. و قد ذكرت كل ذلك في مواضعه.

يخطب عائشة بنت يحيى فترفض السفر معه

قال ابن أبي خيثمة في روايته عن مصعب و عن الزبير، عن سليمان بن عياش: /كان الخارجي، و اسمه محمد بن بشير بن عبد الله بن عقيل بن سعد بن حبيب بن سنان بن عدي بن عوف بن بكر، شاعرا فصيحاً، و يكنى أبا سليمان. فقدم البصرة في طلب ميراث له بها، فخطب عائشة بنت يحيى بن يعمر الخارجية؛ من خارجة عدوان. فأبت أن تتزوجه إلا أن يقيم معها بالبصرة، و يترك الحجاز، و يكون أمرها في الفرقة إليها. فأبى أن يفعل، و قال في ذلك: أرق الحزين و عاده سهده # لطوارق الهم التي ترده[3]

و ذكرت من لانت له كبدي # فأبى فليس تلين لي كبده

و نأى فليس بنازل بلدي # أبدا، و ليس بمصلي بلده[4]

[1] ف، مب: سيار.

[2] أ، م، ج: عياس.

[3] كذا في ف، مب. و في سائر النسخ: الذي يرده.

[4] كذا في ف، مب. و في سائر النسخ: فأبى.

فصدعت حين أبى مودته # صدع الزجاجة دائم أبده
 /و عرفت أن الطير قد صدقت # يوم الكدانة شرّ ما تعده
 فاصبر فإن لكل ذي أجل # يوما يجيء فينقضي عدده
 ما ذا تعاتب من زمانك إذ # ظعن الحبيب و حل بي كمده[1]

قالا: و خاطب أباهما يحيى بن يعمر في ذلك، فقال له: إنها امرأة برزة عاقلة، لا يفتات على مثلها بأمرها، و ما عندها عنك من رغبة، و لكنها امرأة في خلقها شدة، و لها غيرة، و قد بلغني أن لك زوجتين، و ما أراها تصبر على أن تكون ثالثة لهما؛ فانظر في أمرك، و شاور فيه: فإما أن أقمت بالبصرة معها، فعفت لك عن/صاحبتيك، إذ لا مجاورة بينهما و بينها و لا عشرة، و إن شئت فارقتهما[2] و أخرجها معك. فصار إلى رحله مغموما. و شاور ابن عم له يقال له وّراد بن عمرو في ذلك، فقال له: إن في يحيى بن يعمر لرغبة، لثروته و كثرة ماله، و ما ذكرته[3] من جمال ابنته، و ما نحب أن تفارق زوجتيك-و كانت إحداهما ابنة عمه، و الأخرى من أشجع-فتقيم معها السنة بالبصرة، و تمضي نحن[4]، فإن رغبت فيها تمسكت بها، و أقمت بمكانك، و إن رغبت في العود إلى بلدك، كتبت إلينا فجئناك، حتى تنصرف معنا إلى بلدك.

قصيدته في زوجه أم سعد

ففكر ليله أجمع في ذلك، ثم غدا عازما على الرجوع إلى الحجاز، و قال: لئن أقمت بحيث الفيض في رجب # حتى أهلّ به من قابل رجبا[5]

و راح في السفر و راد فهيجني # إن الغريب إذا هيجته طربا[6]
 إن الغريب يهيج الحزن صبوته # إذا المصاحب حياه و قد ركبا
 قد قلت أمس لوارد و صاحبه # عوجا على الخارجيّ اليوم و احتسبا[7]
 و أبلغا أم سعد أنّ عانيها # أعيأ على شفعاء الناس فاجتنبنا[8]
 لما رأيت نجّي القوم قلت لهم # هل يعدونّ نجّي القوم ما كتبنا[9]
 /و قلت إني متى أجلب شفاعتكم # أندم و إنّ أشقّ الغيِّ ما اجتلبنا[10]

[1] كذا في ف، مب. و في سائر النسخ: أن ظعن.

[2] كذا في ف، و في مب: ففارقهما. و في سائر النسخ: مفارقتهما.

[3] ج: ذكره.

- [4]نحن: كذا في ف، ف، مب. و في سائر النسخ: تمضي بخير. تحريف.
- [5]الفيض: نهر البصرة. و هي رواية ف، ف، مب. و في سائر النسخ: القبض. تحريف. يريد: أقمت بهذا الموضع، و أهل الرجل الهلال: رآه.
- [6]ف: وراث في السفر.
- [7]احتسبا: يريد اصنعا فيّ معروفًا، و عدا أجره عند الله.
- [8]العاني: الأسير.
- [9]النجيّ، بوزن فعيل: الذي يسارك و يناجيك، مفرد و جمع. و رواية البيت كما في ف، ف، مب. و في سائر النسخ: قلت له: هل يقدرن.
- [10]كذا روى البيت في مب، و فيه تحريف في سائر النسخ.

- و إنّ مثلي متى يسمع مقالكم # و يعرف العين يندم قبل أن يجبا[1]
 إني و ما كبر الحجاج تحملهم # بزل المطايا بجني نخلة عصبا[2]
 و ما أهلّ به الداعي و ما وقفت # عليا ربيعة ترمى بالحصى الحصبا[3]
 جهدا لمن ظن أني سوف أظعنها # عن ربع غانية أخرى لقد كذبا[4]
 أبتغي الحسن في أخرى و أتركها # فذاك حين تركت الدين و الحسبا[5]
 و ما انقضى الهم من سعدى و ما علقت # مني الحباثل حتى رمتها حقبا[6]
 و ما خلوت بها يوما فتعجيني # إلا غدا أكثر اليومين لي عجا[7]
 بل أيها السائل ما ليس يدركه # مهلا فإنك قد كلفتنّي تعبا[8]
 كم من شفيع أتاني و هو يحسب لي # حسبا فأقصره من دون ما حسبا[9]
 فإن يكن لهواها أو قرابتها # حب قديم فما غابا و لا ذهب
 هما عليّ: فإن أرضيتها رضا # عني و إن غضبت في باطل غضبا
 /كائن ذهبت فردّاني بكيدهما # عما طلبت و جاءها بما طلبا[10]
 وفد ذهبت فلم أصبح بمنزلة # إلا أنازع من أسبابها سببا
 و يلمّها خلّة لو كنت مسجحة # أو كنت ترجع من عصريك ما ذهب
 أنت الطعينة لا ترمى برمتها # و لا يفجّعها ابن العم ما اصطحبا[11]

يغضب لعربية تزوّجت مولى و يفرّق بينهما

أخبرني عيسى بن الحسين، قال: حدّثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني سليمان بن عياش السعدي، قال: قدم أعراب من بني سليم أقحمتهم السنة إلى الرّوحاء، فخطب إلى بعضهم رجل من الموالي من أهل الروحاء، فزوّجه. فركب محمد بن بشير الخارجي إلى المدينة، و واليها يومئذ إبراهيم بن هشام بن إسماعيل بن [1]العين: كذا في جميع النسخ، و لعله تحريف عن الغبن. يريد الغبن في الرأي الذي أشاروا به عليه. و في ف، مب: ينزع، في موضع: يندم. و النزوع: الاشتياق.

[2]بجني: كذا في ف، مب. و في سائر النسخ: إلى، و بها يختل وزن البيت. و نخلة: موضع على ليلة من مكة (عن «معجم ما استعجم» للبكري) . و العصب: الجماعات.

[3]يريد بالحصب هنا: المحصب بمنى، و هو موضع رمي الجمار.

[4] ربح: كذا في ف، ف، مب. و في سائر النسخ: دفع، و هذه غامضة. يريد:
لا أجعل لناقتي مقرا و لا رحلة إلا من ربح هذه الحبيبة.

[5] ف: و الأدبا.

[6] ف، مب: و لا انقضى... و لا علقت.

[7] ف، مب: أكبر اليومين.

[8] ف، مب: يا أيها السائلي.

[9] ف: و هو يحسبني أسلو. يريد كم شفيع أتاه يعدله كثير المحاسن
في نساء آخر، فكان يرده.

[10] ذهبت: كذا في ف، ف، مب. و في سائر النسخ: ذهبت. و ضمير
الفاعل في رداني و جاءها و طلبا: يعود على الهوى و القرابة.

[11] أنت: كذا في ف، ف، مب. و في سائر النسخ: ليت.

هشام بن الوليد بن المغيرة، فاستعداه الخارجيَّ على المولى. فأرسل إبراهيم إليه و إلى النفر السّلميين، و فرق بين المولى و زوجته، و ضربه مائتي سوط، و حلق رأسه و لحيته و حاجبيه. فقال محمد بن بشير في ذلك: شهدت غداة خصم بني سليم # وجوها من قضائك غير سود[1]

قضيت بسنة و حكمت عدلا # و لم ترث الحكومة من بعيد

إذا غمز القنا وجدت لعمرى # قناتك حين تغمز خير عود

إذا عض الثّفاف بها اشمأزت # أبيّ النفس بائنة الصعود[2]

حمى حدبا لحوم بنات قوم # و هم تحت التراب أبو الوليد

و في المائتين للمولى نكال # و في سلب الحواجب و الحدود

/إذا كافأتهم بنات كسرى # فهل يجد الموالي من مزيد

فأي الحق أنصف للموالي # من اصهار العبيد إلى العبيد

كان له عبد غير و في

حدّثني عمي[3]، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني سليمان بن عياش، قال: كان للخارجيِّ عبد، و كان يتلطف له و يخدمه، حتى أعتقه و أعطاه مالا، فعمل به، و ربح فيه. ثم احتاج الخارجيُّ بعد ذلك إلى معونة أو قرض في نائبة لحقته، فبيعت إلى مولاه في ذلك، و قد كان المولى أثرى و اتسعت حاله، فحلف له أنه لا يملك شيئا، فقال الخارجيُّ في ذلك: يسعى لك المولى ذليلا مدقعا # و يخذلك المولى إذا اشتدّ كاهله

فأمسك عليك العبد أوّل وهلة # و لا تنفلت من راحتك حباله

و قال أيضا:

إذا افتقر المولى سعى لك جاهدا # لترضى و إن نال الغنى عنك أدبرا

يتروّج نالته إذ تأخر عنه زوجته

حدّثني عيسى بن الحسين[4]، قال: حدّثنا الزبير، قال: حدّثني سليمان بن عياش السعديّ، قال: كان محمد بن بشير الخارجيُّ بين زوجتين له، و كان يسكن الروحاء، فأجذب عليه منزله، فوجه غنما إلى سحابة وقعت برجفان، و هو جبل يطل على مضيق ليليل، فشقت غيبتها عليه. فقال لزوجتيه: لو تحوّلتما إلى غنمنا.

فقالتا له: بل تذهب، فتطلع إليها، و تصرفها إلى موضع قريب، حتى نوافيك فيه. فمضى و زوّدّتا و طبين، و قالتا له: اجمع لنا اللبن، و وعدّتا

موضعا من رجفان، يقال له/ذو القشع. فانطلق، /فصرف غنمه إلى ذلك
الموضع، [1]ف، مب: وجوها من فضائل.

[2]النفس: كذا في ف. و في سائر النسخ: القصر.

[3]ف، مب: عيسى بن الحسين.

[4]كذا في ف، مب. و في سائر النسخ: حدّثني محمد بن عيسى.

ثم انتظرهما، فأبطأتا عليه. و خالفته سحابة إليهما، فأقامتا، و قالتا: يبلغ إلى غنمه ثم يأتينا. فجعل يصعد في الجبل و ينزل، يتبصرهما فلا يراهما. فبينما هو كذلك إذ أبصر امرأتين قد نزلتا[1]، فقال: أنزل فأتحّث إليهما، فإذا هو بامرأة مسنة، و معها بنت لها شابة، فأعجبه، فقال لها: أ تزوّجينني ابنتك هذه؟ قالت: إن كنت كفؤا. فانتسب لها، فقالت: أعرف النسب و لا أعرف الوجه، و لكن يأتي أبوها. فجاء أبوها فعرفه، فأخبرته امرأته بما طلب. فقال: نعم، و زوّجه إياها. فساق إليها قطعة من غنمه، ثم بنى بها، و انتظر، فلم ير زوجته تقدما عليه، فارتحل إليهما بزوجه و بقية غنمه. فلما طلع عليهما وقف، فأخذ بيدها، ثم أنشأ يقول: كأي موف للهلال عشية #
بأسفل ذات القشع منتظر القطر

و أنتن تلبسن[2] الجديدة بعد ما # طردت بطي الوطب في البلق و العفر

فكان الذي قلتنّ أعدد بضاعة # لناهد بيضاء الترائب و النحر

كأنّ سموط الدر منها معلق # بجيداء في ضال بوجرة أو سدر

تكون بلاغا ثم لست بمخبر # إذا وديت لي ما وددتن من أمري

فارقه المزنية فقال فيها شعرا

أخبرني الحسن[3] بن عليّ، قال: حدّثنا أحمد بن زهير، قال: حدّثني مصعب، قال: حدّثني أحمد بن زهير؛ و حدّثني الزبير بن بكار، قال: حدّثني سليمان بن عياش، قال: / كان محمد بن بشير يتحدّث إلى امرأة من مزينة، و كان قومها قد جاوروههم، ثم جاء الربيع، و أخصبت بلاد مزينة، فارتحلوا، فقال محمد بن بشير: لو بيّنت لك قبل يوم فراقها # أن التفرق من عشية أو غد

لشكوت إذ علق الفؤاد بهائم # علق حبال هائم لم يعهد

و تبرجت لك فاستبتك بواضح # صلت و أسود في النصف معقد[4]

بيضاء خالصة البياض كأنها # قمر توسط ليل صيف مبرد

موسومة بالحسن ذات حواسد # إن الجمال مظنة للحسد

لم يطغها سرف الشباب و لم تضع # عنها معاهدة النصيح المرشد[5]

خود إذا كثر الكلام تعوّذت # بحمى الحياء و إن تكلم تقصد

[1] ف، مب: قوما قد نزلوا.

[2] ف، مب: تبليين.

[3] الحسن: كذا في ف، مب. و في سائر النسخ: الحسين.

[4] هذا البيت عن ف، مب.

[5] كذا روي البيت في ف، مب. و في سائر النسخ:

لم يطرها... و لم يضع # فيها معاشرة...

و معاهدة النصيح: تعهده إياها بالنصيحة.

و كأن طعم سلافة مشمولة # تنصبّ في إثر السواك الأعيد
 و ترى مدامعها تفرق مقلّة # حوراء ترغب عن سواد الإثم
 ما ذا إذا برزت غداة رحيلها # م الحسن تحت رفاق تلك الأبرد[1]
 ولدت بأسعد أنجم فمحلها # و مسيرها أبدا بطلق الأسعد
 الله يسعدها[2] و يسقي دارها # خضل الرباب سرى و لما يرد

رفضت قضاعية أن تتزوّجه فقال فيها شعرا

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا أحمد بن زهير، قال: حدّثني الزبير
 قال: حدّثني سليمان بن عياش، قال: /صحب محمد بن بشير رفقة من
 قضاة إلى مكة[3]، و كانت فيهم امرأة جميلة، فكان يسايرها و يحادثها. ثم
 خطبها إلى نفسها[4]، فقالت: لا سبيل إلى ذلك، لأنك لست لي/بعشير[5]،
 و لا جاري في بلدي، و لا أنا ممن تطمعه[6] رغبة عن بلده و وطنه. فلم يزل
 يحادثها و يسايرها[7] حتى انقضى الحج، ففرّق بينهما نزوعهما إلى أوطانهما،
 فقال الخارجي في ذلك: أستغفر الله ربي من مخدّرة # يوما بدا لي منها
 الكشح و الكتد

من رفقة صاحبونا في ندائهم # كلّ حرام فما ذمّوا و لا حمدوا
 حتى إذا البدن كانت في مناحرها # يعلو المناسم منها مزيد جسد[8]
 و حلّق القوم و اعتمّوا عمائمهم # و احتل كل حرام رأسه لبد
 أقبلت أسألها ما بال رفقتها # و ما أبالي أغاب القوم أم شهدوا
 فغربت لي و احلّولت مقالتها # و عوّقتني و قالت بعض ما تجد[9]
 أنّي ينال حجازيّ بحاجته # إحدى بني القين أدنى دارها برد[10]

[1] ف: إذا ندرت. م الحسن: كذا في ف، مب. و في سائر النسخ: من
 حسن.

[2] ف، مب: يصحبها.

[3] عبارة الأصول ما عدا مب: فكان إلى مكة. و هي غامضة محرفة. و
 قد سقطت من ف.

[4] كذا في ف، مب. و في سائر الأصول: نفسه.

[5] ف، مب: بعشيري.

[6] ف، مب: تطعنه؛ و الكلمة غير منقوطة.

[7] ف: يسايرها و يحدثها.

[8] كانت: كذا في ف. و في مب: كاست. و المناسم: كذا في ف، مب.
و في سائر الأصول: المحاسن. تحريف. و جسد: كذا في ف، مب. و في
سائر الأصول: جمد.

[9] كذا رواية البيت في ف، و في سائر النسخ:

تفرقت لي و احلوت مقالتها # و خوفتني....

[10] أدنى: كذا في ف، مب. و في سائر الفصول: إذما. تحريف. و برد:
جبل قريب من تيماء.

خطب امرأة فطلبت إليه أن يطلق زوجته

أخبرني عيسى بن الحسين، قال: حدّثنا الزبير، قال: حدّثنا سليمان بن عياش، قال: خطب محمد بن بشير امرأة من قومه، فقالت له: طلق امرأتك حتى أتزوجك. فأبى و انصرف عنها، و قال في ذلك: أ أطلب الحسن في أخرى و أتركها # فذاك حين تركت الدين و الحسبا

هي الطعينة لا يرمى برمتها # و لا يفجّعها ابن العم ما اصطحبا

فما خلوت بها يوما فتعجيني # إلا غدا أكثر اليومين لي عجبا

يحتال على الأنصار ليحدث نساءهم

حدّثني عيسى قال: حدّثنا الزبير، قال: بلغني عن صالح بن قدامة بن إبراهيم أن محمد بن حاطب الجمحي، يروي شيئا من أخبار الخارجي و أشعاره، فأرسلت إليه مولى من موالينا يقال له محمد بن يحيى، كان من الكتاب، و سألته أن يكتب لي ما عنده، فكان فيما كتب لنا، قال: زعم الخارجي، و اسمه محمد بن بشير، و كنيته أبو سليمان، و هو رجل من عدوان، و كان يسكن الروحاء، قال: بينا نحن بالروحاء في عام جدب قليل الأمطار، و معنا سليمان بن الحصين و ابن أخته [1]، و إذا بقطار ضخم كثير الثقل يهوي، قادم من المدينة، حتى نزلوا بجانب الروحاء الغربي، بينا و بينهم الوادي، و إذا هم من الأنصار، و فيهم سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت. فليثنا أياما، ثم إذا بسليمان بن الحصين يقول لي: أرسل إليّ النساء يقلن: أ ما لكم في الحديث حاجة؟ فقلت لهن: فكيف برجالكن؟ قلن: بلغنا أن لكم صاحبا يعرف بالخارجي، /صاحب صيد، فإن أتاهم فحدثهم عن الصيد انطلقوا معه، و خلوتم فتحدّثتم. قال: فقلت لسليمان: بئس لعمر الله ما أردت مني، أ أذهب إلي القوم فأغرّهم، و آثم و أتعب و تنالون أنتم حاجتكم دوني؟ ما هذا لي برأي.

قال لي سليمان: فأنظرني إذن، أرسل إلى النساء و أخبرهن بقولك. فأرسل إليهن فأخبرهن بما قلت. فقلن: قل له احتل لنا عليهم هذه المرة بما قلنا لك، و علينا أن نحتال لك المرة الأخرى.

قال الخارجي: فخرجت حتى أتيت القوم فحدثتهم، و ذكرت لهم الصيد، فطارت إليه أنفسهم. فخرجت بهم، و أخذت لهم كلابا و شباكا، و تزودنا لثلاث. و انطلقت أحدثهم و ألهمهم، فحدّثتهم بالصدق حتى نفذ. ثم [2] حدّثتهم بما يشبه الصدق حتى نفذ [2]. /ثم صرحت لهم بمحض الكذب حتى مضت ثلاث، و جعلت لا أحدثهم حديثا إلا قالوا: صدقت. و غبت بهم ثلاثا ما

أعلم أنا عايئًا صيدا، فقلت في ذلك: إني لأعجب مني كيف أفكهمم # أم
كيف أأدع قوما ما بهم حمق[3]!

أطل في البيد ألهمم و أخبرهم # أخبار قوم و ما كانوا و ما خلقوا

[1] كذا في ف، و في سائر الأصول: ابن أخيه.

(2-2) العبارة عن ف، مب.

[3] أفكهمم: كذا في ف، مب. و في الأصول: أفكهم.

و لو صدقت لقلت القوم قد قدموا # حين انطلقنا و آتي ساعة انطلقوا[1]
 أم كيف تحرم أيد لم تخن أحدا # شيئا و تظفر أيديهم و قد سرقوا
 و نرتمي اليوم حتى لا يكون له # شمس و يرمون حتى يبرق الأفق
 /يرمون أحور مخضوبا بغير دم # دفعا و أنت وشاحا صيدك العلق
 تسعى بكليين تبغيه و صيدهم # صيد يرّجى قليلا ثم يعتنق
 ما زلت أحدهم حتى جعلتهم # في أصل محنية ما إن بها طرق[2]
 و لو تركتهم فيها لمزقهم[3] # شيئا مزينة إن قالا انعقوا نعقوا
 إن كنتم أبدا جاري صديقكم # و الدهر مختلف ألوانه طرق
 فمتعوني فأني لا أرى أحدا # إلا له أجل في الموت مستبق

مات سليمان بن الحصين فرثاه

قال سليمان بن عياش: و مات سليمان بن الحصين هذا، و كان خليلا
 للخارجي، مصافيا له، و صديقا مخلصا، فجزع عليه، و حزن حزنا شديدا،
 فقال يرثيه: يا أيها المتمني أن يكون فتى # مثل ابن ليلي لقد خلى لك
 السبلا

إن ترحل العيس كي تسعى مساعيه # يشفق عليك و تعمل دون ما عملا
 لو سرت في الناس أقصاهم و أقربهم # في شقة الأرض حتى تحسر الإبلا
 تبغي فتى فوق ظهر الأرض ما وجدوا # مثل الذي غيبوا في بطنها رجلا
 اعدد ثلاث خصال قد عرفن له # هل سب من أحد أو سبّ أو بخلا

قال سليمان بن عياش: لما مات عبد العزيز بن مروان، و نعي إلى
 أخيه عبد الملك، تمثل بأبيات الخارجي هذه، و جعل يرددّها و يبكي.

شعر حسن في امرأة كريمة

أخبرني عيسى، قال: حدّثنا الزبير، قال: حدّثني عمي عن أبيه؛ قال:
 قال الرشيد يوما لجلسائه: /أنشدوني شعرا حسنا في امرأة خفرة كريمة،
 فأنشدوا فأكثرنا و أنا ساكت، فقال لي: إيه يا ابن مصعب، أما أنك لو شئت
 لكفيتنا سائر اليوم؛ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، لقد أحسن محمد بن بشير
 الخارجي حيث يقول: بيضاء خالصة البياض كأنها # قمر توسط جنح ليل
 مبرد

موسومة بالحسن ذات حواسد # إن الحسان مطنة للحسد

[2] بها طرق بالتحريك: كذا في ف، مب. و في سائر الأصول: لها طرق، و الطرق: منافع الماء. يريد أن ماءها جار غير مستنقع.

[3] لمزقهم: كذا في ف، مب. و في بقية الأصول: لمر بهم. -

و ترى مدامعها تفرق مقله # حوراء ترغب عن سواد الإثم
 خود إذا كثر الكلام تعوذت # بحمى الحياء و إن تكلم تقصد
 لم يطغها شرف الشباب و لم تضع # منها معاهدة النصيح المرشد
 و تبرجت لك فاستبتك بواضح # صلت و أسود في النصف معقد
 /و كأن طعم سلافة مشمولة # بالريق في أثر السواك الأعيد

فقال الرشيد: هذا و الله الشعر، لا ما أنشدتمونيه سائر اليوم! ثم
 أمر[1] مؤدب ابنه محمد الأمين و عبد الله المأمون، فرؤاهما الأبيات.

يتحدّث إلى أيم فينهاها قومها

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا أحمد بن زهير، قال: حدّثنا الزبير
 بن بكار، قال: حدّثني سليمان بن عياش، قال: كان محمد بن بشير الخارجيّ
 يتحدّث إلى عبدة بنت حسان المزنية، و يقيل[2] عندها أحيانا، و ربما بات
 عندها ضيفا، لإعجابه بحديثها، فنهاها قومها عنه، و قالوا: ما مبيت رجل
 بامرأة أيم؟ فجاءها ذات يوم، فلم تدخله خباءها، و قالت له: قد نهاني قومي
 عنك، و كان قد أمسى، فمنعته المبيت، و قالت: لا تبت عندنا، فيظن بي و
 بك شر[3]، فانصرف و قال فيها: /

ظللت لدى أطنابها و كأنني # أسير معنى في مخلخله كبل
 أخير إما جلسة عند دارها # و إما مراح لا قريب و لا سهل[4]
 فإنك لو أكرمت ضيفك لم يعب # عليك الذي تأتين حمو و لا بعل
 و قد كان ينميها إلى ذروة العلا # أب لا تخطاه المطية و الرجل
 فهل أنت إلا جنة عبقرية # يخالط من خالطت من حكيم خيل[5]
 و هل أنت إلا نبعة كان أصلها # تضارا فلم يفضحك فرع و لا أصل
 صدت امرأ عن ظل بيتك ماله # بواديك لولاكم صديق و لا أهل

عابته أسلمية فأحبها

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا أحمد بن زهير، قال: حدّثنا الزبير،
 قال: حدّثني سليمان بن عياش، قال: [1] ف، مب: ثم أمر محمدا الأمين و
 عبد الله المأمون برواية الأبيات.

[2] ف، مب: يقيم.

[3] ف، مب: سوء.

[4] كذا ورد البيت في ف. و في مب: جلسة عند كاره. و جاء في سائر
الأصول محرفا: أعبدة إما جلسة عند كاره # و إما مزاح لا قريب و لا سهل

[5] البيت عن ف، مب.

خرج محمد و سليمان ابنا عبید اللہ بن الحصین الأسلمیان، حتی أتیا امرأة من الأنصار، من بني ساعدة، فبرزت لهما، و تحدثا عندها، و قالا لها: هل لك في صاحب لنا ظريف شاعر؟ فقالت: من هو؟ قالا: محمد بن بشير الخارجي. قالت: لا حاجة بي إلى لقائه، و لا تجيئاني به معكما، فإنكما إن أتيتما به لم أذن لكما [1]. فجاءا به معهما، و أخبراه بما قالت لهما، و جلساه في بعض الطريق، و تقدما إليها، فخرجت إليهما، و جاءهما الخارجي بعد خروجها إليهما، فرحبا به، و سلما عليه، فقالت لهما: من هذا؟ قالا: هذا الخارجي الذي كنا نخبرك عنه. فقالت: و الله ما أرى فيه من خير، و ما أشبهه إلا بعبدنا أبي الجون. فاستحيا الخارجي، و جلس هنيهة، ثم قام من عندها، و علقها قلبه، فقال فيها: /

ألا قد رايتني و يريب غيري # عشية حكما حيف مريب
و أصبحت المودة عند ليلي # منازل ليس لي فيها نصيب
ذهبت و قد بدا لي ذاك منها # لأهجوها فيغلبني النسب
و أنسى غيظ نفسي إن قلبي # لمن واددت فيئته قريب
فلا قلب مصر كل ذنب # و لا راض بغير رضا، غضوب [2]
فدعها لست صاحبها و راجع # حديثك إن شأنكما عجب [3]

تعييره زوجته بقول الأنصارية له فيتغزل فيها

قال: و بلغ الأشجعية زوجة محمد بن بشير ما قالت له الأنصارية، فعييرته بذلك، و كانت [4] إذا أرادت غيظه كنته [4] أبا الجون، فقال في ذلك: و أيدي الهدايا ما رأيت معاتبا # من الناس إلا الساعدية أجمل

/ و قد أخطأتني يوم بطحاء منعم [5] # لها كفف يصطاد فيها و أحبل
و قد قال أهلي خير كسب كسبته # أبو الجون [6] فاكسب مثلها حين ترحل
فإن بات إضاعي بأمر مسرة # لكن فما تسخطن في العيش أطول

نهاه رجل عن حديث النساء و هو محرم فقال شعرا

أخبرني الحسن، قال: حدّثنا أحمد، قال: حدّثنا الزبير، قال: حدّثني سليمان بن عياش، قال: اجتمع محمد بن بشير الخارجي و سائب بن ذكوان راوية كثير بمكة، فوافقا نسوة من بني غفار يتحدّثن، فجلسا إليهن، و تحدثنا معهن حتى تفرقن، و بقيت/واحدة منهن تحدّث الخارجي، و تستنشده شعره حتى أصبحوا! [1] ف، مب: لم أبرز.

[2]البیت عن ف، مب. یرید أن قلبه لیس قلبا غضوبا یحمل الحقد، و لا یرضی بما لا یرضی.

[3]صاحبها: کذا فی ف. و فی سائر الأصول: هاجیها.

(4-4) ف: و كانت تغیظه بأن تلقبه. و فی مب: و كانت تغیظه بأن تکیه.

[5]مب: بطحاء معمر.

[6]ف، مب: حین کنیت کنیة أبا الجون.

فقال لهم رجل مر بهم: أ ما تبرحون عن هذا الشعر[1] و أنتم حرم، و لا تدعون إنشاده و قول الزور في المسجد! فقالت المرأة: كذبت لعمر الله، ما قول الشعر بزور، و لا السّلام و الحديث حرام على محرم و لا محل. فانصرف الرجل، و قال فيها الخارجي: أمالك أن تزور و أنت خلو # صحيح القلب أخت بني غفار؟

فما برحت تعيرك مقلتيها # فتعطيك المنية في استتار
و تسهو في حديث القوم حتى # يبين بعض ذلك ما توارى[2]
فمت يا قلب ما بك من دفاع # فينجيك الدفاع و لا فرار
فلم أر طالبا بدم كمثلني # أوّد و حسن مطلوب بثار
إذا ذكروا بئاري قلت سقيا # لئاري ذي الخواتم و السوار
و ما عرفت دمي فتبوء منه # برهن في حبالني أو ضمّار[3]
و قد زعم العواذل أن يومي # و يومك بالمحضّب ذي الجمار[4]
من الإغياء ثم زعمت أن لا # و قلت لدى التنازع و الثّمار[5]
كذبتهم ما السّلام بقول زور # و ما اليوم الحرام بيوم نار[6]
و لا تسليمنا حرما بإثم # و لا الحب الكريم لنا بعار[7]
فإن لم نلقكم فسقى الغواذي # بلادك و الرويات السواري

قصيدته في الغفارية بعد فراقهما

قال سليمان: و في هذه المرأة يقول الخارجي و قد رحلوا عن مكة، فودعها و تفرقوا: يا أحسن الناس لو لا أن نائلها # قدما لمن يبتغي ميسورها عسر[8]

و إنما دلّها سحر تصيد به # و إنما قلبها للمشتكي حجر[9]
هل تذكرين كما لم أنس عهدكم # و قد يدوم لعهد الخلة الذكر[10]
قولي و ركبك قد مالت عمائمهم # و قد سقاهم بكأس الشقوة السفر

[1] كذا في ف. و في سائر الأصول: أما تزدرجون نحن حذاء الشعر. تحريف.

[2] ذلك: كذا في ف. و في سائر الأصول: أهلك.

[3] تبوء منه: تخلص منه بالاعتراف و دفع رهن أو دين. و الضمار من الدين: ما لا يرجى، أو ما كان بلا أجل معلوم.

- [4] ف: و قد علم العواذل.
- [5] الإغباء: الإخفاء. و في مب: لذي التنازع.
- [6] ف، مب: و لا اليوم.
- [7] ف، مب: حرما بجرم.
- [8] ف، مب: إلا أن نائلها. و في سائر الأصول: قائلها، في موضع: نائلها. و في («لسان العرب» : أجر) : يرتجى معروفها.
- [9] تصيد به: كذا في «اللسان» . و في سائر النسخ: لطالبه.
- [10] في «اللسان» : و لما أنس. و في ف، مب: و قد يذم بعهد الخلة.

يا ليت أني بأثوابي و راحلتي # عبد لأهلك هذا العام مؤتجر
 فقد أطلت اعتلالا دون حاجتنا # بالحج أمس فهذا الحل و السفر[1]
 ما بال رأيك إذ عهدي و عهدكم # إلفان ليس لنا في الود مزدجر
 فكان حظك منها نظرة طرفت # إنسان عينك حتى ما بها نظر
 /أ كنت أبخل من كانت مواعده # دينا إلى أجل يرجى و ينتظر[2]
 و قد نظرت و ما ألفت من أحد # يعتاده الشوق إلا بدؤه النظر[3]
 أبقت شجى لك لا ينسى و قاده # في أسود القلب لم يشعر بها آخر[4]
 جنية أولها جن يعلمها # رمي القلوب بقوس ما لها وتر[5]
 /تجلو بقادمتي و رقاء عن برد # حمر المفاغر في أطرافها أشر[6]
 خود مبتلة ربا معاصمها # قدر الثياب فلا طول و لا قصر
 إذا مجاسدها اعتالت فواضلها # منها روادف فعمات و مؤتزر[7]
 إن هبت الريح حنت في وشائجها # كما يجاذب عود القينة الوتر[8]
 بيضاء تعشو بها الأبصار إن برزت # في الحج ليلة إحدى عشرة القمر[9]
 أ لا رسول إذا بانث يبلغها # عنا و إن لم تؤلف بيننا المرر[10]
 أنى-بآية وجد قد ظفرت به # مني و لم يك في وجدي بكم ظفر
 -قتيل يوم تلاقينا و أن دمي # عنها و عمن أجارت من دمي هدر[11]
 تقضين فيّ و لا أقضي عليك كما # يقضي المليك على المملوك يقتسر

[1]أمس: كذا في ف، ف، مب. و في سائر الأصول: أمض. تحريف. و السفر: كذا في ف، ف، مب. و في سائر النسخ: النفر، بتسكينها، و هو الارتحال بعد الحج.

[2]دينا: كذا في ف، ف، مب. و في سائر الأصول: تأتي. تحريف.

[3]و قد: كذا في ف، ف، مب. و في ج: و من. و في سائر الأصول: و ما. و في ف، ف، مب: و ما أبقيت من أجل.

[4]الأخر: الأبعد، يريد من لم يصب بحبها. و في مب: بشر.

[5]في «اللسان»: ترمي القلوب.

[6]المفاغر: جمع مفغر: مشق الفم، يريد الشفتين. و الأشر: حدة ورقة في أطراف الأسنان.

[7]المجاسد: جمع مجسد، و هو الثوب بلي الجسد. و الفعمات: الممتلئات. و المؤتزر: موضع الإزار.

[8]الوشائج: جمع الوشاح، و هو حلي للنساء ينسج من أديم عريضا، و يرصع بالجواهر، و تشده المرأة بين عاتقها و كشحيتها. و في مب: في تنسمها. و حنت: صوتت.

[9]ف: تعشو بها... كمثل ليلة إحدى عشرة. يقول: تتطلع إليها الأبصار كما تتطلع أبصار الحاج إلى القمر ليلة إحدى عشرة من ذي الحجة في منى.

[10]لم تؤلف: كذا في ف، مب. و في سائر النسخ: تمس يؤلف. تحريف. و المرر: جمع مرة: و هي طاقة الحبل و قوته. يريد و إن لم تربط بيننا أسباب الحب المتينة. و في سائر النسخ: المزر. تحريف.

[10]هذا البيت و الذي قبله ساقطان من جميع الأصول ما عدا ف،

مب.

إن كان ذا قدرا يعطيك نافلة # منا و يحرمنا، ما أنصف القدر[1]

ندمه على طلاقه زوجته العدوانية

أخبرني عيسى بن الحسين، قال: حدّثنا الزبير، قال: حدّثني سليمان بن عياش، قال: /كان الخارجيّ قدم البصرة، فتزوَّج بها امرأة من عدوان، كانت موسرة، فأقام عندها بالبصرة مدة، ثم توخّم[2] البصرة، فطالبها[3] بأن ترحل معه إلى الحجاز، فقالت: ما أنا بتاركة مالي وضيعتي هاهنا تذهب و تضيع، و أمضى معك إلى بلد الجذب و الفقر و الضيق، فإما أن أقمت هاهنا أو طلقنتني. فطلقها و خرج إلى الحجاز، ثم ندم و تذكرها، فقال: دامت[4] لعينك عبرة و سجوم # و ثوب بقلبك زفرة و هموم

طيف لزئب ما يزال مؤرقى # بعد الهدوّ فما يكاد يريم
و إذا تعرض في المنام خيالها # نكأ الفؤاد خيالها المحلوم
أ جعلت ذنبك ذنبه و ظلّمته # عند التحاكم و المدل ظلوم
و لئن تجنيت الذنوب فإنه # ذو الداء يعذر و الصحيح يلوم
و لقد أراك غداة بنت و عهدكم # في الوصل لا حرج و لا مذموم
أضحت تحكّمك التجارب و النهي # عنه، و يكلفه بك التحكيم[4]

صوت

[5]

برأ الألى علقوا الحبال قبله # فنجوا و أصبح في الوثاق يهيم
و لقد أردت الصبر عنك فعاقني # علق بقلبي من هواك قديم
ضعفت معاهد حبهن مع الصبا # و مع الشباب فبن و هو مقيم[6]
/يبقى على حدث الزمان و ريبه # و على جفائك إنه لكريم
و جنيت[7] حين صححت و هو بدائه # شتان ذاك مصحّح و سقيم
و أدبته زما فعاد بحلمه # إن المحب عن الحبيب حليم[8]
/و زعمت أنك تبخلين و شقّه # شوق إليك، و إن بخلت، أليم

[1] ف، مب: و يعجزنا.

[2] ف، مب: استوخم. و هما بمعنى، أي لم يوافقه هواؤها.

[3] كذا في ف، مب. و في سائر الأصول: فطلبها.

[4] ف، مب: باتت لعينك.

[5] كلمة صوت في ف، مب بعد البيت الذي تحتها.

[6] هذا البيت في ف متأخر بعد الذي يليه.

[7] ف، مب: و عتبت بصيغة المتكلم.

[8] أديته: يريد ختلته. و هي رواية م. و في مب: «و أربته ريبا» . و في سائر النسخ: أذيته. و البيت ساقط من ف.

غنى في هذه الأبيات الدارميّ خفيف رمل بالوسطى عن الهشامي؛ و فيه لعريب خفيف ثقيل مطلق، و هو الذي يغني الآن، و يتعارفه الناس.

يرثي أبا عبيدة بن عبد الله بن زمعة

أخبرني عيسى بن الحسين، قال: حدّثنا الزبير، قال: حدّثني سليمان بن عياش السعديّ، قال: كان الخارجيّ منقطعا إلى أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة، و كان يكفيه مئونته، و يفضل عليه، و يعطيه في كل سنة ما يكفيه و يغنيه، و يغني قومه و عياله، من البرّ و التمر و الكسوة في الشتاء و الصيف، و يقطعه القطعة بعد القطعة من إبله و غنمه، و كان منقطعا إليه و إلى زيد بن الحسن، و ابنه الحسن بن زيد، و كلهم به برّ، و إليه محسن. فمات أبو عبيدة، و كان ينزل الفرش من ملل، و كان الخارجي ينزل الروحاء، فقال يرثيه: ألا أيها الناعي ابن زينب غدوة # نعت الندى دارت عليه[1]الدوائر

لعمرى لقد أمسى قرى الضيف عاتما[2] # بذى الفرش لما غيبتك المقابر

/إذا سوفوا نادوا صدك و دونه # صفيح و خوار من الترب مائر

ينادون من أمسى تقطّع دونه # من البعد أنفاس الصدور الزوافر

فقومي اضربي عينيك يا هند لن ترى # أبا مثله تسمو إليه المفاخر

قال الزبير: فحدّثني سليمان بن عياش، قال:

كانت هند بنت أبي عبيدة عند عبد الله بن حسن بن حسن، فلما مات أبوها جزعت عليه جزعا شديدا، و وجدت وجدا عظيما، فكلم عبد الله بن الحسن محمد بن بشير الخارجيّ أن يدخل إليها، فيعزيها و يسليها[3]عن أبيها، فدخل إليها معه. فلما نظر إليها صاح بأعلى صوته: قومي اضربي عينيك يا هند لن ترى # أبا مثله تسمو إليه المفاخر

و كنت إذا فاخرت أسميت والدا # يزين كما زان اليدين الأساور

فإن تعوليه يشف يوما عويله # غليلك أو يعذرك بالنوح عاذر

و تحزنك ليلات طوال و قد مضت # بذى الفرش ليلات تسر قصائر

فلقاه رب يغفر الذنب رحمة # إذا بليت يوم الحساب السرائر

إذا ما ابن زاد الركب[4]لم يمس ليلة # قفا صفر لم يقرب الفرش زائر

لقد علم الأقوام أن بناته # صواقق إذ يندبته و قواصر

[1]عليه: كذا في ف. و في سائر الأصول: عليك.

[2]عاتما: بطيئا مؤخرا. و انظر بعض هذه الأبيات في «معجم ما استعجم» للبكري في رسم (ملل) .

[3]ف، مب: و يؤسيها. و الأبيات التالية متصلة بسابقتها.

[4]زاد الركب هنا زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد جد أبي عبيدة. و أزواد الركب: لقب ثلاثة من قريش: مسافر بن أبي عمرو، و أبو أمية بن المغيرة، و زمعة هذا، لقبوهم بذلك لأنهم لم يكن يتزود معهم أحد في سفر: يطعمونه و يكفونه الزاد و يغنونه. و صفر: جبل أحمر كريم المغرس بالفرش. و الفرش: موضع بين المدينة و ملل، يقال له فرش ملل. و البيت ساقط من الأصول ما عدا ف، مب.

/قال: فقامت هند، فصكت وجهها و عينيها، و صاحت بويلها و حربها، و الخارجي يبكي معها، حتى لقا جهدا، فقال له عبد الله بن الحسن: أ لهذا دعوتك ويحك؟ فقال له: أ فظننت أني أعزيها عن أبي عبدة؟ و الله ما يسليني عنه أحد؛ و لا لي عنه و لا عن فقده صبر، فكيف يسليها عنه من ليس يسلو بعده[1]!

قوله يذم من مطله و يمدح زيد بن الحسن

أخبرني عيسى، قال: حدّثني الزبير، قال: حدّثني سليمان بن عياش، قال: وعد رجل محمد بن بشير الخارجي بقلوص، فمطله، فقال فيه يذمه، و يمدح زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السّلام: لعلك[2] و الموعود حق وفاؤه # بدا لك في تلك القلوص بداء

فإن الذي ألقى إذا قال قائل # من الناس: هل أحسستها لعناء[3]

/يقول الذي يبدي الشّمام و قوله # عليّ و إشمات العدوّ سواء[4]

دعوت- و قد أخلفتني الوعد[5]-دعوة # بزید فلم يضلّ هناك دعاء

بأبيض مثل البدر عظمّ حقه # رجال من آل المصطفى و نساء[6]

/فبلغت الأبيات زيد بن الحسن، فبعث إليه بقلوص من خيار إبله، فقال يمدحه: إذا نزل ابن المصطفى بطن تلعة # نفى جديها و اخضر بالنبت عودها

و زيد ربيع الناس في كل شتوة # إذا أخلفت أنواؤها و رعودها

حمول لأشناق الديات كأنه # سراج الدجى إذ قارنته سعودها

يبكي سليمان بن الحصين

أخبرني عيسى، قال: حدّثني الزبير، قال: حدّثني سليمان بن عياش، قال: نظر الخارجي إلى نعش سليمان بن الحصين و قد أخرج، فهتف بهم، فقال: أ لم تروا أن فتى سيّدا # راح على نعش بني مالك

لا أنفس العيش لمن بعده # و أنفس الهلك على الهالك

و قال فيه أيضا:

[1] ف، مب: و لا لي عزاء عن فقده، فكيف... ليس يسلوه.

[2] في الأصول ما عدا س، مب: (تعلل) في موضع (لعلك) . و في «الخرانة» و «كتب شواهد النحو»: حق لقاؤه. و في ف، مب: ذاك

القلوص.

[3] هل أحسستها لعناء: كذا في ف، مـب. «و خزانة الأدب» (4: 37)
نقلا عن «الأغاني». و في سائر الأصول: هل للواعدين وفاء.

[4] رواية الشطر الثاني في ب، س: «عليّ به بين الأنام عناء» .

[5] الوعد: كذا في ف و «الخزانة» . و في سائر النسخ: الوأى. و هو
بمعنى الوعد.

[6] هذا البيت عن ف، مـب، و «الخزانة» .

ألا أيها الباكي أخاه و إنما # تفرّق يوم الفدّفد الأخوان[1]
 أخي يوم أحجار الثّمام[2] بكيته # و لو حمّ يومي قبله لبكاني
 تداعت به أيامه فاختر منه # و أبقين لي شجوا بكل زمان[3]
 فليت الذي ينعى سليمان غدوة # بكى عند قبري مثلها و نعاني[4]
 فلو قسمت في الجن و الإنس لوعتي # عليه بكى من حرّها الثقلان
 و لو كانت الأباام تطلب فدية # إليه و صرف الدهر ما ألواني[5]

أرجوزة له في المولى الصائد

أخبرني عيسى، قال: حدّثنا الزبير، قال: حدّثنا سليمان بن عياش، قال:
 خرج محمد بن بشير يرمي الأروى و معه جماعة، فيهم رجل من الموالي
 من أهل السّيالة[6]، فصعد المولى على صفاة بيضاء يرمي من فوقها،
 فزلت قدمه عنها، فصاح حتى سقط على الأرض، و أحدث في ثيابه، فقال
 الخارجي في ذلك: حرّق يا صفاة في ذراك # بالنار إن لم تمنعي أرواك[7]

تعلّمي أن بذّي الأراك # -أيتها الأروى- ذوي عراك[8]
 قوما أعدّوا شبك الشّباك[9] # يبعون ضيعا قتلت أباك
 نعم ملوي الحديد المداك[10] # إذ صوت الجالب[11] في أحرّك
 و لم يقل منتصحا: إياك # بين مقاطيها ركبت فاك[12]
 فعدت و الطعن على كلاك # مثل الأضحى بيد النساك
 يرمى بالأكتاف على الأوراك # كما أطحت العبد عن صفاك

[1] كذا روي الشطر الثاني في ف، مب. و في سائر النسخ: يبكي بيوم
 الفدية الأخوان.

[2] كذا في ف، مب. و في سائر الأصول: اليمام. و يعرف أيضا:
 بصخيرات الثمام. و هو موضع على طريق مكة من المدينة.

[3] ف، مب: مكان.

[4] ف، مب: دعا عند قبري مثله فنعاني.

[5] كذا روي الشطر الثاني في ف، مب. و في سائر الأصول: وقاه
 صروف الدهر بي و فداني.

[6] السّيالة: كذا في ف، مب. و سيأتي تفسيرها قريبا. و في بقية
 الأصول: البادية.

- [7] جاء هذا الرجز محرفا في الأصول كلها مخطوطة و مطبوعة، كما اضطرب ترتيبه فيها، بحيث غمض معناه، و اعتمدنا فيه على مب.
- و هي أقلها تحريفا. و الذرا: جمع الذروة، و هي أعلى الشيء المرتفع.
- [8] ذوي عراق: كناية عن نفسه و صحبه من أهل الصيد.
- [9] كذا روي البيت في مب. و في جميع الأصول: قوما أعدوا نسك النساء. و سقط البيت و الذي بعده من ف.
- [10] البيت عن ف، مب. و الحديد: جمع حيدة، كبدره و بدر، و هي ما تلوى من الأنابيب في قرن الوعل. و المداك: الحجر يسحق عليه الطيب. شبه قرن الأروبة به.
- [11] الجالب: الصائح ذو الجلبة. و في بعض الأصول: الحالب. و لعله تحريف.
- [12] المقاطي: جمع مقطى، و هو موضع القطة: أي العجز.

أما السّياليّ [1] فلن ينسأك # لو يرتميك الناس ما رماك [2]

يعاتب زوجته

أخبرني عيسى، قال: حدّثنا الزبير، قال: حدّثنا سليمان بن عياش، قال: كانت عند الخارجيّ بنت عم له، فهجاه بعض قرابتها، فأجابه الخارجيّ، فغضبت زوجته، و قالت: هجوت قرابتي. فقال الخارجيّ في ذلك: /

أمّا ما أقول لهم فعابت # عليّ و قد هجيت فما تعيب

فرمت و قد بدا لي ذاك منها # لأهجوها فيمنعني النسب [3]

فلا قلب يبصّر كل ذنب # و لا راض بغير رضا، غضوب [4]

أسنت زوجته فتزوّج أخرى

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن زهير قال: حدّثني مصعب قال: و حدّثني الزبير عن سليمان بن عياش، قال: تزوّج الخارجيّ جارية من بني ليث شابة، و قد أسنّ و أسنت زوجته العدوانية. فضربت دونه حجابا، و توارت عنه، و دعت نسوة من عشيرتها، فجلسن عندها، يلهون و يتغنّين و يضربن بالدفوف، و عرف ذلك محمد فقال: لئن عانس قد شاب ما بين قرنها # إلى كعبها و أبيض [5] عنها شبابها

صبت في طلاب اللهو يوما و علّقت # حجابا لقد كانت يسيرا حجابها

لقد منّعت بالعيش حتى تشعبت [6] # من اللهو إذ لا ينكر اللهو بابها

/فبينني برغم ثم ظلّي فرما # ثوى الرغم منها حيث يثوي نقابها [7]

لبياء لم تنسب لجدّ يعيها [8] # هجان و لم تنبح لئما كلابها

تأوّد في الممشى كأنّ قناعها # على طيبة أدماء طاب شبابها

مهفهفة الأعطاف خفاقة الحشى # جميل محياها قليل عتابها

[1] السّياليّ: يريد المولى الذي سقط، و هو منسوب إلى السّيالة، و هي قرية جامعة على الطريق من المدينة إلى مكة، بينها و بين ملل سبعة أميال، و بينها و بين الروحاء التي كان ينزلها الشاعر اثنا عشر ميلا، و هي لولد الحسن بن علي الذي مدح الشاعر ابنه زيدا.

[2] رماك: كذا في ف، و في سائر الأصول: ارتماك.

[3] كذا في ف، مب. و في سائر الأصول: فيغلبني.

[4] يبصر: كذا في ف، مب. و في سائر النسخ: أضرب بكل ذنب. تحريف.

[5] أبيض شبابها: يريد أبيض شعرها، و هذه رواية ف. و في سائر الأصول: امتص.

[6] في ف: لقد تمتعت بالعيش حتى تمتعت... من العيش. و في سائر الأصول: لئن تمتعت بالعين حتى تشعبت

و معنى تشعبت من اللهو: تغيرت أخلاقها. و ربما كانت تشعبت محرفة عن تشعبت بالغين، أو عن تشعبت.

[7] ثم ظلي: يريد: بيني بذل و ابقى به. و في جميع الأصول: ظلي، بالطاء، و لا معنى له هنا.

[8] ف: يشينها. و قوله لبيضاء، أي لأجل حبي بيضاء.

إذا ما دعت بابني نزار و قارعت # ذوي المجد لم يردد عليها انتسابها[1]

استعطف إبراهيم بن هشام المخزومي فوصله

حدّثنا الحسن بن علي قال: حدّثنا أحمد بن زهير قال: حدّثنا الزبير بن بكار قال: حدّثني عمي عن الضحاك بن عثمان، قال: لما ولي إبراهيم بن هشام الحرمين، دخل إليه محمد بن بشير الخارجي، و كان له قبل ذلك صديقا. فأعرض عنه، و لم يظهر له بشاشة و لا أنسا. ثم عاوده فاستأذنه في الإنشاد، فأعرض عنه، و أخرجه الحاجب من داره، و كان إبراهيم بن هشام تياها، شديد الذهاب بنفسه، فوقف له يوم الجمعة على طريقه إلى المسجد، فلما حاذاه صاح به: يا ابن الهشامين طرّا حزت مجدهما # و ما تخوّنه نقض و إمرار

لا تشمتمنّ بي الأعداء إنهم # بيني و بينك سمّاع و نظّار

و إن شكري إن ردّوا بغیظهم # في ذمة الله إعلان و إسرار[2]

فاكرر بنائك المحمود من سعة # عليّ إنك بالمعروف كّرار

/فقال لحاجبه: قل له يرجع إليّ إذا عدت. فرجع، فأدخله إليه، و قضى دينه، و كساه و وصله، و عاد إلى ما عهده منه.

ردّه على شعر لعروة بن أذينة

أخبرني الحسن قال: حدّثنا أحمد بن زهير، قال: حدّثني مصعب عن أبيه قال: عثر بعروة بن أذينة حماره عند ثنية العويقل[3]، فقال عروة: ليت العويقل مسدود و أصبح من # فوق الثنية فيه ردم يأجوج[4]

فتستريح ذوو الحاجات من غلظ # و يسلك السهل يمشي كلّ منتوج[5]

فقال محمد بن بشير الخارجي يردّ عليه:

سبحان ربك تب مما أتيت به # ما يسدد الله يصبغ و هو مرتوج

[1]رواية البيت في ف، مب:

إذا ما دعت يا بني نزار و نازعت # ذرا المجد لم يردد عليها انتسابها

[2]البيت عن ف، مب.

[3]العويقل: نقب في موضع يقال له الجياء بين شويلة و الحورة، و من أودية الحورة هذه واد ينزع في الفقارة، سكانه بنو عبد الله بن الحصين

الأسلميون و الخارجيون رهط الشاعر.

[4]ف: مأجوج. و في «معجم ما استعجم» للبكري، (رسم الأشعر) :
ليت العوبقل سدته بجمتها # ذات الجياء عليه ردم مأجوج

[5]المنتوج: المولود. و في «معجم البكري» : و يسلكوا السهل
ممشى كل منتوج

-

و هل يسدّ و للحجاج فيه إذا # ما أصدوا فيه تكبير و تلجيج[1]
 /ما زال منذ أذلّ [2]الله موطأه # و منذ آذن أنّ البيت محجوج
 تهدي له الوفد وفد الله مطربة[3] # كأنه شطب بالقدر المنسوج
 /خل الطريق إليها إن زائرها # و الساكنين بها الشمّ الأبالج[4]
 لا يسدد الله نقبا كان يسلكه الـ # بيض البهاليل و العوج العناجيج[5]
 لو سدّه الله يوما ثم عجّ له # من يسلك النقب أمسى و هو مفروج

قوله يعاتب أخاه بشارا

أخبرني الحسن قال: حدّثنا أحمد بن زهير، قال: حدّثنا مصعب، قال:
 كان للخارجيّ أخ يقال له بشار بن بشير، و كان يجالس أعداءه، و
 يعاشر [6]من يعلم أنه مباين له. و فيه يقول: و إني قد نصحت فلم تصدّق #
 بنصحي و اعتددت فما تبالي [7]

و إني قد بدا لي أنّ نصحي # لغيبك و اعتدادي في ضلال
 فكم هذا أذودك عن قطاعي # كتذويد المحلّة الثّهال
 فلا تبغ الذنوب عليّ و اقصد # لأمرك من قطاع أو وصال
 فسوف أرى خلالك من تصافي # إذا فارقتني و ترى خلالي [8]
 و إن جزاء عهدك إذ تولّى # بأن أغضي و أسكت لا أبالي [9]

قوله في زوجته سعدى

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدّثنا الزبير بن بكار، قال: حدّثنا
 سليمان بن عياش، قال: [1]في «معجم ما استعجم» للبكري:
 و كيف يوثقه سدا و هم لهم # ليك ليك تكبير و تشجيج

[2]كذا في ف، مب. و في «معجم البكري»: أذال.

[3]المطربة: الطريق الضيق في الجبل، لا يكون إلا به أو بالحرّة.

[4]الأبالج: جمع أبلج، و هو الأبيض النقي الوجه. و رواية البيت في
 «معجم البكري»: خلوا الطريق إليه إن زائرهم # و الساكنين به الشم
 الأبالج

[5]البهاليل: جمع بهلول، و هو السيد. و العوج: جمع عوجاء، و هي الناقة الضامرة. و العناجيج: جمع عنجوج، و هي النجيلة، أو الطويلة العنق.

[6]ف: يخالط.

[7]كذا روي البيت في ف، مب. و في سائر الأصول:

و اعتذرت فلم يبال

[8]الخلال: المخالة و المصادقة. يريد سأرى أصدقاءك الذين ستصافيهم حين نفترق، و سترى أصدقائي. و في ف: من تصابى.

[9]يريد أني أكافئك على قطعك عهد الأخوة، بنسياني إياك، و عدم مبالاتي بك. و رواية البيت هذه عن ف، مب. و في سائر الأصول: و إنك تستريح إذا تولى # بأن أعصي و أسكت لا أبالي

كان الخارجيِّ معجبا بزوجه سعدى، و كانت من أسوأ الناس خلقا، و أشدّه على عشير[1]، فكان يلقي منها عنتا. فغاضبها يوما لقول أذته به، و اعتزلها، و انتقل إلى زوجته الأخرى، فأقام عندها ثلاثا. ثم اشتاق إلى سعدى، و تذكرها، و بدا له في الرجوع إلى بيتها، فتحوّل إليها، و قال: أراني إذا غالبت بالصبر حبّها # أبى الصبر ما ألقى بسعدى فأغلب

و قد علمت عند التعاتب أنا # إذا ظلمتنا[2] أو ظلمنا سنعتب
و إني و إن لم أجن ذنبا سأبتغي # رضاها و أعفو ذنبها حين تذب
و إني و إن أثبت فيها يزيدني # بها عجا من كان فيها يؤنب

قوله يعاتب أخاه أيضا

أخبرني عيسى قال: حدّثنا الزبير قال: حدّثنا سليمان بن عياش قال: كان بشار بن بشير أخو محمد بن بشير يعاديه، و يجالس أعداءه[3]. فقال الخارجيِّ فيه: كفاني الذي ضيّعت مني و إنما # يضيع الحقوق[4] طالما من أضعها

صنيعة من ولاك سوء صنيعتها # و ولى سواك أجرها و اصطناعها
أبى لك كسب الخير رأي مقصّر # و نفس أضاق الله بالخير باعها
إذا هي حثّته على الخير مرة # عصاها و إن همت بشر[5] أطاعها
/فلو لا رجال كاشحون يسرّهم # أذاك، و قربى لا أحبّ انقطاعها
إذا بان إن زلّت بك النعل زلّة # فراق خلال لا تطيق ارتجاعها[6]
و أني متى أحمل على ذاك أطلّع # عليك عيوباً لا أحبّ اطلاعها[7]
/فإن تك أحلام تردّ إخواننا # علينا فمن هذا يردّ سماعها
سأنهاك نهيا مجملا و قصائدا # نواصح تشفى من شئون صداعها[8]
و من يجتلب نحوي القصائد يجتلب # قراه[9] و يتبع من يحبّ اتباعها

[1] كذا في ف، م.ب. و في بقية الأصول: عليه غيرة.

[2] كذا في ف، م.ب. و في بقية الأصول: ما ظلمنا.

[3] كذا في ف. و في سائر الأصول: و يهجو.

[4] ف، م.ب.: يضيع حقوقا.

[5] ف: بسوء.

[6] في ف، مب: إذا بان... فراق خلال. و ترتيبه في غير ف بعد: فلو لا رجال... الخ.

[7] اطلع عليك عيوبها: أعلمها. و جاء هذا البيت في ف بعد «فلو لا رجال» .

[8] و قصائدا: يريد و أبعث قصائد. و الشئون جمع شأن، و هي مواصل عظام الرأس و ملتقاها. و رواية الشطر الثاني من البيت في ف: نواضح تسقى من شئون ضباها

[9] ف: جزاء.

إذا ما الفتى ذو اللب حلت قصائد # إليه فيخل للقوافي رباعها[1]

قوله يرثي زيد بن حسن

أخبرني عيسى بن الحسين الوارق قال: حدثنا الزبير قال: حدثنا سليمان بن عياش قال: لما دفن زيد بن حسن و انصرف الناس عن قبره، جاء محمد بن بشير إلى الحسن بن زيد، و عنده بنو هاشم و وجوه قريش يعزونه، فأخذ بعضادتي الباب، و قال: أ عينيّ جودا بالدموع و أسعدا # بني رحم ما كان زيد يهينها

/و لا زيد إلا أن وجود بعبرة # على القبر شاكي نكبة يستكينها[2]

و ما كنت تلقى وجه زيد ببلدة # من الأرض إلا وجه زيد يزبنها

لعمر أبي الناعي لعمّت مصيبة # على الناس و اختصت قصيّا رصينها[3]

و أتى لنا أمثال زيد و جدّه # مبلّغ آيات الهدى و أمينها[4]

و كان حليفه السماحة و التّدى # فقد فارق الدنيا نداها و لينها

غدت غدوة ترمي لؤيّ بن غالب # يجعد الثرى فوق امرئ ما يشينها

أغرّ بطاحيّ بكت من فراقه # عكاظ فبطحاء الصفا فحجونها

فقل للتي يعلو على الناس صوتها # ألا[5] لا أعان الله من لا يعينها

و أرملة تبكي و قد شقّ جيبها # عليه فأبت و هي شعث قرونها[6]

و لو فقحت ما يفقه[7] الناس أصبحت # خواشع أعلام الفلاة و عينها

نعاه لنا الناعي فظلنا كأننا # نرى الأرض فيها آية حان حينها

و زالت بنا أقدامنا و تقلبت # ظهور روايبها[8] بنا و بطونها

[1]رواية الشطر الثاني في ف، م:مب:

به فتحلى للقوافي رباعها

و لعله محرف عما أثبتناه، بتقدير جزمه بلام الأمر المحذوفة. يقول لأخيه: إذا كانت حالك تتطلب أن أعظك و أذكرك بقصائد زاجرة، فعليك أن تفهم قولي، و تنزل أشعاري منازلها اللائقة بها.

[2]يستكينها: يخضع لها و يذل. يقول: ذهب زيد فلا يعرف قدره إلا من أصابته نكبة شديدة، فلم يجد من يعينه، فوقف على قبره يبكيه.

[3]الرصين هنا: المصيبة الثقيلة.

[4]ف: و ميينها.

[5] كذا في ف. و في سائر الأصول: به.

[6] البيت عن ف، مب.

[7] كذا في ف، مب: و في سائر الأصول: فهمت. و أعلام الفلاة:
جبالها. و العين: جمع عيناء، أي واسعة العين، يريد بقر الوحش.

[8] ف: رواينا.

و آب ذوو[1]الألباب منا كأنما # يرون شمالا فارقتها يمينها
سقى الله سقيا رحمة ترب حفرة # مقيم على زيد تراها و طينها

قال: فما رؤي يوم كان أكثر باكيا من يومئذ[2].

قوله في بنت عم له تزوجها و استخفت به

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدّثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال: حدّثني العمري عن لقيط، قال: كان محمد بن بشير الخارجي من أهل المدينة، و كانت له بنت عم سرّية جميلة، قد خطبها غير واحد من سروات قريش، فلم ترضه. فقال لأبيه: زوّجنيها. فقال له: كيف أزوّجكها و قد ردّ عمك عنها أشراف قريش.

فذهب إلى عمه فخطبها إليه، فوعده بذلك، و قرّب منه. فمضى محمد إلى أبيه فأخبره: فقال له: ما أراه يفعل. ثم عاوده، فزوّجه إيّاها. فغضبت الجارية، و قالت له: خطبني إليك أشراف قريش فرددتهم، و زوّجتني هذا الغلام الفقير؟ فقال لها: هو ابن عمك، و أولى الناس بك. فلما بنى لها جعلت تستخف به و تستخدمه، و تبعته في غنمها مرة، و إلى نخلها أخرى. فلما رأى ذلك من فعلها قال شعرا، ثم خلا في بيت يترنم به و يسمعها. و هو: ثناقلت أن كنت ابن عمّ نكحته # فملت و قد يشفى ذوو الرأي بالعدل

/فإنك إلا تتركي بعض ما أرى # تنازعك أخرى كالقرينة في الجبل

تلزك[3] ما اسطاعت إذا كان قسمها # كقسمك حقّا في التلاد و في البعل

متى تحملها منك يوما لحالة # فتتبعها تحملك منها على مثل[4]

قال: فصلحت، و لم ير منها بعد ما سمعت شيئا يكرهه.

صوت

علام هجرت و لم تهجري # و مثلك في الهجر لم يعذر

قطعت جبالك من شادن # أغنّ قطوف الخطا أحور[5]

الشعر لسديف مولى بني هاشم: و الغناء لأبي العبيس[6] بن حمدون.
خفيف ثقيل بالسبابة و الوسطى.

[1] ف، مب: أولو.

[2] جاءت هذه العبارة بصور مختلفة في الأصول، فرتبناها على هذه الصورة، لأنها أوضح.

[3] تلزك: تلتصق بك و تضايقك.

[4] ف، مب: يوما.

[5] ف، مب: أغر.

[6] كذا في «معجم الأدباء» لياقوت. و في ف: لأبي العباس. و في سائر النسخ: لأبي العنيس، و الصواب ما أثبتناه.

7- ذكر سديف و أخباره

[1]

اسمه و نسبه و ولاؤه لبني هاشم

هو سديف بن ميمون مولى خزاعة. و كان سبب ادعائه ولاء بني هاشم أنه تزوّج مولاه لآل أبي لهب، فادعى ولاءهم، و دخل في جملة مواليهم على الأيام. و قيل: بل أبوه هو كان المتزوّج مولاة اللهبين، فولدت منه سديفاً.

فلما يفع، و قال الشعر، و عرف بالبيان و حسن العارضة، ادّعى الولاء في موالي أبيه، فغلبوا عليه.

حجازي متعصب لبني هاشم

و سديف شاعر مقلّ، من شعراء الحجاز، و من مخضرمي الدولتين، و كان شديد التعصّب لبني هاشم، مظهرًا لذلك في أيام بني أمية. فكان يخرج إلى أحجار صفا في ظهر مكة، يقال لها صفيّ السّباب، و يخرج مولى لبني أمية معه يقال له سبّاب[2]، فيتسابان و يتشاثمان، و يذكران المثالب و المعايب. و يخرج معهما من سفهاء الفريقين من يتعصب لهذا و لهذا. فلا يبرحون حتى تكون بينهم الجراح و الشّجاج، و يخرج السلطان إليهم فيفرقهم، و يعاقب الجناة. فلم تزل تلك العصبية بمكة حتى شاعت في العامة و السّفلة. فكانوا صنفين، يقال[3] لهما السّديفية و السّبّابية، طول أيام بني أمية. ثم انقطع ذلك في أيام بني هاشم، و صارت العصبية بمكة في الحنّاطين و الحرّارين[4].

بينه و بين أبي جعفر المنصور و قد سمع قصيدة له

أخبرني عمر بن عبيد الله بن جميل[5] العتكي، و أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قالوا: حدّثنا عمر بن شبة قال: حدّثني فيلح بن إسماعيل قال:

/قال سديف قصيدة يذكر فيها أمر بني حسن بن حسن[6]، و أنشدّها المنصور بعد قتله لمحمد بن عبد الله بن حسن. فلما أتى على هذا البيت:

يا سوانا للقوم لا كّفّوا و لا # إذ حاربوا كانوا من الأحرار

فقال له المنصور: أ تحضهم[7] عليّ يا سديف؟ فقال: لا، و لكني أوّنبهم يا أمير المؤمنين.

[1] ف: أخبار سديف.

[2] ف، مب: سبب.

[3] ف، مب: السيلية.

[4] ف: الحرارين، صناع الحرير.

[5] ف: بن ممثل.

[6] زادت ف، مب هنا كلمة: و مخرجهم.

[7] ف، مب: أترضهم.

إنكار بعض بني عبد الدار انتسابه إلى قريش

و ذكر ابن المعتز أن العوفيَّ حدّثه عن أحمد بن إبراهيم الرياحيِّ قال: سلّم سديف بن ميمون يوما على رجل من بني عبد الدار. فقال له العبدريُّ: من أنت يا هذا؟ قال: أنا رجل من قومك، أنا سديف بن ميمون. فقال له: و الله ما في قومي سديف و لا ميمون. قال: صدقت، لا و الله ما كان قط فيهم ميمون و لا مبارك.

صوت

لعمرك إنني لأحب دارا # تكون بها سكينة و الرّباب

أحبهما و أبذل جُلّ مالي # و ليس لعاتب عندي عتاب

الشعر للحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السّلام. و الغناء لابن سريج: رمل بالبنصر. و فيه للهذلي ثقل أول بالسبابة، في مجرى الوسطى، عن إسحاق.

8- أخبار الحسين بن علي و نسبه

[1]

اسم الحسين و نسبه

الحسين بن عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب. و قد تكرر[2] هذا النسب في عدّة مواضع من هذا الكتاب. و اسم أبي طالب: عبد مناف، و اسم عبد المطلب: شيبه، و اسم هاشم: عمرو. و أم عليّ بن أبي طالب فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف. و كانت أول هاشمية تزوّجها هاشمي، و هي أم سائر ولد أبي طالب. و أم الحسين بن عليّ بن أبي طالب: فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم. و أمها خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزّي بن قصي. و كانت خديجة تكنى أم هند، و كانت فاطمة تكنى أم أبيها[3]، ذكر ذلك قعنب بن محرز، قال: حدّثنا أبو نعيم، عن حسين[4] بن زيد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه. و كان عليّ بن أبي طالب سمى الحسن حربا، فسماه رسول الله صلى الله عليه و سلم الحسن[5]. ثم ولد له الحسين فسماه حربا[5]، فسماه رسول الله صلى الله عليه و سلم الحسين.

/حدّثني بذلك أحمد بن الجعد، قال: حدّثنا عبد الرحمن بن صالح، قال: حدّثنا يحيى بن عيسى قال: حدّثنا الأعمش عن سالم بن أبي الجعد[6] قال: قال عليّ بن أبي طالب.

كنت رجلا أحب الحرب، فلما ولد الحسن هممت أن أسميه حربا، فسماه رسول الله صلى الله عليه و سلم الحسن، فلما[7] ولد الحسين هممت أن أسميه حربا، فسماه رسول الله صلى الله عليه و سلم الحسين[7]. ثم قال سميتهما باسمي ابني[8] هارون: شبر و شبير[8].

و أخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي قال: حدّثنا محمد[9] بن يحيى الأحول قال: حدّثنا خالد المقرئ قال: حدّثنا[9] قيس بن الربيع بن أبي حصين، عن يحيى بن وثّاب، عن ابن عمر، قال: كان على الحسن و الحسين تعويذتان حشوهما من زغب جناح جبريل عليه السّلام.

[1] كذا في مب. و في ف: أخبار الحسين بن عليّ عليهما السّلام. و في بقية الأصول: ذكر الحسين و نسبه.

[2] ف، مب: ذكرت.

[3] كذا وردت العبارة في مب. و في ف: و كانت خديجة تكنى أم هند، و كانت فاطمة أم أبيها. و في سائر الأصول: و كانت خديجة أم هند تكنى أم أبيها. و الصواب ما أثبتناه، لأن السيدة خديجة كان لها ابن اسمه هند، من زوجها أبي هالة، و كانت تكنى به.

[4] ف، مب: الحسن.

(5-5) العبارة عن ف وحدها.

[6] كذا في ف، مب «و خلاصة تهذيب الكمال» للخزرجي. و في سائر الأصول: أبي الحمد.

(7-7) كذا في ف، مب. و في سائر الأصول في موضعها: و كذلك الحسين.

(8-8) العبارة عن ف، مب. و الضبط كما في «اللسان» .

(9-9) العبارة عن ف، مب. و في مب أحمد بن يحيى الأحول.

شعر الحسين في امرأته الرباب

و هذا الشعر يقوله الحسين بن عليّ في امرأته الرباب بنت امرئ القيس بن عدّي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم بن كلب بن وبرة بن تغلب [1] [ابن حلوان] بن عمران بن إلحاف بن قضاة، و أمها هند بنت الربيع بن مسعود بن معاذ [2] بن حصين بن كعب بن عليم بن كلب؛ و في ابنته منها سكينه بنت الحسين. و اسم سكينه: أميمة، و قيل أمينة، و قيل آمنة، و سكينه لقب لقيت به.

/قال مصعب فيما أخبرني به الطّوسي عن زبير عنه: اسمها آمنة.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز و إسماعيل بن يونس، قال: حدّثنا عمر بن شبة قال: حدّثنا أبو نعيم، عن عمر بن ثابت، عن مالك بن أعين، قال: سمعت سكينه بنت الحسين تقول عاتب عمي الحسن أبي في أمي، فقال: لعمرك إنني لأحبّ دارا # تكون [3] بها سكينه و الرباب

أحبهما و أبدل جلّ مالي # و ليس لعاتب عندي عتاب

الخلافة في اسم سكينه

/حدّثنا محمد بن العباس اليزيدي [4] قال: حدّثنا الخليل بن أسد قال: حدّثنا العمريّ عن ابن الكلبيّ عن أبيه، قال: قال لي عبد الله بن الحسن بن الحسن: ما اسم سكينه بنت الحسين؟ فقلت: سكينه. فقال: لا. اسمها آمنة [5].

و روي أن رجلا سأل عبد الله بن الحسن عن اسم سكينه. فقال: أمينة [6]، فقال له: إن ابن الكلبي يقول أميمة. فقال: سل ابن الكلبي عن أمه؟ و سلني عن أمي. و قال المدائني: حدّثني أبو إسحاق المالكي قال: سكينه لقب، و اسمها آمنة. و هذا هو الصحيح.

أسلم أبو الرباب على يد عمر

حدّثني أحمد بن محمد بن سعيد [7]، قال: حدّثنا يحيى بن الحسن العلوي قال: حدّثنا شيخ من قريش، قال: حدّثنا أبو حذافة [8] أو غيره، قال: [1] كذا في الأصول و كتب «الأنساب». و في مب: ثعلبة.

[2] كذا في ف، مب. و في سائر الأصول: مروان.

[3] ف: تحل. هنا و فيما تقدم.

[4] ف: النهدي.

[5] ف، مب: لا، أميمة.

[6] ف: آمنة.

[7] ف، مب: سعد.

[8] ف: ابن حذافة.

أسلم امرؤ القيس بن عديّ على يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه،
فما صلى لله صلاة [1] حتى ولاه عمر، و ما أمسى حتى خطب إليه عليّ عليه
السّلام ابنته الرباب/على ابنه الحسين، فزوّجه إياها. فولدت [2] له عبد الله و
سكينة ولدي الحسين عليهما السّلام. و في سكينة و أمها يقول:

لعمرك إنني لأحب دارا # تحل بها سكينة و الرّباب

و ذكر البيت الآخر، و زاد على البيتين [3]:

فلمست لهم و إن غابوا مضيعة [4] # حياتي أو يعينني التراب

و نسخت هذا الخبر من كتاب أبي [5] عبد الرّحمن الغلابيّ، و هو أتم.
قال:

حدّثنا عليّ بن صالح، عن عليّ بن مجاهد، عن أبي المثنى محمد بن
السائب الكلبيّ، قال: أخبرنا عبد الله بن حسن بن حسن قال: حدّثني خالي
عبد الجبار بن منظور بن زبّان بن سيّار الفزاريّ؛ قال حدّثني عوف بن
خارجة المريّ، قال:

و الله إنني لعند عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته، إذ أقبل
رجل أفحج أجلى أمعر [6]، يتخطى رقاب الناس، حتى قام بين يدي عمر،
فحياة بتحية الخلافة، فقال له عمر: فمن أنت؟ قال: أنا امرؤ نصراني، أنا
امرؤ القيس بن عديّ الكلبيّ. قال: فلم يعرفه عمر [7]. فقال له رجل من
القوم: هذا صاحب بكر بن وائل، الذي أغار عليهم في الجاهلية يوم فلج.
قال: فما تريد؟ قال: أريد الإسلام. فعرضه عليه/عمر رضي الله عنه، فقبله.
ثم دعا له برمّج، فعقد له على من أسلم بالشام من قضاة. فأدبر الشيخ و
اللواء يهتز على رأسه. قال عوف: فو الله ما رأيت رجلا لم يصلّ لله ركعة
قط أمّر على جماعة من المسلمين قبله.

و نهض عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه من المجلس، و معه ابناه
الحسن و الحسين عليهم السّلام حتى أدركه، فأخذ بثيابه. فقال له: يا عم، أنا
عليّ بن أبي طالب ابن عم رسول الله صلى الله عليه و سلم و صهره، و
هذان ابناي الحسن و الحسين من ابنته، و قد رغبتنا في صهرك فأنكحنا.
فقال: قد أنكحتك يا عليّ المحياة بنت امرئ القيس، و أنكحتك يا حسن
سلمى بنت امرئ القيس، و أنكحتك يا حسين الرّباب بنت امرئ القيس.

و قال هشام بن الكلبي: كانت الرّباب من خيار النساء و أفضلهن. فخطبت بعد قتل الحسين عليه السّلام، فقالت: ما كنت لأتخذ حما بعد رسول الله صلّى الله عليه و سلّم.

قال المدائني: حدّثني أبو إسحاق المالكي، قال:

[1]ف: ركعة.

[2]ف، مب: فأولدها.

[3]في الأصول: و ذكر البيتين و زاد فيهما.

[4]ف، مب: و لست لهم و إن عابوا مطيعا.

[5]ف، مب: ابن.

[6]الأفحج: الذي تتدانى صدور قدميه و يتباعد عقباه إذا مشى. و الأجلى: الذي انحسر مقدم شعره. و في ف، مب: أجلح، و هو بمعناه. و الأمعر: الذي سقط شعره.

[7]كذا في ف، مب. و في سائر الأصول: فعرفه عمر.

اسمها شعار لها

قيل لسكينة و اسمها آمنة، و سكينة لقب: أختك فاطمة ناسكة[1] و أنت تمزحين كثيرا؟ فقالت: لأنكم سميتموها باسم جدتها المؤمنة-تعني فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم- و سميتموني باسم جدي التي لم تدرك الإسلام.

/تعني آمنة بنت وهب، أم رسول الله صلى الله عليه و سلم.

قول الرباب ترثي زوجها الحسين

أخبرني عمي قال: حدثنا الكناني[2]، عن قعنب بن المحرز الباهلي، عن محمد بن الحكم، عن عوانة، قال: رثت الرباب بنت امرئ القيس أم سكينة بنت الحسين، زوجها الحسين عليه السلام حين قتل، فقالت: إن الذي كان نورا يستضاء به # بكر بلاء قتيل غير مدفون

سبط النبي جزاك الله سالحة # عنا، و جئت خسران الموازين

قد كنت لي جبلا صعبا ألود به # و كنت تصحبنا بالرحم و الدين

من الليتامى و من للسائلين و من # يغني و يأوي إليه كل مسكين

و الله لا أتبغي صهرا بصهركم # حتى أعيب بين الرمل و الطين

أخبرني الطوسي قال: حدثني الزبير عن عمه قال: أخبرني إسماعيل بن بكار قال: حدثني أحمد بن سعيد، عن يحيى بن الحسين العلوي[3]، عن الزبير عن عمه، قال: و أخبرني إسماعيل بن يعقوب عن عبد الله بن موسى، قال: كان الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب خطب إلى عمه الحسين، فقال له الحسين عليهم السلام: يا ابن أخي، قد كنت أنتظر هذا منك، انطلق معي، فخرج به حتى أدخله منزله، فخيره في ابنته فاطمة و سكينة. فاختار فاطمة، فزوجه إياها. و كان يقال: إن امرأة تختار[4] على سكينة لمنقطة القرين في الحسن. و قال عبد الله بن موسى في خبره: إن الحسين خيره، فاستحيا، فقال له: قد اخترت لك فاطمة، فهي أكثرهما شبا بأمي فاطمة بنت رسول الله، صلى الله عليه و سلم.

بين سكينة و بنت لعثمان

حدثني أحمد بن محمد بن سعيد قال: حدثني يحيى بن الحسن العلوي قال: كتب إليّ عبّاد بن يعقوب يخبرني عن جدّي يحيى بن سليمان بن الحسين العلوي قال: كانت سكينة في ماتم فيه بنت لعثمان، فقالت بنت عثمان: أنا بنت الشهيد. فسكتت سكينة: فلما قال المؤذن. أشهد أن محمدا

رسول الله، قالت سكينه: هذا أبي أو أبوك؟ فقالت العثمانية: لا جرم لا أفر
عليكم أبدا.

[1] أختك فاطمة ناسكة: كذا في مب. و في ف: باسلة. و هي العابسة،
و في سائر الأصول: أمك فاطمة يا سكينه. تحريف.

[2] ف، مب: الكراني.

[3] كذا في ف، مب. و في بقية الأصول: الحسن الغنوي.

[4] ف، مب: مردولها سكينه. -

أخبرني أحمد بن محمد قال: حدّثنا يحيى قال: حدّثنا مروان بن موسى القروي قال: حدّثنا بعض أصحابنا قال:

سكينة تشتم من يشتم عليا

كانت سكينة تجيء في ستارة يوم الجمعة، فتقوم بإزاء ابن مطيرة، و هو خالد بن عبد الملك بن الجارث بن الحكم، إذا صعد المنبر، فإذا شتم عليا، شتمته هي و جواربها، فكان يأمر الحرس فيضربون جواربها.

كانت سكينة عفيفة برزة

أخبرني الطوسي عن الزبير عن عمه مصعب، قال:

كانت سكينة عفيفة سلمة [1] برزة من النساء، تجالس الأجلة [2] من قريش، و تجتمع إليها الشعراء، و كانت ظريفة مزاحة.

سكينة تصف نفسها

أخبرني الطوسي قال: حدّثنا الزبير عن عمه قال: حدّثني معاوية بن بكر، قال: قالت سكينة: أدخلت على مصعب و أنا أحسن من النار الموقدة.

كانت سكينة تحسن تصفيف شعرها

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثني محمد بن موسى، عن أبي أبو المديني، عن مصعب، قال: كانت سكينة أحسن الناس شعرا؛ فكانت تصفّ جمّتها تصفيفا لم ير أحسن منه، حتى عرف ذلك. فكانت تلك الجمّة تسمى السكينية. و كان عمر بن عبد العزيز إذا وجد رجلا قد صفّ جمته السكينية جلده و حلّقه.

أهدت إلى بعض أخوالها غالية

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار عن أحمد بن سليمان بن أبي/شيخ عن أبيه عن أبي سفيان الحميري، قال: بعثت سكينة بنت الحسين عليهما السلام إلى حبيش بن دلجة بغالية، لأنه كان من أخوالها. فلما وصلت إليه قال: فأين كانت-حبيش بن دلجة-عن الصّياح [3]؟ يقدر أن الصّياح أرفع من الغالية.

مثال من مزاح سكينة

قال محمد بن سلام.

كانت سكينة مزّاحة، فلسعتها دبيرة فولولت. فقالت لها أمها: مالك يا سيدتي و جزعت؟ فقالت [4]: لسعتني دبيرة، مثل الأبيرة، فأوجعتني

- قطيرة[5] [1] سلمة: مسالمة. و في ف، م: مب: مسلمة.
- [2] الشيوخ المسنين. و في ف، م: المب: الأجلاء.
- [3] الصباح ككتان: عطر أو غسل من الخلق و نحوه.
- [4] كذا في ف، م: مب. و في بقية الأصول: فضحكت و قالت.
- [5] قطيرة: أي إيجاعا يسيرا لا شديدا. و في «اللسان» و «التاج» :
(دبر) : و في حديث سكينه بنت الحسين: «جاءت إلى أمها و هي صغيرة

و قال هارون بن أبي عبيد الله، حدّثني ضمرة بن ضمرة، قال:
أجلست سكيّنة شيخا فارسيا على سلّة بيض، و بعثت إلى سليمان بن
يسار، كأنها تريد أن تسأله عن شيء.

فجاءها إكراما لها، فأمرت من أخرج إليه ذلك الشيخ جالسا على السلّة
فيها البيض. فولى يسبح.

/قال: و بعثت سكيّنة إلى صاحب الشرطة بالمدينة: أنه دخل علينا
شاميّ، فابعث إلينا بالشرط. فركب و معه [9]الشرط. فلما أتى إلى الباب،
أمرت ففتح له، و أمرت جارية من جواربها فأخرجت إليه برغوثا. فقال: ما
هذا؟ قالت: هذا الشاميّ الذي شكواناه. فانصرفوا يضحكون.

مثال من طمع ابن أشعب

أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال: حدّثنا أحمد بن القاسم قال: حدّثنا
أبو هفّان قال: حدّثنا سيف [2] بن إبراهيم صاحب بن المهدي قال: حدّثني
إبراهيم بن المهدي:

أن الرشيد لما ولاه دمشق استوهبه صحبة دبية و الغاضريّ و عبدة
بن [3] [...] و حكم و الوادي. فوهبهم له، فأشخصهم معه.

قال: فكان فيما حدّثني به عبدة قال: قال إبراهيم:

ركبت حمارة و هو عديلي، و نمت على ظهرها. فلما بلغنا ثنية العقاب،
اشتد عليّ البرد، فاحتجت إلى الزيادة من الدّثار. فدعوت بدوّاج سمّور،
فألقيته على ظهري، و دعوت بمن كان معي في سمري في تلك الليلة، و
كانوا حولي. فقلت لابن أشعب: حدّثني بأعجب ما تعلم من طمع أبيك.
فقال: أعجب من طمع أبي طمع ابنه. فقلت:

و ما بلغ من طمعك؟ فقال: دعوت أنفا لما اشتد عليك البرد بدوّاج
سمّور، لتستدفيّ به، فلم أشكّ أنك دعوت به لتجعله عليّ. فغلبنني الضحك،
و خلعت عليه الدّواج. ثم قلت له: ما أحسب لك قرابة بالمدينة. فقال: اللهم
غفرا، لي بالمدينة قرابات و أي قرابات. قلت: أ يكونون عشرة؟ قال: و ما
عشرة؟ قلت: فعشرين؟ قال: اللهم غفرا، لا تذكر العشرات و لا المئتين، /و
تجاوز ذكر الألوف إلى ما هو أكثر منها. قلت: ويحك! ليس بينك و بين أشعب
أحد، فكيف يكون هذا؟ فقال:

إن زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان تزوّج سكينه بنت الحسين. فخف
أبي على قلبها، فأحسنت إليه، و كانت عطاياها خلاف عطايا مولاه. فمال
إليها بكليته.

قال: و حج سليمان بن عبد الملك و هو خليفة، فاستأذن زيد بن عمرو
سكينه، و أعلمها أنها أول سنة حج فيها الخليفة، و أنه لا يمكنه التخلف عن
الحج معه. و كانت لزيد ضيعة يقال له العرج، و كان له فيها جوار. فأعلمته
أنها لا تآذن له إلا أن يخرج أشعب معه، فيكون عينا لها عليه، و مانعا له من
العدول إلى العرج، و من اتخاذ جارية لنفسه في بدأته و رجعتة. ففنع بذلك،
و أخرج أشعب معه. و كان له فرس كثير الأوصاح، حسن المنظر، يصونه
عن تبكي، فقالت لها: مالك؟ فقالت: مرت بي ديرة، فليسعتني بأبيرة. و هي
تصغير الدبرة: النحلة. و لم يذكرها الفقرة الثالثة:

«فأوجعتني قطيرة». و في «التاج»: القطرة بالضم: الشيء التافه
اليسير الخسيس. تقول: أعطني منه قطرة و قطيرة. و الأخيرة: تصغير
قطرة.

[1] كذا في مب. و في سائر الأصول: فركب معه.

[2] كذا في ف، مب. و في سائر الأصول: يوسف.

[3] غير واضح في الأصل.

الركوب إلا في مسأيرة خليفة أو أمير أو يوم زينة؛ و له سرج يصونه، لا يركب به غير ذلك الفرس. و كان معه طيب لا يتطيّب به إلا في مثل ذلك اليوم الذي يركب فيه؛ و حلة موشية يصونها عن اللبس إلا في يوم يريد التجمّل/فيه بها.

فحج مع سليمان، و كانت له عنده حوائج كثير، فقضاها و وصله، و أجزل صلته. و انصرف سليمان من حجّه، و لم يسلك طريق المدينة. و انصرف بن عثمان يريد المدينة، فنزل على ماء لبني عامر بن صعصعة. و دعا أشعب، فأحضره و صرّ صرّة فيها أربعمئة دينار، و أعلمه أنه ليس بينه و بين العرج إلا أميال؛ و أنه إن أذن له في المسير إليها، و المبيت بها عند جواربه، غلس إليه، فوافى وقت ارتحال الناس، و وهب له أربعمئة الدينار. فقبل يده و رجله، و أذن له في السير إلى حيث أحب، و حلف له أنه يحلف لسكينة بالأيمان المحرّجة، أنه ما سار إلى العرج، و لا اتخذ جارية منذ فارق سكينة إلى أن رجع إليها. فدفع إليه مولاه الدنانير و مضى.

/قال أبو إسحاق: قال ابن أشعب: حدّثني أبي أنه لا يتوهم أن مولاه سار نصف ميل حتى رأى في الماء الذي كان عليه رجل زيد جاريتين عليهما قربتان. فألقتا القربتين، و ألقتا ثيابهما عنهما، و رمتا بأنفسهما في الغدير، و عامتا فيه، و رأى من مجرّدهما ما أعجبه و استحسّنه. فسألتهما عند خروجهما من الماء عن نسبهما. فأعلمتا أنهما من إماء نسوة خلوف، لبني عامر بن صعصعة، هن بالقرب من ذلك الغدير. فسألتهما: هل سبيل إلى موليائهما، لمحادثة شيخ حسن الخلق، طيب العشرة، كثير النوادر؟ فقالتا: و أتى لهن بمن هذه صفته؟ فقال لهما: أنا ذاك. فقالتا:

انطلق معنا. فوثب إلى فرس زيد، فأسرجه بسرجه الذي كان يسرجه به و يركبه، و دعا بحلته التي كان يرضن بها فلبسها، و أحضر السّفط الذي كان فيه طيبه، فتطيّب منه، و ركب الفرس، و مضى معهما حتى وافى الحيّ، فأقام في محادثة أهله إلى قرب وقت صلاة العصر. فأقبل في ذلك الوقت رجال الحيّ، و قد انصرفوا غانمين من غزاتهم، و أقبلت تمر به الرّعلة بعد الرّعلة، فيقفون به فيقولون: ممن الرجل؟ فينتسب في نسب زيد، فيقول كل من اجتاز به:

ما نرى به بأسا. و ينصرفون عنه. إلى قرب غروب الشمس، فأقبل شيخ فان على حجر هرمة هزيل، ففعل مثل ما كان يفعل من اجتاز، فسأله

مثلما يسألون عنه، فأخبره بمثل ما كان يخبر من تقدمه، فقال مثل قولهم.
قال ابن أشعب: قال أبي: ثم رأيت الشيخ قد وقف بعد قوله، فأوجست
منه خيفة، لأنني رأيت أنه قد جعل يده اليسرى تحت حاجبيه، فرفعهما، ثم
استدار ليري وجهي. فركبت الفرس، فما استويت عليه حتى سمعته يقول:

أقسم بالله ما هذا قرشي، و ما هذا إلا وجه عبد. فركضت و ركض
خلفي، فرأى حجره/مقصرة[1]. فلما يئس من اللحاق بي، انتزع سهما
فرماني به، فوقع في مؤخرة السرج، فكسرهما. و دخلتني من صوته
روعة[2]أحدثت لها في الحلة. و وافيت رحل مولاي، فغسلت الحلة و
نشرتها، فلم تجف ليلا. و غلس مولاي من العرج، فوافاني في وقت الرحيل،
فرأى الحلة منشورة، و مؤخرة السرج مكسورة، و الفرس قد أضر بها
الركض، و سقط الطيب مكسور الختم[3]. فسألني عن السبب، فصدقته.
فقال لي: ويحك! ما كفاك ما صنعت بي حتى انتسبت في نسبي،
فجعلتني[4]عند أشرف قومي من العرب جمّاشا[4]، و سكت عني، فلم
يقل لي: أحسنت و لا أسأت حتى وافينا [1]كذا في ف، مب. و في الأصول:
فركضت فرسي و هو يقول: من أنت؟ و اتبعني.

[2]كذا في ف، مب. و في الأصول: و دخلتني روعة من ضربته أحدثت
لها.

[3]كذا في ف. و في الأصول: مفضوض الخاتم. و في مب: مكسورا
مفضوض الخاتم.

(4-4) العبارة عن ف، مب. و الجمّاش: الذي يغازل النساء و يلاعبهن.

المدينة، فلما وافاها سألتها سكيئة عن خبره. فقال لها: يا بنت رسول الله، و ما سؤالك إياي و لم يزل ثقتك [1] معي، و هو أمين عليّ، فسليه عن خبري يصدقك عنه. فسألتنني، فأخبرتها/أنني لم أنكر عليه شيئاً، و لم أمكنه من ابتياع جارية، و لم أطلق له الاجتياز بالعرج. فاستحلفتني على ذلك، فلما حلفت لها بالأيمان المحرجة فيها طلاق أمك، وثب فوقف بين يديها، و قال: أي ابنة عم، و يا بنت رسول الله، كذبتك و الله العليج، و لقد [2] أخذ مني أربعمئة دينار، على أن أذن لي في المصير إلى العرج [2]؛ فأقمت بها يوماً و ليلة، و غسلت بها عدّة من جواربيّ، و ها أنا ذا تائب إلى الله مما كان مني، و قد جعلت توبتي هبتهن لك، و تقدّمت في حملهنّ إليك، و هن موافيات المدينة في عشية اليوم، فبيعهن أو عتقهن إليك الأمر فيه، و أنت أعلم بما ترين في العبد السوء. فأمرتنني/بإحضار أربعمئة دينار، فأحضرتها. فأمرت بابتياع خشب بثلاثمئة دينار، و أمرت بنشره، و ليس عندي و لا عند أحد من أهل المدينة علم بما تريده فيه. ثم أمرت بأن يتخذ بيت كبير، و جعلت النفقة عليه في أجرة النجارين من المائة الدينار الباقية.

ثم أمرت بابتياع بيض و تبن و سرجين بما بقي من المائة الدينار بعد أجرة النجارين. ثم أدخلتنني البيت، و فيه البيض و التبن و السرجين، و حلفت بحق جدّها ألا أخرج من ذلك البيت حتى أحضن ذلك البيض كله إنني أن يفقس، ففعلت ذلك، و لم أزل أحضنه حتى فقس كله. فخرج منه الألوف من الفراريج، و ربيت في دار سكيئة، فكانت تنسبهنّ إليّ، و تقول: بنات أشعب.

قال أبو إسحاق. قال لي: و بقي ذلك النسل في أيدي الناس إلى الآن، فكلهم إخواني و أهلي. قال: فضحكت و الله حتى غلبت، و أمرت له بعشرة آلاف درهم، فحملت بحضرتي إليه.

الخلاف في أزواج سكيئة

أخبرني الطوسي [3] و الحرميّ قالا: حدّثنا الزبير بن بكار قال: حدّثني عمي مصعب قال: تزوّجت سكيئة بنت الحسين عليه السّلام عدّة أزواج، أوّلهم عبد الله بن الحسن بن عليّ، و هو ابن عمها و أبو عذرتها، و مصعب بن الزبير، و عبد الله بن عثمان الحزامي، و زيد بن عمرو بن عثمان، و الأصبع بن عبد العزيز بن مروان، و لم يدخل بها، و إبراهيم بن عبد الرّحمن بن عوف، و لم يدخل بها.

قال مصعب و يحيى بن الحسن العلوي: إن عبد الله بن حسن زوجها كان يكنى أبا جعفر، و أمه بنت السليل بن عبد الله البجلي، أخي جرير بن عبد الله، قال: /ثم خلفه عليها مصعب بن الزبير، زوجته إياها أخوها علي بن الحسين، و مهرها مصعب ألف ألف درهم.

قال مصعب: و حدثني مصعب بن عثمان: أن علي بن الحسين أخاها حملها إليه، فأعطاه أربعين ألف دينار.

قال مصعب: و حدثني معاوية بن بكر الباهلي قال: قالت سكينه:

دخلت على مصعب و أنا أحسن من النار الموقدة في الليلة القرة.

قال: فولدت من مصعب بنتا، فقال لها: سميها زهراء[4]. قالت: بل أسميها باسم إحدى أمهاتي و سميتها [1]ف: عينك.

(2-2) عن ف، م.ب.

[3]كذا في ف. و في الأصول: أخبرني الفارسي.

[4]كذا في ف. و في الأصول: ربربا. و في كتاب «المردفات من

قريش» للمدائني (ص 64) : زبراء.

الرباب[1]. فلما قتل مصعب ولى أخوه عروة تركته، فزوَّجها يعني الرباب بنت مصعب ابنه عثمان بن عروة، فماتت و هي صغيرة، فورثها عثمان بن عروة عشرة آلاف دينار.

قال الزبير: فحدَّثني محمد بن سلام عن شعيب بن صخر[2]، عن أمه سعدة[3] بنت عبد الله بن سالم، قالت: لقيت سكينه بين مكة و منى، فقالت: قفي لي يا ابنة عبد الله، فوقفت. فكشفت عن بنتها من مصعب، فإذا هي قد أثقلتها بالحلي و اللؤلؤ، فقالت: ما ألبستها إياه إلا لتفضحه.

قال الزبير: و حدَّثني عمي عن الماجشون[4]، قال:

اختصام سكينه و عائشة بنت طلحة إلى عمر بن أبي ربيعة

قالت سكينه لعائشة بنت طلحة: أنا أجمل منك. و قالت عائشة: /بل أنا. فاخصمنا إلى عمر بن أبي ربيعة، فقال لأقضين بينكما؛ أما أنت يا سكينه فأملح منها، و أما أنت يا عائشة فأجمل منها. فقالت سكينه: قضيت لي و الله. و كانت سكينه تسمي عائشة ذات الأذنين، و كانت عظيمة الأذنين.

خطب عبد الملك سكينه فلم ترض أمها

أخبرني الحسن بن علي قال: حدَّثني أحمد بن زهير[5] قال: حدَّثنا المدائني، قال: خطب سكينه بنت الحسين عليه السلام عبد الملك بن مروان. فقالت أمها: لا و الله لا يتزوَّجها أبدا و قد قتل ابن أخي[6]، تعني مصعبا.

و أما محمد بن سلام الجمحيّ فإنه ذكر فيما أخبرني به أبو الحسن الأسدي عن الرياشي عنه: أنّ أبا عذرتها هو عندي عبد الله بن الحسن بن عليّ. ثم خلف عليها العثماني، ثم مصعب بن الزبير، ثم الأصبع بن عبد العزيز بن مروان. فقال فيه بعض المدنيين[7]: نكحت سكينه بالحساب ثلاثة # فإذا دخلت بها فأنت الرابع

قال: و كان يتولى مصر، فكتبت إليه: إن أرض مصر و خمة. فبنى لها مدينة تسمى مدينة الأصبع. و بلغ عبد الملك تزوّجه إياها، فنفس بها عليه. فكتب إليه. اختر مصر أو سكينه: فبعث إليها بطلاقها و لم يدخل بها، و منَّعها بعشرين ألف دينار. و مروا بها في طريقها على منزل، فقالت: ما اسم هذا المنزل؟ قالوا: جوف الحمار. قالت: ما كنت لأدخل جوف الحمار أبدا.

/و ذكر محمد بن سلام في هذا الخبر الذي رواه الرياشي عن شعيب بن صخر أن الحزامي عبد الله بن عثمان [1] كذا في الأصول. و في كتاب «المردفات» (ص 65) خديجة أو فاطمة.

[2] كذا في ف. و في الأصول: سعد بن صخر.

[3] كذا في ف. و في الأصول: سيده.

[4] كذا في مب. و في بقية الأصول: ابن الماجشون.

[5] كذا في ف. و في الأصول: الحارث.

[6] مب: ابن أختي.

[7] كذا في ف؛ مب. و في الأصول: المبغضين. و القائل هو أيمن بن خريم («المردفات» ص 66) .

خلف الأصعب عليها، و ولدت منه بنتا. و ذكر عن أمه سعدة بنت عبد الله أن سكينه أرتها بنتها من الحزامي، و قد أثقلتها باللؤلؤ، و هي في قبّة، فقالت: و الله ما ألبستها إياه إلا لتفضحه. تريد أنها تفضح الحلي بحسنها، لأنها أحسن منه.

أخبرني ابن أبي الأزهر قال: حدّثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن الهيثم بن عدي، عن صالح بن حسان و غيره:

أن سكينه كانت عند عمرو بن حكيم بن حزام، ثم تزوّجها بعده زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان، ثم تزوّجها مصعب بن الزبير. فلما قتل مصعب، خطبها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، فبعثت إليه: أبلغ من حمقك أن تبعث إلى سكينه بنت الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم تخطفها؟ فأمسك عن ذلك.

بنانة تحب أن ترى جلية في بيت مولاتها سكينه

قال: ثم تنفّست يوما بنانة جارية سكينه و تنهدت، حتى كادت أضلاعها تتحطم. فقالت لها سكينه: مالك ويلك! قالت: أحب أن أرى في الدار جلية. تعني العرس. فدعت مولى لها تثق به، فقالت له: اذهب إلى إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، فقل له: إن الذي كنا ندفعك عنه قد بدا لنا فيه؛ أنت من أخوال رسول الله صلى الله عليه و سلم، فأحضر بيتك. قال: فجمع عدّة من بني زهرة، و أفناء قريش من بني جمح و غيرهم، نحو من سبعين رجلا أو ثمانين. ثم أرسل إلى علي بن الحسين، و الحسن بن الحسن، و غيرهم من بني هاشم. فلما أتاهم الخبر اجتمعوا، و قالوا: هذه السفينة تريد أن تتزوّج إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف. /فتنادى بنو هاشم و اجتمعوا، و قالوا: لا يخرج أحد منك إلا و معه عصا. فجاءوا و ما بقي إلا الكلام. فقال: اضربوا بالعصي. فاضطربوا هم و بنو زهرة، حتى تشاجّوا، فشجّ بينهم يومئذ أكثر من مائة إنسان. ثم قالت/بنو هاشم: أين هذه؟ قالوا: في هذا البيت. فدخلوا إليها، فقالوا: أبلغ هذا من صنعك؟ ثم جاءوا بكساء طاروقي [1]، فبسطوه ثم حملوها، و أخذوا بجوانبه-أو قال:

بزواياه الأربع-فالتفتت إلى بنانة فقالت: يا بنانة، أ رأيت في الدار جلية؟ قالت: إي و الله إلا أنها شديدة.

و قال هارون بن الزيات: أخبرني أبو حذيفة عن مصعب، قال:

كان أول أزواج سكينه عبد الله بن الحسن بن عليّ، قتل عنها و لم تلد له. و خلف عليها مصعب، فولدت له جارية [2]. ثم خلف عليها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام، فنشزت عليه، فطلقها. ثم خلف عليها الأصبع بن عبد العزيز فأصدقها صداقا كثيرا. فقال الشاعر:

نكحت سكينه بالحساب ثلاثة # فإذا دخلت بها فأنت الرابع

إن البقيع إذا تتابع زرعه # خاب البقيع و خاب فيه الزارع

و بلغ ذلك عبد الملك بن مروان فغضب، و قال: أما تزوّجنا أحسابنا حتى تزوّجنا أموالنا! فطلقها. فطلقها فخلف عليها العثماني، و شرطت عليه ألا يطلقها [3]، و لا يمنعها شيئا تريده، و أن يقيمها حيث خلّتها أم منظور، و لا يخالفها في [1] طاروقي: كذا في جميع الأصول، و لم نعثر على شرحه في «المعاجم» اللغوية.

[2] ف، مب: كان أول أزواج سكينه عبد الله بن الحسن بن علي، و خلف عليها مصعب بن الزبير، قتل عنها و لم تلد له.

[3] ف: مب: ألا يغيرها، أي يجعلها تغار، باتخاذ الإمام و نحو ذلك.

أمر تريده. فكانت تقول له: يا ابن عثمان اخرج بنا إلى مكة. فإذا خرج بها فسارت يوما أو يومين، /قالت: ارجع بنا إلى المدينة. فإذا رجع يومه ذلك، قالت: اخرج بنا إلى مكة. فقال له سليمان بن عبد الملك: أعلم أنك قد شرطت لها شروطا لم تف بها، فطلقها. فطلقها. فخلف عليها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، فكره ذلك أهلها، وخصموه إلى هشام بن إسماعيل. فبعث إليها يخيرها. فجاء إبراهيم بن عبد الرحمن من حيث تسمع كلامه، فقال لها: جعلت فداءك، قد خيرتك فاختريني. فقالت[1]: قلت ما ذا بأبي، تهزأ به. فعرف ذلك[1]، فانصرف.

و خيروها، فقالت: لا أريده.

قال: و ماتت فصلى عليها شبية بن نصاح[2].

و أما ابن الكلبي فذكر فيما أخبرنا به الجوهري، عن عمر بن شبة، عن عبد الله بن محمد بن حكيم، عنه: أن أول أزواجها الأصغ، و مات و لم يرها، ثم زيد بن عمرو العثماني، قال: و ولدت له ابنة عثمان الذي يقال له قرين، ثم الحزامي، ثم خلف عليها مصعب، فولدت له جارية، ثم خلف عليها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف و لم يدخل بها.

قال عمر بن شبة: و حدثني محمد بن يحيى قال:

تزوج مصعب سكيئة و هو يومئذ بالبصرة، عامل لأخيه عبد الله بن الزبير، و كان بين مصعب و بين أخيه رسول يقال له أبو السلاس، و هو الذي جاء بنعيه، فقال ابن قيس فيه: قد أتانا بما كرهنا أبو السلاس # س كانت بنفسه الأوجاع

/و في هذا الشعر غناء قد ذكر في موضعه. و هذا غلط من محمد بن يحيى، ليست قصة أبي السلاس مع مصعب، و إنما هي مع ابن جعفر.

قال محمد بن يحيى: و لما تزوج مصعب سكيئة على ألف ألف، كتب عبد الله بن همام على يد أبي السلاس إلى عبد الله بن الزبير: أبلغ أمير المؤمنين رسالة # من ناصح لك لا يريد خداعا

بضع الفتاة بألف ألف كامل # و تبيت سادات الجنود جياعا

لو لأبي حفص أقول مقالتي # و أثبت ما أبشركم لارتاعا

قال: و كان ابن الزبير قد أوصاه ألا يعطيه أحد كتابا إلا جاء به، فلما أتاه بهذا الكتاب قال: /صدق و الله، لو يقول هذه المقالة لأبي حفص لارتاع من تزويج امرأة علي ألف ألف درهم. ثم قال: إن مصعبا لما وليته البصرة أغمد سيفه، وسل أيره، و عزله عن البصرة، و أمره أن يجيء على ذات الجيش، و قال: إنني لأرجو أن يخسف الله بك فيها. فبلغ عبد الملك بن مروان قول عبد الله في مصعب، فقال: لكن عبد الله و الله أغمد سيفه و أيره و خيره.

(1-1) العبارة عن ف، مب و كتاب («المفردات» ص 66) .

[2] كذا في ف، مب. و في الأصول: النطاح. و هو شيبه بن نصاح مولى أم سلمة، المدني القاضي القارئ. توفي سنة ثلاثين و مائة.
(عن «خلاصة الخزرجي») .

مغاضبة زيد عمرو العثماني لسكينة

قال ابن زيد أخبرني محمد بن يحيى عن ابن شهاب الزهري قال: ذكر أن زيد بن عمرو بن عثمان العثماني خرج إلي مال له مغاضبا لسكينة، و عمر بن عبد العزيز يومئذ و الي المدينة، فأقام سبعة أشهر، فاستعدته سكينة على زيد، و ذكرت غيبته مع ولأئده سبعة أشهر، و أنها شرطت عليه أنه إن مس امرأة، أو حال بينها و بين شيء من ماله، أو منعها مخرجا تريده، فهي خلية [1]، فبعث إليه عمر فأحضره، و أمر ابن حزم أن ينظر بينهما.

/قال: حدّثني أبو بكر بن عبد الله، قال: بعثني عمر، و بعث معي محمد بن معقل بن يسار الأشجعي، إلى ابن حزم، و قال: اشهدا قضاءه، فدخلنا عليه و عنده زيد جالس، و فاطمة امرأة ابن حزم في الحجة [2] جالسة، و جاءت سكينة، فقال ابن حزم: أدخلوها وحدها. فقالت: و الله لا أدخل إلا و معي ولأئدي، فأدخلن معها، فلما دخلت قالت: يا جارية اثني لي هذه الوسادة. ففعلت، و جلست عليها، و لصق زيد بالسرير، حتى كان يدخل في جوفه خوفا منها. فقال لها ابن حزم: يا ابنة الحسين، إن الله عز و جل يحب القصد في كل شيء، فقالت له: و ما أنكرت مني، إني و إياك و الله كالذي يرى الشعرة في عين صاحبه، و لا يرى الخشبة في عينه. فقال لها: أما و الله لو كنت رجلا لسطوت بك. فقالت له: يا ابن فرتنى أ لا تزال لتوعدني؟ و شتمته و شتمها. فلما بلغا ذلك قال ابن أبي الجهم العدوي: ما بهذا أمرنا، فأمض الحكم و لا تشاتم. فقالت لمولاة لها: من هذا؟ قالت: أبو بكر بن عبد الله بن أبي الجهم. فقالت: لا أراك [3] هاهنا و أنا أشتم بحضرتك. ثم هتفت برجال قريش، و حضت ابن أبي الجهم، و قالت: أما و الله لو كان أصحاب الحرّة أحياء لقتلوا هذا العبد اليهودي عند شتمه إياي، أي عدوّ الله، تيشتمني و أبوك الخارج مع يهود صباية بدينهم لما أخرجهم رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى أريحاء، يا ابن فرتنى. قال: و شتمها و شتمته.

قال: ثم أحضرنا زيدا، فكلّمها و خضع لها، فقالت: ما أعرفني بك يا زيد، و الله لا تراني أبدا، أتراك تمكث مع جواريك سبعة أشهر لا تقربهن؟ أملاً عينك/الآن مني، فإنك لا تراني [4] بعد الليلة أبدا، و جعلت تردد هذا القول و مثله، فكلما تكلمت ترفث [5] لابن حزم و امرأته في الحجة، و هو يقلق لسماع امرأته ذلك فيه. ثم حكم بينهما بأن سكينة إن جاءت ببينة على ما ادّعت، و إلا فاليمين على زيد. فقامت و قالت لزيد، يا ابن عثمان: تزوّد مني بنظرة، فإنك و الله لا تراني بعد الليلة أبدا، و ابن حزم صامت. ثم خرجنا و

جئنا إلى عمر بن عبد العزيز و هو ينتظرنا في وسط الدار في ليلة شاتية،
فسألنا عن الخبر، فأخبرنا، فجعل يضحك حتى أمسك بطنه، ثم دعا زيدا
من غد، فأحلفه و ردّ سكينه عليه.

[1]خلية: كتابة عن مطلقة.

[2]الحجلة: مقصورة تجلس فيها النساء، و تزين بالثياب و الستور.

[3]ف، مب: تبدأ أراك... الخ.

[4]كذا في ف. و في مب. سبعة أشهر ثم تطمع في، املاً عينيك الآن
مني فإنك لن تراني. و في بقية الأصول: سبعة أشهر ثم أعود إليك. و الله لا
تراني.

[5]كذا في ف، أي تفحش في القول. و في بقية الأصول: برقت.

أرادت سكينه أن تحدث في الدار خبرا يتحدث به الناس

و أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدّثني الزبير بن بكار عن عمه قال: قالت سكينه لأم أشعب: سمعت للناس خبرا؟ قالت: لا، فبعثت إلى إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف فتزوّجته، و بلغ ذلك بني هاشم/فأنكروه، و حملوا العصي، و جاءوا فقاتلوا بني زهرة حتى كثر الشّجاج، ثم فرّق بينهم، و خيرت سكينه فأبت نكاح إبراهيم، ثم التفتت إلى أم أشعب و قالت: أ ترين الآن أنه كان للناس اليوم خبر؟ قالت: إي و الله-بأبي أنت-و أي خبر[1].

قال هارون بن الزيات: وجدت في كتاب القاسم بن يوسف: حدّثني الهيثم بن عدي، عن أشعب، قال:

كان زوجها زيد بن عمرو بن عثمان شديد البخل

تزوّج زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان سكينه، و كان أبخل قرشيّ رأيته، فخرج حاجا و خرجت سكينه معه، فلم تدع إوزة و لا دجاجة و لا خبيصا و لا فاكهة/إلا حملته معها، و أعطتني مائة دينار، و قالت[2]: يا ابن أم حميدة، اخرج معنا[2]. فخرجت و معنا طعام على خمسة أجمال، فلما أتينا السّيالة نزلنا، و أمرت بالطعام أن يقدم، فلما جيء بالأطباق، أقبل أغيلمة من الأنصار يسلمون على زيد، فلما رأهم قال: أوّه. خاصرتي. باسم الله، ارفعوا الطعام، و هاتوا الترياق و الماء الحار، فأتي به فجعل يتوجّرها[3] حتى انصرفوا، و رحلنا و قد هلكت جوعا، فلم آكل إلا مما اشتريته من السّويق[4]. فلما كان من الغد أصبحت و بي من الجوع ما الله أعلم به، و دعا بالطعام و أتني به. قال: فأمر بإسخانه، و جاءته مشيخة من قريش يسلمون عليه، فلما رأهم اعتل بالخاصرة، و دعا بالترياق و الماء الحار، فتوجّره و رفع الطعام، فلما ذهبوا أمر بإعادته، فأتي به و قد برد، فقال لي: يا أشعب، هل إلى إسخان هذا الدجاج سبيل؟ فقلت له أخبرني عن دجاجك هذا؟ من آل فرعون، فهو يعرض على النار غدّوا و عشيا.

كانت سكينه تبغض أهل الكوفة

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثنا سليمان بن أبي شيخ، عن محمد بن الحكم، عن عوانة، قال: جاء قوم من أهل الكوفة يسلمون على سكينه فقالت لهم: الله يعلم أنني أبغضكم: قتلتهم جدي عليا، و أبي الحسين، و أخي عليا، و زوجي مصعبا، فبأيّ وجه تلقونني، أيتممونني صغيرة، و أرملتموني كبيرة.

حرص سكينه على معرفة أخبار الناس

أخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن زهير عن المدائني قال: بينما سكينه ذات ليلة تسير، إذ سمعت حاديا يحدو في الليل يقول: لو لا ثلاث هرنّ عيش الدهر

فقلت لقائد قطارها. ألحق بنا هذا الرجل، حتى نسمع منه ما هذه الثلاث. فطال طلبه لذلك حتى أتعبها. فقالت [1]كذا في ف، مب. و في الأصول: بلى، بأبي أنت و أمي.

(2-2) العبارة عن ف، مب.

[3]توجر الدواء: صبه في حلقه شيئاً بعد شيء.

[4]كذا في ف، مب. و في بقية الأصول: السوق.

لغلام لها: سر أنت حتى تسمع منه، فرجع إليها فقال: سمعته يقول:
الماء و النوم و أم عمرو
فقلت: قبحه الله! أتعيني منذ الليلة.

حج أشعب مع سكينه

قال: و حدّثني المدائني أن أشعب حج مع سكينه، فأمرت له بجمل قويّ يحمل أثقاله، فأعطاه القيمّ جملاً ضعيفاً، فلما جاء إلى سكينه قالت له: أعطوك ما أردت؟ قال: عرسه الطلاق، لو أنه حمل قتباً على الجمل لما حمّله، فكيف يحمل محملاً[1].

كانت ترمي الجمار فرمت خاتمها بدل حصاة سقطت منها

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عمر بن شبة، عن نعيم بن سالم بن عليّ الأنصاريّ، عن سفيان بن حرب، قال: رأيت سكينه بنت الحسين عليه السّلام ترمي الجمار، فسقطت من يدها الحصاة السابعة، فرمت بخاتمها مكانها.

استبدلت بمالها في الزوراء قصراً بلزق الجماء أعجبها حسنه

و قال هارون بن الزيات: حدّثني أبو حذافة السهميّ قال: أخبرني غير واحد، منهم محمد بن طلحة: /أن سكينه ناقلت بمالها بالزوراء، إلى قصر يقال له البريديّ[2] بلزق الجماء، فلما سال العقيق، خرجت و معها جواربها تمشي، حتى جاءت السيل، فجلست على جرفه، و مالت برجليها في السيل، ثم قالت: هذا في است المغبون[3]. و الله لهذه الساعة من هذا القصر خير من الزوراء. قال[4]: و كان البريديّ قصراً لا غلة له، و إنما يتنزّه فيه، و كانت غلة الزوراء غلة وافرة عظيمة[4].

خرجت بها سلعة فأجريت لها جراحة

و قال/هارون: و حدّثني علي بن محمد النوفليّ عن أبيه، و عمه و غيرهما من مشايخ الهاشميين و الطالبين: أن سكينه بنت الحسين عليه السّلام، خرجت بها سلعة[5] في أسفل عينها، فكبرت حتى أخذت وجهها و عينها، و عظم شأنها، و كان بدراقس منقطعاً إليها في خدمتها، فقالت له: أ لا ترى ما قد وقعت فيه؟ فقال: لها أ تصبرين على ما يمسك من الألم حتى أعالجك؟ قالت: نعم. فأضجعها، و شق جلد وجهها حتى ظهرت السلعة، ثم كشط الجلد عنها أجمع، و سلخ اللحم من تحتها حتى ظهرت عروق السلعة،

و كان منها شيء تحت الحدقة، [1]ف، مب: فقال لها: امرأته الطلاق، لو أنه حمل قتب على الجمل ما حملة، فكيف يحمل حملا. و قوله «عرسه الطلاق» يريد أنها طالق، فعبر بالمصدر بذل الصفة.

[2]ف، مب: الزيني.

[3]ف: الميت و الله المغبون. و العبارة غامضة.

(4-4) العبارة عن ف، مب.

[5]السلعة: ورم كالخراج يحدث في أي موضع في الجسم، يكون حجمه أولا كالحمصة، ثم يكبر إلى حجم البطيخة.

فرفع الحدقة عنه، حتى جعلها ناحية، ثم سل عروق السلعة من تحتها. فأخرجها أجمع، و رد العين إلي موضعها، و عالجها و سكينه مضطجة لا تتحرك و لا تتن، حتى فرغ مما أراد، فزال ذلك عنها، و برئت منها، و بقي أثر تلك الجراحة في مؤخر عينها، فكان أحسن شيء في وجهها، و كان أحسن على وجهها من كل حلي و زينة، و لم يؤثر ذلك في نظرها، و لا في عينها.

نقدها شعر جماعة من الشعراء ثم إجازتهم

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: أخبرني عيسى بن إسماعيل، عن محمد بن سلام، عن جرير المديني، عن المدائني. و أخبرني به محمد بن أبي الأزهر، قال: حدّثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن محمد بن سلام. و أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهري، عن عمر بن شبة موقوفا عليه، قالوا: اجتمع في ضيافة سكينه بنت الحسين عليه السّلام، جرير و الفرزدق و كثير و جميل و نصيب، فمكثوا أياما، ثم أذنت لهم، فدخلوا عليها، فقعدت حيث تراهم و لا يرونها، و تسمع كلامهم، ثم أخرجت و صيفة لها وضيئة و قد روت الأشعار و الأحاديث، فقالت: أيكم الفرزدق؟ فقال لها: ها أنا ذا. فقالت: أنت القائل: هما دلتاني من ثمانين قامة # كما انحط باز أقتم الريش كاسره

فلما استوت رجلاي بالأرض قالتا # أحي يرّجى أم قتيل نحاذره

نقلت ارفعوا الأمراس لا يشعروا بنا # و أقبلت في أعجاز ليل أبادره

أبادر بوابين قد وكّلا بنا # و أحمر[1] من ساج تبصّ مسامره

قال: نعم. قالت: فما دعاك إلى إفشاء سرها و سرّك؟ هلاّ سترتها و سترت نفسك[2]؟ خذ هذه الألف، و الحق بأهلك.

ثم دخلت على مولاتها و خرجت، فقالت: أيكم جرير؟ فقال لها: ها أنا ذا. فقالت: أنت القائل: طرقتك صائدة القلوب و ليس ذا # حين الزيارة فارجعي بسلام

تجرى السواك على أغرّ كأنه # برد تحدر من متون غمام

/لو كان عهدك كالذي حدّثنا # لو صلت ذاك فكان غير رمام[3]

إني أوصل من أردت وصاله # بحبال لا صلف و لا لؤام

قال: نعم. قالت: أ فلا أخذت بيدها، و رحبت بها، و قلت لها ما يقال لمثلها؟ أنت عفيف و فيك ضعف. خذ هذه الألف و الحق بأهلك. ثم دخلت

على مولاتها و خرجت، فقالت: أيكم كثير؟ فقال: ها أنا ذا. فقالت: أنت القائل: و أعجبنني يا عزّ منك خلائق # كرام إذا عدّ الخلائق أربع

[1]مب: و أسمر. و في «الديوان» (1: 255-262) خلاف في ترتيب الأبيات و بعض الكلم.

[2]كذا في ف. و في بقية الأصول: هلا سترت عليك و عليها.

[3]رمام: كذا في ف، مب. يريد المتقطع. و في بقية الأصول: لمام.

/

دثوك حتى يطمع الطالب الصبا # و دفعك أسباب الهوى حين يطمع [1]
 و قطعك أسباب الكريم و وصلك الـ # -لثيم و خلأت المكارم ترفع [2]
 فو الله ما يدري كريم مماطل # أ ينساک إذا باعدت أم يتضرع [3]

قال: نعم. قالت: ملّحت و شكّلت. خذ هذه الثلاثة الآلاف، و الحق بأهلك.

ثم دخلت إلى مولاتها و خرجت فقالت: أيكم نصيب؟ قال: ها أنا ذا. قالت: أ أنت القائل: و لو لا أن يقال صبا نصيب # لقلت بنفسي النشأ الصغار

بنفسي كل مهضوم حشاها # إذا ظلمت فليس لها انتصار

قال: نعم. قالت: ربيتنا صغارا، و مدحتنا كبارا. خذ هذه الأربعة الآلاف، و الحق بأهلك.

/ثم دخلت على مولاتها و خرجت، فقالت: يا جميل، مولاتي تقرئك السلام، و تقول لك: و الله ما زلت مشتاقة لرؤيتك منذ سمعت قولك: ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة # بوادي القرى إني إذا لسعيد

لكل حديث بينهن بشاشة # و كلّ قتيل عندهن شهيد

جعلت حديثنا بشاشة، و قتلانا شهداء، خذ هذه الأربعة الآلاف [4]الدينار، و الحق بأهلك.

تحكيم الرواة إياها في شعر الشعراء

أخبرني ابن أبي الأزهر قال: حدّثنا حماد عن أبيه، عن أبي عبد الله الزبيريّ، قال: اجتمع بالمدينة راوية جرير و راوية كثير و راوية جميل و راوية نصيب و راوية الأحوص، فافتخر كل واحد منهم بصاحبه، و قال: صاحبي أشعر. فحكموا سكينه بنت الحسين بن عليّ عليهما السلام، لما يعرفونه من عقلها و بصرها بالشعر، فخرجوا يتقادون [5]، حتى استأذنوا عليها، فأذنت لهم، فذكروا لها الذي كان من أمرهم، فقالت لراوية جرير: أ ليس صاحبك الذي يقول: طرفتك صائدة القلوب و ليس ذا # حين [6]الزيارة فارجعي بسلام

و أيّ ساعة أحلى للزيارة من الطروق، قبح الله صاحبك، و قبح شعره!
أ لا قال: فادخلي بسلام! /ثم قالت لراوية كثير: أ ليس صاحبك الذي يقول:
[1]كذا روي البيت في ف، مب. و في بقية الأصول:

دنوّك حتى يدفع الجاهل الصبا # و رفعك أسباب المنى حتى يطمع

[2]البيت عن ف وحدها.

[3]أم يتضرع: كذا في ف، مب. و في بقية الأصول: أو يتصدع.

[4]كذا في مب. و في بقية الأصول: هذه الألف الدينار.

[5]يتقادون: كذا في ف، مب. أي يتبارون في التفاخر بأصحابهم. و في
الأصول: يتهادون. يريد: يتهادون الشعر، أي يفخر به بعضهم على بعض.
(انظر «اللسان» : قدا) .

[6]حين: كذا في ف، مب. و في بقية الأصول و «الديوان» : وقت.

يفرّ بعيني ما يفرّ بعينها # و أحسن شيء ما به العين قرّت

فليس شيء أقرّ لعينها من النكاح، أ فيحب صاحبك أن ينكح؟ قبّح الله صاحبك، و قبّح شعره! ثم قالت لراوية جميل: أ ليس صاحبك الذي يقول: فلو تركت عقلي معي ما طلبتها # و لكن طلابيها لما فات من عقلي

فما أرى بصاحبك من هوى، إنما يطلب عقله، قبّح الله صاحبك و قبّح شعره! ثم قالت لراوية نصيب: أ ليس صاحبك الذي يقول: أهيم بدعد ما حييت فإن أمت # فيا حربا[1] من ذا يهيم بها بعدي

فما أرى له همة إلا من يتعشقها بعده! قبّحه الله و قبّح شعره! أ لا قال: أهيم بدعد ما حييت فإن أمت # فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي

ثم قالت لراوية الأحوص: أ ليس صاحبك الذي يقول:

من عاشقين تواعدا و تراسلا[2] # ليلا إذا نجم الثريا حلّقا

/باتا بأنعم ليلة و أذها # حتى إذا وضع الصباح تفرّقا

قال: نعم، قالت: قبّحه الله و قبّح شعره! أ لا قال: تعانقا.

قال إسحاق في خبره: فلم تن علي أحد منهم في ذلك اليوم، و لم

تقدّمه.

قال: و ذكر لي الهيثم بن عديّ مثل ذلك في جميعهم إلا جميلا، فإنه خالف هذه الرواية، و قال: فقالت، لراوية جميل: أ ليس صاحبك الذي يقول: فيا ليتني أعمى أصمّ تقودني # بثينة لا يخفى علي كلامها

/قال: نعم. قالت: رحم الله صاحبك كان صادقا في شعره، كان جميلا كاسمه، فحكمت له.

و في الأشعار المذكورة في الأخبار أغان تذكرها هنا نسبتها.

فمنها:

صوت

هما دلتاني من ثمانين قامة # كما انقض باز أقتم[3] الريش كاسره

فلما استوت رجلاي بالأرض قالتا # أحيّ يرّجّي أم قتيل نحادره

عروضه الطويل. الشعر للفرزدق، و الغناء للحجبيّ، رمل بالبنصر عن الهشاميّ و حبش[4].

- [1] كذا في ف، و في بقية الأصول: فوا حزنا.
- [2] كذا في ف، مب. و في بقية الأصول: تراسلا و تواعدا.
- [3] كذا في ف، مب. و في بقية الأصول: أفتح.
- [4] كذا في ف، مب. و في بقية الأصول: الهشامي و يونس.

شعر للفرزدق في غلامه وقاع

و أخبرني: أبو خليفة في كتابه إليّ قال: حدّثنا محمد بن سلام عن يونس، و حدّثنا به اليزيديّ قال: حدّثنا أحمد بن زهير قال: حدّثنا محمد بن سلام عن يونس قال: كان للفرزدق غلامان، يقال لأحدهما وقّاع، و للآخر زنقطة. قال: و لوّقّاع يقول الفرزدق: تغلغل وقّاع إليها فأقبلت # تخوض خداريا من الليل أخضرا[1]

لطيف إذا ما انغلّ أدرك ما ابتغى # إذا هو للظبي المروع تقترأ[2]

/و له يقول أيضا:

فأبلغهنّ وحي القول عني # و أدخل رأسه تحت القرام
أسيدّ ذو خريطة نهارا # من المتلقّطي قرد القمام[3]
فقلن له نواعدك الثريا # و ذاك إليه مجتمع الرّجام

صوت

[4]

ثلاث و اثنتان فهن خمس # و سادسة تميل مع السنّام
خرجن إليّ لم يطمئن قبلي # فهن أصح من بيض النعام
فبتن بجانيّ مصرّعات # و بت أفصّ أغلاق الختام[5]

في هذه الأبيات الثلاثة لابن جامع، خفيف رمل بالبنصر عن الهشاميّ، و فيها هزج يمان بالوسطى عن عمرو بن بانه. و ذكر حبش أن الهزج لفليح، و أن لحن ابن جامع ثاني ثقيل بالوسطى.

شعر للفرزدق و هو بالمدينة

أخبرني أبو خليفة قال: حدّثنا محمد بن سلام، قال: قال الفرزدق و هو بالمدينة: هما دلتاني من ثمانين قامة # كما انقض باز أقتم الريش كاسره

فلما استوت رجلاي بالأرض قالتا # أحيّ يرّجى أم قتيل نحاذره

فقلت ارفعوا الأسباب لا يفطنوا بنا # و وليت في أعجاز ليل أبادره[6]

أبادر بوابين قد وّكّلا بنا # و أحمر من ساج تبص مسامره

[1] خداريا: كذا في ف، مب، أي مظلما. و في الأصول: صلابيا.

[2] انغل: دخل. و في «الديوان»: انسل. و تقتر: تهيأ و تطف. و في

«الديوان» (2: 427): للطنء. المخوف تقترا. و الطنء: الريبة.

[3] البيت عن ف، مب.

[4] كلمة (صوت) : عن مب وحدها.

[5] البيت عن ف، مب.

[6] البيت عن ف، مب.

و أصبحت في القوم الجلوس و أصبحت # مغلقة دوني عليها دساكره[1]

/قال: فأنكرت ذلك قريش عليه، و أزعجه مروان عن المدينة و هو واليها لمعاوية، و أجله ثلاثة أيام، فقال: يا مروان مطيتي محبوسة # ترجو الحباء[2] و ربها لم يياس

و أتيتني بصحيفة مختومة # أخشى عليّ بها حباء التقرس

/ألق الصحيفة يا فرزدق لا تكن # نكداء مثل صحيفة المتلمس[3]

و قال في ذلك:

و أخرجني و أجلني ثلاثا # كما وعدت لمهلكها ثمود

و ذكر ذلك جرير في مناقضته إياه، فقال:

و شبهت نفسك أشقى ثمود # فقالوا ضللت و لم تهتد

يعني تأجيل مروان له ثلاثا. و قال فيه أيضا جرير: تدليت تزني من ثمانين قامة # و قصرت عن باع العلا و المكارم و هما قصيدتان.

الفرزدق ينشد سليمان من أشعاره

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمر بن شبة قال: قال سليمان بن عبد الملك للفرزدق: أنشدني أجود شعر قلت، فأنشده قوله: عزفت بأعشاش و ما كدت تعزف # و أنكرت من حدراء ما كنت تعرف /فقال له: زدني. فأنشده قوله:

ثلاث و اثنتان فهن خمس # و سادسة تميل إلى الشمام[4]

فقال له سليمان: ما أظنك إلا قد أحللت بنفسك العقوبة؛ أقررت بالزنا عني و أنا إمام، و لا بد لي من إقامة الحد عليك. قال: إن أخذت فيّ بقول الله عز و جل لم تفعل. قال: و ما قال الله عز و جل؟ قال: قال: **و الشّعراء يتبعهم الغاؤون. أ لم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون. و أنهم يقولون ما لا يفعلون** [5]. فضحك سليمان، و قال: تلافيتها و درأت عن نفسك، و أمر له بجائزة سنوية، و خلع عليه.

[1] البيت عن ف، مب.

[2] الحباء: كذا في مب. و في بقية الأصول: الغناء.

[3] كذا روي الشطر الثاني في ف، مب. و في بقية الأصول: في الصحف مثل صحيفة المتلمس

[4] كذا في ف، مب. و في الأصول: مع السنام، و قد مرت.

[5] سورة الشعراء آية: 224-226.

حادث للفرزدق يخشى أن يعيره به جرير

أخبرني هاشم[1] بن محمد قال: حدثنا أبو غسان دماذ؛ عن أبي عبيدة، قال: نزل الفرزدق هو و من معه بقوم من العرب، فأنزلوه و أكرموه، و أحسنوا قراه، فلما كان في الليل دبّ إلى جارية منهم، فراودها عن نفسها، فصاحت، فتبادر القوم إليها، فأخذوها من يده و أنبوه، فجعل يفكر و اهتم، فقال له الرجل الذي نزل به: مالك؟ أ تحب أن أزوجه من هذه الجارية. فقال: لا، و الله. ما ذلك بي، و لكني كأي بابن المراغة قد بلغه هذا الخبر، فقال فيّ: و كنت إذا حللت بدار قوم # رحلت[2] بخزية و تركت عارا

فقال له الرجل: لعله لا يظن لهذا. فقال: عسى أن يكون ذلك. قال: فو الله ما لبثوا[3] أن مر بهم راكب ينشد هذا البيت، فسأله عنه، فأنشدهم قصيدة لجرير يعيره بذلك الفعل، و فيها هذا البيت بعينه.

/و منها:

صوت

<من شعر جرير>

طرقتك صائدة القلوب و ليس ذا # حين[4] الزيارة فارجعي بسلام

تجري السواك على أغرّ كأنه # برد تحدّر من متون غمام

هيهات منزلنا بجو سويقة # ممن يحلّ بواطن الآجام[5]

أقر السّلام على سعاد و قل لها # لوما[6] تردّ رسولنا بسلام

الشعر لجرير. و الغناء لابن سريج: ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن ابن المكي. و ذكره إسحاق في هذه الطريقة أيضا و لم ينسبه إلى أحد، و أظنه من منحول يحيى. و ذكره عمرو/بن بانة أيضا لابن سريج في الثاني و الرابع في هذه الطريقة، و ذكر عليّ بن يحيى أن فيه لابن سريج ثقيل أول في الثاني و الثالث، و أنكر ذلك حبش[7]، و قال: هو بالوسطى. قال عليّ بن يحيى: و من الناس من ينسبه إلى سياط. و ذكر حبش أن فيه للهدليّ خفيف ثقيل بالبنصر، و للغريص[8] ثاني ثقيل بالوسطى. و منها[8]: [1] كذا في ف، مب. و في الأصول: هشام.

[2] ف: ظعنت.

[3] كذا في ف. و في الأصول: ما بعد.

[4] كذا في ف، مب. و في الأصول: وقت الزيارة.

[5] ف، مب: منزلنا بجزع برام. و الآجام: كذا في مب. و في ف:
الأجام. و في بقية الأصول: الأحلام، و هو تحريف.

[6] لوما: كذا في مب. و في بقية الأصول: يوما.

[7] ف، مب: و وافقه حبش.

(8-8) العبارة عن ف، مب.

صوت

من عاشقين تراسلا و تواعدا # بلقا إذا نجم الثريا حلّقا [1]
بعثا أمامهما مخافة رقية # رصدا فمَرَّق عنهما ما مَرَّقا
بانا بأنعم ليلة و ألذها # حتى إذا وضح [2]الصباح تفرقا

الشعر للأحوص. و الغناء لمعبد، خفيف ثقيل أول بالبنصر، عن يونس و الهشامي.

رجع الحديث إلى أخبار سكينه سكينه تسأل الفرزدق من أشعر الناس

و روى أحمد بن الحارث الخراز، عن المدائني، عن أبي يعقوب الثقفي، عن عامر الشعبي؛ و ذكر أيضا أبو عبيدة معمر بن المثنى: أن الفرزدق خرج حاجا، فلما قضى حجه خرج إلى المدينة، فدخل على سكينه بنت الحسين عليه السلام مسلما، فقالت له: يا فرزدق، من أشعر الناس؟ قال: أنا. قالت: كذبت. أشعر منك الذي يقول: بنفسي من تجنّبه عزيز # عليّ و من زيارته لمام

و من أمسي و أصبح لا أراه # و يطرقني إذا هجع النيام

قال: و الله لئن أذنت لي لأسمعك أحسن منه. قالت: أقيموه، فأخرج [3]. ثم عاد إليها من الغد، فدخل عليها، فقالت: يا فرزدق، من أشعر الناس؟ قال: أنا. قالت: كذبت. صاحبك أشعر منك حيث يقول: لو لا الحياء لعادني استعمار [4] # و لزرت قبرك و الحبيب يزار

كانت إذا هجر الضجيع فراشها # كتم الحديث و عقت الأسرار

لا يلبث القرناء أن يتفرقوا # ليل يكرّ عليهم و نهار

فقال: و الله لئن أذنت لي لأسمعك أحسن منه. فأمرت به فأخرج؛ ثم عاد إليها في اليوم الثالث، و حولها مولدات كأنهن التماثيل، فنظر الفرزدق إلى واحدة منهن، فأعجب بها. فقالت: يا فرزدق، من أشعر الناس؟ فقال: أنا.

فقالت: كذبت صاحبك أشعر منك حيث يقول:

/

إن العيون التي في طرفها مرض # قتلنا ثم لم يحيين قتلانا

[1] تراسلا و تواعدا: كذا في ف. و في مب: تواعدا و تراسلا. و في بقية الأصول: تزايدا و تواعدا. و في ف: ملثا، في موضع: بلقا.

[2] وضح: كذا في ف، مب. و في بقية الأصول: برق.

[3] كذا في ف، مب. و في الأصول: قالت: لا أحب، فاخرج عني.

[4] كذا في ف، مب. و في الأصول: لهاجني استعبار. -

يصر عن ذا اللب حتى لا حراك به # و هن أضعف خلق الله أركاننا

فقال: يا بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم، إن لي عليك حقا عظيما. ضربت إليك من مكة أريد التسليم عليك، فكان في دخولي إليك تكذيبي و منعك إياي أن أسمعك [1]، و بي ما قد عيل معه صبري، و هذه المنايا تغدو و تروح، و لعلي لا أفارق المدينة حتى أموت، فإن/أنا مت فمري أن أدرج في كفني، و أدفن في حر تلك الجارية، يعني الجارية التي أعجبتة، فضحكت سكيئة، و أمرت له بالجارية، فخرج بها أخذا بربطتها، و أمرت الجواري أن يدفعن في أقفائهما، ثم قالت: يا فرزدق، أحسن صحبتها، فإني أترتك بها على نفسي.

موت سكيئة و الصلاة عليها

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، و أحمد بن عبد الله العزيز الجوهري، قالا: حدّثنا علي بن محمد النوفلي [2]، قال: حدثني أبي عن أبيه و عمومته و جماعة من شيوخ بني هاشم: أنه لم يصل على أحد بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم بغير إمام إلا سكيئة بنت الحسين عليه السلام، فإنها ماتت و على المدينة خالد بن عبد الملك، فأرسلوا إليه، فأذنوه بالجنائز، و ذلك في أول النهار في حر شديد، فأرسل إليهم: لا تحدثوا حدثا حتى أجيء فأصلي عليها، فوضع النعش في موضع المصلى على الجنائز، و جلسوا ينتظرونه حتى جاءت الظهر، فأرسلوا إليه، فقال: لا تحدثوا فيها شيئا حتى أجيء، فجاءت العصر، ثم لم يزالوا ينتظرونه حتى صليت العشاء، كل ذلك يرسلون إليه، /فلا يأذن لهم حتى صليت العتمة و لم يجيء، و مكث الناس جلوسا حتى غلبهم النعاس، فقاموا فأقبلوا يصلون عليها جمعا جمعا و ينصرفون، فقال علي بن الحسين عليه السلام: من أعان بطيب رحمه الله! قال: و إنما أراد خالد بن عبد الملك، فيما ظن قوم، أن تنتن. قال: فأتي بالمجامر، فوضعت حول النعش، و نهض ابن أختها محمد بن عبد الله العثماني، فأتى عطارا كان يعرف عنده عودا، فاشتراه منه بأربعمائة دينار، ثم أتى به، فسجر حول السرير، حتى أصبح و قد فرغ منه، فلما صليت الصبح أرسل إليهم: صلوا عليها و ادفنوها. فصلى عليها شيبه ب نصاح [3].

و ذكر يحيى بن الحسين في خبره: أن عبد الله بن حسن هو الذي ابتاع لها العود بأربعمائة دينار.

صوت

و أنا الأخضر من يعرفني # أخضر الجلدة من [4]بيت العرب

من يساجلني يساجل ماجدا # يملأ الدلو إلى عقد الكرب [5]

إنما عبد مناف جوهر # زين الجوهر عبد المطلب

[1] كذا في ف، م.ب. و في بقية الأصول: فكأن جزائي منك تكذبي و منعي من أن أسمعك.

[2] كذا في ف، و في م.ب: محمد النوفلي: و في الأصول: أحمد بن علي النوفلي.

[3] شيبة بن نصاح، بكسر النون: مولى أم سلمة، المدني القاضي القارئ (ت. 13) .

[4] كذا في ف، م.ب. و في الأصول: في بيت.

[5] ف: إلى حدّ الكرب.

كل قوم صيغة من فضة # و بنو عبد مناف من ذهب [1]

نحن قوم قد بنى الله لنا # شرفا فوق بيوتات العرب

بنبي الله و ابني عمه # و عباس بن عبد المطلب

/الشعر للفضل بن العباس اللهبّي، و الغناء لمعبد، ثقیل أوّل بالبنصر، في الأوّل و الثاني و الثالث. و لابن محرز في الأوّل و الثاني خفيف ثقیل أوّل مطلق في مجرى البنصر. و ذكر يونس أن فيهما لمعبد و مالك و ابن محرز و ابن مسجح و ابن سريج خمسة ألحان. و ذكر الهشامي أن لحن ابن سريج رمل، و لحن مالك خفيف رمل، و لحن معبد خفيف ثقیل، و لحن ابن محرز ثقیل أوّل. و ذكر ابن المكيّ أن الثقیل الأوّل لمالك. و ذكر عمرو بن بانة في كتابه الثاني أن لابن مسجح أو لابن محرز فيه خفيف رمل. و ذكر [2] الهشاميّ أن فيه رملا آخر بالوسطى لأبي سعيد مولى فائد، و لأبي الحسن مولى سكينه، في الثالث و الرابع، خفيف ثقیل [2]. و ذكر حبش أن لابن صاحب/الوضوء [3] في الأوّل و الثاني ثاني ثقیل بالبنصر، و لابن سريج ثقیل أوّل بالبنصر. و ذكر حماد عن أبيه: أن لابن عائشة فيهما لحن، و وافقه ابن المكيّ. و ذكر أنه خفيف رمل. قال: و قيل [4] إنه لدحمان [4]. و ذكر ابن خرداذبه أن لخليدة المكية [5] في الرابع و الثالث خفيف رمل، و في الخامس و السادس و الأوّل رمل، يقال إنه لإبراهيم، و يقال إنه لإسحاق. و الخامس و السادس من هذه الأبيات، و إن كان شعر الفضل بن العباس اللهبّي، فليس من القصيدة التي فيها: و أنا الأخضر من يعرفني

/لكن من قصيدة له أوّلها:

شاب رأسي و لداتي لم تشب # بعد لهو و شباب و لعب

شيب المفروق مني و بدا # في حفاقي لحيّتي مثل العطب

في هذين البيتين لهاشم و نفيلة [6] خفيف رمل بالوسطى، و القصيدة التي فيها: و أنا الأخضر من يعرفني # أخضر الجلدة من نسل العرب أوّلها قوله:

طرب الشيخ و لا حين طرب # و تصابي و صبا الشيخ عجب

[1] كذا في ف، مب. و في الأصول: من تبرهم.

(2-2) العبارة عن ف، مب.

[3] كذا في ف، م.ب. و هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله («الأغاني»
3: 116) . و في بقية الأصول: لابن الحاجب الصولي.

(4-4) العبارة عن ف، م.ب.

[5] لخليدة المكية: كذا في ف، م.ب. و في بقية الأصول: لخويلد.

[6] و نفيلة: كذا في ف. و في م.ب: لهاشم بن زنقطة. و هي ساقطة
من بقية الأصول.

9- أخبار الفضل بن العباس الهبي و نسبه

اسمه و نسبه

الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب، و اسمه عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. و كان أحد شعراء بني هاشم المذكورين و فصحاءهم. و كان شديد الأدمة. و لذلك قال:

و أنا الأخضر من يعرفني

و هو هاشميّ الأبوين؛ و أمه بنت العباس بن عبد المطلب.

أخبرني بذلك محمد بن العباس اليزيديّ، عن عمه عبيد الله، عن ابن حبيب. و إنما أتاه السواد من قبل أمه:

جدته [1]، و كانت حبشية.

و كان النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ زوج عتبة إحدى بناته. فلما بعثه اللهُ تعالى نبياً، أقسمت عليه أم جميل أن يطلقها. فجاء إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، فقال: يا محمد، أشهد من حضر أني [2] قد كفرت بربك، و طلقت ابنتك. فدعا عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ أن يبعث الله عليه كلباً من كلابه يقتله. فبعث الله عز و جل عليه أسداً فافترسه [3].

قتل السبع عتبة بدعوة النبي عليه

أخبرني الحسن بن القاسم البجليّ الكوفيّ قال: حدّثنا عليّ بن إبراهيم بن المعلّى قال: حدّثني الوليد بن وهب، عن أبي حمزة الثمالي، عن عكرمة قال:

لما نزلت: **وَ النَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ** [4]، قال عتبة للنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ أنا أكفر برب النجم إذا هوى. فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ:

اللهم أرسل عليه كلباً من كلابك. قال: فقال ابن عباس: فخرج إلى الشام في ركب فيهم هبار بن الأسود، حتى إذا كانوا بوادي الغاضرة، و هي مسبعة، نزلوا ليلاً، فافترشوا صفاً واحداً، فقال عتبة: أ تريدون أن تجعلوني حجرة؟ لا، و الله، لا أبيت إلا وسطكم. / فباب وسطهم. قال هبار: فما أنبهني إلا السبع يشتمّ رءوسهم رجلاً رجلاً، حتى انتهى [1] جدته: بدل من أمه.

[2] كذا في ف، مب. و في الأصول: أشهد أني نصراني: تحريف.

[3] خالف بعض المؤرخين أبا الفرج فيمن أكله الأسد، و صرحوا بأنه عتبة بن أبي لهب، لا عتبة. قال السهيلي في «الروض الأنف» (2: 81) : و كانت رقية بنت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ تحت عتبة بن أبي لهب، و

أم كلثوم تحت عتية. فطلقاهما بعزم أبيهما عليهما و أمهما، حين نزلت:
تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ . فأما عتية فدعا عليه النبي صلى الله عليه و سلم أن
يسلط الله عليه كلبا من كلابه، فافترسه الأسد من بين أصحابه، و هم نيام
حوله. و أما عتية و معتب ابنا أبي لهب فأسلما، و لهما عقب.

[4]سورة النجم آية: 1.

إليه، فأنشب[1]أنيابه في صدغيه، فصاح: أي قوم، قتلي[2]دعوة محمد[2]، فأمسكوه، فلم يلبث أن مات في أيديهم.

أخبرني الحسن بن الهيثم قال: حدّثنا علي بن إبراهيم قال: حدّثني الوليد بن وهب، عن أبي حمزة، عن هشام بن عروة، عن أبيه مثله. إلا أنه قال: قال عتبة: أنا بريء من الذي **دَنَا فَتَدَلَّى**. قال: و قال هُبَّار: فضغمه الأسد ضغمة، فالتقت أنيابه عليه.

بين الأحوص و الفضل

نسخت من كتاب ابن النطّاح عن الهيثم بن عديّ. و قد أخبرنا به محمد بن العباس اليزيديّ في «كتاب الجوابات» قال: حدّثنا أحمد بن الحارث، عن المدائني، إلا أن رواية ابن النطّاح أتم، و اللفظ له، قال: /مر الفضل اللّهبِيّ بالأحوص هو ينشد، و قد اجتمع الناس عليه، فحسده، فقال له: يا أحوص إنك لشاعر، و لكنك لا تعرف الغريب، و لا تعرب. قال: بلى، و الله إنني لأبصر الناس بالغريب و الإعراب، فأسألك[3]؟ قال: نعم. قال:

ما ذات جبل يراها الناس كلهم # وسط الجحيم فلا تخفى على أحد
كل الجبال جبال الناس من شعر # و جبلها وسط أهل النار من مسد

فقال له الفضل بن العباس:

ما ذا أردت إلى شتمي و منقصتي # ما ذا أردت إلى حمالة الحطب؟
أذكرت بنت قروم سادة نجب # كانت حليلة شيخ ثاقب التّسب

فانصرف عنه.

بين الفضل و الحزين الديلي

قال ابن النطّاح:

و حدثت أن الحزين الديلي[4]مر بالفضل يوم جمعه، و عنده قوم ينشدهم، فقال له الحزين: أتنشد الشعر و الناس يروحون إلى الصلاة؟ فقال الفضل: ويلك يا حزين! أتعرض لي، كأنك لا تعرفني. قال: بلى و الله، إنني لأعرفك، و يعرفك معي كل من قرأ سورة **تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ** [5]. و قال يهجو: إذا ما كنت مفتخرا بجد # فعرج عن أبي لهب قليلا

[1]ف: فالتقت. مب: فالتقت طلى أنيابه.

(2-2) ف، مب: قتلي قتلي، دعوني أستمت به.

[3] فأسألك: كذا في ف، م.ب. و في بقية الأصول: أ فتسمع.

[4] كذا في الأصول. و الصواب: الدؤلي، نسبة إلى الدئل، بضم فكسر، فرع من كنانة قريش، و إليه ينسب أبو الأسود الدؤلي المتوفى سنة 69 و ليس الحزین الشاعر منسوباً إلى الدئل، بالدال المكسورة والياء، لأن هذه قبيلة عن عبد القيش. و هو عمرو بن عبید بن وهب الكناني الشاعر، كما في «تاج العروس» (حزن).

[5] سورة المسد: آية 1.

فقد أخزى الإله أباك دهرًا # و قلّد عرسه حبلا طويلا

فأعرض عنه الفضل، و تكرم عن جوابه. و كان الحزين مغرّى بن و بهجائه.

بينه و بين الفرزدق

حدّثني الحسن بن علي قال: حدّثنا القاسم بن محمد الأنباري قال: حدّثنا أبو عكرمة عامر بن عمران، قال: / دخل الفرزدق المدينة، فنظر إلى الفضل بن العباس بن عتبة ينشد: من يساجلني يساجل ماجدا # يملأ الدلو إلى عقد الكرب

فقال الفرزدق: من المنشد؟ فأخبر به، فقال: ما يساجلك إلا من عضّ بظر أمه.

سأل الوليد فأعطاه و سليمان فحرمه

حدّثني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدّثنا سليمان بن أبي شيخ، قال: حدّثنا محمد بن الحكم، قال: قدم الوليد بن عبد الملك حاجا إلى مكة و هو خليفة، فدخل عليه الفضل بن العباس بن عتبة، فشكا إليه كثرة العيال، و سأله فأعطاه مالا و إبلا و رقيقا. فلما مات الوليد ولي سليمان فحج، فأتاه فسأله، فلم يعطه شيئا، فقال: يا صاحب العيس التي رحلت # محبوسة لعشية الثفر

/امرر على قبر الوليد فقل له # صلّى الإله عليك من قبر
يا واصل الرّحم التي قطعت # و أصابها الجفوات في الدهر
إني وجدت الخللّ بعدك كاذبا # فبرئت من كذب و من غدر
و لقد مررت بنسوة يندبته # بيض السواعد من بني فهر
تبيكي لسيدها الأجل و ما # يبكين من ناب و لا بكر
يبكينه و يقلن: سيدنا # ضاع الخلافة آخر الدهر[1]
ما ذا لقيت، جزيت صالحة # من جفوة الإخوان لو تدري

كان منقطعا إلى الوليد و سأله أن يفرض لحماره

أخبرني وكيع بهذا الخبر، قال: حدّثني محمد بن علي بن حمزة قال: حدثنا أبو غسان قال: أخبرنا أبو عبيدة عن عبد العزيز بن أبي ثابت، قال: / كان الفضل بن العباس منقطعا إلى الوليد بن عبد الملك، فلما مات الوليد

جفاه سليمان و حرمه، فقال: يا راكب العيس التي وقفت # للنفر يوم صبيحة النحر[2]

و ذكر الأبيات. قال: كان الوليد فرض له فريضة يعطاها كل سنة، فقال: يا أمير المؤمنين، بقي شارب الريح.

قال: و ما شارب الريح؟ قال: حماري، افرض له شيئاً. ففرض له خمسة دنانير، فأخذها و لم يكن يطعمه، فعمد [1]كذا روي البيت ف، و في الأصول: يندبته... تاج الخلافة.

[2]كذا روي البيت ف، و في الأصول: يا صاحب... صبيحة النصر.

رجل فكتب رقعة يذكر فيها قصة الحمار، و علقها في عنقه[1]، و جاء بها إلى القاضي، فأضحك منه الناس.

كان الفضل بخيلا

حدّثنا اليزيديّ، قال: حدّثنا سليمان بن أبي شيخ، قال: حدّثني أبو الشكر مولى بن هاشم، كوفيّ ظريف، قال: كان الفضل بن العباس بخيلا، فقدم عليّ بن عبد الله بن العباس حاجا، فأتاه في منزله مسلما عليه، فقال له: كيف أنت، و كيف حالك؟ قال: نحن في عافية. قال: فهل من حاجة؟ قال: لا و الله، و إني لأشتهي هذا العنب، و قد أغلاه علينا هؤلاء العلوج. فغمز غلاما له، فذهب فأتاه بسلة عظيمة من عنب، فجعل يغسل له عنقودا عنقودا و يناوله، فكلما فعل ذلك قال: برّتك رحم.

كان يسأل علف حماره

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال: حدّثنا الزبير بن بكار عن عمه، قال: كان الفضل بن العباس بخيلا، و كان ثقیل البدن، إذا أراد يمضي في حاجة استعار مركوبا، فطال ذلك عليه و على أهل المدينة من فعله، فقال له بعض/بني هاشم: أنا أشتري لك حمارا تركبه، و تستغني عن العاريّة. ففعل، و بعث به إليه، فكان يستعير له سرجا إذا أراد أن يركبه، فتواصى الناس بالأ يعيره أحد سرجا. فلما طال عليه ذلك، اشترى سرجا بخمسة دراهم، و قال: و لما رأيت المال مألّف أهله # و صان ذوي الأخطار[2] أن يتبدلوا

رجعت إلى مالي فأعتبت بعضه # فأعتبني إني كذلك أفعل[3]

ثم قال للذي اشترى له الحمار: إني لا أطيق علفه، فإما أن تبعث إليّ علفه و إلا رددته. فكان يبعث إليه بعلف كل ليلة و شعير، و لا يدع هو أيضا أن يطلب من كل أحد يأنس به علفا لحماره، فيبعث به إليه، فيعلفه التبن دون الشعير، حتى هزل و عطب. فرفع الحزين الكنانيّ إلى ابن حزم أو عبد العزيز بن عبد المطلب رقعة، و كتب في رأسها قصة حمار/الفضل اللهبي، و ذكر فيها أنه يركبه و يأخذ علفه و قضيمه من الناس، و يعلفه التبن، و يبيع الشعير، و يأخذ ثمنه، و يسأل أن ينصف منه. فضحك لما قرأ الرقعة، و قال: لئن كنت مازحا إني لأراك صادقا. و أمر بتحويل حمار اللهبي إلى إصطبله، ليعلفه و يقضمه، فإذا أراد ركوبه دفع إليه.

أخبرني وكيع قال: حدّثني محمد[4] بن سعد الشاميّ، عن ابن عائشة، قال: [1]أي علقها الرجل في عنق نفسه.

[2]كذا في ف، و في الأصول: الإحسان. و لعله: الأحساب، بالياء.

[3]كذا روي البيت في ف. و معنى الإعتاب هنا طلب العتبي، و هي الرضا، يريد أنه طلب من ماله أن يرضيه فأرضاه. و في مب: فعاتبت بعضه. و في الأصول: فكاتبته بعضه... فأنجبني. تحريف.

[4]كذا في مب. و في بقية الأصول: سليمان.

كان الفضل اللهبي بغير سرج، فاستعار سرجا، فمطله الرجل، حتى
خاف أن تفوته حاجته، فاشتري سرجا و مضى لحاجته، و أنشأ يقول: و لما
رأيت المال مآلف أهله

و ذكر البيتين و لم يزد عليهما شيئا.

بيتان له في مدح بني هاشم

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثني علي بن محمد
النوفليّ قال: كان أبي عند إسحاق بن عيسى بن عليّ و هو والي البصرة،
عنده وجوه أهل البصرة، و قد كانت فيهم بقية حسنة في ذلك الدهر،
فأفاضوا في ذكر نبي هاشم، و ما أعطاهم الله من الفضل بنبيه صلّى الله
عليه و سلم، فمن منشد شعرا، و متحدث و ذاكر فضيلة من فضائل بني
هاشم. فقال أبي: قد جمع هذا الكلام الفضل بن العباس اللهبي في بيت
قاله، ثم أنشد قوله: ما بات قوم كرام يدعون يدا # إلا لقومي عليهم منة و
يد

نحن السنّام الذي طال شظيته # فما يخالطه الأواء و العمد

فمن صلّى صلاتنا، و ذبح ذبيحتنا، عرف أن لرسول الله صلّى الله عليه
و سلم يدا عليه، بما هداه الله عز و جل إلى الإسلام به، و نحن قومه، فتلك
منة لنا على الناس.

و في هذين البيتين غناء لابن محرز، هزج بالينصر في رواية عمرو ب
بانة. و قوله «و طال شظيته» ، الشظية: الشظى[1]، قال دريد بن
الصمة.

سليم الشظى عبل الشوى شنج النسا # أمين القوى نهد طويل المقلد

و العمد: داء يصيب البعير من مؤخر سنامه إلى عجزه، فلا يلبثه أو
يقتله[2]

قدم علي عبد الملك و مدحه

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، و أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ،
قالا: حدّثنا عمر بن شبة قال: حدّثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن
عمران، قال: أخبرني أحمد بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، قال: /قدم
الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب، على عبد الملك بن مروان، فأنشده
و عنده ابن لعبيد الله بن زياد، فقال الزياتيّ، و الله ما أسمع شعرا، فلما

كان العشيّ راح إليه الفضل، فوقف بين يديه، ثم قال: يا أمير المؤمنين:
أنتك حالا و ابن عم و عمه # و لم أك شعبا لا طه بك مشعب[3]

[1] في «اللسان»: الشظية: كل فلقة من شيء، القطعة المرتفعة في رأس الجبل، جمعها: شظايا. و هذا المعنى هو المناسب لبيت الفضل. أما الشظى فعظيم دقيق إذا زال عن موضعه شظى الفرس، أي تألم له. و هذا المعنى مناسب لشعر دريد بن الصمة. و يبدو أن أبا الفرج خلط بين المعنيين.

[2] العمد: مصدر عمد البعير (بكسر الميم) أي ورم سنامه عن عض القتب و الحلس (انظر «اللسان»).

[3] لا طه: ألصقه، و في الشعر تعريض بزياد بن أبيه و قصة استلحاقه.

فصل واشجات بيننا من قرابة # ألا صلة الأرحام أبقى و أقرب

و لا تجعلني كامرئ ليس بينه # و بينكم قربي و لا متنسب

أ تحذب من دون العشيرة كلها # فأنت على مولاك أحنى و أحذب

فقال الزياتي: هذا، و الله يا أمير المؤمنين، الشعر! فقال عبد الملك: التّخس يكفيك البطيء [1]. و جعل يضحك من استرسال الزياتي في يده [2]، و أحسن صلته.

عطية المهدي للأحوي

و أخبرني أحمد بن عبيد الله بن/عمار قال: حدّثني النوفليّ قال: حدّثني عمي قال: لما قدم الفضل اللّهيّ على عبد الملك بن مروان أمر له بعشرة آلاف درهم، ثم حج الوليد فأمر له بمثلها.

فلما قدم الأحوي [3] على المهديّ فمدحه، قال المهديّ لمن حضر: كم كان عبد الملك أعطى الفضل اللّهيّ لما مدحه، فما أعلم هاشميا مدحه غيره؟ فقيل له: أعطاه عشرة آلاف درهم. قال: فكم أعطاه الوليد؟ قالوا: مثل عطية أبيه. فأمر للأحويّ بثلاثين ألف درهم.

/أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثنا عمر بن شبة، قال: حدّثني أحمد بن معاوية، عن عثمان بن إبراهيم الحاطبيّ، قال: خرج عليّ بن عبد الله بن العباس بالفضل اللّهيّ إلى عبد الملك بن مروان بالشام، فخرج عبد الملك يوما رائحا على نجيب له، و معه بغلة تجنب، فحدا حادي عبد الملك به، فقال: يا أيها البكر الذي أراكا # عليك سهل الأرض في ممشاكا

ويلك هل تعلم من علاكا # إن ابن مروان على ذراكا

خليفة الله الذي امتطاكا [4] # لم يعل بكرا مثل من علاكا

فعارضه الفضل اللّهيّ، فحدا بعليّ بن عبد الله ب عباس، فقال:

يا أيها السائل عن عليّ # سألت عن بدر لنا بدريّ

أغلب في العلياء غالبيّ [5] # و لئن الشيمة هاشمي

جاء على بكر له مهريّ

فنظر عبد الملك إلى عليّ فقال: أ هذا مجنون آل أبي لهب؟ قال: نعم. فلما أعطى قريشا مر به اسمه فحرمه، و قال: يعطيه عليّ. هكذا رواية عمر بن شبة.

[1] هذا مثل، معناه أن الحث يحرك البطيء الضعيف، و يحمله على السرعة. («الميداني» 2: حرف النون) .

[2] كذا في الأصول، و معنى العبارة غامض.

[3] الأحيحي: شاعر، و لعله ينسب إلى أبي أحيحة سعيد بن العاص بن أمية.

[4] ف: اصطفاكا.

[5] كذا في ف، مب. و في بقية الأصول: أغلب في العلياء غلابي.

بينه و بين سليمان

و أخبرني ابن عمار بهذا الخبر عن علي بن محمد بن النوفلي عن عمه: أن سليمان بن عبد الملك حج في خلافة الوليد، فجاء إلى زمزم فجلس عندها، و دخل الفضل اللهي يستقي، فجعل يرتجز و يقول: يا أيها السائل عن علي # سألت عن بدر لنا بدري

مقدم في الخير أبطي # و لين الشيمة هاشمي

زمزنا بوركت من ركي # بوركت للساقى و للمسقي

/فغضب سليمان، و هم بالفضل. فكفه عنه علي بن عبد الله، ثم أتاه بقدر فيه نبيذ من نبيذ السقاية، فأعطاه إياه، و سأله أن يشربه، فأخذه من يده كالمتعجب، ثم قال: نعم إنه يستحب، و وضعه في يده و لم يشربه. فلما ولي الخلافة و حج لقيه الفضل، فلم يعطه شيئاً.

حسد الحارث بن خالد المخزومي له

نسخت من كتاب ابن النطاح، قال:

ذكر أبو المدائني أن الحارث بن خالد المخزومي، كان يحسد الفضل اللهي على شعره و يعاديه، لأن أبا لهب كان قامر جده العاصي بن هاشم على ماله فقمره، ثم قامره على رقة فقمره [1]، فأسلمه قينا، ثم بعث به بديلاً يوم بدر، فقتله علي بن أبي طالب عليه السلام، فكان [2] إذا أنشد شيئاً من شعره يقول: هذا شعر ابن «حمالة الحطب». فقال الفضل في ذلك: ما ذا تحاول من شتمى و منقصتى # ما ذا تعير من حمالة الحطب

/غراء سائلة في المجد غرتها # كانت حليلة شيخ ثاقب النسب

إنا و إن رسول الله جاء بنا # شيخ عظيم شئون الرأس و النشب

يا لعن الله قوما أنت سيدهم # في جلدة بين أصل التليل [3] و الذنب

أبا لقيون توافيني تفاخري # و تدعي المجد قد أفرطت في الكذب

و في ثلاثة رهط أنت رابعهم # توعدي واسطاً جرثومة العرب

في أسرة من قريش هم دعائمها # تشفي دماؤهم للخيل و الكلب

أما أبوك فعبد لست تنكسره # و كان مالكة جدي أبو لهب

النع عيداننا و المجد شيمتنا # لسنا كقومك من مرخ و لا غرب

[1] قمره: غلبه.

[2]الضمير يرجع إلى أبي لهب، كما هو ظاهر من البيت الثامن.
[3]الثيل: وعاء قضيب البعير و التيس، و قد يقال للإنسان.

داينه عقرب حنّاط فهجاه

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدّثني عمي عبيد الله بن محمد، عن ابن حبيب، عن ابن الأعرابي، قال: كان رجل من بني كنانة يقال له عقرب حنّاط قد دأب الفضل اللهبّي فمطله، ثم مر به الفضل و هو يبيع حنطة له، و يقول: جاءت بها ضابطة التّجار # صافية كقطع الأوتار

فقال الفضل:

قد تجرت عقرب في سوقنا # يا عجا للعقرب التاجرة
 قد صافت[1]العقرب و استيقنت # أن مالها دنيا و لا آخره
 فإن تعد عادت لما ساءها # و كانت النعل لها حاضره
 إن عدوا كيده في استه # لغير ذي كيد و لا نائره[2]
 كل عدو يتقى مقبلا # و عقرب تخشى من الدابره
 كأنها إذ خرجت هودج # شدّت قواه رفعة باكره

مفاخرته مع عمر بن ربيعة

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدّثنا دماذ أبو غسان، عن أبي عبيدة، و وجدته في بعض الكتب عن الرياشي عن زكويه العلّائي عن ابن عائشة عن أبيه، و الروايتان كالمتفتحتين: أن عمر بن أبي ربيعة وفد على الملك بن مروان، فأدخل عليه، فسأله عن نسبه، فانتسب، فقال له: لا أنعم الله بقين عينا # تحية السخط إذا التقينا

أ أنت لا أم لك القائل:

صوت

نظرت إليها بالمحضّب من منى # و لي نظر لو لا التحجّ عارم
 فقلت: أشمس أم مصايح بيعة # بدت لك خلف السجف أم أنت حالم
 بعيدة مهوى القرط إمّا النوفل # أبوها و إما عبد شمس و هاشم[3]

[1]لعله من صاف عن الشيء: إذا عدل عنه، يريد عدلت من الإيذاء. و يقال: أضاف الله عني شر فلان، أي صرفه و عدل به (انظر «اللسان») . و في مب: ضاقت.

[2]النائرة: العداوة و الشحناء.

[3] هاشم ليس معطوفا على (لنوفل) بالجر، و إنما هو مرفوع على أنه خبر مبتدأ، تقديره: و إنما أبوها عبد شمس و هاشم. -

الغناء لابن سريج: رمل بالوسطى من رواية عمرو بن بانة، و من رواية حماد بن إسحاق عن أبيه. و لمعبد فيه لحن من رواية إسحاق: ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر[1]، أوّله: بعيدة مهوى القرط إما لنوفل و في لحن معبد خاصة قوله:

/

و مد عليها السجف يوم لقيتها # على عجل تباعها و الخوادم

و تمام الشعر:

فلم أستطعها غير أن قد بدا لنا # عشية راحت كفّها و المعاصم
معاصم لم تضرب على اليهم بالصّحى # عصاها، و وجه لم تلحه السّمائم

نرجع إلى سياقة الخبر:

ثم قال له عبد الملك: قاتلك الله! ما أملك! أ ما كانت لك في بنات العرب مندوحة عن بنات عمك! فقال عمر: بئست و الله هذه التحية يا أمير المؤمنين لابن العم، على شحط الدار، و نأي المزار. فقال له عبد الملك: أراك مرتدعا عن ذلك؟ فقال: إني إلى الله تعالى تائب. فقال عبد الملك: إذن يتوب الله عليك، و سيحسن جائزتك.

و لكن أخبرني عن منازعتك اللّهيّ في المسجد الجامع، /فقد أتاني نبأ ذلك، و كنت أحب أن أسمعك منك. قال عمر: نعم يا أمير المؤمنين، بينا أنا جالس في المسجد الحرام، في جماعة من قريش، إذ دخل علينا الفضل بن العباس بن عتبة، فسلم و جلس، و وافقني و أنا أتمثل بهذا البيت: و أصبح بطن مكة مقشعرا # كان الأرض ليس بها هشام[2]

فأقبل عليّ و قال: يا أخا بني مخزوم، و الله إن بلدة تبجح[3] بها عبد المطلب، و بعث منها رسول الله صلى الله عليه و سلم، و استقرّ بها بيت الله عز و جل، لحقيقة ألا تقشعّر لهشام، و إن أشعر من هذا البيت و أصدق قول من يقول: إنما عبد مناف جوهر # زينّ الجوهر عبد المطلب

فأقبلت عليه فقلت: يا أخا بني هاشم، إن أشعر من صاحبك الذي يقول: إن الدليل على الخيرات أجمعها # أبنا مخزوم[4]، للخيرات مخزوم

فقال لي: أشعر و الله من صاحبك الذي يقول: جبريل أهدى لنا الخيرات أجمعها # إذ أمّ هاشم[4] لا أبناء مخزوم

فقلت في نفسي: غلبنني و الله. ثم حملني الطمع في انقطاعه عليّ،
فخاطبته فقلت: بل أشعر منه الذي يقول: أبناء مخزوم الحريق إذا # حركته
تارة[5] ترى ضمرا

[1] كذا في ف، مب. و في الأصول: الوسطى.

[2] هو هشام بن إسماعيل المخزومي أمير الحجاز.

[3] تبحيح: تمكن في المقام و الحلول.

[4] مخزوم و هاشم: اسمان للقبيلتين، فلذلك منعا من الصرف.

[5] في «بدائع البدائة» لعلي بن ظافر ص 15: «حركت نيرانه» .

يخرج منه الشرار مع لهب # من حاد عن حرّه فقد سلما

/فو الله ما تلعثم[1] أن أقبل عليّ بوجهه فقال: يا أخا بني مخزوم،
أشعر من صاحبك و أصدق الذي يقول: هاشم بحر إذا سما[2] و طما #
أحمد حرّ الحريق و اضطرما

و اعلم و خير المقال أصدقه # بأنّ من رام هاشما هشما

قال: فتمنيت و الله يا أمير المؤمنين أن الأرض ساخت بي، ثم تجلّدت
عليه فقلت: يا أخا بني هاشم، أشعر من صاحبك الذي يقول: أبناء مخزوم
أنجم طلعت # للناس تجلو بنورها الظلما

/نجد بالليل قبل تسأله # جودا هنيئا و تضرب البهما[3]

فأقبل عليّ بأسرع من اللحظ[4]، ثم قال: أشعر من صاحبك و أصدق
الذي يقول: هاشم شمس بالسّعد مطلعها # إذا بدت أخفت النجوم معا

اختار منها ربّي النبيّ فمن # قارعها[5] بعد أحمد قرعا

فأسوّدت الدنيا في عيني، و دير بي، و انقطعت، فلم أحر جوابا. ثم
قلت له: يا أخا بني هاشم، إن كنت تفخر علينا برسول الله صلى الله عليه و
سلم، فما يسعنا مفاخرتك. فقال: كيف؟ لا أمّ لك، و الله لو كان منك لفخرت
به عليّ. فقلت: صدقت و أستغفر الله، إنه لموضع الفخار. و داخلني السرور
لقطعه الكلام، و لئلا ينالني عوز[6] عن إجابته فأفتضح. ثم إنه ابتدا
بالمناقضة، فأفكر هنيهة، ثم قال: قد قلت فلم أجد بدّا من الاستماع، فقلت:
هات. فقال: /

نحن الذين إذا سما لفخارهم # ذو الفخر أقعده هناك القعدد[7]

افخر بنا إن كنت يوما فاخرا # تلق الألى فخورا بفخرك أفردوا

قل يا ابن مخزوم لكل مفاخر # منا المبارك ذو الرسالة أحمد

ما ذا يقول ذوو الفخار هنا لكم # هيهات ذلك، هل ينال الفرقد

فحصرت و الله و تبلّدت، و قلت له: إن لك عندي جوابا فأنظرني. و
أفكرت مليّا، ثم أنشأت أقول: لا فخر إلا قد علاه محمد # فإذا فخرت به
فإني أشهد

أن قد فخرت وفقت كلّ مفاخر # و إليك في الشرف الرفيع المعمد

و لنا دعائم قد بناها أوّل # في المكرمات جرى عليها المولد

[1] ما تلغثم: ما توقف.

[2] «بدائع البدائة» : همي. و مضارعه يهمي.

[3] جمع بهمة، و هو الشجاع ينبهم أمره على قرنه، فلا يدري من أين يصيبه.

[4] «بدائع البدائة» : أسرع من البرق.

[5] كذا في ف. و في الأصول و «بدائع البدائة» : قارعنا.

[6] كذا في ف، مب. في «بدائع البدائة» : عجز عن إجابته. و في الأصول: خور عن إجابته.

[7] القعدد: اللئيم الخامل القاعد عن المكارم. و في «بدائع البدائة» : الزمان القعدد.

من رامها حاشى النبي و أهله # بالفخر غطمطه الخليج المزيد[1]

دع ذا و رح لغناء خود بضة # مما نطقت به و عني معبد

مع فتية تندى بطون أكفهم # جودا إذا هز[2]الزمان الأنكد

يتناولون سلافة عانية # طابت[3]لشاربها و طاب المقعد

فو الله يا أمير المؤمنين، لقد أجبني بجواب كان أشد علي من الشعر، قال لي: يا أبا بني مخزوم، أريك السُّها و تريني القمر-قال أبو عبد الله اليزيدي[4]: أدلك على الأمر الغامض، و أنت لم تبلغ أن ترى الأمر الواضح. و هذا مثل-أ تخرج من المفخرة إلى شرب الراح، و هي الخمر المحرمة؟ فقلت له: أ ما علمت أصلحك الله/أن الله عز و جل يقول في الشعراء: **وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ** [5]. فقال: صدقت، و قد استثنى الله قوما منهم، فقال: **إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** [6]، فإن كنت منهم فقد دخلت تحت الاستثناء، و قد استحققت العقوبة بدعائك إليها؛ و إن لم تكن منهم فالشرك بالله عليك أعظم من شرب الخمر. فقلت: أصلحك الله، لا أجد للمستخذي شيئا أصلح من السكوت. فضحك و قال: أستغفر الله. و قام عني.

قال: فضحك عبد الملك حتى استلقى، و قال يا ابن أبي ربيعة، أ ما علمت أن لبني عبد مناف السنة لا تطاق، أرفع حوائجك. قال: فرفعتها فقضاها، و أحسن جائزتي و صرفني[7].

و اللفظ في هذا الخبر لمحمد/بن العباس[8].

ذكر خبر من لم يمض له خبر و لا يأتي ممن ذكرت صنعه في

هذا الخبر

خليدة المكية

منهم خليدة المكية، و هي مولاة لابن شمّاس، كانت هي و عقيلة و ربيعة يعرفن بالشماسيات، و قد أخذن الغناء عن ابن سريج و معبد و مالك.

فأخبرني الحرمي بن أبي العلاء و الطوسي قالوا: حدّثنا الزبير بن بكار، عن عمه قال: كانت لهشام بن عروة جفنة يصيب منها هو و بنوه ناحية[9]، و كان محمد بن هشام يصنع الطعام الرقيق، فيشير إليهم، فيمسكون عين الأكل، فيفطن هشام، فيقول: لقد حدث شيء، ثم يقول محمد، فيتسلل القوم إليه، و جاءت [1]بالفخر: كذا في ف، مب و «بدائع البدائة». و في الأصول: في الأرض و غطمطه: اضطربت به أمواجه.

[2]هر: ساء خلقه و اشتد. و في «بدائع البدائة» : غلج الحرون الأنكد. و يقال غلج الفرس: خلط في سيره و اضطرب.

[3]هر: ساء خلقه و اشتد. و في «بدائع البدائة» : غلج الحرون الأنكد. و يقال غلج الفرس: خلط في سيره و اضطرب.

[3] «بدائع البدائة» : لذت.

[4]هو محمد بن العباس اليزيدي النحوي (ت 310 هـ) . و من لفظه نقل أبو الفرج هذا الخبر؛ كما سيأتي في آخره. و في الأصول: الزبيري. تحريف. و التصويب عن «بدائع البدائة» ، لعلي بن ظافر.

[5]سورة الشعراء آية: 226.

[6]سورة العصر آية: 3، و سورة التين آية: 6 و سورة الانشقاق آية:

25.

[7]قال علي بن ظافر في «بدائع البدائة» ص 17 تعليقا على هذه القصة: «و أحسب الحكاية مصنوعة، لأن أشعارها ضعيفة» .

[8]هو أبو عبد الله اليزيدي (انظر ترجمته في هامش ص 189) .

[9]في ف. و في الأصول: و بنو ناجية. تحريف.

/خليدة المكية، فصعدوا غرفة، فلما عثت إذا حفز[1] و نفس، فإذا هو هشام قد طلع و هو ينشد: يا قدمي الحقاني بالقوم # لا تعداني كسلا بعد اليوم

فلما رأهم، قال: أحسبه قد جلس معهم. و قال لخليدة: غني. فغنت. فقال لها: اکتبي في صدرك **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** و المعوذتين لا تصيبك العين.

كان ابن جامع يطرب لغنائها

أخبرني علي بن عبد العزيز الكاتب، عن ابن خرداذبه قال: حدّثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي، عن الفضل بن الربيع قال: ما رأيت ابن جامع يضرب لغناء كما يطرب لغناء خليدة المكية، و كانت سوداء، و فيها يقول الشاعر: فتنت كاتب الأمير رباحا[2] # يا لقوم خليدة المكية

أرسل إليها محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان يخطبها

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدّثنا عمر بن شبة، و نسخت هذا الخبر بعينه من كتاب جعفر بن قدامة بخطه، قال: حدّثني عمر بن شبة قال: بلغني أن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان أرسل إلى خليدة المكية أبا عون مولاه يخطبها عليه.

فاستأذن فأذنت له و عليها ثياب رقاق لا تسترها، ثم و ثبت، فقالت: إنما ظننتك بعض سفهائك، و لكني ألبس لك ثياب مثلك، ثم أخرج إليك. ففعلت، و قالت: قل. قال: أرسلني إليك مولاي، و هو من تعلمين بين رسول الله صلى الله عليه و سلم و بين علي و عثمان، و هو ابن عم أمير المؤمنين، يخطبك. و قالت: قد نسبته فأبلغت، فاسمع نسبي أنا، بأبي أنت.

/إن أبي بيع على غير عقد الإسلام و لا عهده، فعاش عبدا، و مات و في رجله قيد، و في عنقه سلسلة، و على الإباق و السرقة؛ و ولدتني أُمي على غير رشدة، و ماتت و هي أبقة، فأنا من تعلم. فإن أراد صاحبك نكاحا مباحا، أو زنا صراحا، فهلم إليه، فنحن له. فقال: إنه لا يدخل في الحرام. قالت: و لا ينبغي أن يستحي من الحلال. فأما نكاح السر فلا. و الله لا فعلته، و لا كنت عارا على القيان. قال: فأتيت محمدا فأخبرته، فقال: ويلك! أتزوجها معلنا و عندي بنت طلحة بن عبيد الله! لا. و لكن ارجع إليها، فقال لها تختلف إليّ أردد بصري فيها، لعلني أسلو. فرجعت فأبلغتها الرسالة، فضحكت، و قالت: أما هذا فنعم. لسنا نمناه منه.

رَبِّ لَيْلٍ نَاعِمٍ أَحْيَيْتَهُ # فِي عَفَافٍ عِنْدَ قَبَاءِ الْحَشَى
/ وَ نَهَارٍ قَدْ لَهَوْنَا بِالْتِي # لَا تَرَى شَيْهَا لَهَا فَيَمُنْ مَشَى
لَطُلُوعِ الشَّمْسِ حَتَّى آذَنْتَ # بِغُرُوبِ عِنْدِ إِبَانِ الْعِشَاءِ [3]

[1] الخفر: الدفع، و تتابع النفس في الصدر. و في الأصول: صفر.

[2] كذا في ف، و في الأصول: رباحا.

[3] رواية الشطر الثاني في الأصول: «لغروب أنت تهوى من تشا» .

لسليمى ما دعت قمرية # بهديل فوق غصن من غضى

و عقار قهوه باكرتها # في ندامى كمصايح الدجى

و جواد سايح أقحمته # حومة الموت على زرق القنا

/الشعر للمهاجر بن خالد ب الوليد، فيما ذكر الزبير بن بكار. و ذكر أبو عمرو الشيباني و خالد بن كلثوم: أنه لابنه خالد بن المهاجر. و الغناء لابن محرز، ثقیل أول بالسبابة في مجرى البنصر، عن إسحاق؛ و فيه لإبراهيم الموصلي لحنان، أحدهما هج خفيف بالسبابة، في مجرى البنصر، عن إسحاق و ابن المكي، و الآخر رمل بالبنصر، عن عمرو و ابن المكي و الهشامي. و فيه المعبد خفيف ثقیل بالخنصر و البنصر، عن ابن المكي. قال: و فيه لمالك خفيف ثقیل آخر، نشيد[1]، و وافقه عمرو و الهشامي، و ذكر عمرو في نسخته الأولى أنه لابن محرز، و المعمول عليه الرواية الثانية.

[1]كذا في مب. و في بقية الأصول: «نشيد مسح» .

10- أخبار المهاجر بن خالد و نسبه، و أخبار ابنه خالد

اسمه و نسبه

المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة عبد الله بن عمر بن مخزوم ب يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب. و كان الوليد بن المغيرة سيدا من سادات قريش، و جوادا من جودائها[1]. و كان يلقب بالوحيد. و أمه صخرة بنت الحارث بن عبد الله بن عبد شمس، امرأة من بجيلة، ثم من قسر. و لما مات الوليد بن المغيرة أرخت قريش بوفاته مدة، لإعظامها إياه، حتى كان عام الفيل، فجعلوه تاريخا. هكذا ذكر ابن دأب.

و أما الزبير بن بكار فذكر عن عمرو بن أبي بكر المؤملي، أنها كانت تؤرخ ب وفاة هشام بن المغيرة تسع سنين، إلى أن كانت السنة التي بنوا فيها الكعبة، فأرخوا بها.

بلاء خالد في الإسلام

و لخالد بن الوليد من الشهرة بصحبة رسول الله صلى الله عليه و سلم و الغناء في حروبه المحل المشهور، و لقبه رسول الله صلى الله عليه و سلم سيف الله، و هاجر إلى النبي صلى الله عليه و سلم قبل الفتح و بعد الحديبية هو و عمرو بن العاص و عثمان بن طلحة. فقال النبي صلى الله عليه و سلم لما راهم: رمتكم مكة بأفلاذ كبدها. و شهد فتح مكة مع النبي صلى الله عليه و سلم؛ فكان أول من دخلها في مهاجرة العرب من أسفل مكة، و شهد يوم مؤته. فلما قتل زيد بن حارثة و جعفر بن أبي طالب و عبد الله بن رواحة، و رأى ألا طاقة للمسلمين بالقوم، انحاز بهم، و حامى عليهم حتى سلموا، فلقبه يومئذ رسول الله صلى الله عليه و سلم: سيف الله.

حدثنا بذلك أجمع الحرمي بن أبي العلاء و الطوسي عن الزبير بن بكار.

/و كان خالد يوم حنين في مقدمة رسول الله صلى الله عليه و سلم و معه بنو سليم، فأصابته جراح كثيرة، فأتاه رسول الله صلى الله عليه و سلم بعد هزيمة المشركين، فنفت على جراحه، فاندملت و نهض. و له آثار في قتال أهل الردة، في أيام أبي بكر رضي الله عنه مشهورة، يطول ذكرها. و هو فتح الحيرة، بعث إليه أهلها عبد المسيح بن عمرو بن/بقيلة، فكلمة خالد، فقال له: من أين أقبلت؟ قال: من ورائي. قال: و أين تريد؟ قال: أمامي. قال: ابن كم أنت؟ قال: ابن رجل و امرأة.

قال: فأين أقصى أترك؟ قال: منتهى عمري. قال: أ تعقل؟ قال: نعم، و أقيّد. قال: ما هذه الحصون؟ قال: بنيناها نتقي بها السفية حتى يردعه الحليم. قال: لأمر ما اختارك قومك، ما هذا في يدك؟ قال: سم ساعة. قال: و ما

تصنع به؟ قال: أردت أن أنظر ما تردني به: فإن بلغت ما فيه صلاح لقومي عدت إليهم، وإلا شربته، فقتلت نفسي، و لم أرجع إلى قومي بما يكرهون. فقال له خالد: أرنيه. فناوله إياه. فقال خالد: باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض و لا في السماء، و هو السميع العليم، ثم أكله، فتجلته عشية، ثم أفاق يمسح العرق عن وجهه.

[1] كذا في ف، مب. و في الأصول: أجوادها، و هما بمعنى.

فرجع ابن ببيعة إلى قومه، فأخبرهم بذلك، و قال: ما هؤلاء القوم إلا من الشياطين، و ما لكم بهم طاقة، فصالحوهم على ما يريدون. ففعلوا.

أخبرني بذلك إبراهيم بن السري، عن يحيى التميمي، عن أبيه، عن شعيب بن سيف. و أخبرني به الحسن بن عليّ عن الحارث بن محمد عن محمد بن سعد، عن الواقدي.

و أمره أبو بكر على جميع الجيوش التي بعثها إلى الشام لحرب الروم، و فيهم أبو عبدة بن الجراح و معاذ بن جبل، فرضوا به و بإمارته.

قالوا: و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم قد حلق رأسه ذات يوم، فأخذ شعره، في قلنسوة له، فكان لا يلقى جيشا و هي عليه إلا هزمه.

/و روى عن النبي صلى الله عليه و سلم قد حلق رأسه ذات يوم، فأخذ شعره، فجعله في قلنسوة له، فكان لا يلقى جيشا و هي عليه إلا هزمه.

/و روى عن النبي صلى الله عليه و سلم الحديث، و حمل عنه. و رآه النبي صلى الله عليه و سلم متدلّيا من هرشى فقال: نعم الرجل خالد بن الوليد.

أخبرنا بذلك الطوسي و الحرميّ قالا: حدّثنا الزبير بن بكار قال: حدّثني يعقوب بن محمد عن عبد العزيز بن محمد، عن عبد الواحد بن أبي عون، عن أبي سعيد [1]المقبري، عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال ذلك له.

ما صنعه النساء عند موت خالد

قال الزبير: و حدّثني محمد بن سلام، عن أبان بن عثمان قال:

لما مات خالد بن الوليد لم تبق امرأة من بني المغيرة إلا وضعت لمّتها على قبره، يعني حلقت رأسها، و وضعت شعرها على قبره.

قال ابن سلام: و قال يونس النحوي: إن عمر رضي الله عنه قال حينئذ: دعوا نساء بني المغيرة يبكين أبا سليمان، و يرقن من دموعهن سجلا أو سجلين، ما لم يكن نقع أو لقلقة.

قال: و النقع: مد الصوت بالنحيب. و اللقلقة: حركة اللسان بالولولة و نحوها.

قال الزبير، فيما ذكره لي من رويت عنه: حدّثني محمد بن الصّحاح عن أبيه:

كان خالد أشبه الناس بعمر

أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان أشبه الناس بخالد بن الوليد، فخرج عمر سحرا، فلقيه شيخ، فقال له:

مرحبا بك يا أبا سليمان، فنظر إليه عمر، فإذا هو علقمة بن علاثة، فردّ عليه السلام. فقال له علقمة: عزلك عمر بن الخطاب؟ فقال له عمر: نعم. قال: ما شيع، لا أشيع الله بطنه! قال له عمر: فما عندك؟ قال: ما عندي إلا السمع و الطاعة.

/فلما أصبح عمر دعا بخالد، و حضره علقمة بن علاثة، فأقبل على خالد، فقال له: ما ذا قال لك علقمة؟ قال: ما قال لي شيئا. قال: اصدقني. فحلف خالد بالله ما لقيه، و لا قال له شيئا. فقال له علقمة: حلا[2]أبا [1]كذا في ف. و في مب: سعد. و في بقية الأصول: سعيد المقبري.

[2]حلا: أي تحلل من حلفك.

سليمان. فتبسم عمر، فعلم خالد أن علقمة قد غلطا، و فطن علقمة، فقال له: قد كان ذلك يا أمير المؤمنين، فاعف عني، عفا الله عنك. فضحك عمر و أخبره الخبر.

أخبرني عمي قال: حدّثني أحمد بن الحارث الخزاز قال: حدّثنا/ المدائني، عن شيخ من أهل الحجاز، عن زيد بن رافع مولى المهاجر بن خالد بن الوليد، و عن أبي ذئب [1]، عن أبي سهيل أو ابن سهيل:

دس معاوية لعبد الرحمن بن خالد من يقتله

أن معاوية لما أراد أن يظهر العهد ليزيد، قال لأهل الشام: إن أمير المؤمنين قد كبرت سنه، ورق جلده، ودق عظمه، و اقترب أجله، و يريد أن يستخلف عليكم، فمن ترون؟ فقالوا: عبد الرحمن بن خالد بن الوليد. فسكت و أضمرها، و دس ابن أثال الطيب إليه، فسقاه سمّا فمات. و بلغ ابن أخيه خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد خبره و هو بمكة، و كان أسوأ الناس رأيا في عمّه، لأن أباه المهاجر كان مع عليّ عليه السلام بصفيين، و كان عبد الرحمن بن خالد بن الوليد مع معاوية، و كان خالد بن المهاجر على رأي أبيه: هاشميّ المذهب، و دخل مع بني هاشم الشّعب، فاضطغن ذلك ابن الزبير عليه، فألقى عليه زق خمر، و صبّ بعضه على رأسه، و شتّع عليه بأنه وجده ثملا من الخمر، فضربه الحدّ. فلما قتل عمه عبد الرحمن مرّ به/عروة بن الزبير، فقال له: يا خالد: أتدع ابن أثال ينقي [2]أوصال عمك بالشّام و أنت بمكة مسبل إزارك، تجره و تخطر فيه متخايلا؟ فحمي خالد، و دعا مولى له يدعى نافعا، فأعلمه الخبر، و قال له: لا بد من قتل ابن أثال؛ و كان نافع جلدا شهما.

فخرجا حتى قدما دمشق، و كان ابن أثال يمسي عند معاوية، فجلس له في مسجد دمشق إلى أسطوانة، و جلس غلامه إلى أخرى، حتى خرج. فقال خالد لنافع: إياك أن تعرض له أنت، فإني أضربه، و لكن احفظ ظهري، و اكفني من ورائي، فإن رابك شيء يريدني من ورائي فشأنك. فلما حاذاه وثب عليه فقتله، و ثار إليه من كان معه. فصاح بهم نافع فانفرجوا، و مضى خالد و نافع، و تبعهما من كان معه، فلما غشوهما حملا عليهم، فتفرقوا، حتى دخل خالد و نافع زقاقا ضيقا، ففاتا القوم. و بلغ معاوية الخبر، فقال: هذا خالد بن المهاجر، اقلبوا الزقاق الذي دخل فيه. ففتّش عليه، فأتى به. فقال: لا جزاك الله من زائر خيرا، قتلت طيبيا. قال: قتلت المأمور و بقي الأمر. فقال له: عليك لعنة الله! أما و الله لو كان تشهّد مرة واحد لقتلتك به،

أ معك نافع؟ قال: لا. قال: بلى و الله ما اجترأت إلا به. ثم أمر بطلبه فوجد، فأتي به، فضربه مائة سوط. و لم يهج خالدًا بشيء أكثر من أن حبسه، و ألزم بني مخزوم دية ابن أثال، اثني عشر ألف درهم. أدخل بيت المال منها ستة آلاف درهم، و أخذ ستة آلاف درهم، و لم يزل ذلك يجري في دية المعاهد، حتى ولي عمر بن عبد العزيز، فأبطل الذي يأخذه السلطان لنفسه، و أثبت الذي يدخل بيت المال.

و خالد بن المهاجر الذي يقول:

[1] كذا في ف، مب. و في بقية الأصول: سليمان بن أبي ذئب.

[2] ينقي: أي يستخرج المخ من العظام. يريد أن يعث بأعضاء الزبير بعد قتله إياه، لأنه لا يعبا بأحد من أهله. و الكلمة في ف غير واضحة تماما، و قد تقرأ: يفني، أو يقى، و لا معنى لهما هنا. و انظر الكلمة مرة ثانية في صفحة (200 سطر 2) .

صوت

يا صاح يا ذا الضامر العنس # و الرجل ذي الأنساع و الحلس

سير النهار و لست تاركه # و تجدّ سيرا كلما تمسي

في هذين البيتين و بيت ثالث لم أجده في شعر المهاجر، و لا أدري أ هو له أم الحقه به المغنون، لحنان: ثقيل أوّل، و حفيف ثقيل. ذكر يونس أن أحدهما لمالك، و لم يذكر طريقة لحنه، و وجدته في جامع غناء معبد، عن الهشاميّ.

و يحيى المكي له فيه خفيف ثقيل. و هكذا ذكر عليّ بن يحيى أيضا، و لعله رواه عن ابن المكيّ. و إن كان هذا لمعبد صحيحا، فلحن مالك هو الثقيل الأوّل. و ذكر حبش، و هو ممن لا يحصل قوله: أن لحن معبد ثقيل أوّل بالوسطى.

رجع الخبر إلى سياقة خبر خالد

خالد يحرض عروة بن الزبير على قتل بن جرموز

قال: و لما حبس معاوية خالد بن المهاجر قال في الحبس:

إمّا خطاي تقاربت # مشى المقيّد في الحصار

فيما أمشي في الأبا # طح يقتفي أثري إزاري

دع ذا و لكن هل ترى # نارا تشبّ بذي مرار[1]

ما إن تشبّ لقرّة # للمصطلين و لا قنار

ما بال ليلك ليس يد # -قص طوله طول النهار

لتناصر الأزمان أم # غرض الأشير من الإسار؟[2]

/قال: فبلغت أبياته معاوية، فرق له و أطلقه. فرجع إلى مكة. فلما قدمها لقي عروة بن الزبير، فقال له: أما ابن أثال فقد قتلته، و ذاك ابن جرموز ينقي[3] أوصال الزبير بالبصرة، فاقتله إن كنت ناثرا. فشكاه عروة إلى أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فأقسم عليه أن يمسك عنه، ففعل.

غنى إبراهيم بن المهدي في شعر للمهاجر

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثني يعقوب بن نعيم قال: حدّثني إسحاق بن محمد قال: حدّثني عيسى بن محمد القحطبيّ قال: حدّثني محمد بن الحارث بن بسحّتر قال: غنى إبراهيم بن المهديّ يوما

بحضرة المأمون و أنا حاضر: يا صاح يا ذا الضامر العنس # و الرجل ذي الأقتاب و الحلس

[1] ذو المرار: أرض كثيرة المرار، و هو حمض أو شجر مر من أفضل العشب و أضخمه، إذا أكلته الإبل قلصت مشاferها، فبدت أسنانها («تاج العروس») .

[2] الغرض: مصدر غرض: إذا ضجر و قلق.

[3] انظر التعليق على هذه الكلمة في (ص 198: سطر 1) .

قال: و كانت لي جائزة قد خرجت، فقلت: تأمر سيدي يا أمير المؤمنين بإلقاء هذا الصوت عليّ مكان جائزتي، فهو أحب إليّ منها؟ فقال له: يا عم، ألق هذا الصوت على محمد. فألقاه عليّ حتى إذا كدت أن آخذه قال: اذهب فأنت أحذق الناس به. فقلت: إنه لم يصلح لي بعد. قال: فاغد غدا عليّ. فغدوت عليه، فأعاده ملتوبا[1]، فقلت له:

أيها الأمير، لك في الخلافة ما ليس لأحد؛ أنت ابن الخليفة، و أخو الخليفة، و عمّ الخليفة، تجود بالرغائب، و تبخل عليّ بصوت؟ فقال: ما أحملك! إن المأمون لم يستبقني محبة لي، و لا صلة لرحمي، و لا ليربّ المعروف عندي، و لكنه سمع من هذا الجرم ما لم يسمعه من غيره. قال: فأعلمت المأمون بمقالته. فقال: إنا لا نكدرّ على أبي إسحاق عفونا عنه، فدعه. فلما كانت/أيام المعتصم نشط للصّبح يوماً، فقال: أحضروا عمّي. فجاء في درّاعة بغير طيلسان، فأعلمت المعتصم بخبر الصوت سرّاً، فقال: يا عمّ غنّني:

يا صاح يا ذا الضامر العنس # و الرجل ذي الأفتاب و الحلس

فغناه. فقال: ألقه على محمد، فقال: قد فعلت، و قد سبق مني قول ألا أعيده عليه. ثم كان يتجنب أن يغنيه حيث أحضر.

صوت

أقفر بعد الأحبة البلد # فهو كأن لم يكن به أحد

شجاك نؤي عفت معالمه # و هامد في العراض ملتبد

أمك عنسية مهذّبة # طابت لها الأمّهات و القصد[2]

/تدعى زهيرية إذا انتسبت # حيث تلاقى الأنساب و العدد

الشعر لحمزة بن بيض، و الغناء لمعبد، خفيف ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. و فيه لابن عباد ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي و عمرو و ابن المكيّ.

[1] ف، مب: متلونا.

[2] كذا في ف، مب. و في بقية الأصول: و النحد. و القصد: اسم جنس جمعي واحده قصدة بالتحريك، و هي من كل شجرة ذات شوك، أن يظهر نباتها أول ما ينبت. يريد طابت أمهاتها و منابتها.

11- أخبار حمزة بن بيض [1] ونسبه

هو شاعر إسلامي خليع

حمزة بن بيض الحنفيّ: شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية، كوفيّ خليع ماجن، من فحول طبقته. و كان كالمنقطع إلى المهلب بن أبي صفرة و ولده، ثم إلى أبان بن الوليد، و بلال بن أبي بردة. و اكتسب بالشعر من هؤلاء مالا عظيما، و لم يدرك الدولة العباسية.

تكسبه بالشعر

أخبرني عمي قال: حدّثنا أبو هفان قال: أخبرني أبو محلم عن المفضل قال: أخذ حمزة بن بيض الحنفيّ بالشعر ألف ألف درهم، من مال و حملان [2] و ثياب و رقيق غير ذلك.

بلال بن أبي بردة يمزح معه

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدّثني عبد الله بن أبي سعد، قال: حدّثني أبو توبة، قال:

قدم حمزة بن بيض على بلال بن أبي بردة، فلما وصل إلى بابه قال لحاجبه: استأذن لحمزة بن بيض الحنفيّ، فدخل الغلام إلى بلال، فقال: حمزة بن بيض بالباب. و كان بلال كثير المزح معه، فقال: اخرج إليه فقل: حمزة بن بيض ابن من؟ فخرج الحاجب إليه، فقال له ذلك. فقال: ادخل فقل له: الذي جئت إليه إلى بنيان الحمام و أنت أمرد، تسأله أن يهب لك طائرا، فأدخلك [3] و ناكك، و وهب لك طائرا [3]. فشتمه الحاجب. فقال له: ما أنت و ذا؟ بعثك برسالة، / فأخبره بالجواب. فدخل الحاجب و هو مغضب، فلما رآه بلال ضحك، و قال: ما قال لك قبحه الله؟ قال: ما كنت لأخبر الأمير بما قال. فقال: يا هذا، أنت رسول فأدّ الجواب. قال: فأبى. فأقسم عليه حتى أخبره. فضحك حتى فحص برجله، و قال: قل له: قد عرفنا العلامة فادخل، فدخل فأكرمه، و رفعه، و سمع مديحه، و أحسن صلته.

قال: و أراد يقوله (ابن بيض ابن من؟) قول الشاعر فيه:

أنت ابن بيض لعمرى لست أنكره # و قد صدقت، و لكن من أبو بيض؟

يمدح مخلد بن يزيد فيثبه

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدّثني محمد بن الحسن الأحول، عن الأثرم، عن أبي عمرو، و أخبرني وكيع قال: حدّثني عبيد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان، قال: حدّثني أبو الحسن الشيباني قال: حدّثني شعيب بن صفوان، قال:

[1] ضبطه ابن بري و المطرز بكسر الباء. و ضبطه ابن حجر بالفتح. و قال الفراء: إنه جمع أبيض و بيضاء (عن «تاج العروس») .

[2] الحملان: الدواب التي تحمل الهبات خاصة.

(3-3) هذه العبارة في الأصول، و سقطت من ف. و السياق بعدها يقتضيها. -

قدم حمزة بن بيض على مخلد بن يزيد بن المهلب و عنده الكميت،
فأنشده قوله فيه: أتيناك في حاجة فاقضها # و قل مرحبا يجب المرحب

و لا تكلنا إلى معشر # متى يعدوا عدة يكذبوا

فإنك في الفرع من أسرة # لهم خضع الشرق و المغرب

و في أدب منهم ما نشأت # و نعم لعمرک ما أدبوا[1]

بلغت لعشر مضت من سنيد # -ك ما يبلغ السيد الأشيب

فهّمك فيها جسام الأمور # و همّ لداتك أن يلعبوا

/وجدت فقلت ألا سائل # فيعطى و لا راغب يرغب

فمنك العطية للسائلين # و ممن ينوبك أن يطلبوا[2]

/فأمر له بمائة ألف درهم، فقبضها. قال وكيع في خبره: و سأله عن
حوادثه، فأخبره بها، فقبضى جميعها. و قال أيضا في خبره: فحسده الكميت.
فقال له: يا حمزة، أنت كمهدي التمر إلى هجر، قال: نعم، و لكن تمرنا
أطيب من تمر هجر.

مرضه

أخبرني عليّ بن سليمان قال: حدّثني محمد بن يزيد النحويّ، قال: قال
الجاحظ: أصاب حمزة بن بيض حصر[3]، فدخل عليه قوم يعودونه و هو في
كرب القولنج، إذ ضرب رجل منهم، فقال حمزة: من هذا المنعم عليه؟

نبوءة شعرية له

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال:
قال عليّ بن الصباح: حدّثني هشام بن محمد، عن الشّرقيّ، قال: زعم
هشام بن عروة أن عبد الرّحمن بن عنبسة مرّ فإذا هو بـغلام أصبح الغلمان و
أحسنهم، و لم يكن لعبد الرّحمن ولد، فسأل عنه، فقيل له: يتيم من أهل
الشام، قدم أبوه العراق في بعث[4] فقتل، و بقي الغلام هاهنا، فضمه ابن
عنبسة إليه، و تباها. فوقع الغلام فيما شاء من الدنيا، و مرّ يوما على بردون
و معه خدم على ابن بيض، و حول ابن بيض عياله في يوم شات، و هم
شعث غير عراة، فقال ابن بيض: من هذا؟ فقيل: صدقة يتيم ابن عنبسة.

فقال:

[1] البيت ساقط من ف، مب.

[2] البيت عن ف، مب.

[3] الحصر: احتباس البطن أو البول.

[4] البعث: الجيش.

يشعث صبياننا و ما يتموا # و أنت صافي الأديم و الحدقه
 فليت صبياننا إذا يتموا # يلقون ما قد لقيت يا صدقه
 /عوضك الله من أبيك و من # أمك في الشام بالعراق مقه
 كفاك عبد الرحمن فقدهما[1] # فأنت في كسوة و في نفقه
 تظل في درمك[2] و فاكهة # و لحم طير ما شئت أو مرقه
 تأوي إلى حاضن و حاضنة # زادا على والديك في الشفقه
 فكل هنيئا ما عاش ثم إذا # مات فلغ في الدماء و السرقة
 و خالف المسلمين قبلتهم # و ضلّ عنهم و خادن الفسقه
 و اشتر نهد التليل ذا خصل # لصوته في الصهيل صهصلقه[3]
 و اقطع عليه الطريق تلف غدا # ربّ دنائير جمّة ورقه[4]

فلما مات عبد الرحمن، أصابه ما قال ابن بيض أجمع: من الفساد و
 السرقة و صحبة اللصوص، ثم كان آخر ذلك أنه قطع الطريق، فأخذ و صلب.
 أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثني النوفليّ عن أبيه. قال
 ابن عمار: و أخبرني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ، قال: حدّثني أبي عن
 أبي سفيان الحميريّ قال:

نبوءة أخرى

خرج حمزة بن بيض يريد سفرا، فاضطره الليل إلى قرية عامرة، كثيرة
 الأهل و المواشي، من النشاء و البقر، كثيرة الزرع، فلم يصنعوا به خيرا، فغدا
 عليهم، و قال: لعن الإله قرية يممّتها # فأضافني ليلا إليها المغرب

الزارعين و ليس لي زرع بها # و الحالين و ليس لي ما أحلب
 /فلعلّ ذاك الزرع يودي أهله # و لعلّ ذاك النشاء يوما يجرب
 و لعلّ طاعونا يصيب علوجها # و يصيب ساكنها الزمان فتخرب

/قال: فلم يمر بتلك القرية سنة حتى أصابهم الطاعون، فأباد أهلها، و
 خربت إلى اليوم. فمر بهم ابن بيض، فقال: كلاً، زعمت أني لا أعطى منيتي.
 قالوا: و أبيك لقد أعطيتها، فلو كنت تمنيت الجنة كان خيرا لك. قال: أنا أعلم
 بنفسي، لا أتمنى ما لست له بأهل، و لكنني أرجو رحمة ربي عز و جلّ.

[1] كذا في ف، مب. و في الأصول: همهما.

[2] الدرّمك: الدقيق الأبيض.

[3]النهد: المرتفع. و التليل: العنق. و الصهصلقة: شدة الصوت.
[4]الرقعة: الدراهم المضروبة.

هجو من لم يحسن ضيافته

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن زكرياء الغلابيّ قال: قال ابن عائشة: خرج ابن بيض في سفر، فنزل بقوم، فلم يحسنوا ضيافته، و أتوه بخبز يابس، و ألقوا لبغلة تبا، فأعرض عنهم، و أقبل على بغلته، فقال: أحسبها ليلة أدلجتها # فكلي إن شئت تبا أو ذري

قد أتى ربك خبز يابس # فتعزّي معه و اصطبري[1]

الفرزدق يفحمه

حدّثنا محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدّثنا أحمد بن الحارث الخراز، قال: حدّثنا المدائني، قال: قال حمزة بن بيض يوما للفرزدق: أيّما أحب إليك، تسبق الخير أو يسبقك؟ قال: لا أسبقه و لا يسبقني، و لكن نكون معا. فأيّما أحب إليك، أن تدخل إلى بيتك، فتجد رجلا قابضا على حر امرأتك، أو تجد امرأتك قابضة على أيره؟ فقال: كلام لا بد من جوابه، و البادي أظلم، بل أجدها قابضة على أيره، قد أغبته[2] عن نفسها.

جبنه

نسخت من كتاب أبي إسحاق الشايميني[3]: قال ابن الأعرابي: وقع بين بني حنيفة بالكوفة، و بين بني تميم شر، حتى نشبت الحرب بينهم، فقال رجل لحمزة بن بيض: أ لا تأتي هؤلاء القوم، فتدفعهم عن قومك، فإنك ذو بيان و عارضة؟ فقال: ألا لا تلمني يا بن ماهان إنني # أخاف على فخّارتي[4] أن تحطما

و لو أنني أبتاع في السوق مثلها # و جدك[5] ما باليت أن أتقدّما

مفاضلة بين ناسك و شارب للنبيد

قال: و كان لابن بيض صديق عامل من عمال ابن هبيرة، فاستودع رجلا ناسكا ثلاثين ألف درهم، و استودع مثلها رجلا نبيدا، فأما الناسك فبنى بها داره، و تزوّج النساء، و أنفقها و جده. و أما النبذيّ فأدّى إليه الأمانة في ماله، فقال حمزة بن بيض فيهما: ألا لا يغزّنك ذو سجدة # يظل بها دأبا يخدع

كأن بجبهته جلبية[6] # يسبح طورا و يسترجع

[1] رواية الشطر الثاني في الأصول عدا ف، مب:

فتغذي و تعزي و اصبري

[2]أغبته: آخرته و أبعدته.

[3]الشايمني: كلمة غير واضحة في الأصول. و لم نجد الاسم في
المراجع.

[4]يريد: رأسي.

[5]ف، مب: و عيشك.

[6]الجلبة: قشرة رقيقة تعلو الجرح عند البرء، شبه بها أثر السجود.

و ما للثقى لزمت وجهه # و لكن ليغترّ مستودع
 فلا تنفرنّ من اهل النيذ # و إن قيل يشرب لا يطلع
 فعندك علم بما قد خبر # ت إن كان علم بهم ينفع
 ثلاثون ألفا حواها السجود # فليست إلى أهلها ترجع
 بنى الدار من غير ما ماله # و أصبح في بيته أربع
 مهائر من غير مال حواه # يقاتون أرزاقهم جوع[1]

/و أخبرني بهذا الخبر الحسين بن محمد بن زكريا الصّخّاف، قال: حدّثنا
 قعنب بن المحرز، قال: حدّثنا أبو عبيدة و الأصمعي، و كيسان بن المعرف،
 فذكروا نحو هذا الخبر، إلا أنه حكى أن حمزة بن بيض هو الذي استودع
 الرجلين المال، و قال: /

و أدى أخو الكأس ما عنده # و ما كنت في ردها أطمع

نقيضة بينه و بين أبي الجون السحيمي

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدّثنا عبد الله بن شبيب قال:
 حدّثني أحمد بن محمد، عن ابن داجة، قال: اختصم أبو الجون السحيمي و
 حمزة بن بيض، إلى المهاجر بن عبد الله الكلابي، و هو على اليمامة، فوثب
 عليه حمزة و قال: غمّضت في حاجة كانت تؤرقني # لو لا الذي قلت فيها
 قلّ تغميضي

فقال: و ما الذي قلت لك؟ قال:

حلفت بالله لي أن سوف تنصفي # فساغ في الحلق ربي بعد تجريضي

قال: و أنا أحلف لأنصفنك. قال:

سل هؤلاء إلى ما ذا شهادتهم # أم كيف أنت و أصحاب المعارض

قال: أوجعهم ضربا. فقال:

و سل سحيفا إذا وافك أجمعهم # هل كان بالشر حوض قبل تحويضي

قال: فقضى له. فأنشأ السحيمي يقول:

أنت ابن بيض لعمرى لست أنكره # حقا يقينا، و لكن من أبو بيض؟

إن كنت أنبضت لي قوسا لترميني # فقد رميتك رميا غير تنبيض

أو كنت خضضت لي وطبا لتسقينني # فقد سقيتك محضا غير ممخوض

[1]مهائر: أي حرائر يعطين المهر عند التزوّج بهن. و لسن إماء
مملوكات.

قال: فوجم حمزة و قطع به. فقيل له: و بك! مالك لا تجيبه؟ قال: و بم أجيبه؟ و الله لو قلت له: عبد المطلب بن هاشم أبو بيض ما نفعتني ذلك، بعد قوله: و لكن من أبو بيض؟ / و أخبرني بهذا الخبر ابن دريد، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة بمثله. و قال فيه: إن المخاصم له أبو الحويرث السحيمي.

يمدح يزيد بن المهلب في السجن فيكافئه

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: أخبرنا السكّن بن سعيد، عن محمد بن عباد، قال: دخل حمزة بن بيض على يزيد بن المهلب السجن، فأنشده:

أغلق دون السماح و الجود و الذ # جدة باب حديده أشب

ابن ثلاث و أربعين مضت # لا ضرع واهن و لا نكب [1]

لا بطر إن تابعت نعم # و صابر في البلاء محتسب

بززت سبق الجواد في مهل # و قصرت دون سعيك العرب

فقال: و الله يا حمزة لقد أسأت، إذ نوّهت باسمي في غير وقت تنويه، و لا منزل [2] لك، ثم رفع مقعدا تحته، فرمى إليه بخرقة مصرورة، و عليه صاحب خير واقف، فقال: خذ هذا الدينار، فو الله ما أملك ذهباً غيره. فأخذه حمزة، و أراد أن يرده، فقال له يسرا: خذه و لا تخدع عنه. فقال حمزة: فلما قال لي: لا تخدع عنه، قلت: و الله ما هذا بدينار، فقال لي صاحب الخبر: ما أعطاك يزيد؟ فقلت: أعطاني ديناراً، فأردت أن أردّه عليه، فاستحييت منه. فلما صرت إلى منزلي حللت الصرة، فإذا فص ياقوت أحمر، كأنه سقط زند، فقلت: و الله لئن عرضت هذا بالعراق، ليعلمنّ أنني أخذته من يزيد، فيؤخذ مني، فخرجت به إلى خراسان، فبعته من رجل يهودي بثلاثين ألفاً، فلما قبضت المال و صار الفص في يده، قال لي: / و الله لو أبيت إلا خمسين ألف درهم، لأخذته منك، فكأنما قذف في قلبي جمرة، فلما رأى تغيير وجهي قال: إنني رجل تاجر، و لست أشك أنني قد غممتك. قلت: إي و الله و قتلنتي. فأخرج إليّ مائة دينار، فقال: أنفق هذه في طريقك، لتتوفر عليك تلك.

أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حماد بن إسحاق: قرأت على أبي: دخل حمزة بن بيض على يزيد بن المهلب، و هو في حبس عمر بن عبد العزيز، فأنشده قوله فيه: أصبح في قيدك السماحة و الحد # امل للمعضلات و الحسب

لا بطر إن تابعت نعم # و صابر في البلاء محتسب

فقال له: ويحك أ تمدحني على هذه الحال؟ قال: نعم، لئن كنت هكذا لطالما أثبت على الثناء، فأحسننت الثواب و الرّفد، فهل بأس أن نسلفك الآن. قال: أما إذ جعلته سلفا فاقنع بما حضر، إلى أن يمكن قضاء دينك. و أمر [1]الضرع: بفتح الراء و كسرهما: الضعيف الجبان. و في ف: لا سرف. و في مب: لا ورع. و النكب، بكسر الكاف: من يعدل عن الشيء كسلا أو جبنا. [2]ف، مب: و لا مترك لك.

غلامه، فدفع إليه أربعة آلاف درهم، و بلغ ذلك عمر بن عبد العزيز، فقال: قاتله الله! يعطي في الباطل، و يمنع الحق، يعطي الشعراء، و يمنع الأمراء.

يمدح سليمان بن عبد الملك فيكافئه

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدّثنا عبد الأوّل بن مزيد، قال: حدّثنا العمري عن الهيثم بن عديّ، قال: أخبرني مخلد بن حمزة بن بيض قال: قدم أبي على يزيد بن المهلب و هو عند سليمان بن عبد الملك، فأدخله إليه، فأنشده: ساس الخلافة والداك كلاهما # من بين سخطة ساخط أو طائع

أبواك ثم أخوك أصبح ثالثا # و على جبينك نور ملك الرابع

/سرت خوف بني المهلب بعد ما # نظروا إليك بسم موت نافع

ليس الذي ولاك ربك منهم # عند الإله و عندهم بالضائع

فأمر له بخمسين ألفا.

يغار من الكميت لمدحه مخلد بن يزيد و مكافأته إياه

أخبرني عمي قال: حدّثنا عبد الله بن عمرو قال: حدّثني جعفر بن محمد العاصميّ قال: حدّثني عيينة بن المنهال قال: حدّثني الهيثم بن عديّ قال: حدّثني أبو يعقوب الثقفيّ قال: قال لي حمزة بن بيض: لما وفد الكميت بن زيد إلى مخلد بن يزيد بن المهلب و هو يخلف أباه على خراسان، و كان و إليها و له ثماني عشرة سنة، و قد مدحه بقصيدته التي أوّلها: هلا سألت معالم الأطلال

و هي التي يقول فيها:

يمشيين مشي قطا البطاح تأوذا # قبّ البطون رواج الأكفال

و قصيدته التي يقول فيها:

هلا سألت منازل الأبرق

أعطاه مائة ألف درهم، سوى العروض و الحملان، فقدم الكوفة في هيئة لم ير مثلها، فقلت في نفسي: و الله لانا أولى من الكميت بما ناله من مخلد بن يزيد، و إني لحليفه و ناصره في العصبية على الكميت، و على مضر جميعا. فهيات لمخلد مديحا على رويّ قصيدتي الكميت و قافيتيها، ثم شخصت إليه، فلما كان قبل خروجي إليه بيوم، أتتني جماعة من ربيعة في

خمسة ديات عليهم لمضر في البدو، فقالوا: إنك تأتي مخلداً و هو فتى العرب، و نحن نعلم أنك لا تؤثر على نفسك، و لكن/إذا فرغ من أمرك، فأعلمه ممثانا إليك، و مسألتنا إياك كلامه، فنرجو أن/تكون عند ظننا. فلما قدمت على مخلد خراسان أنزلني، و فرش لي، و أخدمني، و حملني، و كساني، و خلطني بنفسه، فكنيت أسمر معه، فقال لي ليلة: أ عليك دين يا ابن بيض؟ قلت: دعني من مسألتك إياي عن الدين، إنك قد أعطيت الكمية عطية لست أرضى بأقل منها، و إلا لم أدخل الكوفة، و لم أعير بتقصيرك بي عنه. فضحك، ثم قال

لي: بل أزيدك على ما أعطيت الكمية. فأمر لي بمائة ألف درهم، كما أعطيت الكمية، و زادني عليه، و صنع بي في سائر الألفاظ كما صنع به، فلما فرغت من حاجتي أتيت يومًا و معي تذكرة بحاجة القوم في الديات، فلما جلس أنشدته: أتيناك في حاجة فاقضها # و قل مرحبا يجب المرحب

و لا تكلنا إلى معشر # متى يعدوا عدة يكذبوا

فإنك في الفرع من أسرة # لهم خضع الشرق و المغرب

و في أدب منهم ما نشأت # و نعم لعمرك ما أدبوا

بلغت لعشر مضت من سنيد # -ك ما يبلغ السيد الأشيب

فهّمك فيها جسام الأمور # و همّ لداتك أن يلعبوا

فقال: مرحبا بك و بحاجتك، فما هي؟ فأخرجت إليه رقعة القوم، و قلت: حمالات في ديات. فتبسم، ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم. فقلت: أو غير ذلك أيها الأمير؟ قال: و ما هو؟ قلت: أدلّ على قبر المهلب، حتى أشكو إليه قطيعة ولده. فتبسم، ثم قال: زده يا غلام عشرة آلاف أخرى، فأبيت، و قلت: بل أدل على قبر المهلب، فقال: زده يا غلام عشرة آلاف أخرى، فما زلت أكررها و يزيدني عشرة آلاف، /حتى بلغت سبعين [1]ألفا. فخشيت و الله أن يكون يلعب أو يهز أبي، فقلت: وصلك الله أيها الأمير، و أجرك، و أحسن جزاءك. فقال مخلد: أما و الله لو أقمت على كلامك، ثم أتى ذلك على خراج خراسان لأعطيتكه.

مجلس المأمون و النضر بن شميل

أخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر قال: حدّثنا الزبير بن بكار قال: حدّثني النضر بن شميل، قال: دخلت على أمير المؤمنين المأمون بمرو و عليّ أطمار مترعبة [2]؛ فقال لي: يا نضر، تدخل على أمير المؤمنين في مثل هذه الثياب؟ فقلت: إن حرّ مرو لا يدفع إلا بمثل هذه الأخلاق. فقال: لا. و لكنك رجل متقشّف. فتجارينا الحديث، فقال المأمون: حدّثني هشيم بن بشير [3]، عن مجالد، عن الشعبي، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «إذا تزوّج الرجل المرأة لدينها و جمالها كان فيه سداد من عوز». هكذا قال: سداد بالفتح.

فقلت: صدق، يا أمير المؤمنين. حدّثني عوف الأعرابي عن الحسن، أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: «إذا تزوّج الرجل المرأة لدينها و جمالها، كان فيه سداد من عوز»، و كان المأمون متكئا فاستوى جالسا، و قال:

السَّدَاد لحن يا نضر عندك؟ قلت: نعم ها هنا يا أمير المؤمنين؛ و إنما هشيم لحن، و كان لحانة، فقال: ما الفرق بينهما؟ قلت: السَّدَاد: القصد في الدِّين/و الطريقة و السبيل. و السَّدَاد: البلغة، و كل ما سددت به شيئاً فهو سداد. و قد قال العرجي: أضعوني و أيّ فتى أضعوا # ليوم كربهة و سداد ثغر

[1] كذا في ف، مب. و في الأصول: تسعين.

[2] ممزقة.

[3] ف، مب: هشيم بن يسار. و انظره في «خلاصة» الخزرجي.

/قال: فأطرق المأمون مليًا، ثم قال: قبح الله من لا أدب له! ثم قال: أنشدني يا نصر أخلب بيت للعرب. قال: قلت: قول حمزة بن بيض يا أمير المؤمنين:

تقول لي و العيون هاجعة: # أقم علينا يوما، فلم أقم
 قالت: فأَيُّ الوجوه؟ قلت لها: # لأَيِّ وجه إلا إلى الحكم؟
 متى يقل حاجبا سرادقه: # هذا ابن بيض بالباب، يبتسم
 قد كنت أسلمت فيك مقبلا # فهات إذ حلّ أعطني سلمى [1]

فقال المأمون: لله درّك، كأنما شق لك عن قلبي! فأنشدني أنصف بيت للعرب. قال: قلت: قول أبي عروبة المدني [2]: إني و إن كان ابن عمي عاتبا [3] # لمزاحم من خلفه و ورائه

و مفيد نصرى و إن كنت [4] امرأ # متزحزا عن أرضه و سمائه
 و أكون والي سره و أصونه # حتى يحين عليّ وقت أدائه
 و إذا الحوادث أجحفت بسوامه # قرنت صحيحتنا إلى جربائه
 و إذا دعا باسمي ليركب مركبا # صعبا قعدت له على سيسائه
 و إذا أتى من وجهه بطريفة # لم أطلع ممّا [5] وراء خبائه
 و إذا ارتدى ثوبا جميلا لم أقل: # يا ليت أن عليّ حسن رداه

فقال: أحسنت يا نصر! أنشدني الآن أقنع بيت قالته العرب. فأنشدته قول ابن عبد الأسديّ: /

إني امرؤ لم أزل، و ذاك من اللـ # -ه قديما، أعلم الأدبا
 أقيم بالدار ما اطمأنت بي الدا # ر و إن كنت مازحا طربا
 لا أجتوي خلة الصديق و لا # أتبع نفسي شيئا إذا ذهب
 أطلب ما يطلب الكريم من # الرزق بنفسى و أجمل الطلبا
 و أحلب الثرة الصفي و لا # أجهد أخلاف غيرها حلبا
 إني رأيت الفتى الكريم إذا # رعّبته في صنيعه رغبا

[1] أسلمت: أسلفت. يريد أنه قدم إليه مديحه و لم يأخذ جائزته. و مقبلا: مستأنفا. و سلمى: سلفى، يري جائزتي. و في الأصول: هات أدخلن ذا و اعطني سلمى

[2] كذا في ف و «معجم الأدباء» لياقوت «ترجمة النضر بن شميل» .
و في مب: ابن أبي عروبة. و في هامشها: المزني. و في «طبقات
النحويين» للزبيدي ص 57: «عروبة المدني» . و نسبت هذه الأبيات في
«الحماسة» إلى الهذيل بن مشجعة البولاني «شرح التبريزي» طبعة
الأميرية 4: 104.

[3] ف، مب: غائبا.

[4] كذا في ف، مب. و في الأصول: و إن كان.

[5] ف و الأصول: فيما.

و العبد لا يطلب العلاء و لا # يعطيك شيئا إلا إذا رهبا
 مثل الحمار الموقَّع السَّوء لا # يحسن مشيا إلا إذا ضربا[1]
 قد يرزق الخافض المقيم و ما # شد بعيس رحلا و لا قتبنا[2]
 و يحرم الرزق ذو المطية و الر # حل و من لا يزال مغتربا
 و لم أجد عدَّة الخلائق إلا # الدِّين لما اعتبرت و الحسبا[3]

فقال: أحسنت يا نصر! و كتب لي إلى الحسن[4] بن سهل بخمسين ألفا، و أمر خادما بإيصال رقعة، و تنجيز ما أمر به لي، فمضيت معه إليه، فلما قرأ التوقيع ضحك، و قال لي: يا نصر، أنت الملحن/لأمير المؤمنين؟ قلت: لا، بل لهشيم. قال: فذاك إذن، و أطلق لي الخمسين ألف درهم، و أمر لي بثلاثين ألفا.

عبد الملك بن بشر يعبث به

أخبرني الحسين بن يحيى، قال: حدَّثنا حماد عن أبيه، قال: بلغني أن حمزة بن بيض الحنفي كان يسامر عبد الملك بن بشر بن مروان، و كان/عبد الملك يعبث به عبثا شديدا، فوجه إليه ليلة برسول، و قال: خذه على أي حال وجدته عليها، و لا تدعه يغيرها، و حلفه على ذلك، و غلظ الأيمان عليه. فمضى الرسول، فهجم عليه، فوجده يريد أن يدخل الخلاء، فقال: أجب الأمير. فقال: ويحك، إنني أكلت طعاما كثيرا، و شربت نبيذا حلوا، و قد أخذني بطني. قال: و الله لا تفارقني أو أمضي بك إليه، و لو سلحت في ثيابك. فجهد في الخلاص، فلم يقدر عليه، فمضى به إلى عبد الملك، فوجده قاعدا في طارمة[5] له، و جارية جميلة كان يتحطاها جالسة بين يديه، تسجر الند في طارمته، فجلس يحادثه و هو يعالج ما هو فيه.

قال: فعرضت لي ريح، فقلت: أسرحها و أستريح، فلعل ريحها لا يتبين مع هذا البخور، فأطلقتها، فغلبت و الله ريح الند و غمرته، فقال: ما هذا يا حمزة! قلت: علي عهد الله و ميثاقه، و علي المشي و الهدى إن كنت فعلتها.

و ما هذا إلا عمل هذه الفاجرة. فغضب و احتفظ، و خجلت الجارية، فما قدرت على الكلام، ثم جاءتني أخرى فسرحتها، و سطع و الله ريحها. فقال: ما هذا و بلك! أنت و الله الآفة. فقلت: امرأتي فلانة طالق ثلاثا إن كنت فعلتها. قال: و هذه اليمين لازمة لي إن كنت فعلتها، و ما هو إلا عمل هذه الجارية، فقال: و بلك ما قصتك؟ قومي إلى الخلاء إن كنت تجدين حسا، فزاد خجلها و أطرقت. و طمعت فيها، فسرحت الثالثة، و سطع من ريحها ما لم

يكن في الحساب، فغضب عبد الملك، حتى كاد يخرج من جلده، ثم قال: خذ يا حمزة بيد الزانية، فقد وهبتها لك، و امض فقد نغصت عليّ ليلتي.

فأخذت و الله بيدها، و خرجت، فلقيني خادم له، فقال: ما تريد أن تصنع؟ قلت: أمضي بهذه. قال: لا [1]الموقع: الذي في ظهره سحج، و قيل في أطراف عظامه، من الركوب؛ و ربما انحس عنه الشعر، و نبت أبيض. و في «اللسان» : الموقع الظهر و في الأصول: لا يحمل شيئاً.

[2]القتب: الرجل.

[3]في الأصول عدا ف، مب: لما اختبرت.

[4]في الأصول عدا ف، مب: الفضل.

[5]الطارمة: بيت من خشب كالقبة، فارسي معرب، عن «تاج العروس» .

تفعل، فو الله لئن فعلت ليبغضنك بغضا/لا تنتفع به بعدها أبدا، و هذه مائة دينار، فخذها ودع الجارية، فإنه يتحطاها، و سيندم على هبته إياها لك. قلت: و الله لا نقصتك من خمس مائة دينار. فلم يزل يزايدني حتى بلغ مائتي دينار، و لم تطب نفسي أن أضيعها، فقلت: هاتها، فأعطانيها، و أخذها الخادم.

فلما كان بعد ثلاث دعاني عبد الملك، فلما قربت من داره لقيني الخادم، فقال: هل لك في مائة دينار و تقول ما لا يضرك، و لعله أن ينفعل؟ قلت: و ما ذاك؟ قال: إذا دخلت إليه ادّعت عنده الثلاث الفسوات، و نسبتها إلى نفسك، و تنفج[1] عن الجارية ما قرفتها به. قلت: هاتها. فدفعها إليّ، و دخلت على عبد الملك، فلما وقفت بين يديه قلت: ألي الأمان حتى أخبرك بخبر يسرك، و تضحك منه؟ قال: لك الأمان. قلت: أ رأيت ليلة حضوري و ما جرى؟ قال: نعم. فقلت: فعليّ و عليّ إن كان فسا تلك الفسوات غيري. فضحك حتى سقط على قفاه. ثم قال: ويلك! فلم لم تخبرني؟ قلت: أردت بذلك خصالا، منها أن قمت فقضيت حاجتي، و قد كان رسولك منعني منها، و منها أني أخذت جاريتك، و منها أن كافأتك على أذاك لي بمثله. فقال: فأين الجارية؟ قلت: ما برحت من دارك و لا خرجت حتى سلمتها إلى فلان الخادم، و أخذت/مائتي دينار. فسرّ بذلك، و أمر لي بمائتي دينار أخرى، و قال: هذه لجميل فعلك بي، و تركك أخذ الجارية.

سباق غريب

قال حمزة بن بيض: و دخلت إليه يوما و كان له غلام لم ير الناس أتنن إبطا منه، فقال لي: يا حمزة، سابق غلامي حتى يفوح صنانكما، فأيكما كان صنانته أتنن، فله مائة دينار. فطمعت في المائة، و يئست منها لما أعلمه من تنن إبط الغلام، فقلت: أ فعل. و تعادينا، فسبقني، فسلحت في يدي، ثم لطخت[2] إبطي/بالسلاح، و قد كان عبد الملك جعل بيننا حكما يخبره بالقصة، فلما دنا الغلام منه فشمه، وثب، و قال: هذا و الله لا يساجله[3] شيء.

فصحت به: لا تعجل بالحكم، مكانك. ثم دنوت منه، فألقت أنفه إبطي حتى علمت أنه قد خالط دماغه، و أنا ممسك لرأسه تحت يدي. فصاح: الموت و الله! هذا بالكنف أشبه منه بالآباط! فضحك عبد الملك، ثم قال: أ فحكمت له؟ قال: نعم. فأخذت الدنانير.

رؤيا شعرية

أخبرني عمي قال: حدّثني جعفر العاصميّ قال: حدّثنا عيينة بن المنهال، عن الهيثم بن عدّيّ، عن أبي يعقوب الثقفيّ، قال: قال حمزة بن بيض: دخلت يوما على مخلد بن يزيد، فقلت: أنّ المشارق و المغرب كلها [4] # تجبى و أنت أميرها و إمامها

فضحك ثم قال: مه؟ فقلت:

[1] تدفع. و في ف، مب: تنضح، و هو بمعنى تدفع أيضا.

[2] ف، مب: طليت.

[3] ف، مب: لا يشاكله.

[4] رواية الشطر الأول في الأصول غير ف: ليت المشارق و المغرب

أصبحت

-

أغفيت قبل الصبح نوم مسهّد # في ساعة ما كنت قبل أنامها

قال: ثم ما ذا كان؟ قلت:

فرأيت أنك جدت لي بوصيفة # موسومة حسن عليّ قيامها

قال: قد فعلت. فقلت:

و ببدرة حملت إليّ و بغلة # سفواء ناجية يصلّ لجامها[1]

قال: قد حقق الله رؤياك. ثم أمر لي بذلك كله، و ما علم الله أنني رأيت من ذلك شيئا.

/قال مؤلف هذا الكتاب: و قد روي هذا الخبر بعينه لابن عبدل الأسديّ، و ذكرته في أخباره.

شعره في ابن عمه الذي حج معه

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدّثنا أبو حاتم، قال: حدّثنا عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير، قال: حج حمزة بن بيض الحنفيّ، فقال له ابن عم له: أحجج بي معك. فأخرجه معه، فحوقل[2] عليه بعد نشاطه، فقال ابن بيض فيه: و ذي سنة لم يدر ما السير قبلها # و لم يعتسف خرقا من الأرض مجهلا[3]

و لم يدر ما حلّ الحبال و عقدها # إذا البرد لم يترك لكفيه معملا

و لم يقر مأجورا و لا حج حجة # فيضرب سهما أو يصاحب مكتلا[4]

غدونا به كالبغل ينفض رأسه # نشاطا بناه الخير حتى تفتلا[5]

ترى المحمل المحسور ناء عرامه # و بابا إذا أمسى من الشر مقفلا[6]

و إن قلت ليلا: أين أنت لحاجة # أجاب بأن لبيك عشرا و أقبلا

يسوق مطيّ القوم طورا و تارة # يقود و إن شئنا حدا ثم جلجلا[7]

فأجلته خمسا و قلت له: انتظر # رويدا؛ و أجلنا المطيّ ليدبلا

[1]السفواء: قليلة شعر الناصية، و السريعة. و في مب: شقراء. و يصل: يصوت لما فيه من الحلية.

[2]حوقل: مشى فأعيا و ضعف.

[3]اعتسف الطريق: ركه على غير هداية و لا دراية. و الخرق: الأرض الواسعة يشتد فيها هبوب الرياح. و المجهل: المفازة لا أعلام فيها، أو لا يهتدي فيها.

[4]المأجور: ما يستأجر في السفر من دابة أو خادم. و المكتل: الزنبيل من خوص. و في ف، ف، مب: و لم يغز مأجورا... فيصحب سهما.

[5]تفتل: اشتد.

[6]المحمل: كذا في ف، ف، مب. و لعله يريد دابة الحمل. أو لعل اللفظة محرفة عن: الجمل. و المحسور: المتعب المكدود. و ناء: بعد، و هو مقلوب نأى، أو لغة فيه. و عرامه: قوته و نشاطه. و في غير ف، ف، مب: «و يأبى إذا أمسى من الشر مقبلا» .

[7]سائق المطي: من يدفعها من خلفها. و قائدها: من يسحبها من قدامها.

فلما صدرنا عن زباله و ارتمت # بنا العيس منها منفلا ثم منفلا [1]
 ترامت به المومة حتى كأنما # يسفّ بمعسول الخزيرة حنظلا [2]
 و حتّى نبا عن مزود القوم ضرسه # و عادى من الجهد الثريد المرعبلا [3]
 و حتى لو ان الليث ليث خفيّة # يحاوله عن نفسه ما تحلحلا
 و حتى لو ان الله أعطاه سؤله # و قيل له: ما تشتهي؟ قال: محملا
 فقلت له لما رأيت الذي به # و قد خفت أن ينضى لدينا و يهزلا
 أطعني و كلّ شيئا، فقال معدّرا # من الجهد: أطعمني ترابا و جندلا
 فللموت خير منك جارا و صاحبا # فدعني فلا ليك ثم تجدلا [4]
 و قال: أقلني عثرتي و ارع حرمتي # و قد فر مني مرتين ليقفلا
 فقلت له: لا-و الذي أنا أعبده- # أفيك حتى تمسح الركن أوّلا

يعاتب مخلد بن زيد لتأخيره مكافأته فيرضيه

أخبرني حبيب بن نصر المهلبى قال: حدثني عبد الله بن عمرو بن سعد
 قال: حدثني إسماعيل بن إبراهيم الهاشمي، قال: حدثني أبو عمر العمري،
 قال: حدثني عطاء بن مصعب، عن عاصم بن الحدثان قال: قدم حمزة بن
 بيض على مخلد بن يزيد بن المهلب، فوعده أن يصنع به خيرا، ثم شغل عنه،
 فاختلف إليه مرارا، فلم يصل إليه، و أبطأت عليه عدته، فقال ابن بيض: أ
 مخلد إن الله ما شاء يصنع # يجود فيعطي من يشاء و يمنع

و إئى قد أملت منك سحابة # فحالت سرايا فوق بيداء تلمع
 / فأجمعت صرما ثم قلت: لعله # يثوب إلى أمر جميل فيرجع
 فأبأسني من خير مخلد أنه # على كل حال ليس لي فيه مطمع
 يجود لأقوام يودون أنه # من البغض و الشنآن أمسى يقطع
 و يبخل بالمعروف عمن يودّه # فو الله ما أدري به كيف أصنع؟
 أ أصرمه فالصرم شرّ مغبّة # و نفسي إليه بالوصال تطلّع
 و شتان بيني في الوصال و بينه # على كل حال أستقيم و يطلع

[1] زباله: موضع من ضواحي المدينة («التاج») . و المنقل: الطريق
 في الجبل.

[2]أي صار دمه غزيرا كمن يسف الحنظل مع الخزيرة أو الحريرة، و هي طعام من دقيق و لبن يحلى بالعسل أو التمر. يريد أنه ضجر و بكى من طول السفر و وعورته.

[3]المرعبل: المقطع قطعا كبيرة.

[4]تجدلا: سقط على الجدالة و هي الأرض، من الإعياء.

و قد كان دهرا واصلا لي مودة # و يمني من صرف دهري أضرع[1]

و أعقني صرما على غير إحنة # و بخلا و قدما كان لي يتبرع

و غيرّه ما غير الناس قبله # فنفسي بما يأتي به ليس تقنع

ثم كتبها في قرطاس و ختمه، و بعث به مع رجل، فدفعه إلى غلامه، فدفعه الغلام إليه، فلما قرأه سأل الغلام: من صاحب الكتاب؟ قال: لا أعرفه. فأدخل إليه الرجل، فقال: من أعطاك هذا الكتاب؟ و من بعث به معك؟ قال: لا أدري، و لكن من صفته كذا و كذا، و وصف صفة ابن بيض، فأمر به فضرب عشرين سوطا على رأسه، و أمر له بخمس مائة درهم، و كساه، و قال: إنما ضربناك أدبا لك، لأنك حملت كتابا لا تدري ما فيه، لمن لا تعرف، فأياك أن تعود لمثلها. قال الرجل: لا و الله، أصلحك الله، لا أحمل كتابا لمن أعرف، و لا لمن/لا أعرف. قال له مخلد: احذر، فليس كل أحد يصنع بك صنيعي؛ و بعث إلى ابن بيض، فقال له: أ تعرف ما لحق صاحبك الرجل؟ قال: لا.

فحدثه مخلد بقصته، فقال ابن بيض: و الله، أصلحك الله، لا تزال نفسه تتوق إلى العشرين/سوطا مع الخمس مائة أبدا. فضحك مخلد، و أمر له بخمسة آلاف درهم، و خمسة أثواب، و قال: و أنت و الله لا تزال نفسك تتوق إلى عتاب إخوانك أبدا. قال: أجل و الله، و لكن من لي بمثلك يعتبني إذا استعتبته، و يفعل بي مثل فعلك؟ ثم قال: و أبيض بهلول إذا جئت داره # كفاني و أعطاني الذي جئت أسأل

و يعتبني يوما إذا كنت عاتبا # و إن قلت، زدني: قال: حقا سأفعل

تراه إذا ما جئته تطلب الندى # كأنك تعطيه الذي جئت تسأل

فأله أبناء المهلب فتية # إذا لقحت حرب عوان تأكل

هم يصطلون الحرب و الموت كانع # بسمر القنا و المشرفية من عل[2]

ترى الموت تحت الخافقات أمامهم # إذا وردوا علوا الرماح و أنهلوا

يجودون حتى يحسب الناس أنهم # لجودهم نذر عليهم يحلل[3]

غيوث لمن يرجو ندهم وجودهم # سمام لأقوام ذعاف يثمل[4]

وفى لي أبناء المهلب إنهم # إذا سئلوا المعروف لم يتسألوا[5]

فذلك ميراث المهلب إنه # كريم نماء للمكارم أول

جری و جرت أبأوه فتحزروا # عن الذم في عطاء لا تتوقل[6]

[1]رواية البيت في الأصول عدا ف.

... بوده

و معروفه يعدو البريد المفرع

[2]كانع: قريب، متجمع للوثبة، مترقب.

[3]ف، مب: محلل.

[4]ذعاف: قاتل من ساعته. و يثمل: سم نقع أياما حتى اختمر. و في
الأصول: صحاة و ثمل.

[5]ف: لم يتنسلوا. مب: يتبسلوا: أي يتجهموا.

[6]العيطاء: الهضبة المرتفعة. و تتوقل: يصعد فيها.

فلما أنشده ابن بيض هذه الأبيات، أمر له بعشرة آلاف درهم، و عشرة
أثواب، و قال: نزيدك ما زدتنا، و نضعف لك. فقال: /

أ مخلد لم تترك لنفسي بغية # و زدت على ما كنت أرجو و آمل
فكنت كما قد قال معن فإنه # بصير بما قد قال إذ يتمثل
وجدت كثير المال إذ صنّ معدما # يذمّ و يلحاه الصديق المؤمل
و إن أحقّ الناس بالجد من رأى # أباه جوادا للمكارم يجزل
تربّ الذي قد كان قدّم والد # أغرّ إذا ما جئته يتهلل [1]
وجدت يزيدا و المهلب بزرّا # فقلت: فإني مثل ذلك أفعل
ففزت كما فازا و جاوزت غاية # يقصّر عنها السابق المتمهل
فأنت غياث لليتامى و عصمة # إليك جمال الطالب الخير ترحل
أصاب الذي رجّى نذاك مخيلة # تصبّ عزاليها عليه و تهطل [2]
و لم تلف إذ رجّوا نوالك باخلا # تضن على المعروف و المال يعقل [3]
و موت الفتى خير له من حياته # إذا كان ذا مال يضنّ و يبخل

فقال له مخلد: احتكم. فأبى، فأعطاه عشرة آلاف [4] دينار و جارية و
غلاما و بردونا.

الصدّاقه بينه و بين حماد بن الزبيرقان

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ قال: حدّثنا أحمد بن الحارث
الخرّاز، عن المدائني، قال: كان حمزة/بن بيض شاعرا ظريفا، فشاتم حماد
بن الزبيرقان، و كان من ظرفاء أهل الكوفة، و كلاهما صاحب شراب، و كان
حماد يتهم بالزندقة، فمشى الرجال بينهما حتى اصطلحا، فدخلا يوما على
بعض ولاة الكوفة، فقال لابن بيض: /أراك قد صالحت حمادا، فقال ابن
بيض: نعم، أصلحك الله، على ألا أمره بالصلاة، و لا ينهاني عنها.

شعره في التشوق لأهله لطول مقامه بالبصرة

أخبرني محمد بن زكريا الصّحّاف قال: حدّثنا قعنّب بن المحرز الباهليّ
قال: حدّثني الهيثم بن عديّ قال: قدم حمزة بن بيض البصرة زائرا لبلال بن
أبي بردة بن أبي موسى، و بينهما مودة منذ الصّبا، فطال مقامه عنده،
فاشتاق إلى أهله و ولده، فكتب إلى بلال: [1]مب: «إذا ما زرتّه». و البيت
ساقط كله من ف.

[2]العزالي: جمع عزلاء، و هي مصب الماء من القرية.

[3] كذا في الأصول. و في ف: يفصل. و في مب:

يظل على المعروف و المال يفضل

[4] في الأصول: ألفي دينار.

كلت رحالي و أعواني و أحراسي # إلى الأمير و إدلاجي و إملاسي[1]
 إلى امرئ مشيع مجدا و مكرمة # عادية[2] فهو حال منهما كاسي
 فلست منك و لا مما مننت به # من فضل ودك كالمرمي في راسي
 إني و إياك و الإخوان كلهم # في العسر و اليسر لو قيسوا بمقياس
 و ذاك مما ينوب الدهر من حدث # كالورد في المثل المضروب و الآس[3]
 يبىد هذا فيبلى بعد جدته # غصا و آخره رهن بايناس[4]
 و أنت لي دائم باق بشاشته # يهتز في عود لا عش و لا عاسي[5]
 فعجل له بلال صلته، و سرّحه إلى الكوفة.

يستكسي سليمان بن عبد الملك فيكسوه

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدّثنا إسحاق بن محمد النّخعيّ قال:
 حدّثنا أبو المعارك الصّبيّ قال: حدّثني أبو مسكين قال:

دخل حمزة بن بيض على سليمان بن عبد الملك، فلما مثل بين يديه
 أنشأ يقول: رأيتك في المنام شننت خزا # عليّ بنفسجا و قضيت ديني
 فصدق يا فدتك النفس رؤيا # رأتها في المنام لديك عيني

/فقال سليمان: يا غلام أدخله خزنة الكسوة، و اشنن عليه كل ثوب خزّ
 بنفسجيّ فيها: فخرج كأنه مشجب[6]. ثم قال له: كم دينك؟ قال: عشرة
 آلاف درهم. فأمر له بها.

صوت

من سره ضرب يرعبل بعضه # بعضا كمعمعة الأباء المحرق[7]

فليأت مأسدة تسنّ سيوفها # بين المذاذ و بين جزع الخندق

و يروى: يمعع بعضه بعضا. و المعمعة: و تسنّ: اختلاف الأصوات و
 شدّة زجلها. و المأسدة: الموضع الذي تجتمع فيه الأسد. و تسنّ: تحدّ. يقال:
 سيف مسنون. و المذاذ: موضع بالمدينة. و الخندق: يعني به الخندق الذي
 احتفراه رسول الله صلى الله عليه و سلم و أصحابه حول المدينة. و الشعر
 لكعب بن مالك الأنصاريّ. و الغناء لابن محرز: خفيف رمل، بإطلاق الوتر في
 مجرى الوسطى، عن إسحاق و عمرو.

[1]الإملاس: السوق الشديد.

[2]عادية: قديمة متأصلة.

[3]ف: كالحبل، و هي محرفة عن الجبل، بمعنى الورد يريد أنه كالورد سريع الذبول. و كالآس في طول خضرته و نضرتة، فإن ذبل طرف منه، بقي آخره ناضرا، صالحا للشتم و الإيناس.

[4]كذا في ف، مب. و في بقية الأصول: و غابره رهن بإيناس.

[5]العش من الشجر: اللئيم المنبت، و من النخل القليل السعف. و العاسي: اليابس.

[6]المشجب: ما تعلق عليه الثياب من أعواد متشابكة.

[7]يرعبل: يقع بعضه على بعض. و الأباء: القصب. واحدته: أباءة.

12- أخبار كعب بن مالك الأنصاري و نسبه

نسبه

هو كعب بن مالك بن أبي كعب. و اسم أبي كعب: عمرو بن القين بن كعب بن/سواد. و قيل: القين بن سواد (هكذا قال ابن الكلبي) بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن شاردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث.

أسرة شاعرة محدثة

و كان كعب بن مالك من شعراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم المعدودين، و هو بدري عقبي. و أبوه مالك بن أبي كعب بن القين شاعر، و له في حروب الأوس و الخزرج، التي كانت بينهم قبل الإسلام آثار و ذكر. و عمه قيس بن أبي كعب شهد بدرا، و هو شاعر أيضا، و هو الذي حالف جهينة على الأوس. و خبره في ذلك يذكر في موضعه، بعد أخبار كعب و أبيه.

و لكعب بن مالك أصل عريق[1]، و فرع طويل في الشعر: ابنه عبد الرحمن شاعر، و ابن ابنه بشير بن عبد الرحمن شاعر[2]، و الزبير بن خارجة بن عبد الله بن كعب شاعر، و معن بن عمرو بن عبد الله بن كعب شاعر، و عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب أبو الخطاب شاعر، و معن بن وهب بن كعب شاعر، و كلهم مجيد مقدّم.

و عمّر كعب بن مالك، و روى عن النبي صلى الله عليه و سلم حديثا كثيرا، و كل بني كعب بن مالك قد روى عنه الحديث.

/فما رواه ابن ابنه بشير[3] عن أبيه عنه: حدّثني أحمد بن الجعد قال: حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبه قال: حدّثنا أحمد بن عبد الملك قال: حدّثنا عتاب[4] بن سلمة عن إسحاق بن راشد عن الزهري قال: كان بشير بن عبد الرحمن بن كعب يحدث عن أبيه: أن كعب بن مالك كان يحدث أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «و الذي نفسي بيده، لكانما تنضحونهم بالنبل بما تقولون لهم من الشعر» .

و مما رواه عنه ابنه عبد الله: أخبرني أحمد بن الجعد قال: حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبه قال: حدّثنا بكر بن عبد الرحمن قال: حدّثنا عيسى بن المختار، عن ابن أبي ليلي، عن إسماعيل بن أمية، عن محمد بن مسلم، عن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبيه قال: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم

سَلَّمَ يصلي المغرب، ثم يرجع الناس إلى أهاليهم و هم يبصرون مواقع التُّبَل حين يرمون.

[1] في الأصول: أصيل.

[2] «و ابن ابنه بشير بن عبد الرَّحمن شاعر» : هذه العبارة ساقطة من ف، مب.

[3] ف: بشر. و نظنه محرفا، لاتفاق أكثر الأصول على «بشير» .

[4] كذا في ف، مب. و في بعض الأصول: «غياث» .

و مما رواه ابنه محمد: أخبرني أحمد بن الجعد قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا محمد بن سابق قال: حدثنا إبراهيم بن طهمان، عن أبي الزبير، عن محمد بن كعب، عن أبيه، أنه حدثه: أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه و أوس بن الحدثان[1] أيام التشريق، فنادى: «إنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن، و أيام منى أيام أكل و شرب» .

هواه مع عثمان بن عفان

و يقال: كان كعب بن مالك عثمانيا، و هو أحد من قعد عن علي بن أبي طالب عليه السلام، فلم يشهد معه حروبه، و خاطبه في أمر عثمان و قتلته خطابا نذكره بعد هذا في أخباره، ثم اعتزله. و له مرات في عثمان بن عفان رحمه الله، و تحريض للأنصار على نصرته قبل قتله، و تأنيب لهم على خذلانه بعد ذلك، منها قوله: فلو حلت من دونه لم يزل لكم # يد الدهر عز لا يبوخ و لا يسري

و لم تقعدوا و الدار كاب دخانها # يحرق فيها بالسعير و بالجمر

فلم أريوما كان أكثر ضيعة # و أقرب منه للغواية و التكر

يعاون عثمان و يرثيه

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا أبو غسان دماذ، عن أبي عبيدة قال: كان كعب بن مالك الأنصاري أحد من عاون عثمان على المصريين، و شهر سلاحه، فلما ناشد عثمان الناس أن يغمدوا سيوفهم انصرف، و لم ير أن الأمر يخلص إليه، و لا يجري القوم إلى قتله؛ فلما قتل وقف كعب بن مالك على مجلس الأنصار، في مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم، فأنشدهم: من مبلغ الأنصار عني آية # رسلا تقص عليهم التبينانا

أن قد فعلتم فعلة مذكرة # كست الفضوح و أبدت الشنأنا[2]

بعودكم في دوركم و أميركم # تحشى ضواحي داره النيرانا

بيننا يرجي دفعكم عن داره # ملئت حريقا كاييا و دخانا

حتى إذا خلصوا إلى أبوابه # دخلوا عليه صائما عطشانا

يعلون قلته السيوف و أنتم # متلبثون مكانكم رضوانا[3]

/الله يعلم أنني لم أرضه # لكم صنيعا يوم ذاك و شاننا

يا لهف نفسي إذ يقول: ألا أرى # نفرا من الأنصار لي أعوانا

[1]الحدثان، بفتح الحاء و الدال، كذا ضبطه في «التاج» و قال: أوس بن الحدثان بن عوف بن ربيعة النصري، صحابي مشهور من هوازن، نادى أيام مني: «إنها أيام أكل و شرب». روى عنه ابنه مالك. و الحدثان: اسم منقول من حدثان الدهر، أي صروفه و نوائبه. اهـ.

[2]الشنآن: البغضاء. و في ف، مب: الذلانا، أي الأذلاء.

[3]رضوانا: مصدر رضى، في محل الحال: أي راضين. و في ف: إخالكم صوانا.

و الله لو شهد ابن قيس ثابت # و معاشر كانوا له إخوانا

يعني ثابت بن قيس بن شماس.

و أبو دجانة و ابن أرقم [1] ثابت # و أخو المشاهد من بني عجلانا

أبو دجانة: سماك بن خرشة. و ابن أرقم: ثابت البلوي. و أخو المشاهد من بني عجلان: معن بن عدي، عقبي.

و رفاة العمري و ابن معاذهم # و أخو معاوي لم يخف خذلانا

رفاعة: ابن عبد المنذر العمري. و ابن معاذ: سعد بن معاذ. و أخو معاوية: المنذر بن عمرو الساعدي، عقبي بدري.

قوم يرون الحق نصر أميرهم # و يرون طاعة أمره إيمانا

إن يتركوا فوضى يروا في دينهم # أمرا يضيق عنهم البلدان

فليعلنن الله كعب وليه # و ليعلنن عدوه الدلانا

إني رأيت محمدا اختاره # صهرا و كان يعدّه خالصا [2]

محض الضرائب ماجدا أعراقه # من خير خندق منصبا و مكانا

عرفت له عليا معدّ كلّها # بعد النبي الملك و السلطانا

من معشر لا يغدرون بجارهم # كانوا بمكة يرتعون زمانا

يعطون سائلهم و يأمن جارهم # فيهم و يردون الكماة طعانا

/فلو انكم مع نصركم لنبيكم # يوم اللقاء نصرتم عثمان!

أنسيتم عهد النبي إليكم # و لقد أظّ و وكّد الأيماننا [3]

قال: فجعل القوم يبيكون، و يستغفرون الله عز و جل.

يناقض راجزا من قريش في حداء لهما

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، و حبيب بن نصر المهلبّي قالوا: حدّثنا عمر بن شبة قال: حدّثنا أبو عامر، عن ابن جريج، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: رجز راجز من قريش [4] برسول الله صلى الله عليه، فقال: /

لم يغذها مدّ و لا نصيف # و لا تميرات و لا تعجيف [5]

[1] في هامش مب: ابن أقرم.

[2] قطع همزة «اختاره» لضرورة الشعر. و الخالصان: الصديق الخالص، يستوي فيه المفرد و الجمع.

[3]ألظا: ألح.

[4]هو سلمة بن الأكوع، كما في («اللسان» : عجف) .

[5]المد: مكيال. و النصيف: نصفه. و التعجيف: حبس الدواب عن الطعام حتى تهزل. أو هو حبس الدابة عن الطعام و هو له مشته، ليؤثر به غيره («اللسان») .

لكن غذاها اللبن الحريّف # و المخض و القارض و الصّريف

قال: فاحتفظت الأنصار حيث ذكر المد و التمر، فقالوا لكعب بن مالك: انزل، فنزل، فقال: لم يغذها مدّ و لا نصيف # لكن غذاها الحنظل التقيف

و مذقة كطرّة الخنيف # تبيت بين الرّرب و الكنيف [1]

فقال رسول الله صلّى الله عليه و سلّم: اركبا.

أخبرني الجوهريّ و المهلبيّ قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا هودّة بن خليفة قال: حدثنا عوف بن محمد، عن محمد بن سيرين، في حديث طويل قال:

المهاجمون لقريش من شعراء الأنصار

كان يهجوهم يعني قريشا، ثلاثة نفر من الأنصار يجيئونهم: حسان بن ثابت، و كعب بن مالك، و عبد الله بن رواحة. و كان حسان و كعب يعارضانهم بمثل قولهم، بالوقائع و الأيام و المآثر، و يعيرانهم بالمثالب، و كان عبد الله بن رواحة يعيّرهم بالكفر، و ينسبهم إليه، و يعلم أن ليس فيهم شيء شرّ من الكفر، فكانوا في ذلك الزمان أشدّ شيء عليهم قول حسان و كعب، و أهون شيء عليهم قول ابن رواحة، فلما أسلموا و فقهوا الإسلام، كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة.

يستأذن الرسول في هجاء قريش

أخبرني الجوهريّ و المهلبيّ قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا عبد الله بن بكر السّهميّ قال: حدثني حاتم بن أبي صيّغرة قال: حدثنا سماك بن حرب قال: أتى رسول الله صلّى الله عليه و سلّم فقيل: إن أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يهجوك، فقام ابن رواحة، فقال: يا رسول الله ائذن لي فيه. فقال له: أنت الذي تقول: فثبت الله؟ قال: نعم يا رسول الله، أنا الذي أقول: فثبت الله ما أعطاك من حسن # تثبت موسى، و نصرنا كالذي نصرنا

فقال: و أنت فعل الله بك مثل ذلك. قال: فوثب كعب بن مالك فقال: يا رسول الله، ائذن لي فيه. فقال: أنت الذي تقول: همّت؟ قال: نعم يا رسول الله، أنا الذي أقول: همّت سخينة أن تغالب ربّها # و ليغلبن مغالب الغلاب [2]

فقال: أما إن الله لم ينس لك ذلك.

الرسول يحكم بحسن شعره

أخبرني الجوهريّ و المهلبيّ قالا: حدّثنا عمر بن شبة قال: حدّثنا عبد الله بن يحيى مولى ثقيف قال: حدّثنا عبد الواحد بن زياد قال: حدّثنا مجالد، عن الشعبيّ قال: [1]المذقة: الشربة من اللبن الممزوج. و الطرة: الحاشية. و الخفيف: نوع غليظ من أردأ الكتان. شبه بحاشيته اللبن الممزوج في لونه، لتغير لونه و ذهابه بالمزج. و الزرب: الحظيرة تأوي إليها الأغنام. و الكنيف: الموضع الساتر. يريد أنها تelf في الحظائر و البيوت، لا بالكلا في المراعي. و يلاحظ أن البيتين الأخيرين من الرجز فيهما إقواء.

[2]سخينة: طعام من دقيق و سمن أو دقيق و تمر أغلظ من الحساء. و كانت قريش تكثر من أكلها فغيرت بها، حتى سموا سخينة.

لما انهزم المشركون يوم الأحزاب، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: إِنَّ الْمَشْرِكِينَ لَنْ يَغْزُوكُمْ بَعْدَ الْيَوْمِ، وَ لَكِنَّمْ تَغْزُونَهُمْ، وَ تَسْمِعُونَ مِنْهُمْ أَدَى وَ يَهْجُونَكُمْ، فَمَنْ يَحْمِي أَعْرَاضَ الْمُسْلِمِينَ؟ فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَقَالَ: أَنَا.

فقال: إنك لحسن الشعر. ثم قام كعب فقال: أنا. فقال: و إنك لحسن الشعر.

حسان أجودهم شعرهم

أخبرني الجوهریّ و المهلبیّ قالا: حدّثنا عمر بن شبة قال: حدّثني محمد بن منصور قال: حدّثني سعيد بن عامر قال: حدّثني جويرية بن أسماء قال: بلغني أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ قال: أمرت عبد الله بن رواحة، فقال و أحسن، و أمرت حسانا فشفي و اشتفى.

الرسول يغير كلمة في شعر له

أخبرني الجوهریّ و المهلبیّ قالا: حدّثنا عمر بن شبة قال: حدّثني أحمد بن عيسى قال: حدّثني عبيد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث: / أن يحيى بن سعيد حدّثه عن عبد الله بن أنيس عن أمه، و هي بنت كعب بن مالك: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ خرج على كعب و هو في مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ ينشد، فلما رآه كأنه انقبض، فقال: ما كنتم فيه؟ فقال كعب: كنت أنشد. فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: فأنشد، فأنشد حتى أتى على قوله:

مقاتلنا عن جذمنا كلّ فخمة [1]

/ فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ لا تقل عن جذمنا، و لكن قل: مقاتلنا عن ديننا.

ينشد الرسول ثلاث مرات في موقف واحد

قال أبو زيد: و حدّثني سعيد بن عامر قال: حدّثنا أبو عون عن ابن سيرين قال:

وقف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ بباب كعب بن مالك، فخرج فقال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: إيه، فأنشده، ثم قال: إيه فأنشده، ثم قال: إيه فأنشده (ثلاث مرات). فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: لهذا أشدّ عليهم من مواقع النبيل.

علي بن أبي طالب يطرده من المدينة لمعارضته إياه

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال: حدّثنا أبو جعفر محمد بن منصور الرّبعيّ، و ذكر أنه إسناد شام، هكذا قال، قال ابن عمار في الخبر، و ذكر حديثا فيه طول، لحسان بن ثابت، و النعمان بن بشير، و كعب بن مالك، فذكرت ما كان لكعب فيه، قال:

لما بويع لعلّي بن أبي طالب عليه السّلام، بلغه عن حسان بن ثابت و كعب بن مالك و النعمان بن بشير-و كانوا عثمانية-أنهم يقدّمون بني أمية على بني هاشم، و يقولون: الشّام خير من المدينة. و اتصل بهم أن ذلك قد بلغه، [1]هذا صدر بيت و عجزه:

مذربة فيها القوانس تلمع

و هو من قصيدة يجيب بها كعب بن مالك الأنصاري هبيرة بن أبي وهب المخزومي (انظر الشعر الذي قيل في غزوة أحد في «السيرة لابن هشام» ، طبعة الحلبي 3: 139-141). و الفخمة: الكتيبة العظيمة. و في «السيرة» : (مجالدنا) في موضع (مقاتلنا) . و الجذم:

الأصل. -

فدخلوا عليه، فقال له كعب بن مالك: يا أمير المؤمنين؛ أخبرنا عن عثمان: أقتل ظالما، فنقول بقولك؟ أم قتل مظلوما، فنقول بقولنا، و نكلك إلى الشبهة فيه، فالعجب من تيقننا و شكك، و قد زعمت العرب أن عندك علم ما اختلفنا فيه، فهاته نعرفه، ثم قال: كفّ يديه ثم أغلق بابه # و أيقن أن الله ليس بغافل

و قال لمن في داره: لا تقاتلوا # عفا الله عن كل امرئ لم يقاتل
فكيف رأيت الله صبّ عليهم الـ # عداوة و البغضاء بعد التواصل
و كيف رأيت الخير أدبر عنهم # و ولى كإدبار النعام الجوافل

/فقال لهم عليّ عليه السّلام: لكم عندي ثلاثة أشياء: استأثر عثمان فأساء الأثرة، و جزعتم فأسأتم الجزع، و عند الله ما تختلفون فيه إلى يوم القيامة. فقالوا: لا ترضى بهذا العرب، و لا تعذرنا به. فقال عليّ عليه السّلام: أ تردون عليّ بين ظهرائي المسلمين، بلا بيّنة صادقة، و لا حجة واضحة؟ اخرجوا عني، و لا تجاوروني في بلد أنا فيه أبدا. فخرجوا من يومهم، فساروا حتى أتوا معاوية، فقال لهم: لكم الولاية و الكفاية. فأعطى حسان بن ثابت ألف دينار، و كعب بن مالك ألف دينار، و ولى النّعمان بن بشير حمص، ثم نقله إلى الكوفة بعد.

بيته في الشجاعة

أخبرني عمي قال: حدثنا أحمد بن الحارث، قال: حدّثنا المدائنيّ عن عبد الأعلى القرشيّ قال: قال معاوية يوما لجلسائه: أخبروني بأشجع بيت وصف به رجل قومه. فقال له روح بن زنباع: قول كعب بن مالك: نصل السيوف إذا قصرن بخطونا # قدما و نلحقها إذا لم تلحق
فقال له معاوية: صدقت.

أبوه و شعره

و أما أبوه مالك بن أبي كعب، أبو كعب بن مالك، فإنني أذكر قبل أخباره شيئا مما يغنى فيه من شعره، فمن ذلك قوله:

صوت

لعمري أيها لا تقول حليلتي: # ألا فرّ عني مالك بن أبي كعب
و هم يضربون الكيش يبرق بيضه # ترى حوله الأبطال في حلق شهب

/الشعر لمالك بن أبي كعب. و الغناء لمالك، ثقيل أول بالبنصر، عن
يونس و الهشاميّ. و فيه لإبراهيم خفيف ثقيل بالوسطى، جميعا عن
الهشاميّ. و زعم ابن المكيّ أن خفيف الثقيل هو لحن مالك.

الخصومة بين أبيه و برذع بن عدي

و هذا الشعر يقوله مالك بن أبي كعب في حرب كانت بينه و بين رجل
من بني ظفر، يقال له برذع بن عديّ.

و كان السبب فيما ذكره جعفر العاصمي عن عيينة بن المنهال، و نسخته من كتاب أعطانيه علي بن سليمان الأخفش: أن رجلا من طيئ قدم يثرب بإبل له يبيعهها، فنزل في جوار بردع بن عدّي أخي بني ظفر، فباع إبله، و اقتضى أثمانها، و كان مالك بن أبي كعب بن القين أخو بني سلمة، اشترى منه جملا، فجعله ناضحا، فمطله مالك بن أبي كعب بثمن جملة، و حضر شخوص الطائيّ، فشكا ذلك إلى بردع، فمشى معه إلى منزل مالك، ليكلمه أن يوفيه ثمن جملة، أو يرده عليه، فلم يجدا مالكا في منزله، و وجدا الجمل باركا بالفناء، فبعته بردع، و قال للطائيّ: انطلق بجملك، ثم خرجا مسرعين حتى دخلا في دار النبيت، فأمنا، فارتحل الطائيّ بالجمل إلى بلاده، و بلغ مالكا ما صنع بردع، فكره أن ينشب بين قومه و بين النبيت حرب، فكف و قد أغضبه ذلك، و جعل يسفّه بردعا في جراته عليه و ما صنع، فقال بردع بن عدّي في ذلك: أ من شحط دار من لبابة تجزع # و صرف النوى مما يشتّ و يجمع

و ليس بها إلا ثلاث كأنها # مسفّعة أو قد علاهّن أيدع[1]
 قد اقتربت لو كان في قرب دارها # جداء و لكن قد تضن و تمنع
 و كان لها بالمنحنى و جنوبه # مصيف و مشتى قبل ذاك و مربع
 /أتاني و عيد الخزرجيّ كأنني # دليل له عند اليهوديّ مضرع
 متى تلقني لا تلق نهزة واجد # و تعلم أني في الهزاهز أروع[2]
 معي سمحة صفراء من فرع نبعة # و لين إذا مسنّ الضريبة يقطع
 و مطرد لدن إذا هزّ متنه # متين كخرص الذابلات و أهزع[3]
 فلا و إلهي لا يقول مجاوري: # ألا إنني قد خانني اليوم بردع[4]
 و أحفظ جاري أن أخاتل عرسه # و مولاي بالثكراء لا أتطلع
 و أجعل مالي دون عرضي إنه # على الوجد و الإعدام عرض ممّّع
 و أصبر نفسي في الكريهة إنه # لذي كل نفس مستقر و مصرع
 و إني بحمد الله لا ثوب فاجر # لبست و لا من خزبة أتقنع

فأجابه مالك بن أبي كعب، فقال:

[1] مسفّعة: علاها سواد و حمرة. و الأيدع: الزعفران.

[2] الواجد: الغاضب الحاقد. و في الأصول: واحد. الهزاهز: الشدائد، لا واحد له. و الأروع: الشهم الذكي.

[3]الخرص: الرمح القصير السنان. و الذابلات: الرماح الدقيقة. و
الأهزع: الرمح المضطرب المهتز.

[4]رواية ف، مب:

و لا و إلهي لا يقول محاربي: # ألا إنني قد خافني اليوم برذع

صوت

هل للفؤاد لدى شنباء تنويل # أم لا نوال فإعراض و تحميل[1]
 /إن النساء كأشجار نبتن معا # منهن مرّ و بعض المرّ مأكول[2]
 إن النساء و لو صوّرن من ذهب # فيهن من هفوات الجهل تخييل
 الغناء لسليم، هزج بالوسطى عن الهشاميّ و بذل.

/

إنك إن تنه إحداهن عن خلق # فإنه واجب لا بدّ مفعول
 و نعجة من نعاج الرمل خاذلة # كأن مآقيها بالحسن مكحول[3]
 ودّعتها في مقامي ثم قلت لها: # حياك ربك إني عنك مشغول
 و ليلة من جمادى قد شربت بها # و الرّق بيني و بين الشّرح معدول[4]
 و مرجحّ على عمد دلفت به # كأنه رجل في الصفّ مقتول[5]
 و لا أهاب إذا ما الحرب حرّشها الـ # أبطال و اضطربت فيها البهاليل
 أمضي أمامهم و الموت مكتنع # قدما إذا ما كبا فيها التّنايل[6]
 عليّ فضفاضة كاللّهيّ سابغة # و صارم مثل لون الملح مصقول[7]
 و لدنة في يدي صفراء تغلبها # بعامل كشهاب النار موصول[8]
 إني من الخزرج الغرّ الذين هم # أهل المكارم لا يلفى لهم جيل
 في الحرب أنك منهم للعدوّ إذا # شبت و أعظم نيلا إن هم سيلوا
 أشبهت من والدي عرّا و مكرمة # و برزع مدغم في الأوس مجهول
 نبتته يدّعي عزا و يوعدني[9] # نوكا و عندي له بالسيف تنكيل

[1]رواية الشطر الثاني في ف، م:ب:

أم لا، فيأس و إعراض و تحميل

[2]ف، م:ب: و بعض النبت.

[3]النعجة هنا: كناية عن المرأة. و الخاذلة: التي تركت أصحابها أو أولادها و انفردت. و في ف: «بالخير مكحول». و في م:ب: «بالحبر» .

[4]الشرح: مسيل الماء من الحرة إلى السهل. يريد أنه يشرب مرة ثم يرسل الزق إلى مسيل الماء البارد، ليخلط الخمر ببعض مائه.

[5]المرجحن: المهتر، و لعله يقصد به الريح، يصفه بالاهتزاز ثم بالطول.

[6]مكتنع: حاضر دان. و قدما: مخفف، و أصله بضم تين. يريد أتقدم في الحرب و لا أتأخر. و التنايل: جمع تنبال، و هو اللئيم الجبان. و البيت ساقط من ف.

[7]الفضفاضة: يريد بها درعا واسعة. و النهي: الغدير.

[8]الثعلب: طرف الريح. و العامل: صدر الريح الذي يلي السنان.

[9]ف: عزا و مكرمة.

حيلة مالك في التخلص من برذع حين حاصره هو و آخرون

قال: ثم إن مالك بن كعب خرج يوماً لبعض حاجته، فبينما هو يمشي وحده، إذ لقيه برذع و معه رجلان من بني ظفر، فلما رأوا مالكا أقبلوا نحوه، فبدرهم مالك إلى مكان من الحرّة كثير الحجارة مشرف، فقام عليه، و أخذ في يده أحجاراً، و أقبلوا حتى دنوا منه، فشتموه و راموه بالحجارة؛ و جعل مالك يلتفت إلى الطريق الذي جاء منه، كأنه يستبطئ ناساً، فلما رآه برذع و صاحباة يكثر الالتفات، ظنوا أنه ينتظر ناساً كانوا معه، و خشوا أن يأتوهم على تلك الحال، فانصرفوا عنه، فقال مالك بن أبي كعب في ذلك: لعمر أبيها لا تقول حيلتي: # ألا فرّ عني مالك بن أبي كعب

أقاتل حتى لا أرى لي مقاتلاً # و أنجو إذا عمّ الجبان من الكرب
أبى لي أن أعطى الصغار ظلاماً # جدودي و آبائي الكرام أولو السلب[1]
هم يضربون الكبش يبرق بيضه # ترى حوله الأبطال في حلق شهب
و هم أورثوني مجدهم و فعالهم # فأقسم لا يزري بهم أبداً عقبي

و يروى: لا يخزيهم.

و أرعى لجاري[2] ما حيت ذمامه # و أعرف ما حقّ الرفيق على الصحب
و لا أسمع التّدمان شيئاً يريبه # إذا الكأس دارت بالمدام على السّرب
إذا ما اعتري بعض الندامى لحاجة # فقولني له: أهلاً و سهلاً و في الرحب
/إذا أنفدوا الرّق الرويّ و صرّعوا # نشاوى فلم أنقع[3] بقولهم: حسبي
بعثت إلى حانوتها فاستبأتها # بغير مكاس في السّوام و لا غصب
/و قلت: اشربوا ربّاً هنيئاً فإنها # كماء القليب في اليسارة و القرب
يطاف عليهم بالسّديف و عندهم # قيان يلهين المزاهر بالضرب
فإن يصبروا لي الدهر أصبرهم بها # و يرحب لهم باعي و يغزر لهم شربي
و كان أبي في المحل يطعم ضيفه # و يروي نداماه و يصبر في الحرب
و يمنع مولاه و يدرك تبه # و لو كان ذاك التبل في مركب[4] صعب
إذا ما منعت المال منكم لثروة # فلا يهنني مالي و لا ينم لي كسبي

[1] في ف، مب:

أبى لي أن أعطى ظلاماً معشري # جدودي و آبائي الكرام ذوو الشغب

- [2] ف، مب: علي لجاري.
- [3] في الأصول عدا ف: أقطع.
- [4] في الأصول عدا ف: مطلب.

و قد روي أن الشعر المنسوب إلى مالك بن أبي كعب، لرجل من مراد، يقال له مالك بن أبي كعب، و ذكر له خبر في ذلك.

قصة منتحلة عن شعر لأبيه

أخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان. قال: حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال: حدثنا العمري، عن الهيثم بن عدي، عن عبد الله بن عباس، عن مجالد عن الشعبي، قال: كان رجل من مراد يكنى أبا كعب، و كان له ابن يدعى مالكا، و بنت يقال لها طريفة، فزوج ابنه مالكا امرأة من أرحب، فلم تزل معه حتى مات أبو كعب، فقالت الأرحبية لمالك: إني قد اشتقت إلى أهلي و وطني، و نحن هاهنا في جدب و ضيق عيش، فلو ارتحلت بأهلك و بي، فنزلت على أهلي، لكان عيشنا أرغد، و شملنا أجمع؛ فأطاعها، و ارتحل بها و بأمه و بأخته إلى بلاد أرحب، فمر بحيّ كان بينهم و بين أبيه ثأر، فعرفوا فرسه، فخرجوا إليه، و أحدقوا به، /و قالوا له: استسلم و سلم الظعينة. فقال: أما و سيفي بيدي و فرسي تحتي فلا، و قاتلهم حتى صرع، فقال و هو يجود بنفسه: لعمر أبيها لا تقول حليلتي # ألا فرّ عني مالك بن أبي كعب

و ذكر باقي الأبيات التي تقدم ذكرها قبل هذا الخبر.

قال مؤلف هذا الكتاب: و أحسب هذا الخبر مصنوعا، و أن الصحيح هو الأول.

صوت

خيّرت أمرين ضاع الحزم بينهما # إما الضياع و إما فتنة عمم

فقد هممت مرارا أن أساجلهم [1] # كأس المنية لو لا الله و الرّحم

الشعر لعيسى بن موسى الهاشمي، و الغناء لمتيم الهاشمية، خفيف رمل، من روايتي ابن المعتز و الهشامي.

[1] ف: أخالسهم.

13- أخبار عيسى بن موسى و نسبه

نسبه

عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. و قد مضى في عدة مواضع من هذا الكتاب ما تجاوزه نسب هاشم إلى أقصى مدى الأنساب. و أمه و أم سائر إخوته و أخواته أم ولد.

مولده و نشأته

و عيسى ممن ولد و نشأ بالحميمة من أرض الشام، و كان من فحول أهله و شجعانهم، و ذوي النجدة و الرأي و البأس/و السُّودد منهم. و قبل أن أذكر أخباره، فإني أبدأ بالرواية في أن الشعر له، إذ كان الشعر ليس من شأنه، و لعل منكرا أن ينكر ذلك إذا قرأه.

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ و عمي قالا: حدثنا عبد الله بن أبي سعد. و رأيت هذا الخبر بعد ذلك في بعض كتب ابن أبي سعد، فقابلت به ما روياه؛ فوجدته موافقا.

شعره في خلع المنصور إياه وبيعة المهدي

قال ابن أبي سعد: حدثني عليّ بن النطاح قال: حدثني أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن عيسى بن موسى قال: لما خلع أبو جعفر عيسى بن موسى، و بايع للمهديّ، قال عيسى بن موسى:

خيّرت أمرين ضاع الحزم بينهما # إما صغار و إما فتنة عم

و قد هممت مرارا أن أساقهم # كأس المنية لو لا الله و الرّحم

و لو فعلت لزال عنهم نعم # بكفر أمثالها تستنزل النقم

على هذه الرواية في الشعر، روى من ذكرت. و على ما صدرت من الخلاف في الألفاظ يفتى.

/أنشدني طاهر بن عبد الله الهاشميّ قال: أنشدني ابن بريهة المنصوريّ [1] هذه الأبيات، و حكى أن ناقدا خادم عيسى كان واقفا بين يديه ليلة أتاه خبر المنصور و ما دبّره عليه من الخلع، قال: فجعل يتململ على فراشه و يهمهم، ثم جلس فأنشد هذه الأبيات، فعلمت أنه كان يهمهم بها، و سألت الله أن يلهمه العزاء و الصبر على ما جرى، شفقة عليه.

[1] ف: الأنصاري.

رؤيا موسى بن محمد

قال ابن أبي سعد في الخبر الذي قدمت ذكره عنهم: وحدثني محمد بن يوسف الهاشمي قال: حدثني عبد الله بن عبد الرحيم قال: حدثتني كلثم بنت عيسى قالت: قال موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس: رأيت في المنام كأنني دخلت بستانا، فلم آخذ منه إلا عنقودا واحدا، عليه من الحب المرصّف ما الله به عليم، فولد له عيسى بن موسى، ثم ولد لعيسى من قد رأيت.

قال ابن أبي سعد في خبره هذا: وحدثني علي بن مسلم الهاشمي قال: حدثني عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن مالك، مولى عيسى بن موسى، قال: حدثني أبي قال:

يكره الغناء

كنا مع عيسى بن موسى لما سكن الحيرة، فأرسل إليّ ليلة من الليالي، فأخرجني من منزلي، فجئت إليه، فإذا هو جالس على كرسي، فقال لي: يا عبد الرحمن، لقد سمعت الليلة في داري شيئا ما دخل سمعي قط إلا ليلة بالحميمة و الليلة، فانظر ما هو. فدخلت أستقري الصوت، فإذا هو في المطبخ، و إذا الطباخون قد اجتمعوا، و عندهم رجل من أهل الحيرة يغنيهم بالعود، فكسرت العود، و أخرجت الرجل، و عدت إليه فأخبرته، فحلف لي أنه ما سمعه قط إلا تلك الليلة بالحميمة و ليلته هذه.

يحج الناس يحجه

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء و الطوسي، قالا: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عبد الله بن محمد بن المنذر عن صفية بنت الزبير بن هشام بن عروة عن أبيه قال: كان عيسى بن موسى إذا حج، يحج ناس كثير من أهل المدينة: يتعزّضون لمعروفه فيصلهم؛ قالت: فمر أبي بأبي الشدائد الفزاري، و هو ينشد بالمصلى: عصابة إن حج عيسى حجّوا # و إن أقام بالعراق دجّوا

قد لعقوا لعيفة فلجّوا # فالقوم قوم حجّهم معوج

ما هكذا كان يكون الحج

قال: ثم لقي أبو الشدائد بعد ذلك أبي، فسلم عليه، فلم يرد عليه، فقال له: مالك يا أبا عبد الله لا تردّ السّلام عليّ؟ فقال: أ لم أسمعك تهجو حاج بيت الله الحرام؟ فقال أبو الشدائد: إني و ربّ الكعبة المنيّة # و الله ما هجوت من ذي نيه

و لا امرئ ذي رعة نقيه # لكنني أرعي على البرية

من عصابة أغلوا على الرعيه # بغير أخلاق لهم سريه

صوت

آثار ريع قدما # أعيأ جوابا صمما

سحت عليه ديم # بمائها فانهما

كان لسعدى علما # فصار وحشا ربما

أيام سعدى سقم # و هي تداوي السقما

الشعر للزّقاشيّ، و الغناء لابن المكيّ، رمل بالوسطى، عن عمرو بن

بانة.

14- أخبار الرقاشي و نسبه

نسبه و مكانته الشعرية

هو الفضل بن عبد الصمد مولى رقاش. و هو من ربيعة، و كان مطبوعا سهل الشعر، نقيّ الكلام، و قد ناقض أبا نواس، و فيه يقول أبو نواس: وجدنا الفضل أكرم من رقاش # لأن الفضل مولا الرسول

أراد أبو نواس بهذا نفيه عن ولائه، لأنه كان أكرم ممن ينتمي إليه، و ذهب أبو نواس إلى قول النبي صلى الله عليه و سلم: أنا مولى من لا مولى له.

انقطاعه للبرامكة و وفاؤه لهم

و ذكر إبراهيم بن تميم، عن المعلى بن حميد:

أن الرقاشي كان من العجم من أهل الري.

و قد مدح الرقاشي الرشيد و أجازته، إلا أن انقطاعه كان إلى آل برمك، فأغنوه عن سواهم.

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال: حدّثنا أحمد بن يزيد المهلبّي قال: حدّثني أبي، قال: كان الفضل الرقاشي منقطعا إلى آل برمك، مستغنيا بهم عن سواهم، و كانوا يصلون به على الشعراء، و يروون أولادهم أشعاره، و يدنون القليل و الكثير منها، تعصبا له، و حفظا لخدمته، و تنويها باسمه، و تحريكا لنشاطه، فحفظ ذلك لهم، فلما نكبوا صار إليهم في حبسهم، فأقام معهم مدّة أيامهم، ينشدهم و يسامرهم، حتى ماتوا، ثم رثاهم فأكثر [1]، و نشر محاسنهم وجودهم و مآثرهم فأفرط، حتى نشر منها ما كان مطوبا، و أذاع منها ما كان مستورا؛ و جرى على شاكلته/بعدهم، و كان كالموقوف المديح على جميعهم، صغيرهم و كبيرهم. ثم انقطع إلى طاهر [2] و خرج معه إلى خراسان، فلم يزل بها معه حتى مات.

مجونه

و كان مع تقدّمه في الشعر ماجنا خليعا، متهاونا بمروءته و دينه، و قصيدته التي يوصي فيها بالخلاعة و المجون مشهورة، سائرة في الناس، مبتذلة في أيدي الخاصة و العامة، و هي التي أوّلها: أوصى الرقاشي إلى إخوانه # وصية المحمود في ندمانه

[1] سقطت بقية هذا الخبر و الذي يليه من أخبار الرقاشي، من جميع الأصول ما عدا ف، مب.

[2] يريد طاهر بن الحسين القائد الفارسي الكبير.

و قد رأيت هذه القصيدة بعينها بخط الجاحظ في شعر أبي نعام، من جملة قصيدة له طويلة، يهجو فيها جماعة، و يأتي في وسطها بقصيدة الرقاشي.

و قال عبد الله بن المعتز: حدثني ابن أبي الخنساء، عن أبيه، قال: لما قال أبو دلف:

صوت

ناوليني الرمح قد طا # ل عن الحرب جمامي[1]

مّر لي شهران مذ لم # أرم قوما بسهامي

قال الرقاشي يعارضه:

جنيني الدرع قد طا # ل عن القصف جمامي

و اكسري المطرد و البـ # -يض و أثني بالحسام

و اذفي في لجة البحـ # -ر بقوسي و سهامي

و بترسي و برمحي # و بسرجي و لجامي

فبحسبي أن تريني # بين فتیان كرام

سادة نغدو مجديـ # -ن على حرب المدام

/و اصطفاق العود و النا # يات في جوف الظلام

هزم أرواح دنان # لم نتلها باصطلام

نهزم الراح إذا ما # هم قوم بانهزام

ثم خلّ الضرب و الطعـ # -ن لأجساد و هام

لشقيّ قال: قد طا # ل عن الحرب جمامي

يرثي العباس بن محمد البرمكي

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثني محمد بن موسى، عن ابن النطاح، قال: توفّي العباس بن محمد بن خالد بن برمك بالخلد، و الرشيد بالرّصافة، في يوم جمعة، فأخرجت جنازته مع العصر، و حضر الرشيد الأمين، و أخرجت المضارب إلى مقابر البرامكة بباب البردان، و فرش للرشيد في مسجد هناك، و جاء الرشيد في الحلق بالأعلام و الحراب، فصلّى عليه، و وقف على قبره حتى دفن؛ فلما خرج يحيى و محمد أخواه من القبر، قبّلا يد الرشيد، و سألاه الانصراف، فقال: لا، حتى يسوّى عليه التراب، و لم

يزل قائما حتى فرغ من أمره، و عزّاهما و أمرهما بالركوب، فقال الرّقاشيّ
يرثي العباس بن محمد بن خالد بن برمك: [1]مب: بحمام.

أ تحسبني باكرت بعدك لذة # أبا الفضل أو رُفعت عن عاتق سترا
 أو انتفعت عيناى بعد بنظرة # أو ادنيت من كأس بمشمولة ثغرا
 جفاني إذن يوما إلى الليل مؤنسي # وأضحت يميني من ذخائرها صفرا
 و لكنني استشعرت ثوب استكانة # و بتُّ كأن الموت يحفر لي قبرا

غنى في الأول و الثاني من هذه الأبيات الرّف، ثاني ثقيل بالبنصر، عن
 الهشاميّ و عبد الله بن موسى. و فيه ثقيل أوّل مجهول، أحسبه ليعض
 جوارى البرامكة. و فيهما لإبراهيم بن المهديّ خفيف رمل، عن عبد الله بن
 موسى.

رثاؤه جعفر البرمكي

و من ذلك قوله في جعفر [1].

كم هاتف بك من باك و باكية # يا طيب للضيف إذ تدعى و للجار
 إن يعدم القطر كنت المزن بارقه # لمع الدنانير لا ما خيل الساري

و قوله:

لعمرك ما بالموت عار على الفتى # إذا لم تصبه في الحياة المعابر
 و ما أحد حيّ و إن كان سالما # بأسلم ممن غيبته المقابر
 و من كان مما يحدث الدهر جازعا # فلا بد يوما أن يرى و هو صابر
 و ليس لذي عيش عن الموت مقصر # و ليس على الأيام و الدهر غابر
 /و كل شباب أو جديد إلى البلى # و كل امرئ يوما إلى الله صائر
 فلا يبعدنك الله عني جعفرا # بروحي و لو دارت علي الدوائر
 فأليت لا أنفك أبكيك ما دعت # علي فنن ورقاء أو طار طائر

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني أبو
 غسان، عن عبد العزيز بن أبي ثابت، عن محمد بن عبد العزيز: أن الرقاشيّ
 الشاعر فني في حب البرامكة حتى خيف عليه.

حبه للبرامكة

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال: حدثني أبي عن أبي عكرمة،
 قال:

و أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثني محمد بن موسى، عن
 إسماعيل بن مجمع، عن أحمد بن الحارث، عن المدائني [2].

[1] يريد: من مرآثي الرقاشي في البرامكة. و هذا الخبر و ما بعده
ساقطان من ف، مب.

[2] جاء السند الأول لرواية هذا الخبر في ف، مب. و السند الثاني في
سائر الأصول، فجمعنا بينهما، لما اعتاده المؤلف في الجمع بين الأسانيد
المتكررة من الطرق المختلفة.

رثاؤه جعفر بن يحيى البرمكي

أنه [1] لما دارت الدوائر على آل برمك، و أمر بقتل جعفر بن يحيى و صلب، اجتاز به الرقاشي الشاعر و هو على الجذع، فوقف يبكي أحزّ بكاء، ثم أنشأ يقول: أما و الله لو لا خوف واش # و عين للخليفة لا تنام

لطفنا حول جذعك و استلمنا # كما للناس بالحجر استلام

فما أبصرت قبلك يا ابن يحيى # حساما قدّه [2] السيف الحسام

على اللذات و الدنيا جميعا # و دولة آل برمك السلام

فكتب أصحاب الأخبار بذلك إلى الرشيد، فأحضره، فقال له: ما حملك على ما قلت؟ فقال: يا أمير المؤمنين، كان إليّ محسنا، فلما رأيته على الحال التي هو عليها حركني إحسانه، فما ملكت نفسي حتى قلت الذي قلت. قال: و كم كان يجري عليك؟ قال: ألف دينار في كل سنة. قال: فإننا قد أضعفناها لك.

شعره في أصدقائه المتفرقين

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ أبو دلف، قال: حدثنا الرقاشيّ قال: كان الفضل الرقاشيّ يجلس إلى إخوان له يحادثهم، و يألّفونه و يأنسون به، فتفرقوا في طلب المعاش، و ترامت بهم الأسفار، فمر الرقاشيّ بمجلسهم الذي كانوا يجلسون فيه، فوقف فيه طويلا، ثم استعبر و قال: لو لا التطيّر قلت غيركم # ريب الزمان فختم عهدي

درست معالم كنت آلفها # من بعدكم و تغيرت عندي

يعشق بأذنه

أخبرني محمد بن جعفر الصّيدلانيّ النحويّ قال: حدثنا محمد [3] بن القاسم قال: حدثني أبو هفان، عن يوسف بن الداية قال: / كان أبو نواس و الفضل الرقاشي جالسين، فجاءهما عمرو الوراق، فقال: رأيت جارية خرجت من دور آل سليمان بن عليّ، فما رأيت جارية أحسن منها، هيفاء نجلاء، زجاء دعجاء، كأنها خوط بان، أو جدل عنان، فخاطبتها فأجابتنني بأحلى لفظ، و أحسن لسان، و أجمل خطاب. فقال الرقاشيّ: قد و الله عشقتها، فقال أبو نواس: أو تعرفها؟ قال: لا و الله، و لكن بالصفة، ثم أنشأ يقول:

صفات و ظنّ أورتا القلب لوعة # تضرّم في أحشاء قلب منيّم [4]

تمثلها نفسي لعيني فأنثني # إليها بطرف الناظر المتوسّم

[1] ف، مب: لما قتل جعفر بن يحيى و صلب...

[2] كذا في ف، مب. و في بقية الأصول: حتفه.

[3] ف، مب: أحمد.

[4] كذا في ف، مب. و في بقية الأصول: و حسن. و في مب: صب

متيم.

يحملني حبي لها فوق طاقتي # من الشوق دأب الحائر[1]المتفسم

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال: /حدثني عبد الرحيم بن أحمد بن زيد الحراني قال:

قيل لابن دراج الطفيلي أ تتطقل على الرءوس؟ قال: و كيف لي بها؟ قيل: إن فلانا و فلانا قد اشترياها، و دخلا بستان ابن بزيع، فخرج يحضر خوفا من فوتهما، فوجدهما قد لؤحا بالعظام فوقف عليها ينظر، ثم استعبر و تمثل قول الرقاشي:

آثار ريع قدما # أعيأ جوابي صمما

و ابن دراج هذا يقال له عثمان، و هو مولى لكندة، و كان في زمن المأمون، و له شعر مليح، و أدب صالح، و أخبار طيبة، يجري ذكرها هاهنا.

[1]ف: الحائن.

15- أخبار ابن درّاج الطّغلي

[1]

يخاف الكلب

أخبرني الجوهري عن ابن مهرويه، عن أبيه قال:

قيل لعثمان بن دراج: أتعرف بستان فلان؟ قال: إي و الله، وإنه للجنة الحاضرة في الدنيا. قيل له: فلم لا تدخل إليه، فتأكل من ثماره، تحت أشجاره، و تسبح في أنهاره؟ قال: لأن فيه كلبا لا يتمضمض إلا بدماء عراقيب الرجال.

سبب عدم إقلاعه عن التطفل

أخبرني الجوهري قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثنا عبد الرحيم بن أحمد بن زيد الحرّاني قال:

كان عثمان بن دراج يلزم سعيد بن عبد الكريم الخطّابي، أحد ولد زيد بن الخطّاب، فقال له: ويحك! إنني أبخل بأدبك و علمك، و أصونك و أضن بك عما أنت فيه من التطفل، و لي وظيفة راتبه في كل يوم، فالزمني و كن مدعوًا أصلح لك مما تفعل. فقال: رحمك الله أين يذهب بك؛ فأين لذة الجديد، و طيب التنقل كل يوم من مكان إلى مكان؟ و أين نيلك و وظيفتك من احتفال الأعراس؟ و أين ألوانك من ألوان الوليمة؟ قال: فأما إذ أبيت ذاك، فإذا ضاقت عليك المذاهب فإني فيئة لك. قال: أما هذا فنعم.

يمنع الطفيليين

فبينا هو عنده ذات يوم إذ أتت الخطّابي مولاة له، فقالت له: جعلت فداك. زوّجت ابنتي من ابن عمّ لها، و منزلي بين قوم طفيليين، لا آمنهم أن يهجموا عليّ، فيأكلوا ما صنعت، و يبقى من دعوت، فوجّه معي بمن يمنعهم. فقال: نعم، هذا أبو سعيد، قم معها يا أبا سعيد. فقال: مرّي بين يديّ، و قام و هو يقول:

صجت تميم أن تقّتل عامر # يوم النصار فأعتبوا بالصّيلم

كيف يصنع بأهل العروس ليدخلوه

قال: و قال الخطّابي هذا لابن درّاج: كيف تصنع بأهل العرس إذا لم يدخلوك؟ قال: أنوح على بابهم، فيتطيّرون بذلك، فيدخلوني.

سبب صفرة لونه

قال: و قال له رجل: ما هذه الصفرة في لونك؟ قال: من الفترة بين القصفين، و من خوفي كل يوم من نفاذ الطعام قبل أن أشبع.

[1] أثبتنا هذا العنوان عن الأصول غير (ف، مب، فإنهما ذكرتا ابن دراج
بلا عنوان) .

صفة بيته

أخبرني أحمد قال: حدثنا ابن مهرويه، عن عبد الرّحيم بن أحمد: أن ابن دراج صار إلى باب عليّ بن زيد، أيام كان يكتب للعباس بن المأمون، فحجبه الحاجب، و قال: ليس هذا وقتك، قد رأيت القواد يحجبون، فكيف يؤذن لك أنت؟ قال: ليست سبيلي سبيلهم، لأنه يحب أن يراني، و يكره أن يراهم، فلم يأذن له. فبيناهما على ذلك إذ خرج عليّ بن زيد، فقال: ما منعك يا أبا سعيد أن تدخل؟ فقال: منعني هذا البغيض. فالتفت إلى الحاجب، فقال: بلغ بك بغضك أن تحجب هذا؟ ثم قال: يا أبا سعيد، ما أهديت إليّ من النوادر؟ قال: مرت بي جنازة و معي ابني، و مع الجنازة امرأة تبكيه تقول: بك يذهبون إلى بيت لا فرش فيه و لا وطاء، / و لا ضيافة و لا غطاء؛ و لا خبز فيه و لا ماء. فقال لي ابني: يا أبة، إلى بيتنا و الله يذهبون بهذه الجنازة. فقلت له: و كيف و بك! قال: لأن هذه صفة بيتنا. فضحك عليّ و قال: قد أمرت لك بثلاثة مائة درهم.

قال: قد وقرّ الله عليك نصفها على أن أتغدى معك. قال: و كان عثمان مع طفيله أشره الناس، فقال: هي عليك موقرة كلها، و تتغدى معنا.

لذة التطفيل

و عثمان ابن دراج الذي يقول:

لذة التطفيل دومي # و أقيمي لا تريمي

أنت تشفين غليلي # و تسلين همومي

/عود إلى الرقاشي:

خضاب الرقاشي

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا العكليّ قال: دخل الرقاشي على بعض أمراء الصدقة، فقال له: قد أصبح خضابك قانيا. قال: لأنني أمسيت له معانيا.

قال: و كيف تفعله؟ قال: أنعم الحناء عجنا، و أجعل ماءه سخنا، و أروّي شعري قبله دهنا، فإن بات قنا [1]، و إن لم يفعل أغنى.

صوت

من لعين رأت خيالا مطيفا # واقفا هكذا علينا وقوفا

طارقا موهنا ألم فحيا # ثم ولى فهاج قلبا ضعيفا

ليت نفسي و ليت أنفس قومي # يا يزيد الندى تقيك الحتوفا

عتكي مهلبّي كريم # حاتمي قد نال فرعا منيفا

عروضه من الخفيف، و الشعر لربيعة الرقي يمدح يزيد بن حاتم
المهلبّي. و الغناء لعبد الرّحيم الرف[2]، خفيف رمل بالوسطى، عن عمرو.

[1] في «اللسان» : فغلفها بالحناء. و الكتم حتى قنا لونها: أي احمر،
يقال: قنا لونها يقنو قنوا، و هو أحمر قان. و في الأصول: «قنى» .

و القنو الذي هو حمرة اللون واوى لا يائي.

[2] كذا في ف. و في بقية الأصول: الدفاف.

16- أخبار ربيعة الرقي و نسبه

مجله أخباره

هو ربيعة بن ثابت الأنصاري، و يكنى أبا شبابة. و قيل إنه كان يكنى أبا ثابت، و كان ينزل الرقة، و بها مولده و منشؤه، فأشخصه المهدي إليه، فمدحه بعدة قصائد، و أثابه عليها ثوابا كثيرا، و هو من المكثرين المجيدين، و كان ضريرا، و إنما أحمل ذكره و أسقطه عن طبقتة، بعده عن العراق، و تركه خدمة الخلفاء، و مخالطة الشعراء، و على ذلك فما عدم مفضلا لشعره، مقدما له.

أشعر المحدثين و أسيرهم بيتا

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثنا محمد بن داود، عن ابن أبي خيثمة [1] عن دعبل قال: قلت لمروان بن أبي حفصة: من أشعركم جماعة المحدثين يا أبا السَّمط؟ قال: أشعرنا أسيرنا بيتا. قلت: و من هو؟ قال: ربيعة الرقي الذي يقول:

لشتان ما بين اليزيديين في الندى # يزيد سليم و الأغر ابن حاتم

و هذا البيت من قصيدة له مدح بها يزيد بن حاتم المهلبى، و هجا يزيد بن أسيد السلمى، و بعد البيت الذي ذكره مروان: يزيد سليم سالم المال و الفتى # أخو الأزد للأموال غير مسالم

فهم الفتى الأزدي إتلاف ماله # و هم الفتى القيسي جمع الدراهم

فلا يحسب التمام أني هجوته # و لكنني فضلت أهل المكارم

فيا ابن أسيد لا تسام ابن حاتم # فتقرع إن ساميته سنّ نادم

/هو البحر إن كلّفت نفسك خوضه # تهالكت في موج له متلاطم

استشهاد أبي زيد بشعره

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني أسيد بن خالد الأنصاري، قال: قلت لأبي زيد النحوي: إن الأصمعي قال: لا يقال: شتان ما بينهما، إنما يقال: شتان ما هما، و أنشد قول الأعشى: شتان ما يومي على كورها

[1] كذا في ف، مب. و في بقية الأصول: أحمد بن أبي خيثمة.

فقال: كذب الأصمعيّ، يقال: شتان ما هما، و شتان ما بينهما، و أنشدني لربيعة الرقيّ، و احتج به: لشتان ما بين اليزيديين في الندى # يزيد سليم و الأغرّ ابن حاتم

و في استشهداد مثل أبي زيد على دفع مثل قول الأصمعيّ بشعر ربيعة الرقيّ، كفاية له في تفضيله.

أغزل من أبي نواس

و ذكره عبد الله بن المعتز فقال: كان ربيعة أشعر غزلا من أبي نواس، لأن في غزل أبي نواس بردا كثيرا، و غزل هذا سليم سهل عذب.

جوارى المهدي يشتهين سماعه

نسخت من كتاب لعمي: حدّثنا ابن أبي فنن[1] قال:

اشتهدى جوارى المهديّ أن يسمعن ربيعة الرقيّ، فوجه إليه المهديّ من أخذه من مسجده بالرقّة، و حمل على البريد حتى قدم به على المهديّ، فأدخل عليه، فسمع ربيعة حسا من وراء السّتر، فقال: إني أسمع حسا يا أمير المؤمنين، فقال: اسكت يا ابن اللّخناء، و استنشدته ما أراد، فضحك و ضحك منه. قال: و كان فيه لين، و كذلك كان أبو العتاهية، ثم أجازته جائزة سنية، فقال له: /

يا أمير المؤمنين # الله سمّك الأمين[2]

سرقوني من بلادي # يا أمير المؤمنين

سرقوني فاقض فيهم # بجزاء السارقينا

قال: قد قضيت فيهم أن يردوك إلى حيث أخذوك. ثم أمر به فحمل على البريد من ساعته إلى الرقة.

يمدح يزيد بن حاتم

و في يزيد بن حاتم يقول أيضا:

يزيد الأزدي إن يزيد قومي # سمّيك لا يجود كما تجود[3]

يقود جماعة و تقود أخرى # فترزق من تقود و من يقود[4]

فما تسعون يحقرها ثلاث # يقيم حسابها رجل شديد

و كفّ شنة جمعت لوجء # بأنك من عطائك يا يزيد

[1] كذا في ف، مب. و في بقية الأصول: ابن أبي ذئب.

[2] كذا في ف، مب. و في بقية الأصول:

يا أمين الله إن ال # - له سماك الأمينا

[3] كذا في ف، مب. و في سائر الأصول: لا يزيد كما تزيد.

[4] مب: من تريد و من يريد. و في «خزانة الأدب» للبغدادي (3: 53):
تقود كتيبة و يقود أخرى # فترزق من تقود و من يقود

كان السبب في غضب الرشيد على العباس بن محمد
أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ
قال: امتدح ربيعة الرقيّ العباس بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس،
بقصيدة لم يسبق إليها حسنا، وهي طويلة يقول فيها:

صوت

لو قيل للعباس يا ابن محمد # قل: (لا) و أنت مخلّد ما قالها

ما إن أعدّ من المكارم خصلة # إلا وجدتك عمها أو خالها

/و إذا الملوك تسايروا في بلدة # كانوا كواكبها و كنت هلالها[1]

إن المكارم لم تزل معقولة # حتى حلت براحتيك عقالها

/في البيت الأول و البيت الأخير خفيف رمل بالوسطى، يقال إنه
لإبراهيم. و يقال إنه للحسين بن محرز.

قال: فبعث إليه بدينارين، و كان يقدرّ فيه ألفين، فلما نظر إلى
الدينارين كاد يجن[2] غيظا، و قال للرسول: خذ الدينارين، فهما لك، على أن
ترد الرقعة من حيث لا يدري العباس، ففعل الرسول ذلك، فأخذها ربيعة، و
أمر من كتب في ظهرها: مدحتك مدحة السيف المحلى # لتجري في
الكرام كما جريت

فهبها مدحة ذهب ضياعا[3] # كذبت عليك فيها و افتريت

فأنت المرء ليس له وفاء # كأني إذ مدحتك قد رثيت

ثم دفعها إلى الرسول، و قال له ضعها في الموضع الذي أخذتها منه.
فردّها الرسول في موضعها. فلما كان من الغد أخذها العباس، فنظر فيها،
فلما قرأ الأبيات غضب، و قام من وقته، فركب إلى الرشيد، و كان أثيرا
عنده، يبجلّه و يقدمه، و كان قد همّ أن يخطب إليه ابنته، فرأى الكراهة في
وجهه، فقال: ما شأنك؟ قال: هجاني ربيعة الرقيّ.

فأحضر، فقال له الرشيد: يا ماصّ كذا و كذا من أمه، أ تهجو عمي، و
أثر الخلق عندي، لقد هممت أن أضرب عنقك. فقال: و الله يا أمير
المؤمنين، لقد مدحته بقصيدة ما قال مثلها أحد من الشعراء، في أحد من
الخلفاء، و لقد بالغت في الثناء، و أكثرت في الوصف، فإن رأى أمير
المؤمنين أن يأمره بإحضارها. فلما سمع الرشيد ذلك منه سكن غضبه، و
أحب أن ينظر في القصيدة، فأمر العباس بإحضار الرقعة، فتلكأ عليه العباس

ساعة، فقال له الرشيد: سألتك بحق أمير المؤمنين إلا أمرت بإحضارها، فعلم العباس أنه قد أخطأ و غلط، فأمر بإحضارها فأحضرت، فأخذها الرشيد وإذا فيها القصيدة بعينها، فاستحسنها و استجادها، و أعجب بها، و قال: و الله ما قال أحد من الشعراء في أحد من الخلفاء مثلها، لقد صدق ربعة و برّ. ثم قال للعباس: كم أثبتته عليها؟ فسكت العباس: و تغير لونه، و جرض بريقه، فقال ربعة: أثابني عليها يا أمير المؤمنين بدينارين، فتوهم الرشيد أنه قال ذلك من [1]مب: و أنت هلالها.

[2]ف، مب: غضبا.

[3]ف: ضلالا.

الموجدة على العباس، فقال: بحياتي يا رقي، كم أثابك؟ قال: وحياتك يا أمير المؤمنين ما أثابني إلا بدينارين.

فغضب الرشيد غضبا شديدا، و نظر في وجه العباس بن محمد، و قال: سواء لك! أية حال قعدت بك عن إثابته؟ أ قلة المال؟ فو الله لقد مؤلتك جهدي؛ أم انقطاع المادة عنك؟ فو الله ما انقطعت عنك، أم أصلك؟ فهو الأصل لا يدانيه شيء، أم نفسك؟ فلا ذنب لي، بل نفسك فعلت ذلك بك، حتى فضحت أباك و أجدادك، و فضحتني و نفسك.

فكس العباس رأسه و لم ينطق. فقال الرشيد: يا غلام، أعط ربيعة ثلاثين ألف درهم و خلعة، و احمله على بغلة، فلما حمل المال بين يديه، و ألبس الخلعة، قال له الرشيد: بحياتي يا رقي لا تذكره في شيء من شعرك تعريضا و لا تصریحا، و فتر الرشيد عما كان هم به أن يتزوج إليه، و ظهر منه له بعد ذلك جفاء كثير و اطراح.

يعبث بالعباس بن محمد

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال: حدثني أحمد بن أبي فنن الشاعر، قال: حدثني من لا أحصي من الجلساء:

أن ربيعة الرقي كان لا يزال يعبث بالعباس بن محمد بحضرة الرشيد، العبث الذي/يبلغ منه، منذ جرى بينهما في مديحه إياه ما جرى، من حيث لا يتعلق عليه/فيه بشيء، فجاء العباس يوما إلى الرشيد ببرنيّة فيها غالية، فوضعها بين يديه، ثم قال: هذه يا أمير المؤمنين غالية، صنعتها لك بيدي، اختير عنبرها من شحر عمان، و مسكها من مفاوز التبت، و بانها من قعر تهامة؛ فالفضائل كلها مجموعة فيها، و النعت يقصر عنها.

فاعترضه ربيعة، فقال: ما رأيت أعجب منك، و من صفتك لهذه الغالية، عند من إليه كل موصوفٍ يجلب، و في سوقه ينفق، و به إليه يتقرّب، و ما قدر غاليتك هذه، أعزك الله، حتى تبلغ في وصفها ما بلغت، أ أجريت بها إليه نهرا، أم حملت إليه منها وقرا! إن تعظيمك هذا عند من تجبى إليه خزائن الأرض و أموالها من كل بلدة، و تذلل لهيبته جابرة الملوك المطيعة و المخالفة، و تتحفه بطرف بلدانها، و بدائع ممالكها، حتى كأنك قد فقت به على كل ما عنده، أو أبدعت له ما لا يعرفه، أو خصصته بما لم يحوه ملكه، لا تخلو فيه من ضعف أو قصر همة. أنشدك الله يا أمير المؤمنين، إلا جعلت

حظي من كل جائزة و فائدة توصلها إليّ مدة سنتي هذه الغالية، حتى أتلقاها بحقها.

فقال: ادفعوها إليه، فدفعت إليه. فأدخل يده فيها، و أخرج ملئها، و حل سراويله، و أدخل يده فطلى بها استه، و أخذ حفنة أخرى، و طلى بها ذكره و أنثيه، و أخرج حفتين، فجعلهما تحت إبطيه، ثم قال: يا أمير المؤمنين، مر غلامي أن يدخل إليّ، فقال: أدخلوه إليه، و هو يضحك، فأدخلوه إليه فدفعت إليه البرنية غير مختومة، و قال: اذهب إلى جاريتي فلانة بهذه البرنية، و قل لها: طيبي بها حرك و استك و إبطيك، حتى أجيء الساعة و أنيكك، فأخذها الغلام و مضى و ضحك الرشيد حتى غشي عليه، و كاد العباس يموت غيظا، ثم قام فانصرف، و أمر الرشيد لربيعة بثلاثين ألف درهم [1].

شعره يطرز على بساط

و ذكر علي بن الحسين بن عبد الأعلى، أنه رأى قصيدة لربيعة الرقيّ مكتوبة في دور بساط من بسط السلطان قديم، و كان مبسوطا في دار العامة بسرّ من رأى، فنسخها منه، و هي قوله:

[1] كذا في ف، مب. و في سائر الأصول: و أمر الرشيد العباس أن يبعث لربيعة بثلاثين ألف درهم.

صوت

و تزعم أنني قد تبدّلت خلّة # سواها و هذا الباطل المتقوّل
لحا الله من باع الصديق [1] بغيره # فقالت نعم حاشاك إن كنت تفعل
ستصرم إنسانا إذا ما صرمتني [2] # يحبك فانظر بعده من تبدّل

في هذه الثلاثة الأبيات لحن من الثقل الأول، ينسب إلى إبراهيم الموصلي، و إلى إبراهيم بن المهديّ، و فيه لعريب رمل من رواية ابن المعتز.

سبب هجائه ليزيد بن أسيد

و كان سبب إغراق ربيعة في هجاء يزيد بن أسيد، أنه [3] زاره يستميحه، لقضاء دين كان عليه [3]، فلم يجد عنده ما أحب، و بلغ ذلك يزيد بن حاتم المهلبيّ، فطقل [4] على قضاء دينه و بره، فاستفرغ ربيعة جهده في مدحه، و له فيه عدة قصائد مختارة، يطول ذكرها، و قد كان أبو الشمقمق عارضه في قوله: لشتان ما بين اليزيديين في الندى # يزيد سليم و الأغرّ ابن حاتم

في قصيدة مدح بها يزيد بن مزيد، و سلخ بيت الرقيّ، بل نقله و قال: /

لشتان ما بين اليزيديين في الندى # إذا عد في الناس المكارم و المجد

يزيد بني شيبان أكرم منهما # و إن غضبت قيس بن عيلان و الأزد

/فتى لم تلده من رعين قبيلة # و لا لحم تنميه و لم تنمه نهد

و لكن نمته الغرّ من آل وائل # و برّة تنميه و من بعدها هند

و لم يسر في هذا المعنى شيء كما سار بيت ربيعة.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثنا محمد بن داود بن الجراح قال: حدثنا محمد بن أبي الأزهر قال: عرض نخاس على أحمد بن يزيد بن أسيد الذي هجاه ربيعة جواربي، فاختر جاريتين منهن، ثم قال للنخاس: أيتهما أحب إليك؟ قال: بينهما أعز الله الأمير كما قال الشاعر: لشتان ما بين اليزيديين في الندى # يزيد سليم و الأغرّ ابن حاتم

فأمر بجر رجله و جواربه.

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ قال: حدثنا عبد الله بن شبيب قال: لما حج الرشيد لقيه قبل دخوله مكة رجلان من قریش، فانتسب له أحدهما، ثم

قال: يا أمير المؤمنين، [1]ف: الحبيب.

[2]ف: صرّمته.

(3-3) كذا في ف. و في سائر الأصول: دينا كان عليه، فاستمنحه.

[4]طفل: ترفق و تطف.

نهكتنا النوائب، و أجحفت بأموالنا المصائب، و لنا بك رحم أنت أولى من وصلها، و أمل أنت أحق من صدقه، فما بعدك مطلب، و لا عنك مذهب، و لا فوقك مسئول، و لا مثلك مأمول. و تكلم الآخر، فلم يأت بشيء فوصلهما، و فضل الأول تفضيلا كثيرا، ثم أقبل على الفضل بن الربيع فقال: يا فضل: لشتان ما بين اليزيديين في الندى # يزيد سليم و الأغر ابن حاتم

تفصيل سبب هجائه ليزيد بن أسيد

قال أحمد بن أبي طاهر: حدثني أبو دعامة عليّ بن زيد بن عطاء المملط قال: لما هجا ربعة يزيد بن أسيد السلمي، و كان جليلا عند المنصور و المهدي، و فضل عليه يزيد بن حاتم، قلت لربعة: يا أبا شبابة، ما حملك على أن هجوت رجلا من قومك، و فضلت عليه رجلا من الأزدي؟ فقال: أخبرك.

أملقت فلم يبق لي شيء إلا داري، فرهنتها على خمس مائة درهم، و رحلت إليه إلى إرمينية، فأعلمته ذلك و مدحته، و أقمت عنده حولا، فوهب لي خمس مائة درهم، فتحملت و صرت بها إلى منزلي، فلم يبق معي كبير شيء، فنزلت في دار بكراء، فقلت: لو أتيت يزيد بن حاتم، ثم قلت: هذا ابن عمي فعل بي هذا الفعل، فكيف غيره؟ ثم حملت نفسي على أن أتيته، فأعلم بمكاني، فتركني شهرا حتى ضجرت، فأكرت نفسي من الحمالين، و كتبت بيتا في رقعة و طرحتها في دهليزه، و البيت: أراني و لا كفران لله راجعا # بخفي حين من يزيد بن حاتم [1]

فوقعت الرقعة في يد حاجبه، فأوصلها إليه من غير علمي و لا أمري، فبعث خلفي، فلما دخلت عليه قال: هيه، أنشدني ما قلت. فتمنعت، فقال: و الله لتنشدني، فأنشدته فقال: و الله لا ترجع كذلك، ثم قال: انزعوا خفيه، فنزعا فحشاها دنانير، و أمر لي بغلمان و جوار و كساء، أ فلا ترى لي أن أمدح هذا و أهجو ذاك! قلت: بلى و الله. ثم قال: و سار شعري حتى بلغ المهدي فكان سبب دخولي إليه.

هواه

أخبرني الحسن بن عليّ الأدمي قال: حدثني محمد بن الحسن بن عباد بن الشهيد/القرقيسياني قال: حدثني عمي عبد الله بن عباد: أن ربعة بن ثابت الرقيّ الأسديّ كان يلقب الغاوي، و كان يهوى جارية يقال لها عثمة، أمة لرجل من أهل قرقيسيا، يقال له ابن مزار، و كان بنو هاشم/في سلطانهم قد ولوه مصر، فأصاب بها مالا عظيما، و بلغه خبر ربعة مع

جاريته، فأحضره، و عرض عليه أن يهبها له، فقال: لا تهبها لي، فإن كل
مبذول مملول، و أكره أن يذهب حبها من قلبي؛ و لكن دعني أوصلها هكذا،
فهو أحب إليّ.

قال: و قال فيها:

اعتاد قلبك من حبيك عيده # شوق عراق فأنت عنه تزوده
و الشوق قد غلب الفؤاد فقاده # و الشوق يغلب ذا الهوى فيقوده

[1]مب: من نوال يزيد. -

في دار مزار غزال كنيسة # عطر عليه خزوزه و بروده
 ريم أعر كأنه من حسنه # صنم يحجّ بيعة معبوده
 عيناه عينا جؤذر بصريمة # و له من الطيبي المرّيب جیده
 ما ضرّ عثمة أن تلم بعاشق # دنف الفؤاد متيم فتعوده
 و تلده[1] من ريقها فلربما # نفع السقيم من السقام لدوده

و هي طويلة مدح فيها بعض ولد يزيد بن المهلب.

يمدح معن بن زائدة و يهجو

أخبرني يحيى بن عليّ قال: حدثني أبي عن إسحاق بن إبراهيم
 الموصليّ، عن أبي بشر الفزاريّ قال: لقي ربيعة الرقيّ معن بن زائدة في
 قدمه قدمها إلى العراق، فامتدحه بقصيدة، و أنشده إياها راويته، فلم يهش
 له معن، و لا رضي ربيعة لقاءه إياه، و أثابه ثوابا نزرا، فرده ربيعة، و هجاه
 هجاء كثيرا، فمما هجاه به قوله: معن يا معن يا ابن زائدة الكل # ب التي
 في الذراع لا في البنان

لا تفاخر إذا فخرت بآبا # نك و افخر بعمك الحوفزان
 /فهنشام من وائل في مكان # أنت ترضى بدون ذاك المكان
 و متى كنت يا ابن ظبية ترجو # أن تتّي[2] على ابنة الغضبان
 و هي حوراء كالمهاة هجان # لهجان و أنت غير هجان
 و بنات السليل عند بني ظب # ية، أفّ لكم بني شيبان
 قيل: معن لنا فلما اخترنا # كان مرعى و ليس كالسعدان

قال أبو بشر: ظبية التي عيره بها أمة كانت لبني نهار بن أبي ربيعة بن
 ذهل بن شيبان، لقيها عبد الله بن زائدة بن مطر بن شريك، و كانت راعية
 لأهلها، و هي في غنمها، فسرقها و وقع عليها، فولدت له زائدة بن عبد الله
 أبا معن بن زائدة، و دجاجة بنت عبد الله. قال: و بنت السليل التي عنها:
 امرأة من ولد الحوفزان.

هواه

أخبرني يحيى عن أبيه عن إسحاق عن أبي بشر الفزاريّ، قال:
 كان ربيعة الرقيّ يهوى جارية لرجل من أهل الكوفة، يقال لها عثمة، و
 كان أهلها ينزلون في جوار جعفيّ، فقال فيها في أبيات له: جعفيّ جيرانها
 فقد عطرت # جعفيّ من نشرها و رباها

فقال له رجل من جعفيّ: و أنا جار لها بيت بيت، و الله ما شممت من
دراهم/ريحا طيبة قط. فتشمم ربيعة رائحته [1]تلده: تسقيه اللدود، و هو
دواء.

[2]كذا في ف، مب. و في الأصول: تبني.

و قال: و ما ذنبي إذا كنت أخشمت[1]، و الله إني لأجد ريحها و ريح طيبها منك، و أنت لا تجده من نفسك.

رقية شعرية

أخبرني يحيى عن أبيه عن إسحاق عن أبي بشر قال:

كنت حاضرا ربيعة الرقيي يوما و جاءته امرأة من منزل هذه الجارية، فقالت: تقول لك فلانة: إن بنت مولاي محمومة، فإن كنت تعرف عوذة تكتبها لها فافعل. فقال: أكتب لها يا أبا بشر هذه العوذة: /

تفو تفو باسم إلهي الذي # لا يعرض السقم لمن قد شفى

أعيذ مولاتي و مولاتها # و ابنتها بعوذة المصطفى

من شر ما يعرض من علة # في الصبح و الليل إذا أسدفا

قال: فقلت له: يا أبا ثابت، لست أحسن أن أكتب: تفو تفو، فكيف أكتبها؟ قال: انضح المداد من رأس القلم في موضعين، حتى يكون كالنفث، و ادفع العوذة إليها، فإنها نافعة. ففعلت و دفعتها إليها، فلم تلبث أن جاءتنا الجارية و هي لا تتمالك ضحكا. فقالت له: يا مجنون، ما فعلت بنا؟ كدنا و الله نفتضح بما صنعت. قال: فما أصنع بك؟ أ شاعر أنا أم صاحب تعاويد؟

صوت

ألا من بين الأخوي # ن أمهما هي الثكلى

تسائل من رأى ابنيها # و تستشفي فما تشفى[2]

فلما استيأست رجعت # بعبرة واله حرى

تتابع بين ولولة # و بين مدامع تترى

عروضه من الهزج[3]، الشعر لجويرية بنت خالد بن قارظ الكنانية، و تكنى أم حكيم، زوجة عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، في ابنيها اللذين قتلها بسر بن أرطاة، أحد بني عامر بن لؤي باليمن.

و الغناء لابن سريج، و لحنه من القدر الأوسط، من الثقيل الأول، بالخنصر في مجرى البنصر. و فيه لحنين الحيري، ثاني ثقيل عن الهشامي. فيه لأبي سعيد مولى فائد، خفيف ثقيل الأول، مطلق في مجرى الوسطى.

[1]الأخشم: الذي لا يجد ريح ما يشم في أنفه.

[2]كذا في ف، مب. و في بقية الأصول: «و تستسقي فما تسقى» .

[3] هذه العبارة سقطت من ف، مب، و هي في سائر الأصول. و الأبيات ليست من الهزج، لكن من مجزوم الوافر.

17- ذكر الخبر في مقتل ابني عبيد الله بن العباس ابن عبد المطلب

حملة بسر بن أرطاة في الحجاز و اليمن

أخبرني بالسبب في ذلك محمد بن أحمد بن الطلاس [1] قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال: حدثنا علي بن محمد المدائني، عن أبي مخنف، عن جويرية بن أسماء، و الصّقع بن زهير، و أبي بكر الهذلي، عن أبي عمرو الواقصي:

أن معاوية بن أبي سفيان بعث بسر بن أرطاة، أحد بني عامر بن لؤي، بعد تحكيم الحكمين، و علي بن أبي طالب رضي الله عنه يومئذ حي، و بعث معه جيشا، و وجهه برجل من غامد [2] ضم إليه جيشا آخر. و وجه الضحاك بن قيس الفهري في جيش آخر، و أمرهم أن يسيروا في البلاد، فيقتلوا كل من وجدوه من شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام و أصحابه، و أن يغيروا على سائر أعماله، و يقتلوا أصحابه، و لا يكفوا أيديهم عن النساء و الصبيان. فمضى بسر لذلك على وجهه، حتى انتهى إلى المدينة، فقتل بها ناسا من أصحاب علي عليه السلام، و أهل هواه، و هدم بها دورا من دور القوم. / و مضى إلى مكة، فقتل نفرا من آل أبي لهب، ثم أتى السراة، فقتل من بها من أصحابه. و أتى نجران، فقتل عبد الله بن عبد المدان الجارثي و ابنه، و كانا من أصحاب بني العباس، ثم أتى اليمن و عليها عبيد الله بن العباس، عاملا لعلي بن أبي طالب، و كان غائبا، و قيل بل هرب لما بلغه خبر بسر، فلم يصادفه بسر، و وجد ابنين له صبيين، فأخذهما بسر لعنه الله، و ذبحهما بيده، بمديّة كانت معه، ثم انكفأ راجعا إلى معاوية، و فعل مثل ذلك سائر من بعث به. فقصد الغامدي إلى الأنبار، فقتل ابن حسان البكري، و قتل رجالا و نساء من الشيعة.

خطبة لعلي بن أبي طالب يعير فيها أتباعه بالهزيمة

فحدثني العباس بن علي بن العباس النسائي قال: حدثنا محمد بن حسان الأزرق، قال: حدثنا شبابة بن سوار قال: حدثنا قيس بن الربيع، عن عمرو بن قيس، عن أبي صادق، قال:

أغارت خيل لمعاوية على الأنبار، فقتلوا عاملا لعلي عليه السلام، يقال له حسان بن حسان [3]، و قتلوا رجالا كثيرا و نساء، فبلغ ذلك علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، فخرج حتى أتى المنبر، فرقيه، فحمد الله و أشنى عليه، و صلى على النبي صلى الله عليه و سلم، ثم قال:

[1] ف: أحمد الطلاس.

[2] كذا في الأصول: عامر و في «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد (1: 144) أن معاوية وجه رجلا من غامد يقال له: سفيان بن عوف بن المغفل الغامديّ، فعلى هذا تكون كلمة «عامر» تصحيفا.

[3] كذا ورد هذا الاسم في جميع الأصول و في «الكامل» للمبرد (1: 104 «رغبة الأمل» للمرصفي) و سماه ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» في رواية: أشرس بن حسان البكري.

إن الجهاد باب من أبواب الجنة، فمن تركه ألبسه الله ثوب الذلة و شمله البلاء، و دِيثٌ [1] بالصُّغار، و يسيب الخسف. و قد قلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم، فإنه لم يغز قوم قط في عقر [2] دارهم إلا ذلوا، فتواكلتم و تخاذلتم، و تركتم قولي وراءكم ظهريا، حتى شئت عليكم الغارات. هذا أخو غامد قد جاء الأنبار، فقتل عاملي عليها حسان بن حسان، و قتل رجلا كثيرا و نساء. و الله لقد بلغني أنه كان يأتي المرأة المسلمة و الأخرى المعاهدة، فينزِعُ حجلها و رعاثها [3]، ثم ينصرفون موفورين، لم يكلم أحد منهم كلما، فلو أن امرأ مسلمة مات من دون هذا أسفا، لم يكن عليه ملوما، بل كان به جديرا. يا عجا، عجا يميت القلب، و يشعل الأحران، من اجتماع هؤلاء القوم على ضلالتهم و باطلهم، و فشلكم عن حَقِّكم، حتى صرتم غرضا، ترمون و لا ترمون، و تغزون و لا تغزون، و يعصى الله و ترضون. إذا قلت لكم اغزوهم في الحر، قلت هذه حمارة القيظ فأمهلنا، و إذا قلت لكم اغزوهم في البرد، قلت هذا أوان قرّ و صرّ فأمهلنا. فإذا كنتم من [4] الحر و البرد تفرّون، فأنتم و الله من السيف/أشد فرارا. يا أشباه الرجال و لا رجال، و يا طغام [5] الأحلام، و عقول ربات الحجال [6]، وددت و الله اني لم أعرفكم، بل وددت أني لم أركم، معرفة و الله جرّعت بلاء و ندما، و ملأتم جوفي غيظا بالعصيان و الخذلان، حتى لقد قالت قريش: إن ابن أبي طالب رجل شجاع و لكن لا علم له بالحرب. ويحهم! هل فيهم أشد مراسا لها مني؟ و الله لقد دخلت فيها و أنا ابن عشرين، و أنا الآن قد نيفت على الستين، و لكن لا رأي لمن لا يطاع.

فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، أنا كما قال الله تعالى: **لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَ أَخِي** [7] فمرنا بأمرك، فو الله لنطيعنك و لو حال بيننا و بينك جمر الغضى [8]، و شوك القتاد. قال: و أين تبلغان مما أريد؛ هذا أو نحوه، ثم نزل.

رسائل بين علي و أخيه عقيل

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثني عمي عبيد الله بن محمد قال: حدثني جعفر بن بشير قال: حدثني صالح بن يزيد الخراساني، عن أبي مخنف، عن سليمان بن أبي راشد، عن ابن أبي الكنود عبد الرحمن بن عبيد قال: كتب عقيل بن أبي طالب إلى/أخيه علي بن أبي طالب عليه السلام: «أما بعد، فإن الله عز و جل جارك من كل سوء، و عاصمك من المكروه. إنني خرجت معتمرا، فلقيت عبد الله بن أبي سرح في نحو من أربعين شابا

من أبناء الطَّلّاء، فقلت لهم، و عرفت المنكر في وجوههم: يا أبناء الطَّلّاء،
العداوة و الله لنا منكم غير مستنكرة قديما، تريدون بها إطفاء نور الله، و
تغيير أمره، فأسمعني/القوم [1]ديث: ذلل.

[2]عقر دارهم: أصلها.

[3]الجحل: الخلخال. و الرعات: جمع رعة، و هي الشنف.

[4]في الأصول: بين. و في ف: في، و أثبتنا: من، عن مب، و
«الكامل» للمبرد، و «شرح نهج البلاغة» .

[5]الطغام: من لا عقل له، و لا معرفة عنده.

[6]الحجال: جمع حجلة، و هي بيت للعروس يزين بالثياب و الستور.

[7]سورة المائدة آية: 25.

[8]الغضى: نبات من أجود وقود العرب.

و أسمعتهم. ثم قدمت مكة و أهلها يتحدثون أن الضحاك بن قيس أغار على الحيرة، فاحتمل من أموال أهلها ما شاء، ثم انكفأ راجعا، فأفّ لحياة في دهر جراً عليك الضحاك. و ما الضحاك؟ و هل هو إلا فقع بقرقرة[1]، و قد ظننت و بلغني أن أنصارك قد خذلوك، فاكتب إليّ يا ابن أمّ برأيك، فإن كنت الموت تريد، تحملت إليك بنبي أبيك و ولد أخيك، فعشنا ما عشت، و متنا معك، فو الله ما أحب أن أبقى بعدك فواقا[2]، و أقسم بالله الأعز الأجل، أن عيشا أعيشه في هذه الدنيا بعدك، لعيش غير هنيء و لا مريء و لا نجيع[3]. و السّلام» .

فأجابه عليّ بن أبي طالب، عليه السّلام: بسم الله الرّحمن الرّحيم: «أما بعد، كلأنا الله و إياك كلاءة من يخشاه بالغيب، إنه حميد مجيد، فقد قدم عليّ عبد الرّحمن بن عبيد الأزديّ بكتابك، تذكر فيه أنك لقيت ابن أبي سرح مقبلا من قديد، في نحو من أربعين شابا من أبناء الطلقاء، و إنّ بنيّ أبي سرح طال ما كاذ الله و رسوله و كتابه، و صدّ عن سبيله، و بغاها عوجا، فدع بنيّ أبي سرح عنك، ودع قريشا و تركاضهم في الضلالة، و تجوالهم في الشقاق، فإن قريشا قد أجمعت على حرب أخيك، إجماعها على حرب رسول الله صلى الله عليه و سلّم قبل اليوم، فأصبحوا قد جهلوا حقه، و جحدوا فضله، و بادوه[4] بالعداوة، و نصبوا له الحرب، و جهدوا عليه كل الجهد، و ساقوا إليه جيش الأمرين. اللهم فاجز عني قريشا الجوازي، فقد قطعت رحمي، و تظاهرت عليّ، و الحمد لله على كل حال.

/و أما ما ذكرت من غارة الضحاك بن قيس على الحيرة، فهو أقل و أذل من أن يقرب الحيرة، و لكنه جاء في خيل جريدة، فلزم الظهر، و أخذ على السماوة، فمر بواقصة و شراف و ما والى ذلك الصقع، فسرحت إليه جيشا كثيفا من المسلمين، فلما بلغه ذلك جاز هاربا، فاتبعوه فلحقوه ببعض الطريق و قد أمعن في السير، و قد طفلت[5] الشمس للإياب، فاقتتلوا شيئا كلا و لا[6]، فولّى و لم يصبر، و قتل من أصحابه بضعة عشر رجلا، و نجا جريضا[7] بعد ما أخذ منه بالمختق، فلايا[8] بلأى ما نجا.

و أما ما سألت عنه أن أكتب إليك فيه برأبي، فإن رأبي قتال المحليين[9] حتى ألقى الله، لا يزيدني كثرة الناس حولي عزّة، و لا تفرّقهم عني وحشة، لأنني محق، و الله مع الحق و أهله، و ما أكره الموت على الحق، و ما الحير كله إلا بعد الموت لمن كان محقا.

[1] الفقع: البيضاء الرخوة من الكمأة، و هي أردؤها. القرقرة: أرض مطمئنة لينة. و يقال للذليل: هو أذل من فقع بقرقرة، لأنه لا يمتنع على من اجتناه، أو لأنه يوطأ بالأرجل.

[2] فواقا، بفتح الفاء: ما بين الحلبتين من الوقت، يريد وقتا قصيرا.

[3] نجيع: هنيء.

[4] باداه بالعداوة: كاشفه بها.

[5] طفلت الشمس للغروب: دنت.

[6] كلا و لا: أي مدة قليلة.

[7] جريضا: مشرفا على الهلاك، من جرض بريقه: إذا ابتلعه على هم و حزن بالجهد.

[8] اللأي: المشقة و الشدة و الجهد. و لأيا بلأى ما نجا: أي نجا بعد مشقة و جهد.

[9] المحلون: الخارجون من الميثاق و البيعة، يعني البغاة و مخالفين الإمام. و يقال لكل من خرج من إسلام، أو حارب في الحرم، أو في الأشهر الحرم: محل.

و أما ما عرضته عليّ من مسيرك إليّ بنيك و بني أبيك [1]، فلا حاجة لي في ذلك، فأقم راشدا مهديا، فو الله ما أحب أن تهلكوا معي إن هلكت، و لا تحسبنّ ابن أبيك لو أسلمه الزمان و الناس متضرّعا متخشّعا، لكن أقول كما قال أخو بني سليم: فإن [2] تسأليني كيف أنت فإنني # صبور على ريب الزمان صليب

يعزّ عليّ أن ترى بي كآبة # فيشمت عاد [3] أو يساء حبيب

و السّلام» .

رجع الخبر إلى سياقة مقتل الصبيين شعر أم حكيم في طفليها

ثم إن بسر بن أرطاة كر راجعا، و انتهى خبره إلى عليّ عليه السّلام، أنه قتل عبد الرّحمن و قثم ابني عبيد الله بن العباس، فسرح حارثة بن قدامة السعديّ في طلبه، و أمره أن يغدّ السير، فخرج مسرعا، فلما وصل إلى المدينة، و انتهى إليه قتل عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، و بيعة الحسن رضي الله تعالى عنه، ركب في السلاح، و دعا أهل المدينة إلى البيعة للحسن، فامتنعوا، فقال: و الله لتبايعنّ و لو بأستاهكم. فلما رأى أهل المدينة الجدّ منه بايعوا للحسن، و كر راجعا إلى الكوفة، فأصاب أمّ حكيم بنت قارظ و لهى على ابنيها، فكانت لا تعقل و لا تصغي إلى قول من أعلمها أنّهما قد قتلا، و لا تزال تطوف في المواسم، تنشّد الناس ابنيها بهذه الأبيات:

صوت

يا من أحس بنبيّ اللذين هما # كالذّرتين تشطّى عنهما الصدف

يا من أحس بنبيّ اللذين هما # سمعي و قلبي، فقلبي اليوم مختطف

يا من أحس بنبيّ اللذين هما # مخّ العظام فمخى اليوم مزدهف

نبئت بسرا و ما صدّقت ما زعموا # من قولهم و من الإفك الذي اقترفوا

أنحي على و دجى ابنيّ مرهفة # مشحودة و كذاك الإثم يقترف

حتى لقيت رجالا من أرومته # شم الأنوف لهم في قومهم شرف

فالآن ألعن بسرا حقّ لعنته # هذا لعمر أبي بسر هو السّرف

من دلّ والهة حرّى مدلّهة # على صبيين ضلا إذ هوى السلف

الغناء لأبي سعيد مولى فائد، ثقیل أول بالوسطى عن عمرو، و فيه خفيف ثقیل، يقال إنه له أيضا. و فيه لعريب رمل نشيد.

[1] كذا في «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد (1: 155) و في
الأصول: بني أبيك و ولد أخيك.

[2] ف: و لا.

[3] عاد: كذا في ف، مب و «شرح نهج البلاغة» . و في الأصول: باغ.

دعوة علي بن أبي طالب على بسر

قالوا: و لما بلغ علي بن أبي طالب عليه السلام قتل بسر الصبيين، جزع لذلك جزعا شديدا، و دعا على بسر لعنه الله، فقال: اللهم اسلبه دينه، و لا تخرجه من الدنيا حتى تسلبه عقله! فأصابه ذلك، و فقد عقله، فكان يهذي بالسيف و يطلبه، فيؤتى بسيف من خشب، و يجعل بين يديه زقّ منفوخ، فلا يزال يضربه حتى يسأم [1]، ثم مات لعنه الله.

عبيد الله بن العباس و بسر

و لما كانت الجماعة و استقر الأمر على معاوية، دخل عليه عبيد الله بن العباس و عنده بسر بن أرمطة، فقال له عبيد الله: أ أنت قاتل الصبيين أيها الشيخ؟ قال بسر: نعم أنا قاتلتهما. فقال عبيد الله: أما و الله لو ددت أن الأرض كانت أنبتني عندك. فقال بسر: فقد أنبتك الآن عندي. فقال عبيد الله: أ لا سيف! فقال له بسر: هاك سيفي. فلما أهوى عبيد الله إلى السيف ليتناوله، أخذه معاوية، ثم قال لبسر: أخزأك الله شيئا قد كبرت و ذهب عقلك، تعمد إلى رجل من بني هاشم قد وثرته و قتلت ابنه، تدفع إليه سيفك، إنك لغافل عن قلوب بني هاشم، و الله لو تمكن منه لبدأ بي قبلك. فقال عبيد الله: أجل، و الله، ثم إذن لتثيت [2] به.

يمني ينتقم من ابني بسر

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: أخبرني محمد بن مسروق قال: قال الأصمعي: سمع رجل من أهل اليمن و قد قدم مكة امرأة عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب تندب ابنيها اللذين قتلتهما بسر بن أرمطة بقولها: يا من أحس بنيي اللذين هما # كالدرتين تشظى عنهما الصّدف

/فرقّ لها، فاتصل ببسر حتى وثق به، ثم احتال لقتل ابنه، فخرج بهما إلى وادي أوطاس، فقتلتهما و هرب، و قال: يا بسر بسر بني أرمطة ما طلعت # شمس النهار و لا غابت على ناس

خير من الهاشميين الذين هم # عين الهدى و سمّام الأشوس [3] القاسي

ما ذا أردت إلى طفلي مدلّهة # تبكي و تندب من أكلت في الناس

إما قتلتهما ظلما فقد شرقت # في صاحبك قناتي يوم أوطاس

فاشرب بكأسهما ثكلا كما شربت # أم الصييين أو ذاق ابن عباس [4]

[1] ف: يضربه ما يشاء. مب: يضربه ما شاء حتى مات.

- [2] كذا في ف، مب. و في الأصول: و كنت أثني به.
- [3] الأشوس: الشديد الجريء في القتال.
- [4] ف: في دار ابن عباس.

صوت صوت لأم حكيم بنت يحيى

ألا فاسقياني من شرابكما الوردى # و إن كنت قد أنفدت فاستر هنا بردي[1]

سوارى و دملوجى و ما ملكت يدى # مباح لكم نهب فلا تقطعوا وردى

عروضه من الطويل. و الشعر لأم حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس. و الغناء لإبراهيم الموصلي، رمل بالوسطى، من رواية عمرو بن بانه.

[1] هنا تنتهي مصوِّرة مب.

18- ذكر أم حكيم و أخبارها

[1] قد مضى ذكر نسبها.

أمها و جمالها

و أمها زينب بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، و كانت هي و أمها من أجمل نساء قريش، فكانت قريش تقول لأم حكيم: الواصلة بنت الواصلة، و قيل: الموصلة بنت الموصلة، لأنهما وصلتا الجمال بالكمال.

جدتها

و أم زينب عبد الرحمن بن الحارث بن هشام: سعدى بنت عوف بن خارجة بن سنان بن أبي خارجة بن عوف بن أبي حارثة بن أم الطائي. و كانت سعدى بنت عوف عند عبد الله بن الوليد بن المغيرة، فولدت له سلمة و ربيعة. ثم توفي عنها، فخلف عليها طلحة بن عبيد الله، فولدت له يحيى و عيسى، ثم قتل عنها، فخطبها عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فتكلم بنوها، و كرهوا أن تتزوج و قد صاروا رجالا، فقالت: إنه قد بقي في رحم أمكم فضلة شريفة، لا بد من خروجها، فتزوجها. فولدت له المغيرة بن عبد الرحمن الفقيه، و زينب، و هي أم أم حكيم.

و كان المغيرة أحد أجواد [2] قريش و المطعمين منهم، و قد قدم الكوفة على عبد الملك بن بشر بن مروان، و كان صديقه، و بها جماعة يطعمون الناس من قريش و غيرهم، فلما قدم تغيبوا، فلم يظهر أحد منهم حتى خرج، و بث المغيرة الجفان في السكك و القبائل يطعم الناس، فقال فيه شاعر من أهل الكوفة: أتاك البحر طمّ على قريش # مغيريّ فقد راغ ابن بشر

قال مصعب الزبيري: هو-يعني المغيرة-مطعم الجيش بمنى، و هو إلى الآن يطعم عنه. قال: و كانت أخته زينب أحسن الناس وجها و قدّا، و كأن أعلاها/قضيف، و أسفلها كتيب، /فكانت تسمى الموصلة. و سميت بنتها أم حكيم بذلك، لأنها أشبهتها.

حسن جسدها

أخبرني [3] عمي قال: حدثني ابن أبي سعد قال: حدثني عليّ بن محمد بن يحيى الكنانيّ عن أبيه قال: كانت زينب بنت عبد الرحمن من لين جسدها يقال لها الموصلة [3]: [1] من هنا يبدأ الجزء الخامس عشر من المخطوطة رقم 1319 أدب.

[2] ف: جوداء.

(3-3) الخبر ساقط من ف.

زواجها من يحيى بن الحكم

قال مصعب: فتزوج زينب أبان بن مروان بن الحكم، فولدت له عبد العزيز بن أبان، ثم مات عنها، فخطبها يحيى بن الحكم و عبد الملك بن مروان، فمالوا إلى عبد الملك، فأرسل يحيى إلى المغيرة بن عبد الرحمن: كم الذي تأمل من عبد الملك؟ و الله لا يزيدنا على ألف دينار، و لا يزيدك على خمس مائة دينار، و لها عندي خمسون ألف دينار، و لك عندي عشرة آلاف دينار[1] إن زوجتنيها، فزوجه إياها على ذلك. فغضب عليه عبد الملك. و قال:

دخل عليّ في خطبتي. و الله لا يخطب على منبر ما دمت [2] حيا، و لا رأى مني ما يحب، فأسقطه. فقال يحيى: لا أبالي، كعكتان و زينب.

قال ابن أبي سعد: و أخبرت عن محمد بن إسحاق المسيبي قال: حدثني عبد الملك بن إبراهيم الطلحي:

أنها لما خطبت قالت: لا أتزوج و الله أبدا إلا من يغني أخي المغيرة. فأرسل إليها يحيى بن الحكم: أ يغنيه خمسون ألف دينار؟ قالت: نعم. قال: فهي له، و لك مثلها. فقالت: ما بعد هذا شيء. أرسل إلى أهلك شيئا من طيب، و شيئا من كسوة.

/قال: و يقال إن عبد الملك لما تزوجها يحيى قال: لقد تزوجت أفوه غليظ الشفتين. فقالت زينب: هو خير من أبي الدّبان فما، فما له يعيبه بفمه؟ و قال يحيى: قولوا له أقبح من فمي ما كرهت من فمك.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني أبو غسان، عن عبد العزيز بن أبي ثابت، عن عمه محمد بن عبد العزيز:

أن عبد الملك خطب زينب إلى المغيرة أخيها، و كتب إليه أن يلحق به، و كان بفسطين أو بالأردن، فعرض له يحيى بن الحكم، فقال له: أين تريد؟ قال: أريد أمير المؤمنين. قال: و ما تصنع به؟ فو الله لا يزيدك على ألف دينار يكرمك بها، و أربع مائة دينار لزينب، و لك عندي ثلاثون ألف دينار، سوى صداق زينب. فقال المغيرة: أو تنقل إليّ المال قبل عقد النكاح؟ قال: نعم، فنقل إليه المال. فتجهز المغيرة، و سير ثقله، ثم دخل على يحيى فزوجه، و خرج إلى المدينة، فجعل عبد الملك ينتظر المغيرة، فلما أبطأ عليه قيل له: يا أمير المؤمنين، إنه زوج يحيى بن الحكم زينب بنت عبد الرحمن،

بثلاثين ألف دينار، و أعطاه إياها، و رجع إلى منزله. فغضب على يحيى، و خلعه عن ماله، و عزله عن عمله، فجعل يحيى يقول:

ألا لا أبالي اليوم ما فعل الدهر # إذا بقيت لي كعكتان و زينب

زواج أم حكيم من عبد العزيز بن الوليد

قال: و كانت زينب تسمى الموصلة، من حسن جسدها، و كانت أم حكيم تحت عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك، تزوجها في حياة جده عبد الملك، و لما عقد النكاح بينهما، عقد في مجلس عبد الملك، و أمر بإدخال الشعراء ليهنئوهم بالعقد، و يقولوا في ذلك أشعارا كثيرة يرويها الناس، فاختير منهم جرير و عدي بن الرقاع، فدخلوا، و بدأ عدي لموضعهم، فقال:

[1]ف: درهم.

[2]ف: ما دام. -

/

قمر السماء و شمسها اجتماعا # بالسَّعد ما غابا و ما طلعا
 ما وارت الأستار مثلهما # من ذا رأى هذا و من سمعا؟
 دام السرور له بها و لها # و تهنيًا طول الحياة معا

/و قال جرير:

جمع الأمير إليه أكرم حرة # في كل ما حال من الأحوال
 حكمية علت الروابي كلها # بمفاخر الأعمام و الأحوال
 و إذا النساء تفاخرت ببعولة # فخرتهم بالسَّيد المفضل
 عبد العزيز و من يكلف نفسه # أخلاقه يلبث بأكسف بال
 هنأتكم بمودة و نصيحة # و صدقت في نفسي لكم و مقالي
 فلتهنك التعم التي خوَّلتها # يا خير مأمول و أفضل وال

فأمر له عبد الملك بعشرة آلاف درهم، و لعدِيّ بن الرقاع بمثلها، و
 قضى لأهله و مواليه يومئذ مائة حاجة، و أمر لجميع من حضر من الحرس و
 الكتاب بعشرة دنانير عشرة دنانير. فلم تزل أم حكيم عند عبد العزيز مدة،
 ثم تزوج ميمونة بنت عبد الرّحمن بن أبي بكر، فملكته و أحبها، و ذهبت
 بقلبه كل مذهب، فلم ترض منه إلا بطلاق أم حكيم، فطلقها، فتزوجها هشام
 بن عبد الملك، ثم مات عبد العزيز، فتزوج هشام ميمونة أيضا، و كان شديد
 المحبة لأم حكيم، فطلق لها ميمونة، اقتصاصا لها منها فيما فعلته بها في
 اجتماعهما عند عبد العزيز، و قال لها: هل أرضيتك منها؟ فقالت: نعم. فولدت
 أم حكيم من هشام ابنه يزيد بن هشام، و كان من رجالات بني أمية، و كان
 أحد من يطعن على الوليد بن يزيد بن عبد الملك، و يغري الناس به.

كأس أم حكيم

و كانت أم حكيم منهومة بالشراب، مدمنة عليه، لا تكاد تفارقه. و
 كأسها الذي كانت تشرب فيه مشهور عند الناس إلى اليوم، و هو في خزائن
 الخلفاء حتى الآن، و فيه [1] يقول الوليد بن يزيد:

صوت

عللاني بعاتقات الكروم # و اسقياني بكأس أم حكيم
 إنها تشرب المدامة صرفا # في إناء من الزجاج عظيم

جئبوني أذاة كل لئيم # إنه ما علمت شرّ نديم
ثم إن كان في التّدامى كريم # فأذيقوه مس بعض النعيم
ليت حظي من النساء سليمي # إن سلماي جئتني و نعيمي

[1] نصت «كتب اللغة» على أن الكأس مؤنثة. و قد جرى المؤلف في
عبارته على تذكيرها. و لعله أراد معنى القدح أو الإناء.

فدعوني من الملامة فيها # إن من لا مني لغير حليم [1]

عروضه من الخفيف. غناء عمر الوادي [2] من رواية يونس. و في رواية إسحاق: غناه الغزير أبو كامل: خفيف رمل بالسبابة في مجرى البصر.

فيقال إن هذا الشعر بلغ هشاما، فقال لأم حكيم: أ تفعلين ما ذكره الوليد؟ فقالت: أو تصدقه الفاسق في شيء، فتصدقه في هذا؟ قال: لا. قالت: فهو كبعض كذبه.

يزيد بن هشام و الوليد بن يزيد يتهاجيان

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: كان يزيد بن هشام هجا الوليد بن يزيد بن عبد الملك، فقال: فحسب أبي العباس كأس و قينة # و زق إذا دارت به في الذوائب

و من جلساء الناس مثل ابن مالك # و مثل ابن جزء و الغلام ابن غالب

/ فقال الوليد يهجو، و يعيره بشرب أمه الشراب:

/

إن كأس العجوز كأس رواء # ليس كأس ككأس أم حكيم
إنها تشرب الرّسّاطون صرفا # في إناء من الزجاج عظيم
لو به يشرب البعير أو الفيد # -ل لطلا في سكرة و غموم
ولده سكرى فلم تحسن الطلّ # -ق فوافى لذاك غير حليم

أبو شاکر بن هشام و ولاية العهد

و كان لهشام منها ابن يقال له مسلمة، و يكنى أبا شاکر، و كان هشام ينوّه باسمه، و أراد أن يوليه العهد بعده، و ولاه الحج، فحج بالناس، و فيه يقول عروة بن أذينة-لما وفد على هشام-و فرّق في الحجاز على أهلها مالا كثيرا، و أحبه الناس و مدحوه: أتينا نمثّ بأرحامنا # و جئنا بأمر أبي شاکر و فيه يقول الوليد بن يزيد بن عبد الملك في حياة أبيه، و أشاع ذلك و غنّى فيه، و أراد أن يعيره بذلك:

صوت

يا أيها السائل عن ديننا # نحن على دين أبي شاکر
نشربها صرفا و ممزوجة # بالسخن أحيانا و بالفاتر

فقال بعض شعراء أهل الحجاز يجيبه:
[1] كذا في ف، و في الأصول: رحيم.
[2] ف: عمرو بن بانه.

يا أيها السائل عن ديننا # نحن على دين أبي شاكر
الواهب البزل بأرسانها # ليس بزندق و لا كافر

فذكر أحمد بن الحارث عن المدائني:

أن هشاما لما أراد أن يوليه العهد، كتب بذلك إلى خالد بن عبد الله القسري، فقال خالد: أنا بريء من خليفة يكنى أبا شاكر. فبلغ قوله هشاما، فكان سبب إيقاعه به.

كأس أم حكيم في خزائن المأمون و المعتمد

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثني محمد بن موسى قمطر، عن إسماعيل بن مجمع قال: كنا نخرج ما في خزائن المأمون [1] من الذهب و الفضة، فنزكي عنه، فكان فيما يزكى عنه، قائم كأس أم حكيم، و كان فيه من الذهب ثمانون مثقالا. قال محمد بن موسى: سألت إسماعيل بن مجمع عن صفته، فقال: كأس كبير من زجاج أخضر، مقبضه من ذهب. هكذا ذكر إسماعيل.

و قد حدثني علي بن صالح بن الهيثم بمثله [2]، قال: حدثنا إبراهيم بن أحمد المادرائي قال: لما أخرج المعتمد ما في الخزائن لبيع، في أيام ظهور الناجم بالبصرة، أخرج إلينا كأس أم حكيم، فكان كأسا مدورا على هيئة القحف [3]، يسع ثلاثة أرتال، فقوم بأربعة دراهم، فعجبنا من حصول مثله في الخزانة، مع خسارة قدره، فسألنا الخازن عنه. فقال: هذا كأس أم حكيم، فرددناه إلى الخزانة. و لعل الذهب الذي كان عليه أخذ منه حينئذ، ثم أخرج لبيع.

محمد بن الجنيد الختلي و كأس أم حكيم

قال محمد بن موسى: و ذكر لي عبيد الله بن محمد عن أبي الأغر، قال: كنا مع محمد بن الجنيد الختلي أيام الرشيد، فشرب ذات ليلة، فكان صوته: عللاني بعاتقات الكروم # و اسقياني بكأس أم حكيم

فلم يزل يقترحه و يشرب عليه حتى السحر، فوافاه كتاب خليفته في دار الرشيد: إن الخليفة/على الركوب. و كان محمد أحد أصحاب الرشيد، و من يقدم دابته، فقال: ويحكم! كيف أعمل و الرشيد لا يقبل لي عذرا و أنا سكران.

فقالوا: لا بدّ من/الركوب، فركب على تلك الحال؛ فلما قدّم إلى الرشيد دابته، قال له: يا محمد، ما هذه الحال التي أراك عليها؟ قال: لم أعلم برأي أمير المؤمنين في الركوب، فشربت ليلي أجمع. قال: فما كان صوتك؟ فأخبره.

فقال له: عد إلى منزلك، فلا فضل فيك، فرجع إلينا وخبّرنا بما جرى، و قال: خذوا بنا في شأننا، فجلسنا على سطح، فلما متع النهار إذا خادم من خدم أمير المؤمنين قد أقبل إلينا على بردون، في يده شيء مغطى بمنديل، [1]ف: كنا نخرج من دار الملوك من الذهب...

[2]ف: كيحلة.

[3]القحف: العظم الذي فوق الدماغ من الجمجمة.

قد كاد ينال الأرض، فصعد إلينا، و قال لمحمد: أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام و يقول لك: قد بعثنا إليك بكأس أم حكيم، لتشرب فيه، و بألف دينار تنفقها في صبوحك. فقام محمد، فأخذ الكأس من يد الخادم، و قبّلها، و صب فيها ثلاثة أرطال، و شربها قائماً، و سقانا مثل ذلك، و وهب للخادم مائتي دينار، و غسل الكأس، و ردّها إلى موضعها، و جعل يفرق علينا تلك الدنانير، حتى بقي معه أقلها.

صوت

الأعشى يهجو علقمة بن علاثة

علقم ما أنت إلى عامر # النافض الأوتار و الواتر[1]
 إن تسد الحوص فلم تعدهم # و عامر ساد بني عامر
 عهدي بها في الحي قد درّعت # صفراء مثل المهرة الضامر
 قد حجم الثدي على صدرها[2] # في مشرق ذي بهجة ناصر
 /لو أسندت ميتا إلى نحرها # عاش و لم يحمل[3] إلى قابر
 حتى يقول الناس مما رأوا # يا عجا للميت الناشر

عروضه من السريع. و الشعر للأعشى: أعشى بني قيس بن ثعلبة، يمدح عامر بن الطفيل، و يهجو علقمة بن علاثة.

و الغناء لمعبد في الثالث و ما بعده، خفيف ثقيل الأول بالبنصر. و في الأبيات لحنين ثقيل أول مطلق، في مجرى البنصر، عن إسحاق. و فيها أيضا لحن آخر ذكره في المجرد و لم يجنّسه، و لم ينسبه إلى أحد.

[1] هذه الأبيات من قصيدة طويلة أولها:

شافتك من قتلة أطلالها # بالشط فالوتر إلى حاجر

و هي في «الديوان» و «شرح المغني» للسيوطي، مع اختلاف كثير في الترتيب و الألفاظ.

[2] كذا في ف و «الديوان». و في الأصول: نحرها.

[3] كذا في ف: و في الأصول و «الديوان» و «شرح شواهد المغني»:

«ينقل» .

الخبر في هذه القصة، و سبب منافرة عامر و علقمة و خبر الأعشى و غيره معهما فيها أسانيد هذه القصة

أخبرني بذلك محمد بن الحسن بن دريد إجازة، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة.

و نسخت من روايات ابن الكلبي عن أبيه، و من [1]رواية دماذ و الأثرم عن أبي عبيدة و الأصمعي [1]، و من رواية ابن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل، و من رواية أبي عمرو الشيباني عن أصحابه؛ فجمعت رواياتهم، و لكل امرئ منهم زيادة على صاحبه، و نقصان عنه، و اللفظ مشترك في الروايات، إلا ما حكته مفردا.

قال ابن الكلبي: حدثني أبي و محرز بن جعفر، و جعفر بن كلاب الجعفري، عن بشر بن عبد الله بن حبان بن سلمى بن مالك [1] بن جعفر، عن أبيه، عن أشياخه و ذكر بعضه أبو مسكين، قالوا:

أول [2] ما هاج الثَّفار بين عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر، و بين علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص-

سبب المنافرة بين عامر و علقمة

و أم عامر: كبشة بنت عروة الرِّحَّال بن عتبة بن جعفر، و أمها أم الطباء بنت معاوية، فارس الهزار، ابن عبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة، و أمها خالدة بنت جعفر بن كلاب، و أمها فاطمة بنت عبد شمس بن عبد مناف.

و أم أبيه الطُّفيل: أم البنين بنت ربيعة بن عمرو بن عامر بن صعصعة.

قال أبو الحسن الأثرم: و كانت أم علقمة ليلي بنت أبي سفيان بن هلال بن النُّخع سبيّة، و أم أبيه ماوية بنت عبد الله بن الشَّيطان بن بكر بن عوف بن النُّخع مهيرة- / أن علقمة كان قاعدا ذات يوم يبول، فبصر به عامر، فقال: لم أر كاليوم عورة رجل أقيح. فقال علقمة: أما و الله ما تثب على جاراتها، و لا تنازل كئاثها [3]؛ يعرّض بعامر. فقال عامر: و ما أنت و القروم! و الله لفرس أبي «حنوة» [4] أذكر من أبيك؛ و لفحل أبي «غيهب» أعظم ذكرا منك في نجد. قال: و كان فرسه فرسا جوادا، نجا عليه يوم بني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان، و كان فحله فحلا لبني حرملة بن الأشعر بن صرمة بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان.

(1-1) العبارة ساقطة من ف.

[2]مبتدأ، خبره في أوّل الصفحة التالية.

[3]كذا في الأصول. و الكنة: امرأة الابن أو الأخ. و لعل كلمة: تنازل، محرفة عن «تغازل» . و في «سرج العيون» (107) : و لا تنازل إلا كفاتها.

[4]حنوة: كذا في «نسب الخيل» لابن الكلبي 76 و «المخصص» (6): 196 و «تاج العروس» «حنو» . و في الأصول: حيوة.

قال الأثرم: و أخبرني رجل من جهينة بدمشق، قال: هو الأشعر[1] بن صرمة.

قال: الأثرم: سمى صرمة غيهب[2] للسواده.

قال ابن الكلبي: فاستعاره منهم يستطرقه[3]، فغلبهم عليه، فقال علقمة: أما فرسكم فعارة[4]، و أما فحلکم فغدره. و لكن إن شئت نافرتك. فقال: قد شئت.

فقال عامر: و الله لأنا أكرم منك حسبا، و أثبت منك نسبا، و أطول منك قسبا.

فقال علقمة: لأنا خير منك ليلا و نهارا.

فقال عامر: لأنا أحب إلى نساءك أن أصبح فيهن منك.

فقال علقمة: على ما ذا تنافرنى يا عامر؟ فقال عامر: أنافرك على أنى أنحر منك للّقاح، و خير منك فى الصباح[5]، و أطعم منك فى السنة الشّياح[6].

/فقال علقمة: أنت رجل تقاتل و الناس يزعمون أنى جبان، و لأن تلقى العدوّ و أنا أمامك، أعزّ لك من أن تلقاهم و أنا خلفك. و أنت جواد و الناس يزعمون أنى بخيل، و لست كذلك، و لكن أنافرك أنى خير منك أثرا، و أحدّ منك بصرا، و أعز منك نفرا، و أسرح[7]منك ذكرا.

فقال عامر: ليس لبنى الأحوص فضل على بنى مالك فى العدد، و بصري ناقص، و بصرك صحيح، و لكنى أنافرك على أنى أنشر منك أمة[8]، و أطول منك قمة، و أحسن منك لمة، و أجعد منك جمّة، و أبعد منك همّة.

قال علقمة: أنت رجل جسيم، و أنا رجل قضيف، و أنت جميل، و أنا قبيح، و لكنى أنافرك بابائى و أعمامى.

فقال عامر: آباؤك أعمامى و لم أكن لأنافرك بهم، و لكنى أنافرك أنى خير منك عقبا، و أطعم منك جدبا.

قال علقمة: قد علمت أن لك عقبا فى العشيرة، و قد أطعمت طيبا[9] إذ سارت؛ و لكنى أنافرك أنى خير منك، و أولى بالخيرات منك؛ و قد أكثرنا المراجعة منذ اليوم.

قال: فخرجت أم عامر، و كانت تسمع كلامهما، فقالت: يا عامر، نافرہ
أيكما أولى بالخيرات.

قال أبو المنذر: قال أبو مسكين: قال عامر في مراجعته: و الله لأنا
أركب منك في الحماة، و أقتل منك للكماة، و خير منك للمولى و المولاة.
/فقال له علقمة: و الله إني أعز منك. إني لبرّ و إنك لفاجر، و إني
لوفيّ و إنك لغادر، ففيم تفاخرني يا عامر؟ [1]كذا في الأصل. و لعله
للأشعر.

[2]كذا في الأصل. و لعل صوابه: و سمى فحل صرمة غيها لسواده.

[3]يستطرقة: يتخذه فحلا لنوقه، ليحسن نتاجها.

[4]عارة: عارية.

[5]في الصباح: أي عند الغارة على الأعداء.

[6]الشياح: القحط. يريد السنة المجدبة.

[7]أسرح: أبعد. و في الأصول عدا ف: أشرف.

[8]أي أكثر قوما.

[9]في بعض الأصول: «طيئا» .

فقال عامر: و الله إني لأنزل منك للقفرة، و أنحر منك للبكرة، و أطعم منك للهبرة [1]، و أطعن منك للثغرة [2].

فقال علقمة: و الله إنك/لكليل البصر، نكد النظر، و ثاب على جاراتك بالسحر.

فقال بنو خالد بن جعفر، و كانوا يدا مع بني الأحوص على بني مالك بن جعفر: لن تطيق عامرا، و لكن قل له: أنا فرك بخيرنا و أقرينا إلى الخيرات، و خذ عليه بالكبر. فقال له علقمة هذا القول.

فقال عامر: عنز و تيس، و تيس و عنز [3]، فذهبت مثلا. نعم على مائة من الإبل، إلى مائة من الإبل يعطاها الحكم، أينا نقر عليه صاحبه أخرجها، ففعلوا ذلك، و وضعوا بها رهنا من أبنائهم، على يدي رجل من بني الوحيد، فسمي الصّمين إلى الساعة، و هو الكفيل.

قال: و خرج علقمة و من معه من بني خالد، و خرج عامر فيمن معه من بني مالك، و قد أتى عامر بن الطفيل عمه عامر بن مالك، و هو أبو براء، فقال: يا عماه، أعني. فقال: يا ابن أخي، سبني. فقال: لا أسبك و أنت عمي.

قال: فسبّ الأحوص. فقال عامر: و لا أسب و الله الأحوص و هو عمي، فقال: فكيف إذن أعينك، و لكن دونك نعلي، فإني قد ربعت فيها أربعين مرباعا، فاستعن بها في نفارك.

اختيار الحكم بينهما

و جعلنا منافرتهم إلى أبي سفيان بن حرب بن أمية، فلم يقل بينهما شيئا، و كره ذلك لحالهما و حال عشيرتهما، و قال: أنتما كركبتي البعير الأدرم [4]، تقعان بالأرض. قال: فأينا اليمين؟ فقال: كلاكما اليمين. و أبى أن يقضي بينهما. فانطلقا إلى أبي جهل بن هشام، فأبى أن يحكم بينهما، فوثب مروان بن سراقبة بن قتادة بن عمرو بن الأحوص بن جعفر، فقال: يا آل قريش بيّنوا الكلاما # إنا رضينا منكم الأحكاما

فبيّنوا إن كنتم حكّاما # كان أبونا لهم إماما

و عبد عمرو منع الفئاما # في يوم فخر معلم إعلاما

و دعلج أقدمه إقداما # لو لا الذي أجشمهم إجماما

لا تخذتهم مدحج نعاما

قال: فأبوا أن يقولوا بينهما شيئا.

و قد كانت العرب تحاكم إلى قريش، فأتيا عيينة بن حصن بن حذيفة، فأبى أن يقول بينهما شيئا. فأتيا غيلان بن سلمة بن معتب التَّقْفِيّ، فردهما إلى حرملة بن الأشعر المَرِّي، فردهما إلى هرم بن قطبة بن سنان بن عمرو الفزاريّ، فانطلقا حتى نزلا به.

[1]القطعة المجتمعة من اللحم.

[2]ف: للنبرة. و لعل صحتها: للنثرة، بمعنى الخيشوم و ما والاه.

[3]يريد: مثلي و مثلك كالعير و التيس، أو كالتيس و العنز، إذ التيس أقوى على النطاح من العنز.

[4]الأدرم: الذي تراكب لحمه و شحمه حتى غطى عظامه، و الذي ذهبته جلدة أسنانه و دنا وقوعها، أو الذي لا أسنان له.

هرم بن قطبة يحكم بينهما

و قال بشر بن عبد الله بن حبان بن سلمى: إنهما ساقا الإبل معهما، حتى أشتت و أربعت، لا يأتيان أحدا إلا هاب أن يقضي بينهما؛ فقال هرم: لعمرى لأحكمن بينكما، ثم لأفصلن، ثم لسيئت أثق بواحد منكما، فأعطياني موثقا أطمئن إليه أن ترضيا بما أقول، و تسلما لما قضيت بينكما، و أمرهما/ بالانصراف، و وعدهما ذلك اليوم من قابل. فانصرفا حتى إذا بلغ الأجل من قابل، خرجا إليه، فخرج علقمة بن بني الأحوص، فلم يتخلف منهم أحد، معهم القباب و الجزر و القدور، ينحرون في كل منزل و يطعمون، و جمع عامر بني مالك، فقال: إنما تخاطرون عن أحسابكم، فأجابوه و ساروا معه، و لم ينهض أبو براء معهم، و قال لعامر: و الله لا تطلع ثنية إلا وجدت الأحوص منيخا بها، و كره أبو براء ما كان من أمرهما، فقال عامر [1] فيما كره من منافرتهم، و دعاء عامر إياه أن يسير معه: أ أومر أن أسبَّ أبا شريح # و لا و الله أفعل ما حييت

/و لا أهدي إلى هرم لقاحا # فيحيي بعد ذلك أو يميت

أكلّف سعي لقمان بن عاد # فيا لأبي شريح ما لقيت

قال: و أبو شريح: هو الأحوص. فكره كل واحد من البطينين ما كان بينهما. و قال عبد عمرو بن شريح بن الأحوص: لحي الله و فدينا و ما ارتحلا به # من السوءة [2] الباقي عليهم و بالها

ألا إنما بردى صفاق [3] متينة # أبا الضيم أعلاها و أثبت حالها

قال: فسار عامر و بنو عامر على الخيل مجنبي الإبل، و عليهم السلاح، فقال رجل من غني: يا عامر، ما صنعت؟ أخرجت بني مالك تنافر بني الأحوص و معهم القباب و الجزر، و ليس معك شيء تطعمه الناس! ما أسوأ ما صنعت! فقال عامر لرجلين من بني عمه: أحصيا كل شيء مع علقمة من قبة أو قدر أو لقحة. ففعلا. فقال عامر: يا بني مالك، إنها المقارعة عن أحسابكم، فاشخصوا بمثل/ ما شخصوا به، ففعلوا.

الشعراء مع المتنافرين

و ثار مع عامر لبيد بن ربيعة و الأعشى، و مع علقمة الحطيئة و فتیان من بني الأحوص، منهم السندريّ بن يزيد بن شريح، و مروان بن سراقه بن قتادة بن عمرو بن الأحوص، و هم يرتجزون، فقال لبيد: يا هرما و أنت أهل عدل # إن نقر [4] الأحوص يوما قبلي

ليذهبن أهله بأهلي # لا تجمعن شكلهم و شكلي

و نسل آبائهم و نسلي

[1]المراد به عامرا بن مالك أبو براء، و هو عم عامر بن الطفيل.

[2]ف: النبوة.

[3]ف

ألا إنما تردى صفاه متينا

[4]ف: يفز.

و قال أيضا:

إني امرؤ من مالك بن جعفر # علقم قد نافرت غير منفر
نافرت سقبا من سقاب العرعر

فقال قحافة بن عوف بن الأحوص:

نهنه إليك الشعر يا لبيد # و اصدد فقد ينفعك الصّدود
ساد أبونا قبل أن تسودوا # سؤددكم مطرف زهيد

و قال أيضا:

إني إذا ما نسي الحياء [1] # وضاع يوم المشهد اللّواء
أنمى و قد حقّ لي النماء # إلى ذكور ذكرها سناء [2]
إذ لا تزال جلدة كوما # مبقورة لسقبيها دعاء [3]
لم ينهنا عن نحرها الصفاء # لنا عليكم سورة ولاء [4]
المجد و السؤدد و العطاء

و قال أيضا:

أنتم هزلتم عامر بن مالك # في شتوات مضر الهوالك
يا شرّ أحياء و شرّ هالك [5]

قال: و أنشدها السّندريّ يومئذ، و رفع صوته، ف قيل: من هذا؟ فقال: أنا
لمن أنكر صوتي السّندريّ # أنا الفتى الجعد الطويل الجعفريّ
من ولد الأحوص أخوالي غنيّ

/فقال عامر: أجب يا لبيد. فرغب لبيد عن إجابته، و ذلك لأن السّندريّ
كانت جدته أمة اسمها عيساء، فقال: لما دعاني عامر لأسبهم [6] # أبيت و
إن كان ابن عيساء طالما

لكيما يكون السّندريّ نديدي # و أشتم أعماما عموما عما [7]

[1] كذا في ف. و في الأصول:

إني إذا أكنني الجفاء

[2] كذا في ف. و في الأصول: كهول.

[3]جلدة: كذا في ف. و هي الناقة الغزيرة اللبن، أو الصلبة القوية على السير. و في الأصول «جلة» : و السقب: ولد الناقة. و دعاء: كذا في ف. و في الأصول: رغاء، و هما بمعنى.

[4]السورة بضم السين: المنزلة الرفيعة.

[5]كذا في ف. و في الأصول: يا شر ناحيا.

[6]كذا في ف. و في الأصول: لأجيبهم.

[7]عموما: مجتمعين. و العماعم: الجماعات المتفرقة. و رواية الشطر الثاني في «اللسان» : و أجعل أقواما عموما عماعما

-

و أنشر من تحت القبور أبوة # كراما هم شدوا عليّ التّماثما
 لعبت على أكتافهم و حجورهم # وليدا و سموني مفيدا[1] و عاصما
 ألا أينما ما كان شرا لمالك # فلا زال في الدنيا ملوما و لائما

قال: و وثب الحطيئة، فقال:

ما يحبس الحكّام بالفصل[2] بعد ما # بدا سابق ذو غرّة و حجول

/و قال أيضا:

يا عام قد كنت ذا باع و مكرمة # لو أن مسعاة من جاريتيه أمم
 جاريت قرما أجاد الأحوصان به # سمح اليدين و في عرينيه شمم
 لا يصعب الأمر إلا ريث[3] يركبه # و لا بيت على مال له قسم
 هابت بنو مالك مجدا و مكرمة # و غاية كان فيها الموت لو قدموا
 و ما أساءوا فرارا عن مجلحة[4] # لا كاهن يمترى فيها و لا حكم

رفق الحكم و دهاؤه

قال: و أقام القوم عنده أياما، و أرسل إلى عامر، فأتاه سرا، لا يعلم به
 علقمة فقال: يا عامر، قد كنت أرى لك رأيا، و أن فيك خيرا، و ما حبستك
 هذه الأيام إلا لتنصرف عن صاحبك. أ تنافر رجلا لا تفخر أنت و قومك إلا
 بأبائه؟ فما الذي أنت به خير منه؟ قال عامر: أنشدك الله و الرّحم أن لا
 تفضّل عليّ علقمة، فو الله لئن فعلت لا أفلح بعدها أبدا. هذه ناصيتي
 فاجزها. و احتكم في مالي، فإن كنت لا بدّ فاعلا فسوّ بيني و بينه. قال:
 انصرف، فسوف أرى رأيي. فخرج عامر و هو لا يشك أنه ينقّره عليه.

ثم أرسل إلى علقمة سرا، لا يعلم به عامر، فأتاه فقال: يا علقمة، و
 الله إن كنت لأحسب فيك خيرا، و أن لك رأيا، و ما حبستك هذه الأيام إلا
 لتنصرف عن صاحبك. أ تفاخر رجلا هو ابن عمك في النسب؟ و أبوه أبوك، و
 هو مع هذا أعظم قومك غناء، و أحمدهم لقاء؟ فما الذي أنت به خير منه؟
 فقال له علقمة: أنشدك الله و الرّحم ألا تنقّر عليّ عامرا. اجز ناصيتي، و
 احتكم في مالي، /و إن كنت لا بد أن تفعل فسوّ بيني و بينه. فقال: انصرف
 فسوف أرى رأيي. فخرج و هو لا يشك أنه سيفضّل عليه عامرا.

قال أبي: و سمعت أن هرما قال لعامر حين دعاه: يا عامر، كيف
 تفاضل علقمة؟ فقال عامر: و لم يا هرم؟ و شرحة فيه، أي أجعل أقواما
 مجتمعين فرقا.

[1] كذا في ف. و في بقية الأصول: وليدا.

[2] كذا في الأصول، و في ف: بالفضل.

[3] ف: حيث.

[4] المجلحة: المصيبة التي تستأصل كل شيء. و في ف: مجلحة، أي
مدوية بعيدة الذكر.

قال: لأنه أنجل منك عينا في النساء، و أكثر منك نفيرا عند ثورة الدعاء. قال عامر: هل غير هذا؟ قال: نعم. هو أكثر منك نائلا في الثراء، و أعظم منك حقيقة عند الدعاء. ثم قال لعلقمة: كيف تفاضل عامرا؟ قال: و لم يا هرم؟ قال: هو أنفد منك لسانا، و أمضى منك سنانا. قال علقمة: فهل غير هذا؟ قال: نعم. هو أقتل منك للكماة، و أفك منك للعناة.

دهاء الحكم

قال: ثم إن هرما أرسل إلى بنيه و بني أبيه: إني قائل غدا بين هذين الرجلين/مقالة، فإذا فعلت فليطرد بعضكم عشر جزائر فلينحرها عن علقمة، و يطرد بعضكم عشر جزائر، فلينحرها عن عامر، و فرّقوا بين الناس، لا تكون لهم جماعة.

و أصبح هرم، فجلس مجلسه، و أقبل الناس، و أقبل علقمة و عامر حتى جلسا، فقام لبيد فقال: يا هرم ابن الأكرمين منصبا # إنك قد وليت حكما معجبا

فاحكم و صوّب رأس من تصوّبا # إن الذي يعلو علينا ترتبا [1]

لخيرنا عما و أما و أبا # و عامر خيرهما مركّبا

و عامر أدنى لقيس نسبا

الفصل في المنافرة

فقام هرم فقال: يا بني جعفر، قد تحاكتما عندي، و أنتما كركبتي البعير الأدرم: تقعان إلى الأرض معا، و ليس فيكما أحد إلا و فيه ما ليس في صاحبه، و كلاكما سيد كريم.

/و عمد بنو هرم و بنو أخيه إلى تلك الجزر، فنحروها حيث أمرهم هرم عن علقمة عشرا، و عن عامرا عشرا، و فرقوا الناس، فلم يفصل هرم واحدا منهما على صاحبه، و كره أن يفعل و هما ابنا عم، فيجلب بذلك عداوة، و يوقع بين الحيين شرا.

سبب انضمام الأعشى إلى عامر

قال: و كان الأعشى حين رجع من عند قيس بن معد يكرب بما أعطاه طلب الجوار و الخفرة من علقمة، فلم يكن عنده ما طلب، و أجاره و خفره عامر، حتى إذا أداه و ماله إلى أهله قال: علقم ما أنت إلى عامر # الناقض الأوتار و الواتر

ثم أتمها بعد النَّفار. فلما بلغ علقمة ما قال الأعشى، و أشاع في العرب
أن هرما قد فضّل عامرا، توعدّ الأعشى، فقال الأعشى: لعمرى لئن أمسى
من الحيّ شاخصا

[1]ترتبا: أبدا، أو جميعا.

الخليفة عمر و هرم بن قطبة

قال ابن الكلبي: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: فعاش هرم حتى أدرك سلطان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فسأله عمر فقال: يا هرم، أيّ الرجلين كنت مفضلاً لو فضلت؟ فقال: لو قلت ذاك يا أمير المؤمنين لعادت جذعة، و لبلغت شعاف هجر. فقال عمر: نعم مستودع السرّ و مسند الأمر إليه أنت يا هرم، مثل هذا فليسد العشيرة. و قال: إلى مثلك فليستبضع القوم أحكامهم.

إسلام علقمة

قال مؤلف الكتاب [1]:

و قد أدرك علقمة بن علاثة الإسلام، فأسلم، ثم ارتد فيمن ارتد من العرب. فلما وجه أبو بكر خالد بن الوليد المخزومي إلى بني كلاب ليوقع بهم، و علقمة يومئذ/رئيسهم، هرب و أسلم، ثم أتى أبا بكر رضي الله عنه، فأعلمه أنه قد نزع عما كان عليه، فقبل إسلامه و آمنه. هكذا ذكر المدائني.

و أما سيف بن عمر فإنه روى عن الكوفيين غير ذلك.

حدثنا محمد بن جرير الطبري قال: حدثنا السري بن يحيى، قال: حدثنا شعيب بن إبراهيم، عن سيف بن عمر، عن سهل بن يوسف، قال:

كان علقمة بن علاثة على كلاب و من لأقربها [2]، و قد كان علقمة أسلم ثم ارتد في حياة النبي صلى الله عليه و سلم، ثم خرج بعد فتح الطائف، حتى لحق بالشام مرتداً، فلما توفي النبي صلى الله عليه و سلم أقبل مسرعاً، حتى عسكر في بني كعب، مقدماً رجلاً و مؤخراً أخرى، و بلغ ذلك أبا بكر رضي الله عنه، فبعث إليه سرية، و أمر عليها القعقاع بن عمرو، و قال: يا قعقاع، سر حتى تغير على علقمة بن علاثة، لعلك تأخذه لي/أو تقتله. و اعلم أن شفاء النفس الحوص، فاصنع ما عندك.

فخرج في تلك السرية حتى أغار على الماء الذي عليه علقمة، و كان لا يبرح أن يكون على رحل، فسابقهم على فرسه مراكضة، و أسلم أهله و ولده، و استبى القعقاع امرأة علقمة و بناته و نساءه و من أقام من الرجال، فاتقوه بالإسلام، فقدم بهم على أبي بكر رضي الله عنه، فجدت زوجته و ولده أن يكونوا مائثوا علقمة على أمره، و كانوا مقيمين في الدار، و لم يكن بلغه عنهم غير ذلك. و قالوا لأبي بكر: ما ذنبنا نحن فيما صنع علقمة؟ فأرسلهم، ثم أسلم علقمة، فقبل ذلك منه.

نهى النبي حسان عن إنشاده هجاء علقمة

أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثنا عمرو بن عثمان قال:

/كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربما حَدَّثَ أصحابه، و ربما تركهم يتحدثون و يصغي إليهم و يبتسم، فبينما هم يوما على ذلك يتذكرون الشعر و أيام العرب، إذ سمع حسان بن ثابت ينشد هجاء أعشى بني قيس بن ثعلبة، علقمة بن علاثة، و مديحه عامر بن الطفيل:

[1] كذا في ف، و في بقية الأصول: «قال أبو الفرج الأصبهاني» .

[2] لافها: كذا في ف. و في الأصول: والاهأ. و هما بمعنى واحد.

علقم ما أنت إلى عامر # الناقض الأوتار و الواتر
 إن تسد الحوص فلم تعدهم # و عامر ساد بني عامر
 ساد و ألفى رهطه[1] سادة # و كابر سادوك عن كابر

فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَفَّ عَنْ ذَكَرِهِ يَا حَسَانَ، فَإِنْ
 أَبَا سَفِيَانَ لَمَا شَعَّثَ مِنِّي[2] عِنْدَ هِرْقَلٍ، رَدَّ عَلَيْهِ عُلْقَمَةَ، فَقَالَ حَسَانُ بْنُ
 ثَابِتٍ: يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، مِنْ نَالَتِكَ يَدُهُ فَقَدْ وَجِبَ عَلَيْنَا شُكْرُهُ.

الحطيئة و علقمة بن علاثة

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال: حدثنا
 المدائني، عن أبي بكر الهذليّ قال: لما أطلق عمر بن الخطاب رضي الله
 عنه الحطيئة من حبسه، قال له: يا أمير المؤمنين، اكتب لي كتابا إلى علقمة
 بن علاثة، لأقصده به، فقد منعني التكسب بشعري. فقال: لا أفعل. فقيل
 له: يا أمير المؤمنين، و ما عليك من ذلك؟ إن علقمة ليس بعاملك، فتخشى
 أن تأثم، و إنما هو رجل من المسلمين، تشفع له إليه. فكتب له بما أراد،
 فمضى الحطيئة بالكتاب، فصادف علقمة قد مات و الناس منصرفون عن
 قبره، فوقف عليه، ثم أنشد قوله: لعمرى لنعم المرء من آل جعفر #
 بحوران أمسى أعلقته الحبائل

فإن تحي لا أملل حياتي و إن تمت # فما في حياة بعد موتك طائل

و ما كان بيني لو لقيتك سالما # و بين الغنى إلا ليال قلائل

/فقال له ابنه: يا حطيئة، كم ظننت أن علقمة يعطيك؟ قال: مائة ناقة.
 قال: فلك مائة ناقة يتبعها مائة من أولادها.

فأعطاه إياها.

علقمة و خالد و عمر بن الخطاب

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني
 عمر بن أبي بكر قال: حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد و الضحاك بن عثمان
 قالا: لما قدم علقمة بن علاثة المدينة، و كان قد ارتد عن الإسلام، و كان
 لخالد بن الوليد صديقا، لقيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المسجد
 في جوف الليل، و كان عمر يشبهه بخالد، و ذلك أن أمه حنتمة بنت هاشم بن
 المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، فسلم عليه، و ظن أنه خالد، /
 فقال: أعزلك؟ قال: كان ذلك. قال: و الله ما هو إلا نفاسة عليك، و حسد لك.
 فقال له عمر: فما عندك معونة على ذلك؟ قال: معاذ الله، إن لعمر علينا

سمعا و طاعة، و ما نخرج إلى خلافه. فلما أصبح عمر رضي الله عنه أذن للناس، فدخل خالد و علقمة، فجلس علقمة إلى جنب خالد، فالتفت عمر إلى علقمة فقال: إيه يا علقمة، أنت القائل لخالد ما قلت؟ فالتفت علقمة إلى خالد، فقال: يا أبا سليمان، أ فعلتها؟ قال: وبحك و الله ما لقيتك قبل ما ترى، و إني لأراك لقيت الرجل. قال: أراه و الله.

[1] كذا في ف. و في الأصول: قومه.

[2] شعث مني: عابني.

ثم التفت إلي عمر فقال: يا أمير المؤمنين، ما سمعت إلا خيرا. قال:
أجل. فهل لك أن أوليك حوران؟ قال: نعم.
فولاه إياها، فمات بها.

رثاء الحطيئة علقمة

فقال الحطيئة يرثيه:

لعمري لنعم الحيّ من آل جعفر # بحوران أمسى أقصدته الجبائل
لقد أقصدت جودا و مجدا و سؤددا # و حلما أصيلا خالفته المجاهل
فإن تحي لا أملل حياتي و إن تمت # فما في حياة بعد موتك طائل

و في أول هذه القصيدة التي رثى بها الحطيئة علقمة غناء نسبه:

صوت

أرى العيس تخدي بين قوّ فصارح # كما لاح في الصبح الأشاء الحوامل
فأتبعتهم عينيّ حتى تفرقت # مع الليل عن ساق الفريد الجمائل
فلأيا قصرت الطرف عنهم بجسرة # أمون إذا و اكلتها لا تواكل

غنى في هذه الأبيات سائب خاثر ثاني ثقيل بالوسطى، من رواية حماد
بن إسحاق و الهشاميّ.

صوت

رثاء لأبي العباس الأعمى في بني أمية

ليت شعري أ فاح رائحة المسد # -ك و ما إن إخال بالخيف إنسي
حين غابت بنو أمية عنه # و البهاليل من بني عبد شمس
خطباء على المنابر فرسا # ن عليها و قاله غير خرس

إخال: أظن. خلت كذا و كذا، فأنا إخاله: إذا ظننته، و خال عليّ الشيء
يخيل: إذا شككت فيه. و ليت شعري: كلمة تقولها العرب عند الشيء تحبّ
علمه، و تسأل عنه.

و أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ قال: حدثني عمر بن شبة قال: سألت
رجل أبا عبيدة: ما أصل «ليت شعري»؟ فقال: كأنه قال: ليتني شعرت بكذا
و كذا، ليتني علمت حقيقته.

الشعر لأبي العباس الأعمى، و الغناء لابن سريج، رمل بالبنصر في
مجراها.

19- أخبار أبي العباس الأعمى

نسبه

هو السائب بن فرّوخ مولى بني ليث. و قيل إنه مولى بني الدّيل، و هذا القول هو الصحيح.

ذكر محمد بن معاوية الأسدّي، عن المدائنيّ و الواقديّ:

أن أبا العباس الأعمى الذي يروي عنه حبيب بن أبي ثابت، مولى جذيمة بن عليّ بن الدّيل [1] بن بكر بن عبد مناة، و كان من شعراء بني أمية المعدودين، المقدمين في مدحهم و التشيع لهم، و انصباب الهوي إليهم، و هو الذي يقول في أبي الطفيل عامر بن واثلة، صاحب عليّ بن أبي طالب عليه السّلام:

/

لعمرك إنني و أبا طفيل # لمختلفان، و الله الشهيد

أرى عثمان مهتديا و يأبى # متابعتي و آبى ما يريد

أخبرني بذلك وكيع عن حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن أبيه، عن عبد الله بن أبي سعد.

روايته الحديث

و قد روى أبو العباس الأعمى عن صدر من الصحابة الحديث، و روى عنه عطاء، و عمرو بن دينار، و حبيب بن أبي ثابت [2].

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدّثنا أبو عاصم عن ابن جريح عن عطاء عن أبي العباس الأعمى الشاعر، عن عبد الله بن عمر، قال: إنما جمع [3] منزل تدلج منه إذا شئت.

/ قال: حدّثنا أحمد بن محمد بن دلان [4] الخيشي، قال: حدّثنا أحمد بن إسماعيل قال: حدّثنا أبو ضمرة قال: حدّثني أبو الحارث بن عبد الرّحمن، عن أبي ذئب، عن أبي العباس، عن سعيد بن المسيب قال: قال عليّ بن أبي طالب: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:

إسباغ الوضوء على المكاره، و إعمال الأقدام إلى المساجد، و انتظار الصلاة بعد الصلاة، يغسل الخطايا غسلا.

[1] ف: علي و بني الديل. و في «نكت الهميان» للصفدي: مولى لبني جذيمة بن عدي بن الديل. نقله عن المرزباني في «معجمه» .

[2] قال الخزرجي في «الخلاصة» : السائب بن فروخ المكي أبو العباس الشاعر. عن عبد الله بن عمرو و ابن عمر. و عنه حبيب بن أبي ثابت، و عمرو بن دينار. وثقه أحمد. و زاد الصفدي في «نكت الهميان» : و روى له البخاري و مسلم و أبو داود و الترمذي و النسائي و ابن ماجة.

[3] جمع: اسم للمزدلفة.

[4] كذا في ف. و في بقية الأصول: بلان.

حدّثني: أحمد بن محمد بن سعيد الكوفي قال: حدّثنا أبو قلابة قال: حدّثنا بشر بن عمر قال: حدّثنا شعبة، عن حبيب بن أبي ثابت، قال: سمعت أبا العباس السائب بن فروخ الأعمى الشاعر يحدث عن عبد الله بن عمر، قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه و سلم يستأذنه في الجهاد، فقال: أحيي والداك؟ قال: نعم. قال: فيهما فجاهد.

لِقَاؤُهُ الْمَنْصُورَ فِي طَرِيقِهِمَا إِلَى الشَّامِ

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال: حدّثنا الفضل بن عبد الله الخنجي بجرجان قال: حدّثني مسلم بن الوليد الأنصاري قال: سمعت يزيد بن مزيد يقول: سمعت هارون الرشيد يقول: سمعت المهديّ يقول: سمعت المنصور يقول: خرجت أريد الشام أيام مروان بن محمد، فصحبني في الطريق رجل ضرير، فسألته عن مقصده، فأخبرني أنه يريد مروان بشعر امتدحه به، فاستنشدته إياه، فأنشدني: ليت شعري أ فاح رائحة المسد # -ك و ما إن إخال بالخيف إنسي

حين غابت بنو أمية عنه # و البهاليل من بني عبد شمس

خطباء على المنابر فرسا # ن عليها و قالة غير خرس

لا يعابون صامتين و إن قا # لوا أصابوا و لم يقولوا بليس

بحلوم إذا الحلوم تقصّصت [1] # و وجوه مثل الدنانير ملس

و يروى مكان «تقصّصت»: اضمحلت. قال: فو الله ما فرغ من إنشاده حتى توهمت أن العمى قد أدركني، و افترقنا.

لِقَاؤُهُ الْمَنْصُورَ فِي طَرِيقِ الْحَجِّ

فلما أفضت الخلافة إليّ خرجت حاجا، فنزلت أمشي بجبلي زرود، فبصرت بالضرير، ففرّقت من كان معي، ثم دنوت منه فقلت: أ تعرفني؟ قال: لا. فقلت: أنا رفيقك و أنت تريد الشام أيام مروان. فقال: أوّه: أمت نساء بني أمية منهم # و بناتهم بمضيعة أيتام

نامت جدودهم و أسقط نجمهم # و النجم يسقط و الجدود تنام [2]

أخلت المنابر و الأسرّة منهم # فعليهم حتى الممات سلام

فقلت: و كم كان مروان أعطاك بأبي أنت؟ قال: أغناني أن أسأل أحدا بعده. فهممت بقتله، ثم ذكرت حق الاسترسال و الصحبة، فأمسكت عنه، و غاب عن عيني، فبدا لي فيه، فأمرت بطلبه، فكانما البيداء بادت به.

قصة له مع امرأة ذات بعل

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثني عمر بن شبة قال:
قال أبو عبيدة: [1] ف: استخفت.

[2] كذا في ف. و في بقية الأصول: «نيام» .

هوِي أبو العباس الأعمى امرأة ذات بعل، فراسلها، فأعلمت زوجها، فقال: أطمعته. فأطمعته. ثم قال: أرسلني إليه فليأتك. فأرسلت إليه، فاتاها، و جلس زوجها إلي جانبها، فقال لها أبو العباس: إنك قد وصفت لنا و ما نراك، فألمسينا. فأخذت يده، فوضعتها على أير زوجها، فنفر، و علم أن قد كيد، فنهض من عندها، و قال:

صوت

عليّ أليّة ما دمت حيّاً # أمسك طائعا إلا بعود

و لا أهدي لأرض أنت فيها # سلام الله إلا من بعيد

رجوت غنيمة فوضعت كفيّ # على أير أشدّ من الحديد

فخير منك من لا خير فيه # و خير من زيارتكم قعودي

و قرأت هذه الحكاية مروية عن الأصمعيّ غير مذكور راويها عنه. و زعم أن بشارا صاحب القصة، و أنه كان له مجلس يسميه البردان، يجتمع إليه فيه النساء، فعشق هذه المرأة و قد سمع كلامها. ثم ذكر الخبر بطوله، و قال فيه: فلما وصل إليها أنشأ يقول: مليكة قد وصفت لنا بحسن # و إنا لا نراك فألمسينا

فأخذ زوجها يده، فوضعتها على أيره.

ذكر إسحاق أن في البيتين الأولين و الرابع من هذه الأبيات، لحنا من خفيف الثقل، بالسبابة في مجرى الوسطى، و لم ينسبه إلى أحد. و وجدته في غناء عمرو بن بانة في هذه الطريقة منسوباً إليه، فلا أدري هو ذلك اللحن أو غيره.

كان يحض بني أمية على ابن الزبير

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثنا عمر بن شبة قال: حدّثني أيوب بن عمر أبو سلمة قال: قال أبو العباس الأعمى، مولى بني الدّيل بن بكر، يحض بني أمية على عبد الله بن الزبير: أ بني أمية لا أرى لكم # شبها إذا ما التفت الشّيع

سعة و أحلاما إذا نزعت # أهل الحلوم فضرها [1] التّرع

/و حفيظة في كل نائبة # شهباء لا ينهى لها الرّيع

الله أعطاكم و إن رغمت # من ذاك أنف معاشر رتعوا [2]

أ بني أمية غير أنكم # و الناس فيما أطمعوا طمعوا

أطمعتم فيكم عدوكم # فسمما بهم في ذاكم الطمع
فلوا ائكم كنتم لقولكم # مثل الذي كانوا لكم رجعوا

[1] ف: فقصرها.

[2] كذا في ف: و في الأصول: رفعوا.

عما كرهتم أو لردّهم # حذر العقوبة إنها تزع

و له أشعار كثيرة في مدائح بني أمية، و هجاء آل الزبير، و أكثرها في هجاء عمرو بن الزبير، ليس ذكرها مما قصدنا له.

أبو العباس يهجو ابن الزبير

و نسخت من كتاب قعنب بن المحرز قال: حدّثنا المدائنيّ، عن/جويرية بن أسماء: أن ابن الزبير رأى رجلا من حلفاء بني أسد بن عبد العزّي في حالة رثّة، فكساه ثوبين، و أمر له ببرّ و تمر، فقال أبو العباس الأعمى في ذلك:

صوت

كست أسد إخوانها و لو انني # ببلدة إخواني إذا لكسيت

فلم تر عيني مثل حيّ تحمّلوا # إلى الشام مظلومين منذ برت

غنى في هذين البيتين دحمان ثقيل أول بالينصر، من رواية ابن المكي، و رأيت في بعض الكتب لزرزور غلام المارقيّ فيهما صنعة أيضا.

أبو العباس يهجو البعيث المجاشعي

و قال محمد بن معاوية: حدّثني المدائنيّ قال:

قدم البعيث المجاشعيّ مكة، و كان أبو العباس الأعمى الشاعر لا يكاد يفارقها، و كانت جوائز أمية تأتيه من الشام، و كانت قريش كلها تبرّه للسانه، /و تقرّبا إلى بني أمية ببرّه. قال: فصلى البعيث مع الناس، و سأل في حمالة كانت عليه، و كان سئولا ملحا شديد الطمع، و كان الرجل من قريش يأتيه بالشيء يتحمّله عنه، فيقول: لا أقبله إلا أن تجيء معي إلى الصرّاف حتى ينقده و يزنه، فإن لم يفعل ذمه و هجاه. فشكوه إلى أبي العباس الأعمى، فقال: قودوني إليه، ففعلوا. فلما عرف مجلسه رفع عصاه، فضرب بها رأسه، ثم قال له: فهل أنت إلا ملصق في مجاشع # نفاك جرير فاضطرت إلى نجد

نفاك جرير بالهزاء إلى نجد

و يروى:

تطلّ إذا أعطيت شيئا سألته # تطالب من أعطاك بالوزن و النقد

فلا تطمعن من بعد ذا في عطية # وثق بقبيح المنع و الدفع و الرّد

فلسطين بمبق في قريش خزاية # تدم و لو أبعدت فيه مدى الجهد[1]

قال فتضاحك به من حضر، و استحيا و لم يجر جوابا. فلما جنّ الليل
عليه هرب من مكة.

[1]ف:

فلسطين بمسبق قريشا خزاية # ... و لو أنفدت فيه مدى الدهر

عبد الملك يستنشد مديحه في مصعب

و قال قعنب بن المحرز: حدّثني المدائنيّ قال:

قال عبد الملك بن مروان لأبي العباس الأعمى مولى بني الدّيل: أنشدني مديحك مصعبا. فاستغفاه، فقال: يا أمير المؤمنين، إنما رثيته بذلك لأنه كان صديقي، و قد علمت أن هواي أمويّ. قال: صدقت، و لكن أنشدني ما قلته. فأنشده: يرحم الله مصعبا فلقد ما # ت كريما و رام أمرا جسيما

فقال عبد الملك: أجل، لقد مات كريما. ثم تمثل:

و لكنه رام التي لا يرومها # من الناس إلا كلّ خرق [1] معمم

عبد الملك يقسم على بني أمية أن يخلعوا على أبي العباس

أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان. قال حدّثني إسحاق بن محمد الأموي قال: لما حج عبد الملك بن مروان جلس للناس بمكة، فدخلوا إليه على مراتبهم، و قامت الشعراء و الخطباء فتكلموا، و دخل أبو العباس الأعمى، فلما رآه عبد الملك قال: مرحبا مرحبا بك يا أبا العباس، أخبرني بخبر الملحد المحلّ حيث كسا أشياعه و لم يكسك، و أنشدني ما قلت في ذلك.

فأخبره بخبر ابن الزبير، و أنه كسا بني أسد و أحلافها و لم يكسه، و أنشده الأبيات. فقال عبد الملك: أقسم على كل من حضرني من بني أمية و أحلافهم و مواليهم، ثم على كل من حضرني من أوليائي و شيعتي على دعوتهم، إلا كسا أبا العباس.

فخلعت و الله حلل الوشي و الخز و القوهي، / و جعلت ترمى عليه، حتى إذا غطته نهض فجلس فوق ما اجتمع منها و طرح عليه، قال: حتى رأيت في الدار من الثياب ما ستر عني عبد الملك و جلساءه، و أمر له عبد الملك بمائة ألف درهم.

أبو العباس يهجو ابن الزبير لما نغاه إلى الطائف

/ أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثني عليّ بن محمد بن سليمان النوفليّ. قال: حدّثني أبي و أهلي: أن عبد الله بن الزبير لما غلب على الحجاز، جعل يتتبع شيعة بني مروان، فينفيهم عن المدينة و مكة، حتى لم يبق بهما أحد منهم، ثم بلغه عن أبي العباس الأعمى الشاعر نيد من كلام، و أنه ي كاتب بني مروان بعوراته، و يمدح عبد الملك، و تجيئه جوائز و

صلاته، فدعا به، ثم أغلظ له، و همّ به، ثم كَلّم/فيه، و قيل له: رجل مضرور.
فعفا عنه، و نفاه إلى الطائف، فأنشأ يقول يهجو و يهجو آل الزبير: بني
أسد لا تذكروا الفخر إنكم # متى تذكروه تكذبوا و تحمّقوا

[1]خرق: كذا في ف، و هو السيد الكريم. و في بعض الأصول: حرّ. -

بعيدات[1] بين خيركم لصديقكم # و شرّكم يغدو عليه و يطرق
 متى تسألوا فضلا تضحوا و تبخلوا # و نيرانكم بالشرّ فيها تحرق
 إذا استبقت يوما قريش خرجتم # بني أسد سكتا و ذو المجد يسبق
 تغيثون خلف القوم سودا وجوهكم # إذا ما قريش للأضاميم أصفقوا[2]
 و ما ذاك إلا أن للؤم طابعا # يلوح عليكم وسمه ليس يخلق

بينه و بين عمر بن أبي ربيعة

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدّثني عمي مصعب قال:

قال عمر بن أبي ربيعة لأبي العباس الأعمى الشاعر مولى بني الدّيل
 بن بكر: أفتني إن كنت ثقفا شاعرا # عن فتى أعرج أعمى مختلف[3]

سيئ السّحنة كاب لونه # مثل عود الخروع البالي القصف

فقال أبو العباس يرد عليه:

أنت الفتى و ابن الفتى و أخو الفتى[4] # و سيدنا لو لا خلائق أربع

نكولك في الهيجا و تقوالك الخنا # و شتمك للمولى و أنك تبع

قال الزبير: يقال رجل تبع نساء و تبع نساء: إذا كان كلفا بهن.

أخبرني الحرميّ قال: حدّثنا الزبير قال: حدّثني عمي قال: حدّثني
 المكيّون: / أن عمر بن أبي ربيعة كان يرامى جارية لأبي العباس الأعمى
 بينادق الغالية، فبلغ ذلك أبا العباس، فقال لقائده: قفني على باب بني
 مخزوم، فإذا مر عمر بن أبي ربيعة، فضع يدي عليه، فلما مر عمر وضع يده
 عليه، فأخذ بحجزته، و قال: ألا من يشتري جارا نثوما # بجار لا ينام و لا ينيّم

و يلبس بالنهار ثياب ناس # و شطر الليل شيطان رجيم

فنهضت إليه بنو مخزوم، فأمسكوا فمه، و ضمنوا له عن عمر أن لا
 يعاود ما يكرهه.

[1] في («اللسان» : بعد) : أبو عبيد: يقال: «لقيته بعيدات بين» : إذا
 لقيته بعد حين. و هو من ظروف الزمان التي لا تتمكن، و لا تستعمل إلا
 ظرفا.

[2] الأضاميم: الجماعات، واحدها إضمامة. و أصفقوا لهم: جاءوهم من
 الطعام بما يشبعهم.

[3]الثقف: الحاذق الخفيف.

[4]الشعر من الطويل. و في الشطر الأول منه خرم.

صوت
صوت لأبي حية النميري

ألا حيّ من أجل الحبيب المغانبا # ليسن البلى لما ليسن اللياليا
إذا ما تقاضى المرء يوم و ليلة # تقاضاه شيء لا يملّ التقاضيا

/الشعر لأبي حية التّميريّ. و الغناء لأحمد بن يحيى المكيّ، خفيف رمل
بالبنصر، عن الهشاميّ.

20- أخبار أبي حية التميمي و نسبه

نسبه

أبو حية: الهيثم بن الربيع بن زرارة بن كثير بن جناب بن كعب بن مالك بن عامر بن نمير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار.
و كان يقال لمالك الأصقع. و قال قوم: إن الأصقع هو الأصمّ بن مالك بن جناب بن كعب.

مكانته في الشعر

و أبو حية شاعر مجيد مقدّم، من مخضرمي الدولتين: الأموية و العباسية، و قد مدح الخلفاء فيهما جميعا، و كان فصيحاً مقصّداً راجزاً، من ساكني البصرة، و كان أهوج جباناً بخيلاً كذاباً، معروفاً بذلك أجمع. و كان أبو عمرو بن العلاء يقدّمه. و قيل إنه كان يصرع.

سيفه لعاب المنية

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن زهير قال: حدّثني محمد بن سلام الجمحيّ. و أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا محمد بن يزيد. و أخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة، قالوا:
كان لأبي حية سيف يسميه لعاب المنية، ليس بينه و بين الخشبة فرق، و كان من أجبن الناس.

قال: فحدّثني جار له قال: دخل ليلة إلى بيته كلب، فظنه لصاً، فأشرفت عليه و قد انتضى سيفه لعاب المنية، و هو واقف في وسط الدار و هو يقول: أيها المغترب بنا، و المجترئ علينا، بئس و الله ما اخترت لنفسك، خير قليل، و سيف صقيل، لعاب المنية الذي سمعت به، مشهورة ضرّيته، لا تخاف نبوته. اخرج/بالعفو عنك، قبل أن أدخل بالعقوبة عليك. إني و الله إن أدع قيساً إليك لا تقم لها، و ما قيس؟ تملأ و الله الفضاء خيلاً و رجلاً، سبحان الله! ما أكثرها و أطيبها! فيينا هو كذلك إذ خرج الكلب، فقال: الحمد لله الذي مسخك كلباً، و كفاني حرباً.

طرائف من أخباره

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدّثني محمد بن عليّ بن حمزة قال: حدّثني أبو عثمان المازنيّ قال:
حدّثني سعيد بن مسعدة الأخفش قال:

قال أبو حية النميري: أ تدري ما يقول القديرون؟ قلت: لا. قال: يقولون:
الله لا يكلف العباد ما لا يطيقون، و لا يسألهم ما لا يجدون، و صدق و الله
القديرون، و لكني لا أقول كما يقولون.

قال محمد بن علي بن حمزة: و حدّثني أبو عثمان قال:

قال سلمة بن عياش لأبي حية التّميري: أ تدري ما يقول الناس؟ قال: و
ما يقولون؟ قال: يقولون إني أشعر منك. قال: إنا لله! هلك و الله الناس!

قال: و كان أبو حية النميريّ مجنوناً يصرع، و قد أدرك هشام بن عبد الملك.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدّثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ قال: سمعت عمي يقول: أبو حية في الشعراء كالرجل الرّبعة، لا يعدّ طويلاً و لا قصيراً.

قال: و سمعت أبا عمرو يقول: هو أشعر في عظم الشعر من الراعي. أخبرني الحسن بن عليّ و عليّ بن سليمان الأخفش، قالوا: حدّثنا محمد بن يزيد المبرد قال: حدّثني عبد الصمد بن المعدّل. و أخبرنا إبراهيم بن محمد بن أيوب قال: حدّثنا عبد الله بن مسلم، قالوا:

كان من أكذب الناس

كان أبو حية النميريّ من أكذب الناس، فحدث يوماً أنه يخرج إلى الصحراء، فيدعو الغربان فتقع حوله، فيأخذ منها ما شاء. فقيل له: يا أبا حية، أ رأيت إن أخرجناك إلى الصحراء/فدعوها فلم تأتكن، فما نضع بك؟ قال: أبعدها الله إذن! قال: و حدّثنا يوماً قال: عن لي ظبي يوماً فرميتهُ فراغ عن سهمي، فعارضه السهم، ثم راغ، فعارضه السهم، فما زال و الله يروغ و يعارضه حتى صرعه ببعض الجبّانات.

قال: و قال يوماً: رميت و الله ظبية، فلما نفذ سهمي عن القوس، ذكرت بالظبية حبيبة لي، فعدوت خلف السهم، حتى قبضت على قذذه قبل أن يدركها.

يمدح المنصور و يهجو بني حسن

و ذكر يحيى بن عليّ عن الحسن بن عليل العنزّيّ قال: قال الرياشيّ، عن الأصمعيّ قال: وفد أبو حية النميريّ على المنصور و قد امتدحه، و هجا بني حسن بقصيدته التي أولها: عوجاً نحّي ديار الحيّ بالسند # و هل بتلك الديار اليوم من أحد

يقول فيها:

أ حين شيم فلم يترك لهم ترة # سيف تقلّده الرّئال ذو اللبد
سلّتموه عليكم يا بني حسن # ما إن لكم من فلاح آخر الأبد
قد أصبحت لبني العباس صافية # لجدع آناف أهل البغي و الحسد
و أصبحت كلهاة الليث في فمه # و من يحاول شيئاً في فم الأسد؟

نزوله عند خماره بالحيرة

فوصله أبو جعفر بشيء دون ما كان يؤمل؛ فاحتج لعياله أكثره، و صار إلى الحيرة، فشرب عند خماره بها، فأعجبه الشرب، فكره إنفاد ما معه، و أحب أن/يدوم له ما كان فيه، فسأل الخمار أن تبعه بنسيئة، و أعلمها أنه مدح الخليفة و جماعة من القواد، ففعلت و شرهت إلى فضل النسيئة، و كان لأبي حية أير كعنق الظليم، فأبرز لها عنه، فتدلّهت، و كانت كلما سقته خطت في الحائط، فأنشأ أبو حية يقول:

إذا أسقيتني كوزاً بخطاً # فخطي ما بدا لك في الجدار
 فإن أعطيتني عينا بدين # فهاتي العين و انتظري ضماري[1]
 خرقت مقدّماً من جنب ثوبي # حيال مكان ذاك من الإزار
 فقالت وبلها: رجل و يمشي # بما يمشي به عجر الحمار[2]
 و قالت: ما تريد؟ فقلت: خيراً # نسيئة ما عليّ إلى يساري
 فصدّت بعد ما نظرت إليه # و قد ألمحتها عنق الحوار

بينه و بين ابن مناذر

أخبرني إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم قال:
 لقي ابن مناذر أبا حية، فقال له: أنشدني بعض شعرك. فأنشده:

ألا حي من أجل الحبيب المغانيا

فقال له ابن مناذر: و هذا شعر؟ فقال أبو حية: ما في شعري عيب هو
 شر من أنك تسمعه. ثم أنشده ابن مناذر شيئاً من شعره، فقال له أبو حية:
 قد عرفتك ما قصتك؟ و هذه القصيدة يفخر فيها أبو حية، و يذكر يوم
 النّشاش[3]، و هو يوم لبني نمير.

[1]الضمار: الوعد المسوف، أو الدين لا يرجى حصوله.

[2]العجر: جميع عجرة: العروق المتعقدة في الجسد، يريد أير الحمار،
 لما فيه من التعقيد.

[3]النشاش: و ادليني نمير كانت به وقعة بين بني نمير و أهل اليمامة
 «التاج» .

21- أخبار أحمد بن يحيى المكي

التعريف به

أحمد بن يحيى بن مرزوق المكي، و يكنى أبا جعفر. و كان يلقب ظنيناً[1]. و قد تقدم ذكر أبيه و أخباره. و هو أحد المحسنين المبرزين، الرواة للغناء، المحكمي الصنعة. و كان إسحاق يقدّمه و يؤثره، و يشيد بذكره، و يجهر بتفضيله، و كتابه «المجرد» في الأغاني و نسبها أصل من/ الأصول المعمول عليها، و ما أعرف كتاباً بعد كتاب إسحاق الذي ألفه لشبحة[2]، يقارب كتابه، و لا يقاس به، و كان مع جودة غنائه و حسن صنعته، أحد الضراب الموصوفين المتقدمين.

أخبرني عمي قال: حدثني أبو عبد الله الهشامي، عن محمد بن أحمد المكي: أن أباه[3] جمع لمحمد بن عبد الله بن طاهر ديواناً للغناء و نسبه و جنسه، فكان محتويًا على أربعة عشر ألف صوت.

بكم كانوا يقومون فنه

أخبرني لحظة قال: حدثني علي بن يحيى، و نسخت من بعض الكتب: حدثني محمد بن أحمد المكي قال: حدثني علي بن يحيى قال:

قلت لإسحاق بن إبراهيم الموصلي و قد جرى ذكر أحمد بن يحيى المكي: يا أبا محمد، لو كان أبو جعفر أحمد بن يحيى المكي مملوكًا، كم كان يساوي؟ فقال: أخبرك عن ذلك.

/انصرفت ليلة من دار الواثق، فاجتزت بدار الحسن بن وهب، فدخلت إليه، فإذا أحمد عنده، فلما قام لصلاة العشاء الآخرة، قال لي الحسن بن وهب: كم يساوي أحمد لو كان مملوكًا؟ قلت: يساوي عشرين ألف دينار. قال: ثم رجع فغنى صوتًا، فقال لي الحسن بن وهب: يا أبا محمد، أضعفها. قال: ثم تغنى صوتًا آخر، فقلت للحسن: يا أبا علي أضعفها. ثم أردت الانصراف، فقلت لأحمد: غنني:

صوت

لو لا الحياء و أن السّتر من خلقي # إذن قعدت إليك الدهر لم أقم
أليس عندك شكر للتي جعلت # ما ابيضّ من قدمات الرأس كالحمم

[1] في «نهاية الأرب» (4: 321): طنينًا، بالطاء المهملة.

[2] كذا في الأصول. و لإسحاق أكثر من كتاب، و لعله يقصد أحد كتابين له: ما ألفه للواثق و كتاب «الشركة» الذي كتب مقدمته و أكمله سندي بن علي (انظر «مصادر الموسيقى العربية» 24-28).

[3] سقط من (ف) بقية هذا الخبر و ما بعده إلى ص 313.

الغناء فيه لمعبد، خفيف ثقيل أول في مجرى البنصر، عن إسحاق. و ذكر عمرو بن بانه أنه لمالك، و ليس كما قال، لحن مالك ثقيل أول ذكره الهشامي و دنانير و غيرهما.

قال: فغناه أحمد بن يحيى المكي، فأحسن فيه كل الإحسان. فلما قمت للانصراف قلت للحسن: يا أبا علي، أضعف الجميع. فقال له أحمد: ما هذا الذي أسمعكما تقولانه، و لست أدري ما معناه. قال: نحن نبيعك و نشتريك منذ الليلة و أنت لا تدري.

و أخبرنا بهذا الخبر يحيى بن علي بن يحيى، عن أخيه أحمد بن علي، عن عافية بن شبيب، عن أبي حاتم، قال:

كان إسحاق عندنا في منزل أبي علي الحسن بن وهب، و عندنا ظنين بن المكي، و ذكر الحديث مثله، و قال فيه: إنه قومه مائة ألف درهم، و ذكر أن الصوت الذي غناه آخرًا:

صوت

أ من دمن و خيم باليات # و سفغ كالحمام جاثمات

أرقت لهن شطر الليل حتى # طلعت من المناقب منجدات

و أن إسحاق لما سمعه قال: كم كنت قومه؟ قال: مائة ألف درهم. قال: أضعفوا القيمة. قيمته مائتا ألف درهم.

في هذين البيتين لحن من القدر الأوسط من الثقيل الأول، بالسبابة في مجرى الوسطى، ينسب إلى ابن مسجح، و إلى ابن محرز. و فيه لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى، عن عمرو. و للغريض خفيف ثقيل عن الهشامي.

مناظرته للمغنين

أخبرني جحظة قال: حدثني محمد بن أحمد المكي قال:

ناظر أبي بعض المغنين ذات ليلة بين يدي المعتصم، و طال/تلاحيهما في الغناء، فقال أبي للمعتصم، يا أمير المؤمنين، من شاء منهم فليغن عشرة أصوات لا أعرف منها ثلاثة، و أنا أغني عشرة و عشرة و عشرة، لا يعرف أحد منهم صوتا منها. فقال إسحاق: صدق يا أمير المؤمنين. و اتبعه ابن بسخر و علويه، فقالا: صدق[1] يا أمير المؤمنين إسحاق فيما يقوله. فأمر له بعشرين ألف درهم.

قال محمد: ثم عاد ذلك الرجل إلى مماظّته يوما، فقال له: قد دعوتك إلى النّصفه، فلم تقبل، و أنا أدعوك و أبدأ بما دعوتك إليه، فاندفع فغنى عشرة أصوات، فلم يعرف أحد منهم منها صوتا واحدا، كلها من الغناء القديم، و الغناء اللاحق به من صنعة المكّيين الحدّاق الخاملي الذكر، فاستحسن المعتصم منها صوتا، و أسكت المغنين له، و استعاده مرات عدّة، و لم يزل يشرب عليه سحابة يومه، و أمر ألا يراجع أحدا/من المغنين كلاما، و لا يعارضه أحد منهم، إذ كان قد أبرّ عليهم، و أوضح الحجة في انقطاعهم، و إدحاض حججهم.

كان الصوت الذي اختاره المعتصم عليه، و أمر له لما سمعه بألفي دينار:

[1]إلى هنا ينتهي الساقط من (ف) .

صوت

لعن الله من يلوم محبًا # و لحي الله من يحبّ فيأبى
ربّ إلفين أضمرنا الحبّ دهرًا # فعفا الله عنهما حين تابا

الغناء ليحيى المكي رمل.

قال محمد، قال أبي:

و كان المعتصم قد خلع علينا في ذلك اليوم مماطر لها شأن من ألوان
شتى، فسألني عبد الوهاب بن عليّ أن أرد عليه هذا الصوت، و جعل لي
ممطره، فغنيته إياه، فلما خرجنا للانصراف إلى منازلنا، أمر غلماناه بدفع
الممطر إلى غلماناي، فسلموه إليهم.

ثناء إسحاق الموصلي عليه

أخبرني عبد الله بن الربيع، عن أبيه، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن
مالك قال: سألتني إسحاق بن إبراهيم الموصلي يوما: من بقي من المغنين؟
قلت: وجه القرعة محمد بن عيسى، مولى عيسى بن جعفر. فقال: صالح
كيس. و من أيضا؟ قلت: أحمد بن يحيى المكي. قال بخ بخ! ذاك المحسن
المجمل الضارب المغني القائم بمجلسه، لا يحوج أهل المجلس إلى غيره. و
من أبى أنت؟ قلت: ابن مقامرة. قال: لا و الله ما سمعت بهذا قط. فمن
مقامرة هذه؟ زامرة أم نائحة أم مغنية؟ قلت: لا. و لكنها من الناس، و ليست
من أهل صناعته. قال: و من أيضا/أبى أنت؟ قلت: يحيى بن القاسم ابن أخي
سلمة. قال: الذي كان له أخ يغني مرتجلا؟ قلت: نعم. قال: لم يحسن ذاك و
لا أبوه شيئا قط، و لا أشك أن هذا كذلك، لأنهما مؤدّباه.

غناؤه في مدح خالد بن يزيد بن مزيد

و ذكر ابن المكي عن أبيه قال:

قال المعتصم يوما لجلسائه و نحن عنده: خلعت اليوم على فتى شريف
ظريف نظيف، حسن الوجه، شجاع القلب، و وليته المصيصة و نواحيها.
فقلنا: من هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: خالد بن يزيد بن مزيد. فقال علويه:
يا أحمد عن أمير المؤمنين صوتك في مدح خالد، فأمسكت عنه. فقال
المعتصم: مالك لا تجيبه؟ فقلت: يا أمير لمؤمنين، ليس هو مما يغني بحضرة
ال خليفة. فقال: ما من أن تغنيه بدّ. قال: فغنيته صنعة لي في هذا الشعر:

صوت

عَلَّمَ النَّاسَ خَالِدَ بْنَ يَزِيدٍ # كَلَّمَ حَلْمٌ وَكُلُّ بَأْسٍ وَجُودٌ

فَتَرَى النَّاسَ هَيْبَةً حِينَ يَبْدُو # مِنْ قِيَامٍ وَرُكْعٍ وَسُجُودٍ

/فقال المعتصم: يا سمانة[1]، خذ أحمد بإلقاء هذا الصوت على
الجواري في غد، وأمر لي بعشرة آلاف درهم.
[1]كذا في ف. و في بعض الأصول: ثمامة.

غناؤه الأمين

قال: و غنى أبي يوما محمدا الأمين:

صوت

فَعَشَ عَمْرَ نُوْحٍ فِي سُرُورٍ وَ غِبْطَةٍ # وَ فِي خَفْضِ عَيْشٍ لَيْسَ فِي طَوْلِهِ إِثْمٌ

تَسَاعِدُكَ الْأَقْدَارُ فِيهِ وَ تَنْتَنِي # إِلَيْكَ وَ تَرَعَى فَضْلَكَ الْعَرَبُ وَ الْعَجْمُ

فَأَمْرٌ لَهُ بِخَمْسِ مِائَةِ دِينَارٍ.

وفاته

و توفى أحمد بن يحيى المكيّ في خلافة المستعين في أولها.

أخبرني بذلك جحظة البرمكيّ، عن محمد بن أحمد بن يحيى المكيّ: أن أباه توقّى في هذا الوقت.

انقضت أخباره.

صوت

صوت من غزل لجرير

إِنَّ الذِّينَ غَدَوْا بَلْبُكَ غَادِرُوا # وَ شَلَا بَعِينِكَ مَا يَزَالُ مَعِينَا

غَيِّضَ مِنْ عِبْرَاتِهِنَّ وَ قَلْنَ لِي: # مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهُوَى وَ لَقِينَا؟

غادروا: تركوا. و الوشل: الماء القليل. و المعين: الماء الصافي الجاري. و غيِّضن من عبراتهن: أي كففنها و مسحنها حتى تغيض.

الشعر لجرير، و الغناء لإسحاق، رمل بالوسطى، عن عمرو. و هو من طريف أرمال إسحاق و عيونها. و فيه لابن سريج ثقيل أول بالبنصر، عن الهشاميّ و عمرو. و ذكر عليّ بن يحيى أن فيه لابن سريج رملا آخر. و ذكر عيسى أن الثقيل الأوّل لإبراهيم، و أن فيه للهدليّ ثاني ثقيل بالوسطى، و لإبراهيم أيضا ماخوريّ بالبنصر.

[من غزل جرير] تنازع العلماء في هذا الشعر

و قد أخبرني إبراهيم بن محمد بن أيوب الصائغ قال: حدّثنا عبد الله بن مسلم بن قتيبة: أن هذين البيتين للمعلوط، و أن جريرا سرقهما منه، و أدخلهما في شعره.

أبو السائب المخزومي و غزل جرير

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بكار قال: حدّثني عمي و غيره قالوا: غدا عبد الله بن مسلم بن جندب الهذلي على أبي السائب المخزوميّ في منزله، فلما خرج إليه أبو السائب أنشده قول جرير: إن الذين غدوا بلبك غادروا # و شلا بعينك لا يزال معينا

البيتين. فحلف أبو السائب ألا يرد على أحد سلاما، و لا يكلمه إلا بهذين البيتين، حتى يرجع إلى منزله. فخرجا، فلقيهما عبد العزيز بن المطلب و هو قاض، و كانا يدعيان القرينين لملازمتهما، فلما رآهما قال: كيف أصبح القرينان؟ فغمز أبو السائب بن جندب: أن أخبره [1] بالقصة، و ابن جندب يتغافل، فقال لابن جندب: ما لأبي السائب؟ فجعل أبو السائب يغمزه، أي أخبره بيمينني [1]. قال ابن جندب: أحمد الله إليك، ما زلت منكرا لفعله منذ خرجنا. فانصرف ابن المطلب إلى منزله و الخصوم ينتظرونه، فصرفهم [2] و دخل منزله مغتما. فلما أتى أبو السائب منزله، و برّت يمينه، خرج إلى ابن جندب فقال: اذهب بنا إلى ابن المطلب، فإني أخاف أن يردّ شهادتي. فاستأذنا عليه، فأذن لهما فقال له أبو السائب: قد علمت- / أعزك الله- غرامي بالشعر؛ و إن هذا الضالّ جاءني حين خرجت من منزلي، فأنشدني بيتين، / فحلفت ألا أرد على أحد سلاما، و لا أكلمه إلا بهما. حتى أرجع إلى منزلي. فقال ابن المطلب: اللهم غفرا! لا تترك المجون يا أبا السائب.

أخبرني: الحرميّ قال: حدّثنا الزبير بن بكار قال: حدّثني عبد المطلب بن عبد العزيز قال: أنشدت أبا السائب قول جرير:

عِيَضُ من عبراتهن و قلن لي # ما ذا لقيت من الهوى و لقينا!

فقال: يا ابن أخي، أ تدري ما التغييض؟ قلت: لا. قال: هكذا، و أشار بإصبعه إلى جفنه، كأنه يأخذ الدمع ثم ينضحه.

(1-1) كذا في ف. و في الأصول: بيمينني، فأنشده أبو السائب البيتين، و لم يردّ سلاما، و جعل يغمز ابن جندب أن يخبره بالقصة، و ابن جندب

يتغافل، فقال لابن جندب: ما لأبي السائب، فجعل أبو السائب، يغمز ابن جندب أن يخبره بيمينتي.

[2]ف: فعرفهم الخبر.

ابن أبي عتيق و بيت جرير

أخبرني الحرمي قال: حدّثنا الزبير بن بكار قال: حدّثنا المدائني. و أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي، عن أحمد بن زهير، عن الزبير بن بكار قال: عن المدائني قال: شهد رجل عند قاض بشهادة، فقيل له: من يعرفك؟ قال: ابن أبي عتيق. فبعث إليه يسأله عنه. فقال: عدل رضا. فقيل له: أ كنت تعرفه قبل اليوم؟ قال: لا. و لكني سمعته ينشد: غيِّض من عبراتهن و قلن لي: # ما ذا لقيت من الهوى و لقينا!

فعلمت أن هذا لا يرسخ إلا في قلب مؤمن، فشهدت له بالعدالة.
أخبرني الحرمي قال: حدّثنا الزبير قال: حدّثنا محمد بن الحسن و محمد بن الضحاك قالوا:

أبو السائب المخزومي يذهب بعقله غزل جرير

/كان أبو السائب المخزومي واقفا على رأس بئر، فأنشده ابن جندب:
إن الذين غدوا بلبك غادروا # و شلا بعينك لا يزال معينا
فرمى بنفسه في البئر بثيابه، فبعد لأي ما أخرجوه.

أشعب و سالم بن عبد الله بن عمر

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدّثنا محمد بن الحسن الرُّقي قال: حدّثنا العلاء بن عمرو الزُّبيري، من ولد عمرو بن الزبير، قال: حدّثنا يحيى بن أبي قتيلة [1] قال: حدّثني إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن عليّ عليهم السّلام، عن أشعب قال: جاءني فتية من قريش، فقالوا لي: نحب أن نسمع سالم بن عبد الله بن عمر صوتا من الغناء، و تعلمنا ما يقول لك، و جعلوا لي في ذلك جعلاً. فدخلت عليه، فقلت: يا أبا عمرو، لي مجالسة و حرمة، و مودة و سنّ، و أنا مولع بالترنم. قال: و ما الترنم؟ قلت: الغناء. قال: و في أي وقت؟ قلت: في الخلوة، و مع الإخوان في الخارج. و أحب أن أسمعك، فإن كرهته أمسكت عنه. ثم غنيته، فقال: ما أرى بأساً. فخرجت إليهم، فأعلمتهم، فقالوا: و ما غنيته؟ فقلت: غنيته: قرّبا مربط النعامة مني # لقحت حرب وائل عن حيال

قالوا: هذا بارد لا حركة فيه، و لسنا نرضى. فلما رأيت دفعهم إياي، و خفت ذهاب ما جعلوا لي، رجعت إليه، فقلت: يا أبا عمرو، آخر. قال: مالي و لك؟ و لم أملكه أمره حتى غنيت، فقال: ما أرى بأساً. فخرجت إليهم

فأعلمتهم. قالوا: و ما غنيته؟قلت: لم يطيقوا أن ينزلوا و نزلنا # و أخو
الحرب من أطاق النزولا

قالوا: و ليس هذا بشيء. فرجعت إليه، فقلت: آخر. فاستكفني، فلم
أملكه القول حتى غنيته: [1]ف: ابن قتيلة. -

غِيَّضَ من عبراتهن و قلن لي: # ما ذا لقيت من الهوى و لقينا؟

فقال: مهلا مهلا. قلت: لا و الله إلا بذاك الذي فيه تمر عجوة من صدقة عمر. فقال: هو لك. فخرجت عليهم به، و أنا أخطر. فقالوا: مه. فقلت: أطربت الشيخ حتى أعطاني هذا، و قال مرة/أخرى: حتى فرض[1] لي هذا[2]. قال: و و الله ما فعل، و إنما كان فدية لأصمت، و أخذت منهم الجعل.

بين علويه المغني و إسحاق الموصلي

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى المنجم، قال: حدّثت عن حماد بن إسحاق قال: حدّثني علويه الأعسر قال: أتيت أباك في داره هذه يوما و قد بنى إيوانها و سائرها خراب، فجلسنا على تلّ من تراب، فغناني لحنه في: غيَّضَ من عبراتهن و قلن لي: # ما ذا لقيت من الهوى و لقينا!

فسألته أن يعيده عليّ، ففعل. و أتانا رسول أبيه بطبق رطب، فقال للرسول: قل له: سأرسل إليك برطب أطيب من الرطب الذي بعثت به إليّ، فأبلغه الرسول/ذلك، فقال له: و من عنده؟ فأخبره أنني عنده. فقال: ما أخلقه أن يكون قد أتانا بأبدة[3]، ثم أتانا رسوله بعد ساعة فقال: ما أن لرطبيكم أن يأتينا؟ فأرسلني إليه و قد أخذت الصوت، فغنيته إياه، فقال: أجاد و الله. أ ألام على هذا و حبه، و الله لو لم يكن بيني و بينه قرابة لأحبته، فكيف و هو ابني؟

صوت

صوت لنائلة بنت الفرافصة

أ لست ترى يا ضبّ بالله أنني # مصاحبة نحو المدينة أركبا[4]

إذا قطعوا حزنا تخبّ ركا بهم # كما حرّكت ربح يراعا مثقبا

عروضه من الطويل. و الشعر لنائلة بنت الفرافصة. و الغناء لابن عائشة، و لحنه من الثقيل الأول بالوسطى. و وجدت في كتاب بخط عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أنه مما نحلّه يحيى المكي لابن عائشة.

[1] فرض له: أعطاه عطية لا يريد بها الثواب.

[2] ف: «حتى فرض لي، يعني نقطني». و كلمة «نقطني» لم ينقط من حروفها في الأصل غير القاف.

[3] الآبدة: الأمر الفائق الغريب.

[4]أركب: جمع ركب، من جموع القلة.

22- أخبار نائلة بنت الفرافصة و نسبها

نسبها

هي نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو، و قيل: ابن عفر بن ثعلبة، و قيل: عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن حصن بن ضمضم بن عدي بن جناب الكلبية، زوجة عثمان بن عفان رضي الله عنه، تقوله لأخيها لما نقلها إلى عثمان.

زواجها من عثمان

أخبرني بخبره و خبرها أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدّثنا عمر بن شبة قال: حدّثنا عبد الله بن محمد بن حكيم، عن خالد بن سعيد، عن أبيه قال: تزوّج سعيد بن العاص و هو على الكوفة هند بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة، فبلغ ذلك عثمان، فكتب إليه.

«بسم الله الرحمن الرحيم.

أما بعد، فإنه قد بلغني أنك تزوّجت امرأة من كلب، فاكتب إليّ بنسبها و جمالها» .

فكتب إليه:

«أما بعد، فإن نسبها أنها بنت الفرافصة بن الأحوص. و جمالها أنها بيضاء مديدة القامة» .

فكتب إليه: «إن كانت لها أخت فزوّجنيها» .

فبعث سعيد إلى الفرافصة، يخطب إحدى بناته على عثمان. فأمر الفرافصة ابنه ضبا، فزوجها إياه. و كان ضب مسلما، و كان الفرافصة نصرانيا، فلما أرادوا حملها إليه، قال لها أبوها: يا بنيّة، إنك تقدمين على نساء من نساء قريش، هن/أقدر على الطيب منك، فاحفظي عني خصلتين، تكحلي، و تطيّبي بالماء، حتى يكون ريحك ريح شنّ [1]أصابه مطر.

فلما حملت كرهت الغربية، و حزنت لفراق أهلها، فأنشأت تقول: أ لست ترى يا ضبّ بالله أنني # مصاحبة نحو المدينة أركبا

/إذا قطعوا حزنا تخبّ ركبهم # كما زعزعت ريح يراعا مثقبا

لقد كان في أبناء حصن بن ضمضم # لك الويل ما يغني الخباء المطببا

[1]الشن: القرية الخلق.

لقاء عثمان إياه

فلما قدمت على عثمان رضي الله عنه، قعد على سريرته، و وضع لها سريرا حiale؛ فجلست عليه، فوضع عثمان قلنسيته، فبدا الصلع، فقال: يا ابنة الفرافصة، لا يهولنك ما ترين من صلعي، فإن وراءه ما تحبين. فسكتت.

فقال: إما أن تقومي إليّ، و إما أن أقوم إليك. فقالت: أما ما ذكرت من الصلع، فإنني من نساء أحب بعولتهن إليهن السادة الصلغ. و أما قولك: إما أن تقومي إليّ، و إما أن أقوم إليك، فو الله ما تجشمت من جنبات السماوة أبعد مما بيني و بينك، بل أقوم إليك. فقامت، فجلست إلى جنبه، فمسح رأسها، و دعا لها بالبركة، ثم قال لها: اطرحي عنك رداءك، فطرحته، ثم قال لها: اطرحي خمارك، فطرحته، ثم قال لها: انزعي درعك، فنزعته؛ ثم قال: حلي إزارك. فقالت: ذاك إليك. فحلّ إزارها، فكانت من أحظى نسائه عنده.

هجوم الناس على عثمان

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثنا عمر بن شبة قال: حدّثنا علي بن محمد بن عيسى بن يزيد، عن عبد الواحد بن عمير، عن أبي الجرّاح مولى أم حبيبة، قال:

/كنت مع عثمان رضي الله عنه في الدار، فما شعرت و قد خرج محمد بن أبي بكر، و نحن نقول: هم في الصلح، إذ أنا بالناس قد دخلوا من الخوخة [1]، و نزلوا بأمراس الحبال من سور الدار، معهم السيوف، فرميت بسيفي [2]، و جلست عليه، و سمعت صياحهم، فكانني أنظر إلى مصحف في يد عثمان، و إلى حمرة أديمه، فنشرت نائلة بنت الفرافصة شعرها، فقال لها عثمان: خذي خمارك، فلعمري لدخولهم عليّ أعظم من حرمة شعرك.

و أهوى رجل إليه رضي الله عنه بالسيف، فاتقته نائلة بيدها، فقطع إصبعين من أصابعها، ثم قتلوه، و خرجوا يكبرون، و مر بي محمد بن أبي بكر، فقال: مالك يا عبد أم حبيبة؟ و مضى فخرجت.

شعر لنائلة عند مقتل عثمان

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عمر بن شبة قال: حدّثنا عبد الله بن حكيم الطائيّ، عن خالد بن سعيد، عن أبيه قال:

لما قتل عثمان رحمة الله عليه، قالت نائلة بنت الفرافصة:

ألا إن خير الناس بعد ثلاثة [3] # قتيل التَّجِيبيّ الذي جاء من مصر
و ما لي لا أبكي و تبكي قرابتي # و قد غيّبت عنا فضول أبي عمرو

هكذا في هذه الرواية. و قد قيل إن هذين البيتين للوليد بن عقبة.

كتاب نائلة إلى معاوية تصف مقتل عثمان

أخبرني أحمد قال: حدّثني عمر قال: حدّثنا علي بن محمد، عن أبي مخنف، عن نمير بن وعله، عن الشعبيّ مسلمة بن محارب، عن حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية:

[1] الخوخة في لغة أهل الحجاز: مخترق ما بين كل دارين لم ينصب عليها باب. و هي أشبه بالمر يسلك بين الدارين.

[2] بسيفي: كذا في ف. و في الأصول: بنفسي.

[3] ثلاثة: تريد رسول الله صلّى الله عليه و سلّم و أبا بكر و عمر رضي الله عنهما.

/أن نائلة بنت الفرافصة كتبت إلى معاوية بن أبي سفيان، و بعثت بقميص عثمان مع التَّعمان بن بشير، أو عبد الرَّحمن بن حاطب بن أبي بلتعة: «من نائلة بنت الفرافصة إلى معاوية بن أبي سفيان.

أما بعد، فإني أذكركم بالله الذي أنعم عليكم، و علمكم الإسلام، و هداكم من الضلالة، و أنقذكم من الكفر، و نصركم على العدو، و أسبغ النعمة [1]؛ و أنشدكم بالله، و أذكركم حقه و حق خليفته الذي لم تنصروه [2]، و بعزمة الله عليكم، فإنه عز و جل يقول: **وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَبْغِيَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ [3]**. و إن أمير المؤمنين بغي عليه، و لو لم يكن له عليكم حقٌّ إلا حقُّ الولاية، ثم أتى إليه بما أتى، لحقَّ علي كل مسلم يرجو أيام الله أن ينصره، لقدمه في الإسلام، و حسن بلائه، و أنه أجاب داعي الله، و صدَّق كتابه [4]، و الله أعلم به إذ انتجبه، فأعطاه شرف الدنيا و شرف الآخرة.

و إني أقص عليكم خبره، لأنني كنت مشاهدة أمره كله، حتى أفضي إليه: و إن أهل المدينة حصره في داره، يحرسنه ليلهم و نهارهم. قيام على أبوابه بسلاحهم، يمنعونه كل شيء قدروا عليه، حتى منعوه الماء، يحضرونه الأذي، و يقولون له الإفك. فمكث هو و من معه خمسين ليلة، و أهل مصر قد أسندوا أمرهم إلى محمد بن أبي بكر و عمار بن ياسر، و كان عليّ مع المحرّضين من أهل المدينة، و لم يقاتل مع أمير المؤمنين، و لم ينصره، و لم يأمر بالعدل الذي أمر الله تبارك و تعالى به. فظلت تقاتل خزاعة و سعد بن بكر و هذيل، و طوائف من مزينة و جهينة، / و أنباط يثرب، و لا أرى سائرهم، و لكنني سميت لكم الذين كانوا أشد الناس عليه في أول أمره و آخره. ثم إنه رمى بالنبل و الحجارة، فقتل ممن كان في الدار ثلاثة نفر، فأتوه يصرخون إليه، ليأذن لهم في القتال، فنهاهم عنه، و أمرهم أن يردوا عليهم نبلهم، فردّوها إليهم، فلم يزداهم ذلك على القتال إلا جراءة، و في الأمر إلا إغراء. ثم أحرقوا باب الدار، فجاءه ثلاثة نفر من أصحابه، فقالوا: إن في المسجد ناسا يريدون أن يأخذوا أمر الناس بالعدل، فأخرج إلى المسجد حتى يأتوك، فانطلق فجلس فيه ساعة، و أسلحة القوم مطلة عليه من كل ناحية، و ما أرى أحدا يعدل، فدخل الدار، و قد كان نفر من قريش على عامتهم السلاح، فلبس درعه، و قال لأصحابه: لو لا أنتم ما لبست درعا، فوثب عليه القوم، فكلمهم ابن الزبير، و أخذ عليهم ميثاقا في صحيفة، بعث

بها إلى عثمان: إن عليكم عهد الله و ميثاقه ألاّ تعرّوه بشيء، فكلّموه و تخرجوا، فوضع السلاح، فلم يكن إلا وضعه، حتّى دخل عليه القوم يقدّمهم ابن أبي بكر، حتّى أخذوا بلحيته، و دعوه باللّقب. فقال: أنا عبد الله و خليفته، فضربوه على رأسه ثلاث ضربات، و طعنوه في صدره ثلاث طعنات، و ضربوه على مقدم الجبين فوق الأنف ضربة أسرع في العظم، فسقطت عليه و قد أثخنوه و به حياة، و هم يريدون قطع رأسه، ليذهبوا به، فأتتني بنت شيبه بن ربيعة، فألقت نفسها معي عليه، فوطئنا و طئنا شديدا، و عرّينا من ثيابنا، و حرمة أمير المؤمنين أعظم.

فقتلوه رحمة الله عليه في بيته، و على فراشه. و قد أرسلت إليكم بثوبه، و عليه دمه، و إنه و الله لئن كان أثم من قتله، [1]ف: و أوسع عليكم النعمة.

[2]ف: و حق خليفته أن تنصروه.

[3]سورة الحجرات آية: 9.

[4]كذا في ف. و في الأصول: رسوله.

لما يسلم من خذله. فانظروا أين أنتم من الله جل و عز، فإننا نشكي ما
 مسنا إليه، و نستنصر وليه و صالح عباده.
 و رحمة الله على عثمان، و لعن الله من قتله، و صرعهم في الدنيا
 مصارع الخزي و المذلة، و شفى منهم الصدور» .
 /فحلف رجال من أهل الشام ألا يطنوا النساء حتى يقتلوا قتلته، أو
 تذهب أرواحهم.

صوت

شعر لعبد يغوث بن وقاص الحارثي و هو في الأسر

فيا راكبا إما عرضت [1] فبلّغن # ندماي من نجران أن لا تلاقيا

/أبا كرب و الأيهمين كليهما # و قيسا بأعلى حزموت اليمانيا

و تضحك مئّي شيخة عبشميّة # كأن لم ترا قبلي أسيرا يمانيا

أقول و قد شدّوا لساني بنسعة [2] # أ معشر تيم أطلقوا عن لسانيا

الشعر لعبد يغوث بن صلاة الحارثي. و الغناء لإسحاق، ثقيل أول.

[1] أتيت العروض، و هي مكة.

[2] نسعة: قطعة من الجلد.

23- أخبار عبد يغوث و نسبه

نسبه

هو عبد يغوث بن صلاة. و قيل: بل هو عبد يغوث بن الحارث بن وقاص بن صلاة- و هو قول ابن الكلبي- بن المغل، و اسم المغل: ربيعة بن كعب الأرت[1] بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن خالد بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

منزلته في قومه و شاعريته

قال ابن الكلبي: قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح. قال: و كان يقال ليعرب: المرعف.

و كان عبد يغوث بن صلاة شاعرا من شعراء الجاهلية، فارسا سيدا لقومه من بني الحارث بن كعب، و هو كان قائدهم في يوم الكلاب الثاني، إلى بني تميم، و في ذلك اليوم أسر فقتل. و عبد يغوث من أهل بيت شعر معرق لهم في الجاهلية و الإسلام، منهم اللجلاج الحارثي، و هو طفيل بن يزيد بن عبد يغوث بن صلاة، و أخوه مسهر فارس شاعر، و هو الذي طعن عامر بن الطفيل في عينه يوم فيف الريح. و منهم ممن أدرك الإسلام جعفر بن علبة بن ربيعة بن الحارث بن عبد يغوث بن الحارث بن معاوية بن صلاة، و كان فارسا شاعرا صعلوكا، أخذ في دم، فحبس بالمدينة، ثم قتل صبورا. و خبره يذكر منفردا، لأن له شعرا فيه غناء.

شعره في يوم الكلاب

و الشعر المذكور في هذا الموضع لعبد يغوث بن صلاة، يقوله في يوم الكلاب الثاني[2]، و هو اليوم الذي جمع فيه قومه و غزا بني تميم، فظفرت به بنو تميم، و أسروه و قتل يومئذ.

حديث يوم الكلاب

و كان من حديث هذا اليوم، فيما ذكر أبو عبيدة، عن أبي عمرو بن العلاء، و هشام بن الكلبي عن أبيه، و المفضل بن محمد الضبي، و إسحاق بن الجصاص عن العنبري، قالوا:

لما أوقع كسرى بني تميم يوم الصفا بالمشقر، فقتل المقاتلة، و بقيت الأموال و الذراري، بلغ ذلك مذحجا، فمشى بعضهم إلى بعض، و قالوا: اغتتموا بني تميم، ثم بعثوا الرسل في قبائل اليمن و أحلافها من قضاة، فقالت مذحج للمأمور الحارثي، و هو كاهن: ما ترى؟ فقال لهم: لا تغزوا بني تميم، فإنهم يسرون أغبابا[3]، و يردون [1]ف: الأرب.

[2] سماه صاحب «العقد» يوم الصفقة.

[3] أغبابا: كذا في «النقائض» (1: 149) يعني أنهم يسيرون منقلتين في منقلة واحدة، أخذ من الغب. و في الأصول: أعقابا.

مياها جبابا، فتكون غنيمتكم ترابا. قال أبو عبيدة: فذكر أنه اجتمع من مذحج و لُقها اثنا عشر ألفا، و كان رئيس مذحج عبد يغوث بن صلاءة، و رئيس همدان يقال له مسرّح[1]، و رئيس كندة البراء بن قيس بن الحارث. فأقبلوا إلى تميم، فبلغ ذلك سعدة و الرّباب، فانطلق ناس من أشرافهم إلى أكرم بن صيفي، و هو قاضي العرب يومئذ، فاستشاروه، فقال لهم: أقلوا الخلاف على أمرائكم، و اعلموا أن كثرة الصّياح من الفشل، و المرء يعجز لا محالة.

يا قوم تثبتوا، فإن أحزم الفريقين الرّكين، و رب عجلة تهب ريثا. و اُتروا للحرب[2]، و ادرعوا الليل، فإنه أخفى للويل، و لا جماعة لمن اختلف.

فلما انصرفوا من عند أكرم تهيئوا، و استعدّوا/للحرب، و أقبل أهل اليمن، من بني الحارث من أشرافهم يزيد بن عبد المدان و يزيد بن مخرم، و يزيد بن الطيثم[3] بن المأمور، و يزيد بن هوبر، حتى إذا كانوا بتميم[4] نزلوا قريبا من الكلاب، /و رجل من بني زيد بن رباح بن يربوع، يقال له مشمّت بن زنباع في إبل له، عند خال له من بني سعدة، يقال له زهير بن[5] بو، فلما أبصرهم المشمّت قال لزهير: دونك الإبل، و تنحّ عن طريقهم، حتى آتي الحيّ فأنذرهم. قال: فركب المشمّت ناقة، ثم سار حتى أتى سعدة و الرّباب و هم على الكلاب، فأنذرهم، فأعدّوا للقوم، و صبّحوهم، فأغاروا على النعم فطردوها، و جعل رجل[من أهل اليمن] يرتجز و يقول: في كل عام نعم ننتابه # على الكلاب غيّبا أربابه

قال: فأجابه غلام من بني سعدة كان في النعم، على فرس له، فقال: عما قليل ستري أربابه # صلب القناة حازما شبابه

على جياذ ضمّر عيابه

قال: فأقبلت سعدة و الرّباب، و رئيس الرّباب النعمان بن جساس، و رئيس بني سعدة قيس بن عاصم المنقريّ. قال أبو عبيدة: اجتمع العلماء على أن الرئيس كان يومئذ قيس بن عاصم. فقال ضبّيّ حين دنا من القوم: في كلّ عام نعم تحوونه # يلقحه قوم و تنتجونه

أربابه نوکی فلا يحمونه # و لا يلاقون طعانا دونه

أنعم الأبناء تحسبونه # هيهات هيهات لما ترجونه

فقال ضمرة بن لبيد الحماسي^[6]: أنظروا إذا سقتم النعم، فإن أتتكم الخيل عصبا عصبا، و ثبتت الأولى للأخرى، حتى تلحق، فإن أمر القوم هيين. و إن لحق/بكم القوم، فلم ينظروا إليكم حتى يردّوا وجوه النعم، و لا ينتظر بعضهم بعضا، فإن أمر القوم شديد. و تقدمت سعد و الزّباب، فالتقوا في أوائل الناس، فلم يلتفتوا إليهم، و استقبلوا النّعم من قبل وجوهها، فجعلوا يصرفونها بأرماحهم، و اختلط القوم، فاقتتلوا قتالا شديدا يومهم، حتى إذا كان من [1] «النقائض» : مشرح.

[2] «النقائض» : و ابرزوا للحرب.

[3] ف: الطيسم. «النقائض» : الكيشم.

[4] ف: بشير. و تيمن: ما بين نجران إلى بلاد بني تميم.

[5] «النقائض» : و معه رجل يقال له زهير. و ذكر ابن عبد ربه («العقد الفريد 5: 226) أن الذي حذرهم ابن لجزء بن جزء الباهلي.

[6] كذا في «النقائض» (1: 150) و «العقد الفريد» (5: 226) و هو الصحيح كما يلي. و في الأصول: ضمرة بن أسد الحارثي.

آخر النهار قتل النعمان بن جساس، قتله رجل من أهل اليمن، كانت أمه من بني حنظلة، يقال له عبد الله بن كعب، وهو الذي رماه، فقال للنعمان حين رماه: خذها وأنا ابن الحنظلية. فقال النعمان: ثكلتك أمك، رب حنظلية قد غاظتني [1]. فذهبت مثلاً، وظن أهل اليمن أن بني تميم سيهدّهم قتل النعمان، فلم يزدتهم ذلك إلا جراءة عليهم، فاقتتلوا حتى حجز بينهم الليل، فباتوا يحرس بعضهم بعضاً، فلما أصبحوا غدوا على القتال، فنادى قيس بن عاصم: يال سعد، و نادى عبد يغوث: يال سعد. قيس بن عاصم يدعو سعد بن زيد مناة بن تميم، و عبد يغوث يدعو سعد العشيرة. فلما سمع ذلك قيس نادى: يال كعب، فنادى عبد يغوث: يال كعب. قيس يدعو كعب بن سعد، و عبد يغوث يدعو كعب بن عمرو [2]. فلما رأى ذلك قيس من صنيع عبد يغوث، قال: ما لهم أخزاهم الله ما ندعو بشعار إلا دعوا بمثله. فنادى قيس: يال مقاعس، يعني بني الحارث بن عمرو بن كعب، و كان يلقب مقاعسا، فلما سمع وعلة بن عبد الله الجرمي الصوت، و كان صاحب اللواء يومئذ، طرحه، و كان أول من انهزم/من اليمن، و حملت عليهم بنو سعد و الرباب، فهزموهم أفضع هزيمة، و جعل رجل منهم يقول: يا قوم لا يفلتكم اليزيدان # مخزّما أعني به و الدّيان

/و جعل قيس بن عاصم ينادي: يال تميم: لا تقتلوا إلا فارسا، فإن الرّجاله لكم. و جعل يرتجز و يقول: لما تولوا عصبا شوازبا [3] # أقسمت لا أطعن إلا راكبا

إني وجدت الطعن فيهم صائبا

و جعل يأخذ الأسارى، فإذا أخذ أسيرا قال له: ممن أنت؟ فيقول: من بني زعبل، و هو زعبل بن كعب، أخو الحارث بن كعب، و هم أنذال، فكان الأسارى يريدون بذلك رخص الفداء، فجعل قيس إذا أخذ أسيرا منهم، دفعه إلى من يليه من بني تميم، و يقول: أمسك حتى أصطاد لك زعبلة أخرى، فذهبت مثلاً. فما زالوا في آثارهم يقتلون و يأسرون، حتى أسر عبد يغوث، أسره فتى من بني عمير بن عبد شمس. و قتل يومئذ علقمة بن سباع [4] القريعي، و هو فارس هبّود، و هبّود فرس عمرو بن الجعيد المرادي [و كان علقمة قتل عمرا و أخذ فرسه من تحته]، و أسر الأهتم، و اسمه سنان بن سميّ بن خالد بن منقر، و يومئذ سمّي الأهتم-رئيس كندة البراء بن قيس، و قتلت التيم الأوبر الحارثي، و آخر من بني الحارث يقال له معاوية، قتلهما النعمان بن جساس، و قتل يومئذ من أشرفهم خمسة، و قتلت بنو

ضبة ضمرة بن لبيد الحماسي الكاهن، قتله قبيصة بن ضرار بن عمرو الضبي.

و أما عبد يغوث فانطلق به العيشمي إلى أهله، و كان العيشمي أهوج، فقالت له أمه- و رأت عبد يغوث عظيما جميلا جسيما-: من أنت؟ قال: / أنا سيد القوم. فضحكت، و قالت: قبحك الله من سيد قوم حين أسرك هذا الأهوج. فقال عبد يغوث: و تضحك مني شيخة عيشميّة # كأن لم ترا قبلي أسيرا يمانيا

ثم قال لها: أيتها الحرة، هل لك إلى خير؟ قالت: و ما ذاك؟ قال: أعطي ابنك مائة من الإبل و ينطلق بي إلى الأهم، [1] «النقائض» : رب ابن حنظلية قد غاظني.

[2] «العقد الفريد» (5: 227) : كعب بن مالك.

[3] شواذب: جمع شاذب، و هو الشاحب الضامر. و في «العقد الفريد» (5: 227) : هواربا.

[4] «النقائض» (1: 152) : سباح.

فإنني أتخوف أن تنتزعني سعد و الرّباب منه، فضمن له مائة من الإبل،
و أرسل إلى بني الحارث، فوجهوا بها إليه، فقبضها العبشمي، فانطلق به
إلى الأهتم، و أنشأ عبد يغوث يقول: أ أهتم يا خير البرية والدا # و رهطا إذا
ما الناس عدّوا المساعيا

تدارك أسيرا عانيا في بلادكم # و لا تتقفّي [1] التيم ألقى الدواها

فمشت سعد و الرّباب فيه. فقالت الرّباب: يا بني سعد، قتل فارسنا و
لم يقتل لكم فارس مذكور، فدفعه الأهتم إليهم، فأخذه عصمة بن
أبير [2] التيمي، فانطلق به إلى منزله، فقال عبد يغوث: يا بني تيم، اقتلوني
قتلة كريمة.

فقال له عصمة: و ما تلك القتلة؟ قال: اسقوني الخمر، و دعوني أنح
على نفسي، فقال له عصمة: نعم. فسقاه الخمر، ثم قطع له عرقا يقال له
الأكل، و تركه ينزف، و مضى عنه عصمة، و ترك مع ابنين له، فقالا: جمعت
أهل اليمن و جئت لتصطلمنا، فكيف رأيت الله صنع بك؟ فقال عبد يغوث في
ذلك:

قصيدة عبد يغوث المشهورة

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا # فما لكما في اللوم نفع و لا ليا
/ لم تعلمنا أن الملامة نفعها # قليل و ما لومي أخي من شماليا [3]
فيا راكبا إما عرضت فبلّغن # ندامي من نجران أن لا تلاقيا [4]
/ أبا كرب و الأيهمين كليهما # و قيسا بأعلى حضرموت اليمانيا
جزى الله قومي بالكلاب [5] ملامة # صريحهم و الآخرين المواليا
و لو شئت نجّتني من الخيل نهدة # ترى خلفها الحو [6] الجياد تواليا
و لكنني أحمي دمار أبيكم # و كان الرماح يختطفن المحاميا
و تضحك مني شيخة عبشمية # كأن لم ترا [7] قبلي أسيرا يمانيا
و قد علمت عرسي مليكة أنني # أنا الليث معدّوا عليه و عاديا
أقول و قد شدّوا لساني بنسعة # أ معشر تيم أطلقوا لي لسانيا [8]

[1] ثقفه: ظفر به.

[2] ف: أثير.

[3] الشمال: الخلق، يريد شمالي.

[4] عرضت: أتيت العروض، و هي مكة و المدينة و ما حولهما.

[5] الكلاب، بضم الكاف: اسم موضع كانت فيه الموقعة، قال البكري: و هو قدة بعينها، أعلاه مما يلي اليمن، و أسفله مما يلي العراق.

[6] النهدة: المرتفعة. و الحو من الخيل: التي تضرب إلى الخضرة، و إنما خص الحو، لأنه يقال إنها أصبر الخيل و أخفها عظاما إذا عرقت لكثرة الجري.

[7] قال ابن السيد: قوله «كأن لم ترى» : رجوع من الإخبار إلى الخطاب. و يروي على الإخبار، و في إثبات الألف وجهان: أحدهما: أن يكون ضرورة. و الثاني: أن يكون على لغة من قال «راء» مقلوب «رأي» . فجزم، فصار «ترأ» ، ثم خفف الهمزة، فقلبها ألفا، لانفتاح ما قبلها: و هذه لغة مشهورة.

[8] ف: من لسانيا. و النسعة: سير منسوج. و في شد اللسان بها قولان: الأول: أن هذا مثل، لأن اللسان لا يشد بنسعة، و إنما أراد: -

أ معشر تيم قد ملكتم فأسجحوا # فإن أخاكم لم يكن من بوائيا [1]
 فإن تقتلوني تقتلوا بي سيدا # و إن تطلقوني تحربوني بما ليا [2]
 أ حقًا عباد الله أن لست سامعا # نشيد الرّعاء المعزيين المتاليا [3]
 /و قد كنت نحر الجزور و معمل الـ # مطي و أمضي حيث لا حيّ ماضيا
 و أنحر للشرب الكرام مطيتي # و أصدع بين القينتين ردايا [4]
 و عادية سوم الجراد وزعتها # بكفي و قد أنحوا إليّ العواليا [5]
 كأنني لم أركب جوادا و لم أقل # لخلي كزي نقي عن رجاليا [6]
 و لم أسبا الرّوق الروي و لم أقل # لأيسار صدق أعظموا ضوء ناربا [7]

قال: فضحكت العيشمية، و هم آسروه. و ذلك أنه لما أسروه شدوا لسانه بنسعة، لئلا يهجوهم، و أبوا إلا قتله، فقتلوه بالنعمان بن جساس.

ما قيل من الشعر بعد الوقعة

فقال صفيه بنت الخرع ترثي النعمان:

نطاقه هندواني و جبتّه # فصفاضة كأضاه التهي موضوعه [8]
 لقد أخذنا شفاء النفس لو شفيت # و ما قتلنا به إلا أمرا دونه

و قال علقمة بن سباع لعمر بن الجعيد:

لما رأيت الأمر مخلوجة # أكرهت فيه ذابلا مارنا [9]

قلت له: خذها فإني امرؤ # يعرف رمحي الرجل الكاهنا

/قوله: «يعرف رمحي الرجل الكاهنا» يريد: أن عمرو بن الجعيد كان كاهنا. و هو أحد بني عامر بن الدّيل بن افعلوا بي خيرا ينطلق لساني بشكركم، فإن لم تفعلوا فلساني مشدود لا يقدر على مدحكم. و الثاني أنهم شدوه بنسعة خفيفة، و إليه ذهب الجاحظ في «البيان و التبيين» ؛ و حكى ابن الأنباري أنهم ربطوه بنسعة مخافة أن يهجوهم.

[1]أسجحوا: سهلوا و يسروا. البواء: السواء، أي لم يكن أخوكم نظير لي، فأكون بواء له.

[2]تحربوني: تسلبوني و تغلبوني.

[3]الرّعاء: جمع راع. و المعزب: المتنحي بإبله. و المتالي: جمع متلية، و هي التي يتبعها أولادها.

[4]أصدع: أشق. و القينة هنا: الأمة المغنية.

[5]العادية: القوم يركضون. و سوم الجراد: أي كسومه، و هو انتشاره في المرعى. و وزعتها: كفتها و منعتها. و أنحوا الرماح: أمالوها و قصدوا بها. و العوالي: جمع عالية، و هي من الرمح أعلاه أو ما دون السنان بذراع.

[6]نفسى: و سعي. و روي: قاتلي.

[7]أسبأ الزق: أشتره للشرب لا للبيع. و الأيسار: جمع ياسر، و هو الذي يضرب قداح الميسر. و قد ذكرت قصيدة عبد يغوث بتمامها في «المفضليات» . و ساق ابن عبد ربه في «العقد» آخر الكلام على يوم «الصفقة» الأبيات التي أنشدها المؤلف هنا. و ذكر كلاما عن أبي عبيدة يثير الشك في قصيدة عبد يغوث هذه، و أنها صنعت في الإسلام.

[8]الأضاة: مسيل الماء إلى الغدير. و النهي: الغدير. و موضونة: مثنى بعضها على بعض، لسعتها.

[9]يقال: أمرهم مخلوج: غير مستقيم، و وقعوا في مخلوجة من أمرهم: أي اختلاط. و الذابل: الرمح. و المارن: اللين في صلابه.

شَنَّ بن أفصى بن عبد القيس، و لم يزل ذلك في ولده. و منهم الرِّباب بن البراء، كان يتكهن، ثم طلب خلاف أهل الجاهلية، فصار على دين المسيح عليه السلام، فذكر أبو اليقظان أن الناس سمعوا في زمانه مناديا ينادي في الليل، و ذلك قبل مبعث النبي صلى الله عليه و سلم: خير أهل الأرض رباب الشَّنِّي، و بحيرا الراهب، و آخر لم يأت بعد. قال: و كان لا يموت أحد من ولد الرِّباب إلا رأوا على قبره طشا[1]. و من ولده مخربة، و هو أحد أجواد العرب، و إنما سمي مخربة لأن السلاح خربه، لكثرة لبسه إياه؛ و قد أدرك النبي صلى الله عليه و سلم، فأسلم، / فأرسله إلى ابن الجندى العماني. و ابنه المثنى بن مخربة أحد وجوه أصحاب المختار، و كان قد وجهه إلى البصرة ليأخذها، فحاربه عبّاد بن الحصين فهزمه، و كان ابنه بلج بن المثنى جوادا، و فيه يقول بعض شعراء عبد القيس: ألا يا بلج بلج بني المثنى # و أنت لكل مكرمة كفاء

ألومك طائعا ما دمت حيّا # عليّ إذن من الله العفاء[2]

كفى قوما مكارم ضيّعوها # و أحسن حين أبصرهم أساءوا

رجع الخبر إلى سياقة حديث عبد يغوث و الواقعة

قال: فأما وعلة بن عبد الله الجرمي، فإنه لحقه رجل من بني سعد، فعقر به، فنزل؛ و جعل يحضر على رجله، فلحق رجلا من بني نهد يقال له سليط بن قتب، من بني رفاعة، فقال له لما لحقه: أردفني، فأبى، فطرحه، عن فرسه، و ركب عليها، و أدركت الخيل النهديّ فقتلوه، فقال وعلة في ذلك: /

و لما سمعت الخيل تدعو مقاعسا # علمت بأن اليوم أغبر فاجر

نجوت نجا ليس فيه و وتيرة[3] # كأني عقاب دون تيمن[4] كاسر

خدارية صقعاء لبّ ريشها # بطخفة يوم ذو أهاضيب ماطر[5]

و قد قلت للنهديّ: هل أنت مردفي # و كيف رداق الفلّ أمك عاثر[6]

فإن أستطع لا تبتئس بي مقاعس # و لا يرني باديهم و الحواضر

فدى لكما رجليّ أمني و خالتي # غداة الكلاب إذ تحز الحناجر

فمن كان يرجو في تميم هوادة # فليست لجرم في تميم أواصر

و قالت نائحة عمرو بن الجعيد:

أشباب قذال الرأس مصرع سيّد # و فارس هبّود أشباب النواصيا

[1]الطش: المطر الضعيف.

[2]ألومك: أي لا ألومك.

[3]و وتيرة: توان.

[4]في الأصول: تيماء. و التصويب عن «النقائض» (1: 155) و «الخرانة» (1: 199) و «معجم البلدان»: رسم تيمن (1: 909) ، و «العقد الفريد» (5: 231) .

[5]الخدارية: العقاب لسوادها. و الصقعاء: ذات بياض في وسط رأسها. و طخفة: موضع. و الأهاضيب: جمع أهضوبة، و هي الدفعة من المطر.

[6]الفل: المنهزم.

و قال محرز بن مكعب الصَّبِّي: فدى لقومي ما جمعت من نشب [1] #
إذ سافت الحرب أقواما لأقوام

قد حدّثت مذحج عنا و قد كذبت # أن لا يورّع [2] عن نسواننا حام
دارت رحاهم قليلا ثم واجههم # ضرب يصحّ منهم [3] مسكن الهام
ساروا إلينا و هم صيد [4] رءوسهم # فقد جعلنا لهم يوما كأيام
/ظلت صباع مجيرات يعدنهم [5] # و أحموهن منهم أيّ إلحام
ظلت تدوس [6] بني كعب بكلكها # و هم يوم بني نهد بإظلام

و قال أوس بن مغراء:

و في يوم الكلاب إذ اعترتنا [7] # قبائل أقبلوا متناسينا
قبائل مذحج اجتمعت و جرم # و همدان و كندة أجمعينا
و حمير ثم ساروا في لهام # على جرد جميعا قادرينا
فلما أن أتونا لم نكدّب # و لم نسألهم أن يمهلونا
/قتلنا منهم قتلى و ولى # شريدهم شعاعا [8] هاريننا
و فاطت [9] منهم فينا أسارى # لدينا منهم متخشّعينا

و قال ذو الرّمة غيلان بن عقبة في ذلك [10]: و عمّي الذي قاد الرّباب
جماعة # و سعدهم الرأس الرئيس المؤمّر

عشية أعطتنا أزمة أمرها # ضرار بنو القرم الأغرّ و منقر
و عبد يغوث تحجل الطير حوله # قد احتزّ عرشيه الحسام المذكّر

العرشان: عرقان في العنق:

عشيّة فرّ الحارثيون بعد ما # قضى نحبه في معرك الخيل هوبر

[1] ف: سبد.

[2] يورع: يكف.

[3] ف و «النقائض»: يصيح منه.

[4] الصيد: جمع أصيد، و هو الذي يرفع رأسه كبيرا.

[5] كذا في ف. و في الأصول: «ظلت مطيا لحراز تعذبهم» و في
«العقد الفريد» (5: 233): تجرّهم. و أحموهن: أطعموهن اللحم.

و معجيرات: موضع.

[6] تدوس: كذا في «النقائض» و «العقد» . و في الأصول: رءوس.

[7] ف: اعترتنا: أي جاءتنا. و في الأصول: إذا غزتنا.

[8] شعاعا: متفرقين في كل ناحية.

[9] فاضت: هلكت.

[10] «ديوانه» 232. و فيه اختلاف في الرواية.

و قال أخو جرم ألا لا هوادة # و لا وزر إلا النجاء المشمر
/أبى الله إلا أننا آل خندف # بنا يسمع الصوت الأنام و يبصر
إذا ما تمصّرنا فلا ناس[1]غيرنا # و نضعف أحيانا و لا تتمصّر

و قال أيضا[2]:

فما شهدت خيل امرئ القيس غارة # بثعلان تحمي عن ثغور الحقائق
أثرنا به نقع الكلاب و أنتم # تثيرون نقع الملتقى بالمعازق
أدرنا على جرم و أفناء مذبح # رحى الموت فوق العاملات الخوافق
صدمناهم دون الأمانيّ صدمة # عماسا بأطواد طوال شواهي
إذا نطحت شهباء شهباء بينها # شعاع القنا و المشرفيّ البوارق

و قال البراء بن قيس الكنديّ:

قتلتنا تميم يوما جديدا[3] # قتل عاد و ذاك يوم الكلاب
يوم جئنا يسوقنا الحين سوقا # نحو قوم كأنهم أسد غاب
سرت في الأزد و المذاحج طرّا # بين صلّ و كاشر الأنياب[4]
و بني كندة الملوك و لحم # و جذام و حمير الأرباب
و مراد و خنعم و زبيد # و بني الحارث الطوال الرّغاب
و حشدنا الصميم نرجو نهابا # فلقينا البوار دون الثّهاب
لقيتنا أسود سعد و سعد # خلقت في الحروب سوط عذاب
تركوني مسهّدا في وثاق # أرقب النجم ما أسيع شرابي
خائفا للردى و لو لا دفاعي # بمئين عن مهجتي كالضباب
/لسقيت الرّدى و كنت كقومي # في ضريح مغيّبا في التراب
تذرف الدمع بالعويل نسائي # كنساء بكت قتيل الرّباب
فلعيني على الألى فارقوني # درر[5]من دموعها بانسكاب
كيف أبغي الحياة بعد رجال # قتلوا كالأسود قتل الكلاب
منهم الحارثيّ عبد يغوث # و يزيد الفتیان و ابن شهاب

[1] فلا ناس: كذا في ف. و في الأصول و «الديوان»: فما الناس.

[2] «ديوانه» (407). و فيه اختلاف في الرواية.

[3] ف: يوم جديد.

- [4] كذا في ف. و في الأصول: «و بكيل و حاشد الأنياب» .
- [5] الدرر: جمع درة، و هي الدفعة من المطر.

في مئين نعدّها و مئين # بعد ألف منوا بقوم غضاب
برجال من العرانيين شمّ # أشد حرب مححوضة الأنساب

و قال وعله بن عبد الله الجرمي:

عدلتني نهدي فقلت لنهد # حين حاست[1] على الكلاب أهاها
يوم كنا عليهم طير ماء # و تميم صقورها و بزها
لا تلوموا على الفرار فسعد # يال نهدي يخافها من يراها
إنما همّها الطعان إذا ما # كره الطعن و الضراب سواها
تركوا مذحجا حديثا مشاعا # مثل طسم و حمير و صداها
يال قحطان و ادعوا حيّ سعد # و ابتغوا سلمها و فضل نداها
إن سعد السعود أسد غياض # باسل بأسها شديد قواها
فضحت بالكلاب حار[2] بن كعب # و بنو كندة الملوك أبها
أسلموا للمنون عبد يغوث # و لعصّ الكبول حولا يراها
بعد ألف سقوا المنية صرّفا # فأصابت في ذاك سعد مناها
ليت نهديا و جرمها و مرادا # و المذاحيج ذو أناة نهاها
/عن تميم فلم تكن فقع قاع[3] # تبتدرها ربابها و مناها
قل ليكر العراق تستر عمرا # عمرو قيس فرأى عمرو قراها
عن تميم و لو غزتها لكانت # مثل قحطان مستباحا حماها

صوت

صوت لإبراهيم الموصلي في شعر له

ما بال شمس أبي الخطاب قد حجبت # أظنّ يا صاحبيّ الساعة اقتربت[4]
أولا فما بال ربح كنت أنسها # عادت عليّ بصرّ بعد ما جنبت[5]

[1] حاست: وطئت.

[2] حار: يريد حارث بن كعب. و قد رخمه في غير النداء شذوذا.

[3] فقع القاع: ضرب من الكمأة، تطؤه الإبل، و يضرب به المثل في
الحقارة و الذلة. و جزم تبتدرها ضرورة.

[4] كذا في ف. و في الأصول:

يا صاحبي لعل الساعة اقتربت

[5]ف: كنت قيمها. و الصرّ: البرد. و جنبت الريح: هبت جنوبا.

أشكو إليك [1] أبا الخطاب جارية # غريرة بفؤادي اليوم قد لعبت
و أنت قيّمها فانظر لعاشقها # يا ليت [2] قد قرّبت مني و ما بعدت

عروضه من البسيط. الشعر و الغناء لإبراهيم الموصليّ رمل بالبنصر،
عن الهشاميّ و علي بن يحيى. و ذكر محمد بن الحارث بن بُسْحُرَّ أن فيه
هزجا بالبنصر لإبراهيم بن المهديّ. و ذكر عمرو بن بانة أنه لإبراهيم
الموصليّ أيضا.

و أبو الخطاب الذي عناه إبراهيم الموصلي في شعره هذا: رجل نحّاس
يعرف بقرين، مولى العباسة بنت المهديّ، و كان إبراهيم يهوى جارية له،
يقال لها خنث [3]، و كانت من أجمل النساء و أكملهن، و كان لها خال فوق
شفتها العليا، و كانت تعرف بذات الخال، و لإبراهيم و لغيره فيها أشعار
كثيرة. نذكر منها كل ما كان فيه غناء بعد خبرها إن شاء الله.

[1] كذا في ف. و في الأصول: «إليك أشكو» .

[2] كذا في ف. و في الأصول: يا ليتها قربت.

[3] ف و «نهاية الأرب» (5: 91) : خشف.

24- أخبار ذات الخال

عشق إبراهيم لها و شراء الرشيد إياها

أخبرني بخبرها الحسين بن يحيى قال: حدثنا حماد بن إسحاق قال: حدثني أبي: أن جدي كان يتعشق جارية لقربن، المكنى بأبي الخطاب النخّاس، و كان يقول فيها الشعر/و يغنيّ فيه، فشهرها بشعره و غنائها، و بلغ الرشيد خبرها، فاشتراها بسبعين ألف درهم. فقال لها ذات يوم: أسألك عن شيء، فإن صدقتني و إلا صدقني غيرك و كذبتك. قالت له: بل أصدقك. قال: هل كان بينك و بين إبراهيم الموصليّ شيء قط، و أنا أحلفه أن يصدقني. قال: فتلكأت ساعة، ثم قالت: نعم، مرة واحدة. فأبغضها و قال يوما في مجلسه: أيكم لا يبالي أن يكون كشيخانا[1]، حتى أهب له ذات الخال. فبدر حموية الوصيف، فقال: أنا. فوهبها له، و فيها يقول إبراهيم: أ تحسب ذات الخال راجية ربّا # و قد فتنت[2] قلبا يهيم بها حبّا

و ما عذرها نفسي فداها و لم تدع # على أعظمي لحما و لم تبق لي لبّا

الشعر و الغناء لإبراهيم، خفيف[3] رمل بالسّبابة في مجرى الوسطى.

الرشيد يشتاقها بعد أن وهبها لحمويه

و ذكر أحمد بن أبي طاهر: أن الرشيد اشتراها بسبعين ألف درهم، و ذكر قصة حموية كما ذكرها حماد، و قال في خبره: فاشتاقها الرشيد يوما بعد ما وهبها لحمويه، فقال له: ويلك يا حموية، وهبنا لك الجارية على أن تسمع غنائها وحدك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، مر فيها بأمرك. قال: نحن عندك غدا. فمضى فاستعد لذلك، و استاجر لها من بعض الجوهريين بدنة[4] و عقودا ثمنها اثنا عشر ألف دينار. فأخرجها إلى الرشيد و هو عليها، فلما رآها[5]/أنكره. و قال: ويلك يا حموية! و من أين لك هذا و ما وليتك عملا تكسب فيه مثله، و لا وصل إليك مني هذا القدر! فصدقه عن أمره، فبعث الرشيد إلى أصحاب الجوهر فأحضرهم، و اشترى الجوهر منهم، و وهبه لها، ثم حلف ألا تسأله يومه ذلك شيئا إلا أعطاه، و لا حاجة إلا قضاها، فسأله أن يولي حموية الحرب و الخراج بفارس سبع سنين، ففعل ذلك، و كتب له عهده به، و شرط على ولي العهد بعده أن يتمها له إن لم تتم في حياته.

[1]الكشخان: الديوث.

[2]كذا في ف. و في الأصول: سلبت.

[3]خفيف: ساقطة من ف.

[4] البدنة: قميص لا كمي له، من ملابس النساء.
[5] ف: رأه.

قصها خالها و شعر العباس بن الأحنف فيها

حدثني محمد بن يحيى الصّوليّ قال: حدثني محمد بن عبد الله العاصميّ قال: حدثني أحمد بن عبد الله طمّاس، عن عبد الله و إبراهيم ابني العباس الصّوليّ قالا: كانت للرشيد جارية تعرف بذات الخال، فدعته يوما، فوعدها أن يصير إليها، و خرج يريدها، فاعترضته جارية، فسألته أن يدخل إليها، فدخل و أقام عندها، فشقّ ذلك على ذات الخال، و قالت: و الله لأطلبنّ له شيئا أغيظه به، و كانت أحسن الناس وجهها، و لها خال على خدها لم ير الناس أحسن منه في موضعه، فدعت بمقراض، فقصت الخال الذي كان في خدها، و بلغ ذلك الرشيد، فشق عليه، و بلغ منه، فخرج من موضعه، و قال للفضل بن الربيع: انظر من بالباب من الشعراء، فقال: الساعة رأيت العباس بن الأحنف. فقال: أدخله. فأدخله، فعزّفه الرشيد القصّة [1] و قال: اعمل في هذا شيئا، على معنى رسمه له، فقال:

صوت

تخلّصت ممن لم يكن ذا حفيظة # و ملت إلى من لا يغيّره حال

فإن كان قطع الخال لما تطلعت # إلى [2] غيرها نفسي فقد ظلم الخال

/غناه إبراهيم. فنهض الرشيد إلى ذات الخال مسرعا مسترضيا لها، و جعل هذين البيتين سببا، و أمر للعباس بألفي دينار، و أمر إبراهيم الموصليّ فغناه في هذا الشعر.

محمد بن موسى المنجم يعجبه التقسيم في الشعر

أخبرني محمد/بن يحيى الصّوليّ قال: حدثني محمد بن الفضل قال:

كان محمد بن موسى المنجم يعجبه التقسيم في الشعر، و يشغف بجيد الأشعار، فكان مما يعجبه قول نصيب:

صوت

أبا بعل ليلي كيف تجمع سلمها # و حربي و فيما بيننا شبت الحرب

لها مثل ذنبي اليوم إن كنت مذنبا # و لا ذنب لي إن كان ليس لها ذنب

عروضه من الطويل. و الشعر لنصيب، و يروى للمجنون، و يروى لكعب بن مالك الخثعمي. و الغناء لمالك، ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو. قال: و كان محمد بن موسى ينشد كثيرا للعباس بن الأحنف:

صوت

ألا ليت ذات الخال تلقى من الهوى # عشير الذي ألقى فيلنتم الشَّعب

إذا رضيت لم يهنني ذلك الرضا # لعلمي به أن سوف يتبعه العتب

[1] كذا في ف. و في الأصول: الخبر.

[2] كذا في ف. و في الأصول: تعطفت علي.

و أبكي إذا ما أذنبت خوف صدّها # و أسألها مرضاتها و لها الذنب

وصالكم صرم و حبكم قلى # و عطفكم صدّ و سلمكم حرب

و يقول: ما أحسن ما قسمم، حتى جعل بإزاء كل شيء ضدّه، و الله إن هذا لأحسن من تقسيمات إقليدس.

الغناء في هذه الأبيات الأربعة لإبراهيم الموصليّ، ثاني ثقيل بالوسطى، عن الهشاميّ.

جوّاري الرشيّد الثلاث اللائي هواهن

و كانت ذات الخال إحدى الثلاث الجوّاري اللواتي كان الرشيّد يهواهن، و يقول الشعر فيهن، و هن سحر، و ضياء، و خنث؛ و فيهن يقول الرشيّد: إن سحرا و ضياء و خنث # هنّ سحر و ضياء و خنث [1]

أخذت سحر و لا ذنب لها # ثلثي قلبي و ترباها التّلت

حدّثني محمد بن يحيى الصوليّ قال: حدثنا أحمد بن محمد الأسديّ قال: حدّثنا أحمد بن عبد الله بن عليّ بن سويد بن منجوف السّدوسيّ قال: حدّثني محمد بن إسماعيل بن صبيح قال: وجه الرشيّد إلى جاريته سحر لتصير إليه؛ فاعتلت عليه ذلك اليوم بعلّة، ثم جاءت من الغد، فقال الرشيّد: أيا من ردّ ودّي أم # س لا أعطيكه اليوما

و لا و الله لا أعطيه # ك إلا الصّدّ و اللّوما

و إن كان بقلبي من # ك حبّ يمنع التّوما [2]

أيا من سمته الوصل # فأغلى المهر و السّوما

قال: و فيهن يقول، و قد قيل إن العباس بن الأحنف قالها على لسانه:

صوت

ملك التّلاث الأنسات عناني # و حللن من قلبي بكلّ مكان

ما لي تطاوعني البرية كلها # و أطيعهن و هنّ في عصياني

ما ذاك إلا أن سلطان الهوى # و به عززن [3] أعزّ من سلطاني

غنّته عريب خفيف ثقيل الأول بالوسطى.

مجلس غناء و سمر

و روى أحمد بن أبي طاهر عن إسحاق قال:

[1]الخنث: المثنى و المنكسر، و ضم النون اتباعا للوزن.

[2]ف:

و إن كان بقلبي مذ # ك ما يمنعي النوما

[3]كذا في ف. و في الأصول: قوين

/وجه الرشيد إلى ذات الخال ليلة و قد مضى شطر الليل، فحضرت، فأخرج إليّ جارية كأنها المهابة، فأجلسها في حجره، ثم قال: غنني، فغنّته: جئن من الروم و قاليقلا # يرفلن في المرط و لين الملا

مقرطقات[1]بصنوف الحلى # يا حبّذا البيض و تلك الحلى

فاستحسنه و شرب عليه، ثم استؤذن للفضل بن الربيع، فأذن له، فلما دخل قال: ما وراءك في هذا الوقت؟ قال: كل خير يا أمير المؤمنين، و لكن حرى الساعة لي سبب لم يجز لي كتمانها أمير المؤمنين. قال: و ما ذاك؟ قال: أخرج إليّ في هذا الوقت ثلاث جوار لي: مكية، و مدينية[2]، و عراقية. فقبضت المدينة على ذكري، فلما أنعظت و ثبتت المكية فقعدت عليه، فقالت لها المدينة: ما هذا التعدي؟ أ لم تعلمي أن مالكا حدثنا عن الزهريّ عن عبد الله بن ظالم، عن سعيد بن زيد: أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: «من أحيا أرضا ميّنة فهي له» فقالت الأخرى: أ و لم تعلمي أن سيفيان حدثنا، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة: أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: «الصيد لمن صاده لا لمن أثاره» .

فدفعتهما العراقية عنه، و وثبت عليه، و قالت: هذا لي، و في يدي حتى تصطلحا. فضحك الرشيد، و أمره بحملهن إليه، ففعل، و حظين عنده، و فيهن يقول: ملك الثلاث الأنسات عناني # و حللن من قلبي بكل مكان

إعجاب الناس بشعر الرشيد في جواريه

حدثنا محمد بن يحيى قال: حدثنا الغلابيّ قال: حدثني مهديّ بن سابق قال: حججنا مع الرشيد آخر حجّة، فكان الناس يتناشدون له في جواريه: /

ثلاث قد حللن حمى فؤادي # و يعطين الرغائب من ودادي[3]

نظمت قلوبهن بخيط قلبي # فهنّ قرابتي حتى التنادي

فمن يك حلّ من قلب محلاً # فهن مع النواظر[4]و السواد

غناء لإبراهيم الموصلي في ذات الخال

و مما قاله إبراهيم و غيره في ذات الخال و غنّي فيه:

صوت

أ ذات الخال أقصيت # محبّا بكم صبّا

فلا أنسى حياتي ما # عبدت الدهر لي ربّا

و قد قلت أنيليني # فقالت أفرق الدنبا

[1] ف: مقرطات.

[2] نسبة إلى مدينة الرسول خاصة.

[3] كذا في ف. و في الأصول: «في ودادي» .

[4] كذا في ف. و في الأصول: من النواظر. -

الشعر و الغناء لإبراهيم، هزج بالوسطى عن عمرو. و منها:

صوت

أ ذات[1]الخال قد طال # بمن أسقمته الوجع
و ليس إلى سواكم في الـ # -لذي يلقي له فزع
أ ما يمنعك الإسلا # م من قتلي و لا الورع
و ما ينفك لي فيك # هوى تغتّره خدع

الشعر و الغناء لإبراهيم، هزج بالوسطى، عن عمرو. و منها:

صوت

ثعلب يا هذا الكثير العبت # بالله لَمَّا قلت لي عن خنت
عن ظبية تميم في مشيتها # أحسن من أبصرته في شعث
/فقال: قالت قل له أنت امرؤ # موكل فيما ترى بالعبت
و الله لو لا خصلة أرقبها # لقلّ في الدنيا لما بي لبثي

الشعر لإبراهيم، و له فيه لحنان: أحدهما ثقيل الأوّل، عن أبي العنيس.
و الآخر هزج بالبنصر عن عمرو. و فيه لعريب ثقيل أول آخر. و ذكر حبش أن
فيه لابن جامع هزجا آخر بالوسطى.

و ذكر هارون بن الزيات أن حماد بن إسحاق حدثه عن أبيه: أن ثعلبا
هذا، كان مملوكا لإبراهيم، فقال هذه الأبيات في خنت جارية جزء بن مغول
الموصلّي، و كانت مغنية محسنه، و خاطب ثعلبا فيها مستخبرا له.

و ذكر هارون بن محمد بن عبد الملك أن حماد بن إسحاق حدثه عن
أبيه: أنه قال في خنت جارية جزء بن مغول الموصلّي، و خاطب في شعره
غلاما يقال له ثعلب، و كانت خنت مغنية محسنة، و كانت تعرف بذات الخال.

صوت

ثعلب يا هذا الكثير الخبت # بالله إلا قلت لي عن خنت

و ذكر الأبيات.

قال: و قال له أيضا:

صوت

أبد لذات الخال يا ثعلب # قول امرئ في الحبّ لا يكذب

[1] سقط من أول هذا الشعر مقدار صفحتين من ف.

إني أقول الحق[1] فاستيقني # كل امرئ في حبه يلعب
الشعر و الغناء لإبراهيم، له فيه لحنان: رمل و خفيف ثقيل، عن ابن
المكيّ. و منها:

صوت

جزى الله خيرا من كلفت بحبه # و ليس به إلا المموه من حبي
و قالوا: قلوب العاشقين رقيقة # فما بال ذات الخال قاسية القلب؟
و قالوا لها هذا محبك معرضا # فقالت: أرى[2] إعراضه أيسر الخطب
فما هو إلا نظرة بتبسم # فتتشب رجلاه و يسقط للجنب

و منها:

صوت

إن لم يكن حب ذات الخال عثاني # إذن فحوّلت في مسك[3] ابن زيدان[4]
فإن هذي يمين ما حلفت بها # إلا على الحق في سري و إعلاني
الشعر و الغناء لإبراهيم، هزج بالبنصر.

و منها:

صوت

لقد أخلو بذات الخا # ل و الحراس قد هجعوا
فمن يبصر أبا الخطأ # ب يطلبها و يتبع[5]
ألا لم تر محزونا # تسنم صبره الجزع
و قارعني ففزت بها # و حازتها لي القرع
غناه إبراهيم، من رواية بذل عنه، و لم تذكر طريقته.

إبراهيم الموصلي يعد ذات الخال دنياه و دينه

قال عليّ بن محمد الهشاميّ: حدّثني جدي، يعني ابن حمدون، قال:
حدّثني مخارق قال: كنت عند إبراهيم الموصليّ و معي ابن زيدان صاحب
البرامكة، و إبراهيم يلاعبه بالشطرنج، فدخل علينا [1]أ: الشعر.

[2]أ: ألا.

[3]المسك: الجلد. يريد: مسخت و صيرت ابن زيدان. أي في مسلاخه و شبهه.

[4]إلى هنا ينتهي الساقط من نسخة (ف) .

[5]جواب الشرط محذوف، تقديره: ير منظرا مؤلما، و فسره في البيت الذي يليه، بأنك لم تر محزونا غلبه الجزع مثله.

إسحاق، فقال له أبوه: ما أفدت اليوم؟ فقال: أعظم فائدة. سألني رجل ما أفخم كلمة في الفم؟ فقلت: لا إله إلا الله. فقال له أبوه إبراهيم: أخطأت. هلا قلت: دنيا و دينا [1]. فأخذ ابن زيدان الشاه، فضرب به رأس إبراهيم، و قال له: يا زنديق، أ تكفر بحضرتي؟ فأمر إبراهيم غلمانه فضربوا ابن زيدان ضربا شديدا، فانصرف من ساعته إلى جعفر بن يحيى، فحدّثه بخبره. قال: و علم إبراهيم أنه قد أخطأ و جنى، فركب إلى الفضل بن يحيى، فاستجار به، فاستوهبه الفضل من جعفر، فوهبه له، فانصرف و هو يقول:

صوت

إن لم يكن حب ذات الخال عتّاني # إذا فحوّلت في مسك ابن زيدان
فإن هذي يمين ما حلفت بها # إلا على الصدق في سري و إعلاني

قال: و له في هذين البيتين صنعة، و هي هزج.
منها:

صوت

شعر إبراهيم الموصلي في ذات الخال

من يرحم محزوننا [2] # بذات الخال مفتونا
أبى فيها فما يسلو # و كل الناس يسلونا
/فقد أودى به السّقم # و قد أصبح مجنونا
فإن دام على هذا # ثوى في اللحد مدفونا

الشعر و الغناء لإبراهيم، خفيف ثقيل، عن الهشاميّ.
و منها:

صوت

لذات الخال أرّقني # خيال بات يلثمني
بكى و جرى له دمع # لما بالقلب من حزن
فلا أنساه أو أنسى # إذا أدرجت في كفني

الشعر و الغناء لإبراهيم، خفيف رمل بالوسطى، عن الهشاميّ.
و منها:

[1] يشير إبراهيم إلى قوله في ذات الخال: لا تلمني إن ذات الـ #
-خال دنيائي و ديني

(انظر صفحة 351 من هذا الجزء) .

[2] كذا في ف. و في الأصول: مجنوناً.

صوت

هل علمت اليوم يا عا # صم يا خير خدين
 أنّ ذات الخال تأتي # ني على رغم قرين
 لا تلمني إنّ ذات ال # خال دنياي و ديني
 و إلى حفص خليلي # و وزيري و أميني
 بحث لا أكتمه شي # نا من الداء[1]الدفين
 إنّ بي من حب ذات ال # خال شيئاً كالجنون

/فيه لإبراهيم هزج بالوسطى، عن ابن المكيّ.

و منها:

صوت

تقول ذات الخال # لي: يا خليّ البال
 فقلت: حاشاك من أن # يكون حالك حالي
 أعرضت عني لَمّا # أوقعنتني في الحبال
 إن الخليّ هو الغا # فل الذي لا يبالي

لإبراهيم من كتابه عن حبش فيه لحن. و ذكر ابن المكيّ أنه رمل.

و منها:

صوت

أ ما تعلم ذات الخا # ل فوق الشفة العليا
 بأنني لست أهوى غيد # -رها شيئاً من الدنيا
 و أنني عن جميع الذ # اس إلا عنهم أعمى
 و أنني لو سقيت الدّه # -ر من ريقك لا أروى

الشعر و الغناء لإبراهيم، رمل بالوسطى، عن عمرو و ابن المكيّ و غيرهما. و قد روى «أ ما تعلم يا ذا الخال»، و هذا هو الصحيح.

و منها:

صوت

يا ليت شعري كيف ذات الخال # أم أين تحسب حالها من حالي

[1] ف: السر.

هل أنسين منها و ضمّت مرة # رأسي إليها ثم قالت: مالي
ألزلة أقصيتني نفسي الفدا # لك [1] أم أطعت مقالة العذال
و الله ما استحسنت شيئاً مونقا # ألتده إلاّ خطرت بيالي

/الشعر و الغناء لإبراهيم، و له فيه لحنان: هزج بالأصابع كلها، عن ابن
المكيّ، و ثقيل أول بالوسطى، عن حبش.
و منها:

صوت

يا ليت شعري و النساء غوادر # خلف العدات وفاؤهن قليل
هل وصل ذات الخال يوما عائد # فتزول لوعاتي و حرّ غليلي [2]
أم قد تناست عهدنا و أحالها # عن ذاك ملك حال دون خليل

الشعر و الغناء لإبراهيم من كتابه، ثقيل أوّل بالبنصر، عن إسحاق بن
إبراهيم، و ابن المكيّ و الهشاميّ.
انقضت أخبارها.

صوت

صوت لحنين في شعر لحجر بن عمرو

إن من غرّه النساء بشيء # بعد هند لجاهل مغرور
حلوة القول و اللسان و مرّ # كل شيء أجنّ منها الضمير
كل أنثى و إن بدا لك منها # آية الحبّ حبّها خيتعور [3]

الشعر لحجر بن عمرو آكل المرار. و الغناء لحنين، ثاني ثقيل بالبنصر،
عن الهشاميّ. و فيه لنبيه ثقيل أوّل بالوسطى، عن حبش. و فيه رمل له [4].

[1] كذا في ف. و في الأصول: نفسي فداؤك.

[2] في الشعر إقواء.

[3] الخيتعور: الباطل، أو الذي لا يدوم على حال.

[4] إلى هنا ينتهي الجزء السادس عشر من نسخة ف.

25-نسب حجر بن عمرو، و السبب الذي من أجله قال هذا الشعر

نسبه

هو حجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع[1]، و اسمه عمرو بن ثور، و قيل: ابن معاوية بن ثور، و هو كندة بن عفير بن عدّي بن الحارث بن مزة بن ادد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان[2].

القتال بينه و بين ابن الهبولة

أخبرني بخبره محمد بن الحسن بن دريد إجازة، قال: حدّثني عمي، عن ابن الكلبيّ، عن أبيه، عن الشرقي بن القطاميّ قال:

أقبل تبع أيام سار إلى العراق، فنزل بأرض معدّ، فاستعمل عليهم حجر بن عمرو، و هو أكل المرار، فلم يزل ملكا حتى خرف، و له من الولد عمرو و معاوية و هو الجون. ثم إن زياد بن الهبولة بن عمرو بن عوف بن ضجعم بن حماطة بن سعد بن سليح القضاعيّ، أغار عليه و هو ملك في ربيعة بن نزار، و منزله بغمر ذي كندة، و كان قد غزا بريعة البحرين. فبلغ زيادا غزاته، فأقبل حتى أغار في مملكة حجر، فأخذ مالا كثيرا، و سبى امرأة حجر، و هي هند ابنة ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية، و أخذ نسوة من نساء بكر بن وائل.

فلما بلغ حجرا و بكر بن وائل مغاره و ما أخذ أقبلوا معه، و معه يومئذ أشراف بكر بن وائل، منهم عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان، و صليح بن عبد غنم بن ذهل بن شيبان، و سدوس بن شيبان بن ذهل، و ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، و عامر/بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة. فتعجل عمرو بن معاوية و عوف بن محلم، قالا لحجر: إنا متعجلان إلى الرجل، لعلنا نأخذ منه بعض ما أصاب منا. فلقياه دون عين أباغ، فكلمه عوف بن محلم، و قال: يا خير الفتيان، اردد عليّ ما أخذته مني. فأعطاه إياه. و كلمة عمرو بن معاوية في فحل إبله، فقال: خذه، فأخذه عمرو؛ و كان قويا. فجعل الفحل ينزع إلى الإبل، فاعتقله عمرو، فصرعه. فقال له ابن الهبولة: أما و الله يا بني شيبان، لو كنتم تعتقلون الرجال كما تعتقلون الإبل لكنتم أنتم أنتم. فقال عمرو: أما و الله لقد وهبت قليلا، و شتمت جليلا.

و لقد جررت على نفسك شرا، و لتجدني عند ما ساءك. ثم ركض حتى صار إلى حجر، فأخبره الخبر.

فأقبل حجر في أصحابه، حتى إذا كان بمكان يقال له «الحفير» بالبرّ، و هو دون عين أباغ، بعث سدوسا و صليعا يتجسسان له الخبر، و يعلمان له

علم العسكر. فخرجا حتى هجما على عسكره، و قد أوقد نارا، و نادى مناد له: من جاء بحزمة من حطب فله فدرة[3] من تمر. و كان ابن الهبولة قد أصاب في عسكر حجر تمرا كثيرا، فضرب قبابه، و أجج ناره، و نثر التمر بين يديه، فمن جاء بحطب أعطاه تمرا. فاحتطب سدوس و صليح[4]، ثم أتيا به ابن [1] مرتع: ضبطه في «التاج» كمحسن و محدث.

[2] في «كتب التراجم» اختلاف كثير في أسماء آباء حجر، و في ترتيبهم.

[3] فدرة: قطعة.

[4] أ، م: ضبيعة.

الهبولة، فطرحاه بين يديه، فناولهما من التمر، و جلسا قريبا من القبة. فأما صليح[1] فقال: هذه آية و علم[2] ما يريد، فانصرف إلى حجر، فأعلمه بعسكره، و أراه التمر. و أما سدوس فقال: لا أبرح حتى آتية بأمر جليّ. فلما ذهب هزيع من الليل أقبل ناس من أصحابه يحرسونه، و قد تفرّق أهل العسكر في كل ناحية، فضرب سدوس بيده إلى جليس له، فقال له: من أنت؟ مخافة أن يستنكر. / فقال: أنا فلان ابن فلان. قال: نعم. و دنا سدوس من القبة، فكان حيث يسمع الكلام، فدنا ابن الهبولة من هند امرأة حجر، فقبّلها و داعبها، ثم قال لها فيما يقول: ما ظنك الآن/بحجر لو علم بمكاني منك؟ قالت: ظني به و الله أنه لن يدع طلبك حتى يطالع القصور الحمر، و كأني أنظر إليه في فوارس من بني شيبان يذمّهم و يدمّرونه، و هو شديد الكلب، سريع الطلب، يزيد شذقاه كأنه بغير أكل مرار. فسّمى حجر أكل المرار يومئذ. قال: فرفع يده فلطمها. ثم قال: ما قلت هذا إلا من عجبك به، و حبك له.

فقلت: و الله ما أبغضت ذا نسمة قطّ بغضي له، و لا رأيت رجلا قطّ أحزم منه نائما و مستيقظا، إن كان لتنام عيناه و بعض أعضائه حيّ لا ينام، و كان إذا أراد النوم أمرني أن أجعل عنده عسّا مملوءا لبنا، فبينما هو ذات ليلة نائم و أنا قريبة منه أنظر إليه، إذ أقبل أسود سالخ إلى رأسه، فنجى رأسه، فمال إلى يديه، و إحداهما مقبوضة، و الأخرى مبسوطة، فأهوى إليها فقبضها، فمال إلى رجليه و قد قبض واحدة، و بسط الأخرى، فأهوى إليها، فقبضها، فمال إلى العسّ: شربه ثم مجه، فقلت: يستيقظ فيشرب فيموت، فأستريح منه. فانتبه من نومه، فقال: عليّ بالإناء، فناولته، فشمه فاضطربت يداه، حتى سقط الإناء فأهريق. و ذلك كله بأذن سدوس. فلما نامت الأحراس خرج يسري ليلته، حتى صيح حجرا. فقال: أتاك المرجفون برجم غيب # على دهش و جئتك باليقين

فمن يك قد أتاك بأمر ليس # فقد آتي بأمر مستبين

ثم قصّ عليه جميع ما سمع.

فأسف و نادى في الناس: الرحيل. فساروا حتى انتهوا إلى عسكر ابن الهبولة، فاقتتلوا قتالا شديدا، فانهزم أصحاب ابن الهبولة، و عرفه سدوس، فحمل عليه، /فاعتنقه و صرعه فقتله. و بصر به عمرو بن معاوية، فشذّ عليه، فأخذ رأسه منه، و أخذ سدوس سلبه، و أخذ حجر هنداً فربطها بين فرسين، ثم ركضا بها حتى قطعها قطعاً.

هذه رواية ابن الكلبي.

و أما أبو عبيدة فإنه ذكر أن ابن الهبولة لما غنم عسكر حجر، غنم مع ذلك زوجته هند بنت ظالم، و أم أناس بنت عوف بن محلم الشيباني، و هي أم الحارث بن حجر و هند بنت حجر، و لابنها الحارث ابن يقال له عمرو، و له يقول بشر بن أبي خازم: فإلى ابن أم أناس أعمل ناقتي # عمرو فتنجح حاجتي أم ترجف

ملك إذا نزل الوفود ببابه # غرفوا غوارب مزيد ما ينزف

قال: و بنتها هند هي التي تزوّجها المنذر بن ماء السماء اللخمي. قال: و كان ابن الهبولة بعد أن غنم يسوق ما معه من السبايا و النعم، و يتصيد في المسير، و لا يمرّ بوادٍ إلا أقام به يوماً أو يومين، حتى أتى على ضريبة، فوجدها [1]أ، م: ضبيعة.

[2]أ، م: على.

معشبة، فأعجبته، فأقام بها أياما. و قالت له أم أناس: إني لأرى ذات ودك [1]، و سوء درك، كأني قد نظرت إلى رجل أسود أدلم، كأن مشافره مشافر بعير أكل مرار قد أخذ برقبتة، فسمى حجر أكل المرار بذلك. و ذكر باقي القصة نحو ما مضى.

و قال في خبر ابن الهبولة: إن سدوسا أسره، و إن عمرو بن معاوية لما رآه معه حسده، فطعنه فقتله: فغضب سدوس لذلك، و قال: قتلت أسيري وديته دية/الملوك. و تحاكما إلى حجر، فحكم لسدوس على عمرو و قومه بدية ملك؛ و أعانهم في ذلك بماله. و قال سدوس/في ذلك يعاتب بني شيبان: ما بعدكم عيش و لا معكم # عيش لذي أنف و لا حسب

لو لا بنو ذهل و جمع بني # قيس و ما جمعت من نشب

ما سمتوني خطة غينا # و على ضريبة رتم غلبي

قال: و قد روي أن حجرا ليس بأكل المرار، و إنما أبوه الحارث أكل المرار. و روي أيضا أنه إنما سمي أكل المرار لأن سدوسا لما أتاه بخبر ابن الهبولة و مداعبته لهند، و أن رأسه كان في حجرها، و حدّثه بقولها و قوله، فجعل يسمع ذلك و هو يعبث بالمرار، و هو نبت شديد المرارة، و كان جالسا في موضع فيه منه شيء كثير، فجعل يأكل من ذلك المرار غضبا و هو يسمع من سدوس و لا يعلم أنه يأكله من شدّة الغضب، حتى انتهى سدوس إلى آخر الحديث، فعلم حينئذ بذلك، و وجد طعمه، فسمى يومئذ أكل المرار.

قال ابن الكلبي: و قال حجر في هند:

لمن النار أوقدت بحفير # لم تنم عند مصطل مقررور [2]

أوقدتها إحدى الهنود و قالت # أنت ذا موتق وثاق الأسير

إن من غرّه النساء بشيء # بعد هند لجاهل مغرور

و بعده باقي الأبيات المذكورة متقدّما و فيها الغناء.

صوت

شعر لمحمد بن صالح العلوي فيه غناء

طرب الفؤاد و عاودت أحزانه # و تفرّقت فرقا به أشجانه

و بدا له من بعد ما اندمل الهوى # برق تألّق موهنا لمعانه

يبدو كحاشية الرداء و دونه # صعب الدرّي متمتع أركانه

فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه # و الماء ما جادت به أجفانه

الشعر لمحمد بن صالح العلويّ. و الغناء لرزاذ، و يقال إنه لبنان. خفيف
ثقيل. و فيه ثقل أوّل. يقال إنه لأبي العنيس، و يقال إنه للقاسم بن زرزور.
و فيه لعمر و الميداني رمل طنبري؛ و هو لحن مشهور.

[1]الودك: الدسم من اللحم و الشحم.

[2]هذا البيت و الذي بعده فيهما إقواء، لأنهما مخالفان للبيت الثالث و
للأبيات التي تقدّمت في الصوت.

26- أخبار محمد بن صالح العلوي و نسبه

نسبه و منزلته الشعرية

هو محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب. و يكنى أبا عبد الله، شاعر حجازي ظريف، صالح الشعر، من شعراء أهل بيته المتقدمين. و كان جدّه موسى بن عبد الله أبا محمد و إبراهيم ابني عبد الله بن حسن بن حسن الحجازيين الخارجين في أيام المنصور، أمهم جميعا هند بنت أبي عبيدة.

جدّه موسى بن عبد الله

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء الطوسي قال: حدّثنا الزبير بن بكار، و أخبرني أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني قال: حدّثنا يحيى بن الحسن العلوي. قال: حدّثني الزبير بن بكار:

أن هندا حملت بموسى بن عبد الله و لها ستون سنة. قال: و لا تحمل لستين إلا قرشية، و لا تحمل لخمسين إلا عربية. قال: و كان موسى آدم شديد الأدمة، و له تقول أمه هند:

/

إنك أن تكون جونا أنزعا # أجدر أن تضرهم و تنفعا

و تسلك العيش طريقا مهيعا # فردا من الأصحاب أو مشيعا

و كان موسى استتر بعد قتل أخويه زمانا، ثم ظفر به أبو جعفر، فضره بالسوط، و حبسه مدّة، ثم عفا عنه و أطلقه.

و له أخبار كثيرة ليس هذا موضعها.

خروجه على المتوكل و حبسه

و كان محمد بن صالح خرج على المتوكل مع من بيّض في تلك السنة، فظفر به و بجماعة من أهل بيته أبو الساج، فأخذهم و قيدهم، و قتل بعضهم، و أخرج سويقة، / و هي منزل للحسنيين، و من جملة صدقات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، و قعر بها نخلا كثيرا، و حرّق منازل لهم بها، و أثار فيهم و فيها آثارا قبيحة، و حمل محمد بن صالح فيمن حمل منهم إلى سّر من رأى، فحبس ثلاث سنين، ثم مدح المتوكل، فأنشده الفتح قصيدته بعد أن غنّي في شعره المذكور، فطرب، و سأل عن قائله فعرّفه، و تلا ذلك إنشاد الفتح قصيدته، فأمر بإطلاقه.

شعره في الحبس

و أخبرني محمد بن خليف وكيع قال: حدّثني أحمد بن أبي خيثمة قال:

أُنكر موسى بن عبد الله بن موسى على ابن أخيه محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى، بعض ما ينكره العمومة على بني أخيهم، في شيء من أمور السلطان، و كان محمد بن صالح قد خرج بسويقة، فصار أبو الساج إلى سويقة، فأسلمه عمه موسى و بنوه بعد أن أعطاه أبو الساج الأمان، فطرح سلاحه، و نزل إليه فقيده، و حمله إلى سرّ

من رأى، فلم يزل محبوسا بها ثلاث سنين، ثم أطلق، و أقام بها إلى أن مات. و كان سبب موته أنه جدر، فمات في الجدري، و هو الذي يقول في الحبس: طرب الفؤاد و عاودت أحزانه # و تشعبت شعبا به أشجانه

و بدا له من بعد ما اندمل الهوى # برق تألق موهنا لمعانه
 يبدو كحاشية الرداء و دونه # صعب الدّرا متمنع أركانه
 فدنا لينظر كيف لاح فلم يطق # نظرا إليه و رده سجّانه
 فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه # و الماء ما سحّت [1] به أجفانه
 ثم استعاذ من القبيح و ردّه # نحو العزاء عن الصّبا إيقانه
 و بدا له أن الذي قد ناله # ما كان قدره له ديّانه
 حتى اطمأن ضميره و كأنما # هتك العلائق عامل و سنانه [2]
 /يا قلب لا يذهب بحلمك باخل # بالتّيل باذل تافه مئّانه
 يعد القضاء و ليس ينجز موعدا # و يكون قبل قضائه ليّانه [3]
 خدل الشّوى حسن القوام [4] مخصّر # عذب لماه طيّب أردانه
 و اقنع بما قسم الإله فأمره # ما لا يزال على الفتى إتيانه
 و البؤس ماض ما يدوم كما مضى # عصر النعيم و زال عنك أوّانه

شجاعته

أخبرني عمي قال: حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال:

كنت مع أبي عبد الله محمد بن صالح في منزل بعض إخواننا، فأقمنا إلى أن انتصف الليل، و أنا أرى أنه يبب، فإذا هو قد قام، /فتقلد سيفه، و خرج، فأشفقت عليه من خروجه في ذلك الوقت، و سألته المقام و المبيت، و أعلمته خوفي عليه، فالتفت إليّ مبتسما و قال: إذا ما اشتملت السيف و الليل لم أهل # لشيء و لم تفرع فؤادي القوارع

شعره في الجوّاري الباكيات

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال: حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال: مرّ محمد بن صالح بقبر لبعض ولد المتوكل، فرأى الجوّاري يلطمن عنده، فأنشدني لنفسه: رأيت بسامرا صبيحة جمعة # عيونا يروق الناظرين فتورها

[1]أ، م: جادت.

- [2] العامل من الرمح: صدره، و هو ما يلي السنان.
- [3] لِيَانِه: إِخْلَاف موعده، و هو مصدر لواه بحقه: إِذَا مَا طَلَّه.
- [4] أ، م: الْقِيَام. -

تزور العظام الباليات لدى الثرى # تجاوز عن تلك العظام غفورها
 فلولا قضاء الله أن تعمر الثرى # إلى أن ينادى يوم ينفخ صورها
 لقلت عساها أن تعيش و أنها # ستنشر من جرّا عيون تزورها
 /أسيلات مجرى الدمع إمّا تهلّلت # شئون المآقي ثم سخّ مطيرها
 بوبل كأثوام الجمان يفيضه # على نحرها أنفاسها و زفيرها
 فيا رحمة ما قد رحمت بواكيا # ثقالا تواليها لطافا خصورها

تزووجه من أخت عيسى بن موسى الحرّبي

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال:
 حدّثني إبراهيم بن المدبر قال: جاءني محمد بن صالح الحسنيّ، فسألني أن
 أخطب عليه بنت عيسى بن موسى بن أبي خالد الحرّبي، أو أخته حمدونة.
 ففعلت ذلك، و صرت إلى عيسى، فسألته أن يجيبه، فأبى، و قال لي: لا
 أكذبك، و الله ما أردته لأنّي لا أعرف أشرف و أشهر منه لمن يصاهره، و
 لكني أخاف المتوكل و ولده بعده على نعمتي و نفسي، فرجعت إليه،
 فأخبرته بذلك، فأضرب عن ذلك مدّة، ثم عاودني بعد ذلك، و سألني
 معاودته، فعاودته و رفقت به، حتى أجاب، فزوّجه أخته، فأنشدني بعد ذلك
 محمد: خطبت إلى عيسى بن موسى فردّني # فله و إلى حرّة و عليقتها

لقد ردني عيسى و يعلم أنني # سليل بنات المصطفى و عريقها
 و إن لنا بعد الولادة نبعة # نبيّ الإله صنوها و شقيقها
 فلما ابى بخلا بها و تمّعا # و صيرني ذا خلّة لا يطيقها
 تداركني المرء الذي لم يزل له # من المكرمات رحبها و طليقتها
 سمّي خليل الله و ابن وليه # و حقال أعباء العلا و طريقتها
 و زوّجها و المنّ عندي لغيره # فيا بيعة وفتني الريح سوقها
 و يا نعمة لابن المدبر عندنا # يجدّ على كر الزمان أيقها

قال ابن مهرويه: قال لي إبراهيم بن المدبر:

شعره في حمدونة زوجته

فلما نقلت حمدونة إليه شغف بها، و كانت امرأة جميلة عاقلة،
 فأنشدني لنفسه فيها: لعمر حمدونة إني بها # لمغرم القلب طويل السقام

مجاوز للقدر في حبّها # مباين فيها لأهل الملام

/مطرّح للعدل ماض على # مخافة النفس و هول المقام

مشايحي قلب يخاف الخنا # و صارم يقطع صمّ العظام

جسّمني ذلك وجدي بها # و فضلها بين النساء الوسام
 ممكورة الساق رديئة # مع الشوى الخدل و حسن القوام
 صامته الحجل خفوق الحشا # مائة الساق ثقال القيام
 ساجية الطّرف نثوم الصّحى # منيرة الوجه كبرق الغمام
 زينها الله و ما شانها # و أعطيت منيتها من تمام
 تلك التي لو لا غرامي بها # كنت بسامرا قليل المقام

هكذا روى ابن مهروبه عن ابن المدبّر، في خبر محمد بن صالح و تزويجه حمدونة.

قصته مع حمدونة زوجته

و حدّثني عمي عن أبي جعفر بن الدّهقانة النديم قال: حدّثني إبراهيم بن المدبّر قال: جاءني يوما محمد بن صالح الحسني العلويّ بعد أن أطلق من الحبس، فقال لي: إني أريد المقام عندك اليوم على خلوة، لأبثك من أمري شيئا لا يصلح أن يسمعه غيرنا. فقلت: أفعل. فصرفت من كان بحضرتي، و خلوت معه، و أمرت برد دابّته، و أخذ ثيابه؛ فلما اطمأن و أكلنا و اضطجعنا، قال لي: أعلمك أني خرجت في سنة كذا و كذا و معي أصحابي على القافلة الفلانية، فقاتلنا من كان فيها، فهزمناهم و ملكنا القافلة، فبينما أنا أحوزها و أنيخ الجمال، إذ طلعت عليّ امرأة/من العماريّة[1]، ما رأيت قط أحسن منها وجهها، و لا أحلى منطلقا، فقالت: يا فتى، إن رأيت أن تدعو لي بالشريف المتولي أمر هذا الجيش، فقلت: و قد رأيت و سمع كلامك. فقالت: سألتك بحق الله و حق رسوله صلى الله عليه و سلم أنت هو؟ فقلت: نعم و حق الله و حق رسوله إني لهو. فقالت: أنا حمدونة بنت عيسى بن موسى بن أبي خالد الحرّري، و لأبي محلّ من سلطانه، و لنا نعمة، إن كنت ممن سمع بها فقد كفاك ما سمعت، و إن كنت لم تسمع بها فسل عنها غيري، و و الله لا استأثرت عنك بشيء أملكه، و لك بذلك عهد الله و ميثاقه عليّ، و ما أسألك إلا أن تصونني و تسترني، و هذه ألف دينار معي لنفقتي، فخذها حلالا، و هذا حليّ عليّ من خمس مائة دينار، فخذها و ضمّني ما شئت بعده، آخذه لك من تجار المدينة أو مكة أو أهل الموسم، فليس منهم أحد يمنعني شيئا أطلبه، و ادفع عني، و احمني من أصحابك، و من عار يلحقني. فوقع قولها من قلبي موقعا عظيما؛ فقلت لها: قد وهب الله لك مالك و جاهك و حالك، و وهب لك القافلة بجميع ما فيها. ثم خرجت فناديت في أصحابي، فاجتمعوا، فناديت فيهم[2]: إني قد أجرت هذه القافلة و أهلها، و

خفرتها و حميتها، و لها ذمة الله و ذمة رسوله و ذمتي، فمن أخذ منها خيطا أو عقالا فقد أذنته بحرب. فانصرفوا معي، و انصرفت.

فلما أخذت و حبست، بينا أنا ذات يوم في محبسي إذ جاءني السَّجَّان و قال لي: إن بالبَّاب امرأتين تزعمان أنهما من أهلك، و قد حضر عليّ أن يدخل عليك أحد، إلا أنهما أعطتاني دملج ذهب، و جعلتاه لي إن أو صلتهما إليك، و قد أذنت لهما، و هما في الدهليز، فاخرج إليهما إن شئت. ففكرت فيمن يجيئني في هذا/البلد/و أنا به [1]العمارية: لعله يريد المظلة، نسبة إلى العمارة، و هي رقعة مزينة تخاط في المظلة علامة على الرئاسة أو الوجاهة (انظر «تاج العروس») .

[2]أ، م: فأعلمتهم.

غريب، لا أعرف أحدا، ثم قلت: لعلهما من ولد أبي أو بعض نساء أهلي، فخرجت إليهما، فإذا بصاحبتني، فلما رأته بكيت لما رأته من تغير خلقي، و ثقل حديدي، فأقبلت عليها الأخرى فقالت: أ هو هو؟ فقالت: إي و الله، إنه لهو هو، ثم أقبلت عليّ فقالت: فذاك أبي و أمي، و الله لو استطعت أن أقيك مما أنت فيه بنفسي و أهلي لفعلت، و كنت بذلك مني حقيقا، و و الله لا تركت المعاونة لك، و السعي في حاجتك، و خلاصك بكل حيلة و مال و شفاعة، و هذه دنانير و ثياب و طيب، فاستيعن بها على موضعك، و رسولي يأتيك في كل يوم بما يصلحك، حتى يفرّج الله عنك. ثم أخرجت إلي كسوة و طيبا و مائتي دينار، و كان رسولها يأتيني في كل يوم بطعام نظيف، و تواصل[1] برّها بالسّجان، فلا يمتنع من كل شيء أريده.

فمنّ الله بخلصي، ثم راسلتها فخطبتها، فقالت: أما من جهتي فأنا لك متابعة مطيعة، و الأمر إلى أبي، فأتيته، فخطبتها إليه، فردني، و قال: ما كنت لاحق عليها ما قد شاع في الناس عنك في أمرها، و قد صيرتها فضيحة، فقامت من عنده منكيبا مستحيا، و قلت له في ذلك: رموني و إياها بشنعاء هم بها # أحقّ أدال الله منهم فعجلا

بأمر تركناه و ربّ محمد # عيانا فإما عفة أو تجملا

فقلت له: إن عيسى صنيعه أخي، و هو لي مطيع، و أنا أكفيك أمره.

فلما كان من الغد لقيت عيسى في منزله، و قلت له: قد جئتكم في حاجة لي؛ فقال: مقضية، و لو كنت استعملت ما أحبه لأمرتني فجئتكم، و كان أسرّ إليّ. فقلت له: قد جئتكم خاطبا إليك ابنتك. فقال: هي لك أمة، و أنا لك عبد، / و قد أجبتك. فقلت: إني خطبتها على من هو خير مني أبا و أما، و أشرف لك صهرا و مئصلا، محمد بن صالح العلويّ. فقال لي: يا سيدي، هذا رجل قد لحقتنا بسببه ظنة، و قيلت فينا أقوال. فقلت: أ فليست باطلة؟ قال: بلى، و الحمد لله. قلت: فكأنها لم تقل، و إذا وقع النكاح زال كل قول و تشنيع، و لم أزل أرفق به حتى أجاب، و بعثت إلى محمد بن صالح فأحضرتة، و ما برحت حتى زوجته، و سقت الصداق عنه.

مدحه إبراهيم بن المدبر

قال أبو الفرج الأصبهاني:

و قد مدح محمد بن صالح إبراهيم بن المدبر مدائح كثيرة، لما أولاه من هذا الفعل، و لصداقة كانت بينهما، فمن جيد ما قاله فيه قوله: أتخبر عنهم

الدّمن الدّثور # و قد ينبي إذا سئل الخبير

و كيف تبين الأنباء دار # تعاقبها الشمائل و الدّبور

يقول فيها في مدحه:

فهلاً في الذي أولاك عرفا # تسدي من مقالك ما تنير[2]

[1] كذا في أ، م. و في سائر الأصول: يتواصل.

[2] تسدي: تقوي لحمة الثوب بالسدي. و تنير: تنسج النير، و هو لحمة الثوب.

ثناء غير مختلق[1] و مدحا # مع الركبان ينجد أو يغور
 أخ واساك في كلب الليالي # و قد خذل الأقارب و النصير
 حفاظا حين أسلمك الموالي # و صنّ [2] بنفسه الرجل الصبور
 فإن تشكر فقد أولى جميلا # و إن تكفر فإنك للكفور
 /و ما في آل خاقان اعتصام # إذا ما عمم الخطب الكبير
 /لئام الناس إثراء و فقرا # و أعجزهم إذا حمى القتيبر
 قويم[3] لا يزوجهم كريم # و لا تسنى لنسوتهم مهور

و إنما ذكر آل خاقان هاهنا لأن عبيد الله بن يحيى قصّر به و تحامل
 عليه، و كان يقول ما يكره، و يؤكّد ما يوجب حبسه، و كان فيه و في ولده
 نصب[4] شديد.

و لمحمد بن صالح في آل المدبّر مدائح كثيرة، لا معنى لذكرها في هذا
 الكتاب.

صداقته لسعيد بن حميد

أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة الكاتب قال: حدثني عبد الله بن
 طالب الكاتب قال: كان محمد بن صالح العلويّ حلو اللسان، ظريفا أديبا،
 فكان بسرّ من رأى مخالطا لسراة الناس، و وجوه أهل البلد، و كان لا يكاد
 يفارق سعيد بن حميد، و كانا يتقارضان الأشعار، و يتكاتبان بها. و في سعيد
 يقول محمد بن صالح العلويّ: أصحاب من صاحبت ثمّت أنثني # إليك أبا
 عثمان عطشان صاديا

أبى القلب أن يروى بهم و هو حائم # إليك و إن كانوا الفروع العواليا
 و لكن إذا جئناك لم نبع مشربا # سواك و روينا العظام الصّواديا[5]

قال عبد الله بن طالب[6]:

و كان بعض بني هاشم دعاه، فمضى إليه، و كتب سعيد إليه يسأله
 المصير إليه، فأخبر بموضعه عند الهاشمي، فلما عاد عرف خبر سعيد و
 إرساله إليه، فكتب إليه بهذه الأبيات.

/قال عبد الله: و شرب يوما هو و سعيد بن حميد، فسكر محمد بن
 صالح قبله، فقام لينصرف، و التفت إلى سعيد و قال له: [1]، م: غير
 مخلوق.

[2]أ، م: و صد.

[3]كذا في أ، م، و في بقية الأصول: لئام.

[4]نصب: كره لآل عليّ و عداوة.

[5]أ، م: العواريا، و لعله يريد عظام آبائه الذين ماتوا، و كان بينهم و بين آباء الممدوح صلات مؤدّة.

[6]أ، م: ابن أبي طالب.

لعمرك إنني لما افترقنا # أخو ضنّ بخلصاني سعيد
تبقتّه المدام و أزعتني # إلى رحلي بتعجيل الورود

سعيد بن حميد يرثيه

قال: و توفي محمد بن صالح بسرّ من رأى، و كان يجهد في أن يؤذن له في الرجوع إلى الحجاز، فلا يجاب إلى ذلك، فقال سعيد يرثيه: بأيّ يد أسطو على الدهر بعد ما # أبان يدي غضب الدّنايين قاضب

و هاض جناحي حادث جلّ خطبه # و سدّت عن الصبر الجميل المذاهب
و من عادة الأيام أنّ صروفها # إذ سرّ منها جانب ساء جانب
لعمري لقد غال التجلد أننا # فقد ناك فقد الغيث و العام جادب
فما أعرف الأيام إلا ذميمة # و لا الدهر إلا و هو بالثأر طالب
و لا لي من الإخوان إلا مكاشر # فوجه له راض و وجه مغاضب
فقدت فتى قد كان للأرض زينة # كما زينت وجه السماء الكواكب
لعمري لئن كان الردى بك فاتني # و كلّ امرئ يوما إلى الله ذاهب
لقد أخذت مني النوائب حكمها # فما تركت حقا عليّ النوائب
و لا تركتني أرهب الدهر بعده # لقد كلّ عني نابه و المخالب
سقى جدثا أمسى الكريم ابن صالح # يحلّ به، دان[1] من المزن ساكب
/إذا بشرّ الرّواد بالغيث برقه # مرته الصّبا و استحلّبه الجنائب
فغادر باقي الدهر تأثير صوبه # ربيعا زهت منه الرّبا و المذانب

إطلاقه من الحبس

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال: حدّثني المبرّد قال:

لم يزل محمد بن صالح محبوسا حتى توصل بنان له، بأن غنّي بين يدي المتوكل في شعره: و بدا له من بعد ما اندمل الهوى # برق تألّق موهنا لمعانه

فاستحسن المتوكل الشعر و اللحن، و سأل عن قائله، فأخبر به، و كلّم في أمره، و أحسنت الجماعة رفته، و قام الفتح بأمره قياما تاما. فأمر بإطلاقه من حبسه، على أن يكون عند الفتح و في يده، حتى يقيم كفيلا بنفسه ألا يبرح من سرّ من رأى، فأطلق، و أخذ عليه الفتح الأيمان الموثقة ألا يبرح من سرّ من رأى إلا بإذنه، ثم أطلقه.

مدحه المتوكل و المنتصر

و لمحمد بن صالح في المتوكل و المنتصر مدائح جياذ كثيرة، منها قوله في المتوكل: [1]أ، م: و أن. يريد الثقيل من السحاب الذي لا يسرع في سيره.

ألف التقي و وفى بنذر النادر # و أبى الوقوف على المحل الدائر
 و لقد تهيج له الديار صباية # حينا و تكلف بالخليط السائر
 فرأى الهداية أن أناب و أنه # قصر المديح على الإمام العاشر
 يا ابن الخلائف و الذين بهديهم # ظهر الوفاء و بان غدر الغادر
 و ابن الذين حووا تراث محمد # دون الأقارب بالنصيب الوافر
 نطق الكتاب لكم بذاك مصدقا # و مضت به سنن النبي الطاهر
 و وصلت أسباب الخلافة بالهدى # إذ نلتها و أنمت عين الساهر
 أحبيت سنة من مضى فتجددت # و أبنت بدعة ذي الضلال الخاسر
 فافخر بنفسك أو بجذك معلنا # أودع فقد جاوزت فخر الفاخر
 /ما للمكارم غيركم من أول # بعد النبي و ما لها من آخر
 إني دعوتك فاستجبت لدعوتي # و الموت مني قيد شبر الشابر
 فانتشنتني من قعر موردة الردى # أمنا[1] و لم تسمع مقالة زاجر
 و فككت أسري و البلاء موكل # و جبرت كسرا ما له من جابر
 و عطفت بالرّحم التي ترجو بها # قرب المحلّ من المليك القادر
 و أنا أعود بفضل عفوك أن أرى # غرضا ببابك للملم الفاقر[2]
 أو أن أضيع بعد ما أنقذتني # من ريب مهلكة و جدّ عاثر
 و لقد مننت فكنت غير مكدر # و لقد نهضت بها نهوض الشاكر

هجاؤه أبا الساج

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، و محمد بن خلف وكيع قالا: حدّثنا
 الفضل بن سعيد بن أبي حرب قال: حدّثني أبو عبد الله الجهنيّ قال:
 دخلت على محمد بن صالح الحسيني في حبس المتوكل، فأنشدني
 لنفسه يهجو أبا الساج: أ لم يحزنك يا ذلفاء أئبي # سكنت مساكن الأموات
 حيا

/و أنّ حمائلي و نجاد سيفي # علون مجدّعا أشروسيّا [3]
 فقصرهّن لما طلن حتى اسد # توين عليه لا أمسى سوّبّا
 أما و الراقصات بذات عرق # تريد البيت تحسبها قسيّا

[1]أ، م: منا.

[2]الملم الفاقر: الحادث الذي يكسر فقار الظهر.

[3]أبو الساج الأثروسنى: أءء قواء المعءمء العباسى. ءوفى سنة
.266

لو أمكنني غداً تئذ جلاذ # لألفوني به سمحا سخيا

و له في الغزل و الحنين

قال ابن عمار: و أنشدني عبيد الله بن طاهر أبو محمد لمحمد بن صالح
أيضا: نظرت و دوني ماء دجلة موهنا # بمطروفة الإنسان محسورة جدّا

لتؤنس لي نارا بليل[1] توقّدت # و تالله ما كلفتها نظرا قصدا

فلو أنها منها لقلت كأنني # أرى النار قد أمست تضيء لنا هندا

تضيء لنا منها جيبنا و محجرا # و مبتسما عذبا و ذا غدر جعدا

انقضت أخباره.

صوت

شعر لأبي داود فيه غناء

يا عدّيّا لقلبك المهتاج # أن عفا رسم منزل بالتبّاج

غيرته الصّبا و كلّ ملثّ # دائم الودق ذي أهاضيب داج

و حملنا غلامنا ثم قلنا # هاجر العيس ليس منك بناج

فانتحى مثل ما انتحى باز دجن # جوّعته القنّاص للدّراج

الشعر لأبي دواد الإياديّ. و الغناء لحنين، ثاني ثقيل بالبنصر في
مجراها، عن إسحاق. و ذكر عمرو بن بانة أنه لابن عائشة. و فيه لعريب
هزج. و فيه ثقيل أول، ينسب إلى يزيد الحدّاء، و إلى أحمد النّصيبيّ.

[1] «معجم البلدان»: «نارا بتثليث أو قدت». و تثليث: موضع قرب

مكة.

27- ذكر أخبار أبي دواد الإيادي و نسبه

نسبه و شعره

هو فيما ذكر يعقوب بن السكيت: جارية بن الحجاج. و كان الحجاج يلقب حمران بن بحر بن عصام بن منبه بن حذاقة بن زهير بن إياد بن نزار بن معد. و قال ابن حبيب هو جارية بن الحجاج أحد بني برد بن دهمي بن إياد بن نزار. شاعر قديم من شعراء الجاهلية، و كان وصافا للخيل، و أكثر أشعاره في وصفها، و له في غير وصفها تصرّف بين مدح و فخر و غير ذلك، إلا أن شعره في وصف الفرس أكثر.

جار أبي دواد

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، قال: حدّثني الهيثم بن عديّ و ابن الكلبيّ، عن أبيه، و الشّرقيّ:

أن أبا دواد الإياديّ مدح الحارث بن همام بن مرة بن زهل بن شيبان، فأعطاه عطايا كثيرة، ثم مات ابن لأبي دواد و هو في جواره فوداه، فمدحه أبو دواد، فحلف له الحارث أنه لا يموت له ولد إلا وداه، و لا يذهب له مال إلا أخلفه، فضربت العرب المثل بجار أبي دواد، و فيه يقول قيس بن زهير:

أطوّف ما أطوّف ثم آوي # إلى جار كجار أبي دواد

هذه رواية هؤلاء؛ و أبو عبيدة يخالف ذلك.

أخبرني ابن دريد قال: أخبرني أبو حاتم، عن أبي عبيدة قال: جاور أبو دواد الإيادي كعب بن مامة الإيادي، فكان إذا هلك له بغير أو شاة أخلفها، و فيه يقول طرفة يمدح عمرو بن هند:

جار كجار الحذاقيّ الذي انتصفا [1]

و كان لأبي دواد ابن يقال له دواد شاعر، و هو الذي يقول يرثي أباه:

فبات فينا و أمسى تحت هائرة [2] # ما بعد يومك من ممسى و إصباح

لا يدفع السقم إلا أن نفديه # و لو ملكنا مسكنا السقم بالراح

هو و زوجته و ابنه

أخبرني عمي قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني عليّ بن الصباح قال: أخبرنا أبو المنذر، عن أبيه قال:

[1] الشطر الأول من البيت هو: «إني كفاني من هم هممت به». و الحذاقي: هو أبو دواد، نسبه إلى حذاق، قبيلة من إياد.

[2]أ، م: هابرة، و لعلها محرفة عن هائرة بمعنى ساقطة، يريد الأرض أو الحفرة. و في بقية الأصول: هادية. و لعلها محرفة عن هاوية.

تزوج أبو دواد امرأة من قومه، فولدت له دوادا ثم ماتت، ثم تزوج أخرى، فأولعت بدواد، و أمرت أباه أن يجفوه و يبعده، و كان يحبها، فلما أكثرت عليه قالت: أخرجني، فخرج به و قد أردفه خلفه، إلى أن انتهى إلى أرض جرداء ليس فيها شيء، فألقى سوطه متعمدا، و قال: أي دواد، انزل فناولني سوطي. فنزل، فدفع بعيره و ناداه: أ دواد إن الأمر أصبح ما ترى # فانظر دواد لأي أرض تعمد؟

فقال له دواد: على رسلك. فوقف له فناده:

و بأي ظنك أن أقيم ببلدة # جرداء ليس بغيرها متلدّد [1]

فرجع إليه و قال له: أنت و الله ابني حقا، ثم رده إلى منزله، و طلق امرأته.

لوم زوجته إياه لسماحه بالمال

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، عن أبي عمرو الشيباني قال: كانت لأبي دواد امرأة يقال لها أم حبتر، و فيها يقول: في ثلاثين ذعدعتها [2] حقوق # أصبحت أم حبتر تشكوني

زعمت لي بأنني أفسد الما # ل و أزويه [3] عن قضاء ديوني

أمّلت أن أكون عبد المالي # و تهنا بنافع المال دوني

/و هي طويلة: قال: و لها يقول و قد عاتبته على سماحته بماله فلم يعتبها [4]، فصرّمته: حاولت حين صرّمنتي # و المرء يعجز لا محاله

و الدهر يلعب بالفتى # و الدهر أروغ من ثعالبه [5]

و المرء يكسب ماله # و الشحّ يورثه الكلالة

و العبد يفرع بالعصا # و الحرّ تكفيه المقالة [6]

و السكت خير للفتى # فالحين من بعض المقالة

وصاف الخيل من الشعراء

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال: حدثني أبي عن إسحاق، عن الأصمعيّ قال: ثلاثة كانوا يصفون الخيل، لا يقاربهم أحد: طفيل، و أبو دواد، و الجعديّ. فأما أبو دواد فإنه كان على خيل [1] تلدد في المكان: تلبث.

[2] بددتها و فرققتها.

[3] أنحيه.

[4] لم يرضها.

[5] ثعالة: الثعلب.

[6] هامش أ عن نسخة أخرى: المخالة، وهي الظن.

المنذر بن النعمان بن المنذر[1]. و أما طفيل فإنه كان يركبها و هو أغرل[2] إلى أن كبر. و أما الجعديّ فإنه سمع ذكرها من أشعار الشعراء[3]، فأخذ عنهم.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثني أبو حاتم، عن أبي عبيدة قال:

دواد أوصف الناس للفرس في الجاهلية و الإسلام، و بعده طفيل الغنويّ و النابغة الجعديّ.

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز، عن ابن الأعرابيّ قال:

لم يصف أحد قطّ الخيل إلا احتاج إلى أبي دواد، و لا وصف الخمر إلا احتاج إلى أوس بن حجر، و لا وصف أحد نعامة إلا احتاج إلى علقمة/بن عبدة، و لا اعتذر أحد في شعره إلا احتاج إلى النابغة الذبياني.

رأي علي و أبي الأسود في أشعر الناس

أخبرني عمي قال: حدّثني جعفر بن محمد العاصميّ قال: حدّثنا عيينة بن المنهال قال: حدّثنا شدّاد بن عبيد الله قال: حدّثني عبيد الله بن الحرّ العنزّيّ القاضي، عن أبي عرادة قال:

كان عليّ صلوات الله عليه يفطر الناس في شهر رمضان، فإذا فرغ من العشاء تكلم، فأقلّ و أوجز، فأبلغ.

فاختصم الناس ليلة حتى ارتفعت أصواتهم في أشعر الناس، فقال عليّ عليه السّلام لأبي الأسود الدّؤلي: قل يا أبا الأسود. فقال أبو الأسود، و كان يتعصب لأبي دواد الإياديّ: أشعرهم الذي يقول:

و لقد أغتدي يدافع ركني # أحوذيّ ذو ميعة إضريح[4]

مخلط مزيل مكرّ مفرّ # منفح مطرح سبوح خروج[5]

سلهب شرجب كأنّ رماحا # حملته و في السّراة دموع[6]

و كان لأبي الأسود رأي في أبي دواد، فأقبل عليّ على الناس، فقال: كل شعرائكم محسن، و لو جمعهم زمان واحد، و غاية واحدة، و مذهب واحد في القول، لعلمنا أيّهم أسبق إلى ذلك، و كلهم قد أصاب الذي أراد، و أحسن

فيه، و إن يكن/أحد فضلهم، فالذي لم يقل رغبة و لا رهبة امرؤ القيس بن حجر، فإنه كان أصحهم بادرة، و أجودهم نادرة.

[1] في هامش أ: ليس من المناذرة من نسبه هكذا. فلعله محرف عن المنذر بن ماء السماء، و سيصرح بذلك قريبا.

[2] الأغرل: الصبي الذي لم يختن.

[3] أ، م: فإنه سمع من الشعراء.

[4] الأحوزي هاهنا: من قولهم: حاذ الإبل يحوزها إذا ساقها؛ و يريد به السرعة، و في وصف الرجال: الألمعي. و الميعة: النشاط و السرعة. و الإضريح: السريع.

[5] يقال: رجل مخلط مزيل: كيس لطيف، أو هو الجدل في الخصومات، يزول من حجة إلى حجة، كذا في «اللسان» و «التاج» و «النهاية» لابن الأثير، و لم يصفوا الخيل بذلك، و لكن يمكن أن يفهم منه أن أباد دواد يصف الحصان بأنه يحسن الجري، و يأتي منه بفن بعد فن، أو يحسن مباراة الخيل في السير، و ينتقل فيه من حال إلى حال أحسن منها. و المنفح: الذي ينفح بقوائمه في العدو، أي يرمي بحدّ حوافره و يدفع. و المطرح: السريع. و الخروج: الذي يسبق الخيل، فيخرج من بينها.

[6] السلهب و الشرجب: الطويل. و في هامش أ: يقال: فرس سلهبة، و لم أسمع بالمؤنث من الشرجب. و السراة: الظهر. و الدموج: الإحكام و الملاسة.

إهمال الرواة لشعره

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى، عن أبيه، عن إسحاق، عن الأصمعيّ قال:

كانت الرواة لا تروي شعر أبي دواد و لا عديّ بن زيد، لمخالفتهما مذاهب الشعراء[1]، قال: و كان أبو دواد على خيل المنذر بن ماء السماء، فأكثر وصفه للخيل.

افتراق الإياديين ثلاث فرق

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهروبه قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني ابن أبي الهيثام قال:

اسم أبي دواد الإيادي جويرية بن الحجاج. و كانت له ناقة يقال لها الرّباء، فكانت بنو إياد يتبركون بها. فلما أصابتهم السنة تفرّقوا ثلاث فرق، فرقة سلكت في البحر فهلكت، و فرقة قصدت اليمن فسلمت، و فرقة قصدت أرض بكر بن وائل، فنزلوا على الحارث بن همّام.

و كان السبب في ذلك أنهم أرسلوا الرّباء، و قالوا إنها ناقة ميمونة، فخلوها، فحيث توجهت فاتبعوها. و كذلك كانوا يفعلون إذا أرادوا نجعة. فخرجت تخوض العرب، حتى بركت بفناء الحارث بن همّام، و كان أكرم الناس جوارا، و هو جار أبي دواد المضروب به المثل. فقال أبو دواد يمدح الحارث، و يذكر ناقته الرّباء: فإلى ابن همّام بن مرّة أصعدت # طعن الخليط بهم فقلّ زيالها

أنعمت نعمة ماجد ذي منة # نصبت عليه من العلا أطلالها

و جعلنا دون الوليّ فأصبحت # رباء منقطعا إليك عقالها

فخر إياد على العرب

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثنا سليمان بن أبي شيخ قال: حدّثنا يحيى بن سعيد قال: كانت إياد تفخر على العرب، تقول: منا أجود الناس كعب بن مامة، و منا أشعر الناس أبو دواد، و منا أنكح الناس ابن العز[2].

ابن العز

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال: /حدّثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال: حدّثني القحذميّ قال: كان ابن العز أيرا، فكان إذا أنعط احتكت

الفصال بأيره، قال: و كان في إباد امرأة تستصغر أيور الرجال، فجامعها ابن الغز، فقالت: يا معشر إباد، أ بالركب تجامعون النساء؟ قال: فضرب بيده على أليتها و قال: ما هذا؟ فقالت و هي لا تعقل ما تقول: هذا القمر. فضرب العرب بها المثل: «أربها استها و تريني القمر». و أنشد و قد كان الحجاج منع من لحوم البقر خوفا من قلة العمارة في السواد، ف قيل فيه: [1] صرح ابن قتيبة في «الشعر و الشعراء» ص 121 بهذه المخالفة، فقال: لأن ألفاظهما ليست بنجدية. و كذلك قال المرزباني في «الموشح» .

[2] قال في «تاج العروس»: و اسمه سعد أو عروة بن أشيم... أو الحارث. و لا خلاف في اسم أبيه أشيم.

شكونا إليه خراب السواد # فحزّم فينا لحوم البقر

فكنا كمن قال من قبلنا # أربها استها و تربني القمر

رأي الحطيئة في أشعر الشعراء

أخبرني عمي عن الكراني، عن العمريّ، عن الهيثم بن عديّ بنحوه.

و أخبرني عمي قال: حدّثنا محمد بن سعد الكراني قال: حدّثني العمريّ عن لقيط قال: أخبرني التّوزي عن أبي عبيدة قال: كان الحطيئة عند سعيد بن العاص ليلة، فتذاكروا الشعراء، و فضوا بعضهم على بعض و هو ساكت، فقال له: يا أبا مليكة ما تقول؟ فقال: ما ذكرتم و الله أشعر الشعراء، و لا أنشدتم أجود الشعر. فقالوا: فمن أشعر الناس؟ فقال الذي يقول: /

لا أعدّ الإقتار عدما و لكن # فقد من قد رزته الإعدام

و الشعر لأبي دواد الإياديّ. قالوا: ثم من؟ قال: ثم عبيد بن الأبرص. قالوا: ثم من؟ قال: كفاكم و الله بي إذا أخذتني رغبة أو رهبة، ثم عويت في إثر القوافي عواء الفصيل في إثر أمّه.

أسرة أبي دواد تصف الثور

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدّثنا عبد الرّحمن بن أخي الأصمعيّ، قال: حدّثني عمي، و أخبرنا أبو حاتم قال: أخبرنا الأصمعيّ، عن أبي عمرو بن العلاء، عن هجّاس بن مريّر الإيادي، عن أبيه، و كان قد أدرك الجاهلية، قال: بينا أبو دواد و زوجته و ابنه و ابنته على ربوة، و إياد إذ ذاك بالسواد، إذ خرج ثور من أجمة، فقال أبو دواد: و بدت له أذن توجّس حرّة و أحّم و ارد[1]

و قوائم عوج لها # من خلفها زرع زوائد[2]

كمقاعد الرّقباء للضّرباء أيديهم نواهد[3] ثم قال: أنفذي[4] يا أمّ دواد، فقالت: و بدت له أذن توجّس حرّة و أحّم مولق

و قوائم عوج لها # من خلفها زرع معلّق

[1] توجّس: تسمع إلى الصوت الخفي، و حرة: صادقة السمع مرهفة. و الأحم: القرن الأسود و الوارد: الطويل.

[2] الزرع: الشعر الذي في مؤخرة رجلي الشاة أو الطبي، واحدته

زمعة.

[3]الرقباء: الذين يمسكون عيونهم و ينظرون سمات القداح. و الضرباء الذين يضربون القداح.

[4]يريد بالإنفاذ هنا: محاكاة شعره مع تغيير الكلمة الأخيرة منه تمرينا على القول، و التمرس بالقوافي.

كمقاعد الرّقباء للضّرباء أيديهم تألق / ثم قال: أنفذ يا دواد. فقال: و
بدت له أذن توجس حرّة و أحّم مرهف

و قوائم عوج لها # من خلفها زمع ملّف

كمقاعد الرّقباء للضّرباء أيديهم تلقّف ثم قال: أنفذ يا دواودة. قالت: و
ما أقول مع من أخطأ. قالوا: و من أين أخطأناه؟ قالت: جعلتم له /قرنا واحدا،
و له قرنان. قالوا: فقولي. قالت: و بدت له أذن توجّس حرّة و أحمتان

و قوائم عوج لها # من خلفها زمع ثمان

كمقاعد الرّقباء للضّرباء أيديهم دوان

نزاعه مع البهراني و قتل أولاده

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: أخبرني عمي عن العباس بن هشام، عن أبيه قال: كان أبو دواد الإياديّ الشاعر جارا للمنذر بن ماء السماء. و إن أبا دواد نازع رجلا بالحيرة من بهراء، يقال له رقبة بن عامر بن كعب بن عمرو، فقال له رقبة: صالحني و حالفتني. فقال أبو دواد: فمن أين تعيش إياد إذا، فوالله لو لا ما تصيب من بهراء لهلكت، و انصرفا على تلك الحال.

ثم إن أبا دواد أخرج بنين له ثلاثة في تجارة إلى الشام، فبلغ ذلك رقبة البهراني، فبعث إلى قومه فأخبرهم بما قاله له أبو دواد عند المنذر، و أخبرهم أن القوم ولد أبي دواد، فخرجوا إلى الشام، فلقوهم فقتلوهم. و بعثوا برءوسهم إلى رقبة، فلما أتته الرءوس صنع طعاما كثيرا، ثم أتى المنذر، فقال له: قد اصطنعت لك طعاما كثيرا، فأنا أحب أن تتغدّي عندي، فأتاه المنذر و أبو دواد معه، فبينما الجفان ترفع و توضع، إذ جاءت جفنة عليها بعض [1] رءوس بني أبي دواد، فوثب و قال: أبيت اللعن! إني جارك، و قد ترى ما صنع بي، و كان رقبة أيضا جارا للمنذر.

فوقع المنذر منهما في سواة، و أمر برقبة فحبس، و قال لأبي دواد: أ ما يرضيك توجيهي بكتيبيّ الشهباء و الدّوسر إليهم؟ قال: بلى. قال: قد فعلت. فوجه إليهم بالكتيبتين.

فلما بلغ ذلك رقبة قال لامرأته: ويحك! الحقّي بقومك فأندريهم. فعمدت إلى بعض إبل زوجها فركبته، ثم خرجت حتى أتت قومها، فلما قربت منهم تعرت من ثيابها، و صاحت و قالت: أنا النذير العريان. فأرسلتها مثلا.

فعرّف القوم ما تريد، فصعدوا إلى أعالي الشام، و أقبلت الكتبتان فلم
تصيبا منهم أحدا، فقال المنذر لأبي دواد: قد [1]كذا في أ، م. و في بقية
الأصول: أحد.

رأيت ما كان منهم، و أنا أدّي كل ابن لك بمائتي بعير، فأمر له بستّ
مائة بعير، فرضي بذلك، فقال فيه قيس بن زهير العبسيّ: سأفعل ما بدا لي
ثم آوي # إلى جار كجار أبي دواد

صوت شعر لأبي تمام فيه غناء

و ركب كأطراف الأسنة عرسوا # على مثلها و الليل داج غياهبه

لأمر عليهم أن تتمّ صدوره # و ليس عليهم أن تتم عواقبه

الشعر لأبي تمام الطائي. و الغناء للقاسم بن زرزور، ثاني ثقيل
بالوسطى في مجرى البنصر. و فيه لجعفر بن رفعة خفيف ثقيل.

أخبرني: إبراهيم بن القاسم بن زرزور عن أبيه، و حدثني المظفر بن
كيغلق عن القاسم أيضا: أن المكتفي بالله أخرج إليهم هذين البيتين بالرقعة
في رقعة، و هو أمير، و أمر أن يصنع فيهما لحن. فصنع القاسم هذا اللحن، و
صنع جعفر خفيف الثقيل.

28-أخبار أبي تمام و نسبه

نسبه و مذهبه الشعري

/أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، من نفس طييء صليبة[1]. مولده و منشؤه منيج، بقرية منها يقال لها جاسم.

شاعر مطبوع، لطيف الفطنة، دقيق المعاني، غوّاص على ما يستصعب منها، و يعسر متناوله على غيره. و له مذهب في المطابق، هو كالسابق إليه جميع الشعراء، و إن كانوا قد فتحوه قبله، و قالوا القليل منه، فإن له فضل الإكثار فيه، و السلوك في جميع طرقه. و السليم من شعره النادر شيء لا يتعلق به أحد. و له أشياء متوسطة، و رديئة رذلة جدا.

الخلاف حوله

و في عصرنا هذا من يتعصب له فيفرط، حتى يفضله على كل سالف و خالف، و أقوام يتعمّدون الرديء من شعره فينشرونه، و يطوون محاسنه، و يستعملون القحة و المكابرة في ذلك، ليقول الجاهل بهم: إنهم لم يبلغوا علم هذا و تميزه إلا بأدب فاضل، و علم ثاقب. و هذا مما يتكسب به كثير من أهل هذا الدهر، و يجعلونه و ما جرى مجراه من ثلب الناس، و طلب معائبهم، سببا للترقّع، و طلبا للرئاسة. و ليست إساءة في القليل، و أحسن في الكثير، مسقطة إحسانه؛ و لو كثرت إساءته أيضا ثم أحسن، لم يقل له عند الإحسان أسأت، و لا عند الصواب أخطأت، و التوسط في كل شيء أجمل، و الحق أحق أن يتبع.

منزلة شعره عنده

و قد روي عن بعض الشعراء أن أبا تمام أنشده قصيدة له أحسن في جميعها، إلا في بيت واحد، فقال له: يا أبا تمام، لو ألقىت هذا البيت ما كان في قصيدتك عيب. فقال له: أنا و الله أعلم منه مثل ما تعلم، و لكن مثل شعر الرجل عنده مثل أولاده، فيهم الجميل و القبيح، و الرشيد و الساقط، و كلهم حلو في نفسه، فهو و إن أحب الفاضل، لم يبغض الناقص، و إن هوي بقاء المتقدم، لم يهو موت المتأخر.

/و اعتذاره بهذا ضدّ لما وصف به نفسه في مدحه الواثق، حيث يقول:
جاءتك من نظم اللسان قلادة # سمطان فيها اللؤلؤ المكنون

أحذاكها صنع اللسان يمده # جفر إذا نصب الكلام معين

و يسيء بالإحسان ظنًا لا كمن # هو بابه و بشعره مفتون

فلو كان يسيء بالإساءة ظنًا و لا يفتتن بشعره، كنا في غنى عن الاعتذار له.

[1]أي ليس من مواليتها و لا من حلفائها.

المفضلون له

و قد فضّل أبا تمام من الرؤساء و الكبراء و الشعراء، من لا يشقّ الطاعنون عليه غباره، و لا يدركون- و إن جدّوا-أثاره، و ما رأى الناس بعده إلى حيث انتهوا له في جيده نظيرا و لا شكلا؛ و لو لا أن الرواة قد أكثروا في الاحتجاج له و عليه، و أكثر متعصبوه الشرح لجيد شعره، و أفرط معادوه في التسطير لرديئه، و التنبيه على رذله و دنيئه، لذكرت منه طرفا، و لكن قد أتى من ذلك مالا مزيد عليه.

إعجاب ابن الزيات و الصولي بشعره

أخبرني عمي قال: حدثني أبي قال: سمعت محمد بن عبد الملك الزيات يقول: أشعر الناس طرّا الذي يقول: و ما أبالي و خير القول أصدقه # حقنت لي ماء وجهي أو حقنت دمي

فأحببت أن أستثبت إبراهيم بن العباس[1]، و كان في نفسي أعلم من محمد و أدب، فجلست إليه، و كنت أجري عنده مجرى الولد، فقلت له: من أشعر أهل زماننا هذا؟ فقال: الذي يقول: مطر أبوك أبو أهلة وائل # ملأ البسيطة عدّة و عديدا

/نسب كأنّ عليه من شمس الصّحى # نورا و من فلق الصباح عمودا

ورثوا الأبوة و الحظوظ فأصبحوا # جمعوا جدودا في العلا و جدودا[2]

فاتفقا على أن أبا تمام أشعر أهل زمانه.

إعجاب عمارة بن عقيل بشعره

أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ، و علي بن سليمان الأخفش قالا: حدثنا محمد بن يزيد النحويّ قال: قدم عمارة بن عقيل بغداد، فاجتمع الناس إليه، فكتبوا شعره و شعر أبيه[3]، و عرضوا عليه الأشعار. فقال بعضهم: هاهنا شاعر يزعم [قوم][4] أنه أشعر الناس طرّا، و يزعم غيرهم ضدّ ذلك. فقال: أنشدوني قوله.

فأنشدوه:

غدت تستجير الدمع خوف نوى غد # و عاد قتادا عندها كلّ مرقد

و أنفذها من غمرة الموت أنّه # صدود فراق لا صدود تعمّد

فأجرى لها الإشفاق دمعا موّرّدا # من الدم يجري فوق خد موّرّد

هي البدر يغنيها توّد وجهها # إلى كلّ من لاقت و إن لم توّد

ثم قطع المنشد. فقال له عمارة: زدنا من هذا. فوصل نشيده و قال:
[1]هو إبراهيم بن العباس الصولي من كبار الكتاب و الشعراء في صدر
الدولة العباسية.

[2]جدود: جمع جد، الأولى بمعنى الآباء، و الثانية بمعنى الحظوظ.

[3]هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير الشاعر الأموي المشهور («الخرانة» 1: 36) .

[4]زيادة يقتضيها المعنى.

و لكنني لم أحو وفرا مجمعا # ففرت به إلا بشمل مبدد

و لم تعطني الأيام نوما مسكنا # ألدّ به إلا بنوم مشرّد

فقال عمارة: لله درّه! لقد تقدم في هذا المعنى من سبقه إليه، على كثرة القول فيه، حتى لقد حبّب إليّ الاغتراب، هيه. فأنشده: و طول مقام المرء في الحيّ مخلق # لديباجتيه فاغترب تتجدد

فإني رأيت الشمس زيدت محبة # إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد

فقال عمارة: كمل و الله، لئن كان الشعر بجودة اللفظ، و حسن المعاني، و اطراد المراد، و اتساق[1]الكلام، فإن صاحبكم هذا أشعر الناس.

تفضيل علي بن الجهم له

أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ قال: حدثني محمد بن موسى بن حمّاد قال: سمعت علي بن الجهم يصف أبا تمام و يفضله، فقال له رجل: و الله لو كان أبو تمام أخاك ما زدت على مدحك هذا. فقال: إن لم يكن أخا بالنسب، فإنه أخ بالأدب و المودة؛ أ ما سمعت ما خاطبني به حيث يقول: إن يكد مطرف الإخاء فإننا # نغدو و نسري في إخاء تالد[2]

أو يختلف ماء الوصال فماؤنا # عذب تحدرّ من غمام واحد

أو يفترق نسب يؤلف بيننا # أدب أقمناه مقام الوالد

زعم دعبل أنه يسرق معانيه

أخبرني محمد قال: حدثني هارون بن عبد الله المهلبيّ قال: كنا في حلقة دعبل، فجرى ذكر أبي تمام، فقال دعبل: كان يتتبع معانيّ فيأخذها. فقال له رجل في مجلسه: و أي شيء من ذلك، أعزك الله؟ قال: قولي:

و إن امرأ أسدى إليّ بشافع # إليه و يرجو الشكر مني لأحمق

شفيحك فاشكر في الحوائج إنه # يصونك عن مكروهاها و هو يخلق

فقال الرجل: فكيف قال أبو تمام؟ فقال: قال:

/

فلقيت بين يديك[3]حلو عطائه # و لقيت بين يديّ مرّ سؤاله

و إذا امرؤ أسدى إليك[4]صنعة # من جاهه فكأنها من ماله

[1]أ، م: و استواء.

[2]أكدى: خاب و لم ينفع. و المطرف، المستحدث. و التالد: القديم.

[3] كذا في أ، م و «الديوان» . و في بقية الأصول: «يديه» .
[4] أ، م: إليّ.

فقال له الرجل: أحسن و الله. فقال: كذبت قبحك الله. فقال: و الله لئن كان أخذه منك، لقد أجاد، فصار أولى به منك. و إن كنت أخذته منه فما بلغت مبلغه. فغضب دعبل و انصرف.

تقديم الباهلي له

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثني ابن مهرويه قال: حدثني عبد الله بن محمد بن جرير قال: سمعت محمد بن حازم الباهليّ يقدم أبا تمام و يفضله، و يقول: لو لم يقل إلا مرثيته التي أولها: أصمّ بك الناعي و إن كان أسما

و قوله:

لو يقدرون مشوا على وجناتهم # و جباههم فضلا عن الأقدام

لكفتاه.

إعجاب عمارة بن عقيل بشعره

أخبرني عمي قال: حدثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال: كان عمارة بن عقيل عندنا يوما، فسمع مؤدّبا كان لولد أخي يروّبهم قصيدة أبي تمام: الحق أبلج و السيوف عوار

فلما بلغ إلى قوله:

سود اللباس كأنما نسجت لهم # أيدي السّموم مدارعا من قار[1]

بكروا و أسروا في متون ضوامر # قيدت لهم من مربط النّجار

لا يبرحون و من رأهم خالهم # أبدا على سفر من الأسفار

فقال عمارة: لله دره! ما يعتمد معنى إلا أصاب أحسنه، كأنه موقوف عليه.

استحسان الصولي لشعره

أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ قال: حدثني أبو ذكوان قال: قال لي إبراهيم بن العباس: ما اتكلت في مكاتبتني قط إلا على ما جاش به صدري، و جلبه خاطري، إلا أنني قد استحسنت قول أبي تمام: /

فإن باشر الإصحار فالبيض و القنا # قراه و أحواض المنايا مناهله[2]

و إن بين حيطاننا عليه فإنما # أولئك عقّالاته لا معاقله[3]

و إلا فأعلمه بأنك ساخط # عليه، فإن الخوف لا شكّ قاتله

فأخذت هذا المعنى في بعض رسائلني، فقلت: «فصار ما كان يحرزهم
يبرزهم، و كان كان يعقلهم يعتقلهم». قال: [1]المدارع: جمع مدرعة، و هي
جبة مشقوقة المقدم.

[2]الإصحار: البروز إلى الصحراء.

[3]عقالته: قيوده.

ثم قال لي إبراهيم: إن أبا تمام اخترم و ما استمتع بخاطره، و لا نرح ركي [1] فكره، حتى انقطع رشاء [2] عمره.

أخبرني محمد قال: حدثني أبو الحسين بن السخي قال: حدثني الحسين بن عبد الله قال: سمعت عمي إبراهيم بن العباس يقول لأبي تمام، و قد أنشد شعرا له في المعتصم: يا أبا تمام، أمراء الكلام رعية لإحسانك.

تعصب دعبل عليه

أخبرني محمد قال: حدثني هارون بن عبد الله قال: قال لي محمد بن جابر الأزدي، و كان يتعصب لأبي تمام: أنشدت دعبل بن علي [3] شعرا لأبي تمام و لم أعلمه أنه له، ثم قلت له: كيف تراه؟ قال: أحسن من عافية بعد بأس. فقلت: إنه لأبي تمام. فقال: لعله سرقه!

الشعراء لا يتكسبون إلا بعد موته

أخبرني محمد قال: حدثني أحمد بن يزيد المهلب عن أبيه قال: ما كان أحد من الشعراء يقدر على أن يأخذ درهما بالشعر في حياة أبي تمام، فلما مات اقتسم الشعراء ما كان يأخذه.

إعجاب شعراء خراسان به و أنفته

أخبرني عمي و الحسن بن علي و محمد بن يحيى و جماعة من أصحابنا، و أظن أيضا لحظة حدثنا به، قالوا: حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال:

لما/قدم أبو تمام إلى خراسان اجتمع الشعراء إليه، و سألوه أن ينشدهم، فقال: قد وعدني الأمير أن أنشده غدا، و ستسمعوني [4]. فلما دخل على عبد الله أنشده: هنّ عوادي يوسف و صواجه # فعزما فقدا أدرك السؤل طالبه

فلما بلغ إلى قوله:

و قلقل نأي من خراسان جأشها # فقلت اطمئني أنضر الروض عازبه

و ركب كأطراف الأسنه عرسوا # على مثلها و الليل تسطو غياهبه

لأمر عليهم أن تتم صدوره # و ليس عليهم أن تتم عواقبه

فصاح الشعراء بالأمير أبي العباس: ما يستحق مثل هذا الشعر غير الأمير أعزه الله! و قال شاعر منهم يعرف بالرياحي: لي عند الأمير أعزه الله

جائزة وعدني بها، و قد جعلتها لهذا الرجل جزاء عن قوله للأمير. فقال له:
بل نضعها لك، [1]الركى: البئر.

[2]الرشاء: الحبل يستقي عليه من البئر.

[3]أ، م: فلانا، في موضع: دعبل بن عليّ.

[4]كذا في الأصول بحذف إحدى النونين.

و نقوم له بما يجب له علينا. فلما فرغ من القصيدة نثر عليه ألف دينار، فلقطها الغلمان، و لم يمس منها شيئاً، فوجد عليه عبد الله و قال: يترفع عن بزي، و يتهاون بما أكرمته به. فلم يبلغ ما أرادته منه بعد ذلك.

تقدير أبي دلف لشعره

أخبرني أبو مسلم محمد بن بحر الكاتب و عمي، عن الحزنبلي، عن سعيد بن جابر الكرخي، عن أبيه: أنه حضر أبا دلف القاسم بن عيسى و عنده أبو تمام الطائي، و قد أنشده قصيدته: /

على مثلها من أربع و ملاعب # أذيلت مصونات الدموع السواكب

فلما بلغ إلى قوله:

إذا افتخرت يوماً تميم بقوسها # و زادت على ما وطّدت من مناقب
فأنتم بذي قار أمالت سيوفكم # عروش الذين استرهنوا قوس حاجب
محاسن من مجد متى تفرنوا بها # محاسن أقوام تكن كالمعايب

فقال أبو دلف: يا معشر ربيعة، ما مدحتم بمثل هذا الشعر قط، فما عندكم لقائله؟ فبادروه بمطارفهم يرمون بها إليه. فقال أبو دلف: قد قبلها و أعاركم لبسها، و سانوب عنكم في ثوابه. تمم القصيدة يا أبا تمام. فتممها، فأمر له بخمسين ألف درهم، و قال: و الله ما هي بإزاء استحفاك و قدرك. فاعذرنا، فشكره و قام ليقبل يده، فحلف ألا يفعل، ثم قال له: أنشدني قولك في محمد بن حميد: و ما مات حتى مات مضرب سيفه # من الضرب و اعتلت عليه القنا السمر

و قد كان فوت الموت سهلاً فردّه # إليه الحفاظ المرّ و الخلق الوعر
فأثبت في مستنقع الموت رجله # و قال لها من تحت أخصك الحشر
غدا غدوة و الحمد نسج رداثه [1] # فلم ينصرف إلا و أكفانه الأجر
كأن بني نهبان يوم مصابه # نجوم سماء خرّ من بينها البدر
يعزّون عن ثاو يعزّي به العلى # و يبكى عليه البأس و الجود و الشعر

فأنشده إياها، فقال: و الله لوددت أنها فيّ. فقال: بل أفدي الأمير بنفسي و أهلي، و أكون المقدم، / فقال: إنه لم يمت من رثي بهذا الشعر، أو مثله.

مدحه الواثق بن أبي دواد

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال: حدّثنا الحسن بن عليّ العنزيّ قال: حدّثني إسحاق بن يحيى الكاتب قال: /قال الواثق لأحمد بن أبي دواد: بلغني أنك أعطيت أبا تمام الطائيّ في قصيدة مدحك بها ألف دينار. قال: لم أفعل ذلك يا أمير المؤمنين، و لكنني أعطيته خمس مائة دينار رعاية للذي قاله للمعتصم: فاشدد بهارون الخلافة إنه # سكن لوحشتها و دار قرار [1]أ، م: حشو ردائه. -

و لقد علمت بأن ذلك معصم # ما كنت تتركه بغير سوار

فابتسم و قال: إنه لتحقيق بذلك.

مدحه خالد بن يزيد الشيباني

أخبرني علي بن سليمان قال: حدّثنا محمد بن يزيد النحويّ قال: خرج أبو تمام إلى خالد بن يزيد بن مزيد و هو بأرمينية، فامتدحه، فأعطاه عشرة آلاف درهم و نفقة لسفره، و قال: تكون العشرة الآلاف موفورة، فإن أردت الشخوص فاعجل، و إن أردت المقام عندنا فلك الحباء و البرّ.

قال: بل أشخص. فودّعه؛ و مضت أيام، و ركب خالد يتّصيد، فرآه تحت شجرة، و بين يديه زكرة [1] فيها شراب، و غلام يغنيه بالطنبور. فقال: أبو تمام؟ قال: خادمك و عبدك. قال: ما فعل المال؟ فقال: علمني جودك السماح فما # أبقيت شيئاً لديّ من صلتك

ما مرّ شهر حتى سمحت به # كأنّ لي قدرة كمقدرتك

تنفق في اليوم بالهبات و في الساعة ما تجتنيه في سنتك

فلمست أدري من أين تنفق لو # لا أن ربي يمدّ في هبتك

فأمر له بعشرة أخرى، فأخذها و خرج.

إعجاب الحسن بن رجاء بمدحه فيه

أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ قال: حدّثنا عون بن محمد الكنديّ قال: حدّثنا محمد بن سعد أبو عبد الله الرّقّيّ، و كان يكتب للحسن بن رجاء؛ قال: قدم أبو تمام مادحا للحسن بن رجاء، فرأيت منه رجلا عقله و علمه فوق شعره، فاستنشدته الحسن و نحن على نبيذ قصيدته اللامية التي امتدحه بها، فلما انتهى إلى قوله: أنا من [2] عرفت فإن عرتك جهالة # فأنا المقيم قيامة العدّال

عادت له أيامه مسوّدّة # حتى توهم أنهم ليال

فقال الحسن: و الله لا تسوّدّ عليك بعد اليوم. فلما قال:

لا تنكري عطل الكريم من الغنى # فالسيل حرب للمكان العالي

و تنظّري حيث الركاب ينصّها # محيي القريض إلى مميت المال [3]

فقام الحسن بن رجاء على رجليه، و قال: و الله لا أتمتها إلا و أنا قائم. فقام أبو تمام لقيامه، و قال: لما بلغنا ساحة الحسن انقضى # عنا

تملك دولة الإمحال

[1] زكرة: وعاء من جلد للخمر.

[2] أ، م و «الديوان» : أنا ذو، و هي بمعنى «من» في لغة طيئ.

[3] «الديوان» : خبب الركاب، و الخبب: ضرب من السير السريع. و
ينصها: يسوقها.

بسط الرجاء لنا برغم نوائب # كثرت بهن مصارع الآمال
 أغلى عذارى الشعر إنَّ مهورها # عند الكرام و إن رخصن غوال
 ترد الظنون بنا [1] على تصديقها # و يحكّم الآمال في الأموال
 أضحى سمّي أبيك فيك مصدّقا # بأجلّ فائدة و أيمن فال
 /و رأيتني فسألت نفسك سيبها # لي ثم جدت و ما انتظرت سؤالي
 كالغيث ليس له-أريد غمامه # أ و لم يرد-بُدّ من التّهطال

/فتعانقا و جلسا. و قال له الحسن: ما أحسن ما جلوت هذه العروس!
 فقال: و الله لو كانت من الحور العين لكان قيامك لها أوفى مهورها.
 قال محمد بن سعد: و أقام شهرين، فأخذ على يدي عشرة آلاف درهم،
 و أخذ غير ذلك مما لم أعلم به؛ على بخل كان في الحسن بن رجاء.

دعبل يعتذر عن تعصبه عليه

أخبرني الصّولي قال: حدّثني عون بن محمد قال:

شهدت دعبلا عند الحسن بن رجاء و هو يضع من أبي تمام، فاعترضه
 عصابة الجرجرائيّ [2]، فقال: يا أبا علي، اسمع مني ما قاله، فإن أنت
 رضيته فذاك؛ و إلا وافقتك على ما تدمّه منه، و أعوذ بالله فيك من الّا
 ترضاه، ثم أنشده قوله: أما إنه لو لا الخليط المودّع # و مغنى عفا منه
 مصيف و مربع

فلما بلغ إلى قوله:

هو السيل إن واجهته انقدت طوعه # و تقتاده من جانيه فيتبع
 و لم أر نفعا عند من ليس ضائرا # و لم أر ضرا عند من ليس ينفع
 معاد الوري بعد الممات و سيبه # معاد لنا قبل الممات و مرجع

فقال له دعبل: لم ندفع فضل هذا الرجل، و لكنكم ترفعونه فوق قدره،
 و تقدمونه على من يتقدمه، و تنسبون إليه ما قد سرقه. فقال له عصابة:
 إحسانه صيرك له عائبا، و عليه عاتبا.

مدحه محمد بن الهيثم و مكافأته

أخبرني الصّولي قال: حدّثنا الحسن بن وداع كاتب الحسن بن رجاء
 قال: حضرت أبا الحسين محمد بن الهيثم بالجبل و أبو تمام ينشده:

أسقى ديارهم أجشّ هزيم # و غدت عليهم نصره و نعيم

[1] بنا: كذا في «الديوان» . و في الأصول: به.

[2] الجرجرائي: نسبة إلى جرجرايا، من بلاد العراق، بين واسط و بغداد، من الجانب الشرقي.

/قال: فلما فرغ أمر له بألف دينار، و خلع عليه خلعة حسنة، و أقمنا عنده يومنا، فلما كان من غد كتب إليه أبو تمام: قد كسانا من كسوة الصيف خرق # مكتس من مكارم و مساع[1]

حلّة سابريّة و رداء # كسحا القيص أو رداء الشّجاع[2]

كالسّراب الرّقراق في الحسن إلا # أنه ليس مثله في الخداع[3]

قصبياً تسترجف الريح متنيـ # ه بأمر من الهبوب مطاع[4]

رجفانا كأنه الدهر منه # كبد الصّبّ أو حشا المرتاع

لازما ما يليه تحبسه جز # ء آمن المتنتين و الأضلاع[5]

يطرد اليوم ذا الهجير و لو شبّه في حرّه بيوم الوداع خلعة من أغرّ أروع رحب الصّدر رحب الفؤاد رحب الذراع[6]

سوف أكسوك ما يعقّي عليها # من ثناء كالبرد برد الصّناع[7]

حسن هاتيك في العيون و هذا # حسنه في القلوب و الأسماع

فقال محمد بن الهيثم: و من لا يعطي على هذا ملكه؟ و الله لا بقي في داري ثوب إلا دفعته إلى/أبي تمام، فأمر له بكل ثوب كان يملكه في ذلك الوقت.

رضا عبد الله بن طاهر عنه بعد عتبه

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدّثني عمي الفضل قال: لما شخص أبو تمام إلى عبد الله بن طاهر و هو بخراسان، أقبل الشتاء و هو هناك، فاستثقل البلد، و قد كان عبد الله وجد عليه، و أبطأ بجائزته، لأنه نثر عليه ألف دينار فلم يمسسها بيده، ترفعا عنها، فأغضبه و قال: يحتقر فعلي، و يترفع عليّ. فكان يبعث إليه بالشيء بعد الشيء كالقوت، فقال أبو تمام: لم يبق للصيف لا رسم و لا طلل # و لا قشيب فيستكسى و لا سمل[8]

عدل من الدمع أن يبكي المصيف كما # يبكي الشباب، و يبكي اللهو و الغزل

[1]الخرق: السخيّ.

[2]السابرية من الثياب: الرقيقة النسج الجيدة. و سحا القيص: قشر البيض الذي تحت القشرة الصلبة. و الشجاع: الحية.

[3]الرقراق: المتلألئ.

[4]القصبي من الثياب: الرقيق الناعم من الكتان. و في س: «و قسيا»
، و لا يتفق مع وزن البيت إلا بتخفيف سينه، و لا يلائم المعنى هنا إلا
«القسى» بشد السين، و هي ثياب من كتان مخلوط بحرير. و تسترجف:
تحرك.

[5]المتنتان: ما يجاور العمود الفقري من يمينه و شماله.

[6]الأغر: الأبيض الوجه، يريد أنه سيد شريف كريم الفعال. و الأروع:
الشهم الذكي، و من يعجبك بحسنه أو شجاعته.

[7]يعفي عليها: يفوقها في القيمة. و الصناع: المرأة الحاذقة في العمل
بيديها، يقال رجع صنع، و امرأة صناع.

[8]القشيب: الجديد من الثياب. و السمل: البالي.

يمنى الزمان انفضى معروفها و غدت # يسراه و هي لنا من بعدها بدل

فبلغت الأبيات أبا العميثل شاعر آل عبد الله بن طاهر، فأتى أبا تمام، و اعتذر إليه لعبد الله بن طاهر، و عاتبه علي ما عتب عليه من أجله، و تضمّن له ما يحبه. ثم دخل إلى عبد الله، فقال: أيها الأمير، أتهاون بمثل أبي تمام و تجفوه؟ فو الله لو لم يكن له ماله من النباهة في قدره، و الإحسان في شعره، و الشائع من ذكره، لكان الخوف من شره، و التوقّي لذمه، يوجب على مثلك رعايته و مراقبته، فكيف و له بنزوعه إليك من الوطن، و فراقه السّكن، و قد قصدك عاقدا بك أمله، معملا إليك ركابه، متعبا فيك فكره و جسمه، و في ذلك ما يلزمك قضاء حقه، حتى ينصرف راضيا؛ و لو لم يأت بفائدة، و لا سمع فيك منه ما سمع إلا قوله: تقول في قومس صحبي و قد أخذت # منا السرى و خطا المهرية القود[1]

أ مطلع الشمس تبغي أن تؤمّ بنا # فقلت كلاً و لكن مطلع الجود

/فقال له عبد الله: لقد نبيّته فأحسننت، و شفعت فلطفت، و عاتبت فأوجعت، و لك و لأبي تمام العتبي، إدعه يا غلام. فدعاه، فنادمه يومه، و أمر له بألفي دينار، و ما يحمله من الظهر، و خلع عليه خلعة تامة من ثيابه، و أمر ببذرقته[2] إلى آخر عمله.

أبو تمام لاقط للمعاني

أخبرني جحظة قال: حدّثني ميمون بن هارون قال: مرّ أبو تمام بمخنّث يقول الآخر: جئتك أمس فاحتجبت عني، فقال له: السماء إذا احتجبت بالغيم رجّي خيرها. فتبينت في وجه أبي تمام أنه قد أخذ المعنى، ليضمنه[3] في شعره، فما لبثنا إلا أياما حتى أنشدت قوله: ليس الحجاب بمقص عنك لي أملا # إنّ السماء ترجّي حين تحتجب

اتهامه بسرقة قصيدة

أخبرني أبو العباس أحمد بن وصيف، و أبو عبد الله أحمد بن الحسن بن محمد الأصبهاني ابن عمي، قال: حدّثنا محمد بن موسى بن حماد قال:

كنا عند دعبل أنا و القاسم[4]، في سنة خمس و ثلاثين و مائتين، بعد قدومه من الشام، فذكرنا أبا تمام، فثلبه، و قال: هو سروق للشعر. ثم قال لغلامه: يا ثقيف، هات تلك المخلاة. فجاء بمخلاة فيها دفاتر، فجعل يمرّها على يده، حتى أخرج منها دفترا، فقال: اقرءوا هذا. فنظرنا فيه، قال مكنف أبو سلمى، من ولد زهير بن أبي سلمى، و كان هجا ذفافة العبسيّ بأبيات

منها: [1] قومس: صقع كبير بين خراسان و بلاد الجبل. و المهرية: الإبل المنسوبة إلى مهرة بن حيدان من اليمن، و كانت لا يعدل بها شيء في سرعتها (عن «تاج العروس»).

[2] بذرقته: حراسته.

[3] أ، م: لينظمه.

[4] أ، م: و العمراوي.

إن الصُّراط به تصاعد جدّكم # فتعاضموا ضرطا بني القعقاع

/قال ثم مات ذفافة بعد ذلك، فرثاه فقال: أبعد أبي العباس يستعذب
الدهر[1] # فما بعده للدهر حسن و لا عذر

ألا أيها الناعي ذفافة و الندى # تعست و شلّت من أنا ملك العشر
/أ تنعى لنا من قيس عيلان صخرة # تفلّق عنها من جبال العدا الصخر
إذا ما أبو العباس خلّى مكانه # فلا حملت أنثى و لا نالها طهر
و لا أمطرت أرضا سماء و لا جرت # نجوم و لا لدّت لشاربها الخمر
كأنّ بني القعقاع يوم مصابه # نجوم سماء خرّ من بينها البدر
توقّيت الآمال يوم وفاته # و أصبح في شغل عن السّففر السفر

ثم قال: سرق أبو تمام أكثر هذه القصيدة، فأدخلها في قصيدته: كذا
فليجلّ الخطب و ليفدح الأمر # و ليس لعين لم يفض ماؤها عدر

مداعبة بينه و بين الحسن بن وهب

أخبرني الصّوليّ قال: حدّثني محمد بن موسى قال: كان أبو تمام
يعشق غلاما خزيا للحسن بن وهب، و كان الحسن يتعشق غلاما روميا لأبي
تمام، فرآه أبو تمام يوما يعبث بغلامه، فقال له: و الله لئن أعنقت[2] إلى
الروم، لنركضنّ إليّ الخزر. فقال له الحسن: لو شئت حكمتنا و احتكمت.
فقال أبو تمام: أنا أشبهك بداود عليه السّلام، و أشبه نفسي بخصمه، فقال
الحسن: لو كان هذا منظوما خفناه، فأما و هو منثور فلا، لأنه عارض لا
حقيقة له، فقال أبو تمام: أبا عليّ لصرف الدهر و الغير # و للحوادث و
الأيام و العبر[3]

أذكرتني أمر داود و كنت فتى # مصرّف القلب في الأهواء و الفكر
أ عندك الشمس لم يحظ المغيب بها # و أنت مضطرب الأحشاء للقمر
إن أنت لم تترك السير الحثيث إلى # جآذر الروم أعنقتنا إلى الخزر
إن القطوب[4] له مني محلّ هوى # يحل مني محلّ السمع و البصر
/و ربّ أمتع منه جانبا و حمى # أمسى و تكّته[5] منّي على خطر
جرّدت فيه جنود العزم فانكشفت # منه غيابتها عن نيكة هدر[6]

[1] الدهر: كذا في أ، م. و في بقية الأصول: الشعر.

[2] الإعناق: السير الواسع الفسيح الممتد.

[3] «الديوان» (طبعة بيروت 1889) .

[4] «الديوان» : النفور.

[5] في الأصول: و لكنه.

[6] «الديوان»

عنه غيابه عن فجرة هدر

و الهدر: الباطل.

سبحان من سبّحته كلُّ جارحة # ما فيك من طمحان الأير و النظر[1]

أنت المقيم فما تغدو رواحله # و أيره[2] أبدا منه على سفر

سبب غضب دعبل منه

أخبرني الصوليّ قال: حدّثني عبد الله بن الحسين قال: حدّثني وهب بن سعيد قال: جاء دعبل إلى الحسن بن وهب في حاجة بعد موت أبي تمام، فقال له رجل في المجلس: يا أبا عليّ، أنت الذي تطعن على من يقول: شهدت لقد أقوت مغانيكم بعدي # و محّت كما محت و شائع من برد[3]

و أنجدم من بعد إتهام داركم # فيا دمع أنجدي على ساكني نجد

فصاح دعبل: أحسن و الله! و جعل يردد «فيا دمع أنجدي على ساكني نجد» ثم قال: رحمه الله!/ لو كان ترك لي شيئا من شعره لقلت إنه أشعر الناس.

رثاؤه ابني عبد الله بن طاهر

أخبرني عليّ بن سليمان و محمد بن يحيى قالا: حدّثنا محمد بن يزيد قال: مات لعبد الله بن طاهر ابنان صغيران في يوم واحد، فدخل عليه أبو تمام فأنشده: ما زالت الأيام تخبر سائلا # أن سوف تفجع مسهلا أو عاقلا[4]

مجد تأؤب طارقا حتى إذا # قلنا أقام الدهر أصبح راحلا[5]

/نجمان شاء الله ألا يطلعا # إلا ارتداد الطرف حتى يافلا

إن الفجيعة بالرياض نواضرا # لأجل منها بالرياض ذوابلا

لو ينسبان لكان هذا غاربا # للمكرمات و كان هذا كاهلا[6]

لهفي على تلك المخايل منهما # لو أمهلت حتى تكون شمائلا

لغدا سكونهما حجي و صباهما # حلما و تلك الأريحية نائلا

إن الهلال إذا رأيت نموّه # أيقنت أن[7] سيكون بدرا كاملا

[1] «الديوان»

ما فيك من طمحان العين بالنظر

[2] «الديوان»

و فعله أبدا منه على سفر

[3]محت: درست و انمحت. و الوشائع: جمع و شيعة، و هي الطريقة في البرد، و هي تخطيط يخالف لونه سائر لون البرد.

[4]مسهلا: نازلا في السهل. و عاقلا: ممتنعا في الجبل العالي.

[5]تأوب: ورد ليلا، و هو بمعنى طرق.

[6]ينسبان: كذا في جميع الأصول. يريد أنهما لو نسبا أي أضيفا إلى شيء لأضيفا إلى المكرمات، فكانا بمنزلة السنام و الكتف من البعير. و في «الديوان»: لو ينسئان، أي يؤخر أجلهما.

[7] «الديوان»: «أيقنت أن سيعود» .

صوت
شعر لأبي الشيص فيه غناه

باللّٰه قل يا طلل # أهلك ما ذا فعلوا

فإن قلبي حذر # من أن يبينوا و جل

عروضه من الرجز. الشعر لأبي الشيص. و الغناء لأحمد بن يحيى
المكيّ. خفيف ثقيل بالوسطى من نسخة عمرو بن بانه الثانية. و من رواية
الهشاميّ.

29- أخبار أبي الشَّيْص و نسبه

نسبه

اسمه محمد بن رزين بن سليمان بن تميم بن نهشل- و قيل: ابن بهيش- ابن خراش بن خالد بن عبد بن دعبل بن أنس بن خزيمه بن سلامان بن أسلم بن أفضى بن حارثة بن عمرو مزيقيا ابن عامر بن ثعلبة.

منزلته الشعرية

و كان أبو الشَّيْص لقبا غلب عليه. و كنيته أبو جعفر، و هو ابن [1] عم دعبل بن عليّ بن رزين لِحًا [2]. و كان أبو الشَّيْص من شعراء عصره، متوسّط المحلّ فيهم، غير نبيه الذكر، لوقوعه بين مسلم بن الوليد و أشجع و أبي نواس، فحمل و انقطع إلى عقبة بن جعفر بن الأشعث الخزاعيّ، و كان أميرا على الرّقّة، فمدحه بأكثر شعره، فقلما يروى له في غيره. و كان عقبة جوادا فأغناه عن غيره.

ابنه عبد الله

و لأبي الشَّيْص ابن يقال له عبد الله شاعر أيضا، صالح الشعر، و كان منقطعا إلى محمد بن طالب، فأخذ منه جامع شعر أبيه، و من جهته خرج إلى الناس.

مراثيه في عينيه

و عمي أبو الشَّيْص في آخر عمره، و له مراث في عينيه قبل ذهابهما و بعده، نذكر منها مختارها مع أخباره.

تفضيل ابن المعتز

و كان سريع الهاجس جدا، فيما ذكر عنه. فحكى عبد الله بن المعتز أن أبا خالد العامريّ قال له: من أخبرك أنه كان في الدنيا أشعر من أبي الشَّيْص فكذبته. و الله لكان الشعر عليه أهون من شرب الماء على العطشان. و كان من أوصف الناس للشراب، و أمدحهم للملوك.

و هكذا ذكر ابن المعتز، و ليس توجد هذه الصفات كما ذكر في ديوان شعره، و لا هو بساقط، و لكن هذا سرف شديد.

مدحه لعقبة بن جعفر و مكافأته

أخبرني عمي قال: حدّثنا الكرانيّ عن النضر بن عمر قال:

قال لي أبو الشَّيْص: لما مدحت عقبة بن جعفر بقصيدتي التي أوّلها:

[1] في الأصول: و هو عم دعبل. و لكن المترجمين لأبي الشَّيْص أجمعوا على أنه ابن عمه.

[2] يقال: هو ابن عمي لحا: أي لاصق النسب.

/

تنكري صدي و لا إعراضي # ليس المقلّ عن الزمان براض

أمر بأن تعدّ، و أعطاني لكل بيت ألف درهم.

هو و الخريمي يرثيان بصريهما

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: أنشدت إبراهيم بن المهديّ [1] أبيات أبي يعقوب الخريميّ التي يرثي بها عينه، يقول فيها: إذا ما مات بعضك فابك بعضا # فإن البعض من بعض قريب

فأنشدني لأبي الشيص يبكي عينيه:

يا نفس بكّي بأدمع هتن # و واكف كالجمان في سنن

على دليلي و قائدي و يدي # و نور وجهي و سائس البدن

أبكي عليها بها مخافة أن # تفرّني و الظلام في قرن

يدعو على امرأة غيرته بالعمى

و قال أبو هفّان: حدّثني دعبل أن امرأة لقيت أبا الشيص، فقالت: يا أبا الشيص: عميت بعدي. فقال: قبحك الله، دعوتني باللقب، و عيرتني بالضرر!

مجلس شعره

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال: حدّثني أبي، عن أحمد بن عبيد قال: اجتمع مسلم بن الوليد و أبو نواس و أبو الشيص و دعبل في مجلس، فقالوا: لينشد كل واحد منكم أجود ما قاله من الشعر. فاندفع رجل كان معهم فقال: اسمعوا مني أخبركم بما ينشد كل واحد منكم قبل أن ينشد. قالوا: هات فقال لمسلم: أما أنت يا أبا الوليد فكأنني بك قد أنشدت:

/

إذا ما علت منا ذؤابة واحد # و إن كان ذا حلم دعته إلى الجهل

هل العيش إلا أن تروح مع الصّبا # و تغدو صريع الكأس و الأعين النّجل

قال: و بهذا البيت لقب «صريع الغواني» ، لقبه به الرشيد، فقال له مسلم: صدقت.

ثم أقبل على أبي نواس فقال له: كأنني بك يا أبا عليّ قد أنشدت: لا تبيك ليلي و لا تطرب إلى هند # و اشرب على الورد من حمراء كالورد

تسقيك من عينها خمرا و من يدها # خمرا فما لك من سكرين من بدّ

فقال له: صدقت.

ثم أقبل على دعبل فقال له: و أنت يا أبا عليّ، فكأنني بك تنشد قولك:
[1]أ، م: إبراهيم بن المدبر.

أين الشباب و أية سلكا # لا أين يطلب ضلّ بل هلكا
لا تعجبي يا سلم من رجل # ضحك المشيب برأسه فبكى
فقال: صدقت. ثم أقبل على أبي الشيب، فقال له: و أنت يا أبا جعفر،
فكأنني بك و قد أنشدت قولك: لا تنكري صدّي و لا إعراضي # ليس المقلّ
عن الزمان براض
فقال له: لا. ما هذا أردت أن أنشد، و لا هذا بأجود شيء قلته. قالوا:
فأنشدنا ما بدا لك. فأنشدهم قوله:

صوت

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي # متأخّر عنه و لا متقدّم
أجد الملامة في هواك لذيدة # حبا لذكرك فليمني اللّوم
أشبهت أعدائي فصرت أحبهم # إذ كان حظي منك حظي منهم
/و أهنتني فأهنت نفسي صاغرا[1] # ما من يهون عليك ممن يكرم[2]
لعربب في هذا الشعر لحنان: ثقيل أوّل، و رمل.
/قال: فقال أبو نواس، أحسنت و الله و جودت! و حياتك لأسرقنّ هذا
المعنى منك، ثم لأغلبنك عليه، فيشتهر ما أقول، و يموت ما قلت. قال:
فسرق قوله: وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي # متأخّر عنه و لا متقدّم
سرقا خفيا[3]، فقال في الخصيب:
فما جازه جود و لا حل دونه # و لكن يسير الجود حيث يسير
فسار بيت أبي نواس، و سقط بيت أبي الشيب.

مجلس شعري آخر

نسخت من كتاب جدّي لأمي يحيى بن محمد بن ثوابة بخطه: حدّثني
الحسن بن سعد قال: حدّثني رزين بن عليّ الخزاعيّ أخو دعبل قال: كنا عند
أبي نواس أنا و دعبل و أبو الشيب و مسلم بن الوليد الأنصاريّ، فقال أبو
نواس لأبي الشيب: أنشدني قصيدتك المخزية. قال: و ما هي؟ قال:
الضادية. فما خطر بخلدي قولك: ليس المقلّ عن الزمان براض
إلا أخزيتك[4] استحسنانا لها، فإنّ الأعشى كان إذا قال القصيدة عرضها
على ابنته، و قد كان ثقّفها و علمها ما بلغت به [1]أ، م: عامدا.

[2] أ، م: أكرم.

[3] كذا في أ، م. و في بقية الأصول: خفيفا.

[4] أخزيتك: قلت: أخزاه الله!. -

استحقاق التحكيم و الاختيار لجيد الكلام، ثم يقول لها: عدّي لي المخزيات، فتعدّ قوله: أغرّ أروع يستسقى الغمام به # لو قارع الناس عن أحسابهم قرعا

و ما أشبهها من شعره. قال أبو الشيص: لا أفعل. إنها ليست عندي عقد درّ مفصّل، و لكنني أكأثر بغيرها، ثم أنشده قوله: وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي # متأخر عنه و لا متقدّم

/الأبيات المذكورة، فقال له أبو نواس: قد أردت صرفك عنها، فأبيت أن تخلّي عن سلبك، أو تدرك في هربك.

قال: بل أقول في طلبتي [1]، فكيف رأيت هذا الطراز؟ قال: أرى نمطا خسروانيا مذهبا حسنا، فكيف تركت: في رداء من الصّفيح صقيل # و قميص من الحديد مزال [2]

قال: تركته كما ترك مختار الدّرتين إحداهما، بما سبق في ألحاظه، و زبّن في ناظره.

تفضيل أبي نواس له

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثني ابن مهرويه قال: حدّثني أبي قال: حدّثني من قال لأبي نواس: من أشعر طبقات المحدثين؟ قال: الذي يقول:

يطوف علينا بها أحور # يدها من الكأس مخضوبتان

و الشعر لأبي الشيص.

شعره في خادم أبي دلف العجلي

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال: حدّثني الفضل بن موسى بن معروف الأصبهانيّ قال: حدّثني أبي قال: دخل أبو الشيص على أبي دلف و هو يلاعب خادما له بالشطرنج، ف قيل له: يا أبا الشيص، سل هذا الخادم أن يحلّ أزرار قميصه. فقال أبو الشيص: الأمير أعزه الله أحق بمسألته. قال: قد سألته، فزعم أنه يخاف العين على صدره، فقل فيه شيئا. فقال: و شادن كالبدر يجلو الدّجى # في الفرق منه المسك مذرور

/يحاذر العين على صدره # فالجيب منه الدهر مزرور

/فقال أبو دلف: و حياتي لقد أحسنت! و أمر له بخمسة آلاف درهم. فقال الخادم: قد و الله أحسن كما قلت، و لكنك أنت ما أحسنت! فضحك، و

أمر له بخمسة آلاف أخرى.

عشقه لقينة بغدادية

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال: حدّثنا الحسن بن عليل العنزي قال: حدّثني علي بن سعد بن إياس الشيباني قال: [1] يريد: أبيت أن يدركني أحد في طلبي لمعاني الشعر المبتكرات.

[2] يظهر من السياق أن هذا البيت من قصيدة لأبي الشيص أعجب بها أبو نواس، و لكن أبا الشيص لم يذكرها في هذا المجلس.

تعشق أبو الشيص محمد بن رزين قينة لرجل من أهل بغداد، فكان يختلف إليها، و ينفق عليها في منزل الرجل، حتى أتلف مالا كثيرا. فلما كفَّ بصره، و أخفق، جعل إذا جاء إلى مولى الجارية حبه، و منعه من الدخول، فجاءني أبو الشيص، فشكا إليّ و جده بالجارية، و استخفاف مولاها به، و سألتني المضيّ معه إليه، فمضيت معه فاستؤذن لنا عليه، فأذن، فدخلت أنا و أبو الشيص، فعاتبته في أمره، و عظمت عليه حقه، و خوفته من لسانه و من إخوانه، فجعل له يوما في الجمعة يزورها فيه، فكان يأكل في بيته، و يحمل معه نبيذه و نقله، فمضيت معه ذات يوم إليها، فلما وقفنا على بابهم، سيمعنا صراخا شديدا من الدار، فقال لي: ما لها تصرخ؟ أ تراه قد مات لعنه الله! فما زلنا ندق الباب حتى فتح لنا، فإذا هو قد حسر كميته و بيده سوط، و قال لنا: ادخلا، فدخلنا، و إنما حمله على الإذن لنا الفرق مني، فدخلنا و عاد الرجل إلى داخل يضربها، فاستمعنا عليه و اطلعنا، فإذا هي مشدودة على سلم و هو يضربها أشد ضرب، و هي تصرخ، و هو يقول: و أنت أيضا فاسرقي الخبز. فاندفع أبو الشيص على المكان يقول في ذلك: يقول و السوط على كفه # قد حرّ في جلدتها حرّا

و هي على السلم مشدودة # «و أنت أيضا فاسرقي الخبزا»

/قال: و جعل أبو الشيص يرّدهما، فسمعهما الرجل، فخرج إلينا مبادرا، و قال له: أنشدني البيتين اللذين قلتكما، فدافعه، فحلف أنه لا بد من إنشادهما، فأنشده إياهما، فقال لي: يا أبا الحسن، أنت كنت شفيع هذا، و قد أسعفتك بما تحب، فإن شاع هذان البيتان فضحتني، فقل له يقطع هذا، و لا يسمعهما، و له علي يومان في الجمعة. ففعلت ذلك، و وافقته عليه، فلم يزل يتردد إليه يومين في الجمعة حتى مات.

شعره في جارية سوداء عشقها

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني أحمد بن عبد الرحمن الكاتب، عن أبيه قال: كانت لأبي الشيص جارية سوداء اسمها تبر، و كان يتعشقها، و فيها يقول: لم تنصفي يا سمية الذهب # تتلف نفسي و أنت في لعب

يا ابنة عم المسك الذكي و من # لو لاك لم يتخذ و لم يطب

ناسبك المسك في السواد و في الرّيح فأكرم بذاك من نسب

شعره في محمد بن إسحاق لما تغير له

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال:
حدثنا عليّ بن محمد التّوفليّ، عن عمه قال: كان أبو الشّيص صديقا لمحمد
بن إسحاق بن سليمان الهاشميّ، و هما حينئذ مملقان، فقال محمد بن
إسحاق مرتبةً عند سلطانه، و استغنى، فجفا أبا الشّيص، و تغير له، /فكتب
إليه: الحمد لله رب العالمين على # قربي و بعدك مني يا ابن إسحاق

يا ليت شعري متى تجدي عليّ و قد # أصبحت رب دنانير و أوراق

تجدي عليّ إذا ما قيل من راق # و التفت الساق عند الموت بالساق

يوم لعمرى تهمّ الناس أنفسهم # و ليس ينفع فيه رقية الراقي

وصفه

حدثني محمد[1] بن العباس اليزيديّ قال: حدثنا أبو العباس بن الفرات قال: كنت أسير مع عبيد الله بن سليمان، فاستقبله جعفر بن حفص على دابة هزيل، و خلفه غلام له، و شيخ على بغل له هرم، و ما فيهم إلا نضو، فأقبل عليّ عبيد الله بن سليمان فقال: كأنهم و الله صفة أبي الشيص حيث يقول: أكل الوجيف[2] لحومها و لحومهم # فاتوك أنقاضا على أنقاض

مقتله

و قال عبد الله بن المعتز: حدثني أبو مالك عبد الله قال: قال لي عبد الله بن الأعمش: كان أبو الشيص عند عقبة بن جعفر بن الأشعث الخزاعيّ يشرب، فلما ثمل نام عنده، ثم انتبه في بعض الليل، فذهب يدبّ إلى خادم له، فوجأه بسكين، فقال له: ويحك! قتلنتي و الله! و ما أحب و الله أن أفتضح أني قتلت في مثل هذا، و لا تفضح أنت بي، و لكن خذ دستيجة[3] فاكسرهما و لوثها بدمي، و اجعل زجاجها في الجرح، فإذا سئلت عن خبري، فقل: إني سقطت في سكري على الدستيجة فانكسرت، فقتلنتي، و مات من ساعته. ففعل الخادم ما أمره به، و دفن أبو الشيص، و جزع عقبة عليه جزعا شديدا. فلما كان بعد أيام سكر الخادم، فصدق عقبة عن خبره، و أنه هو قتله، فلم يلبثه أن قام إليه بسيفه، فلم يزل يضربه حتى قتله.

صوت

مدح الكميت مخلد بن يزيد بن المهلب و فيه غناء

هلاً سألت معالم الأطلال # و الرسم بعد تقادم الأحوال

دما تهيج رسومها بعد البلى # طريا و كيف سؤال أعجم بال

/يمشيين مشي قطا البطاح تأودا # قبّ البطون رواجح الأكفال

من كل آنسة الحديث حية # ليست بفاحشة و لا متفال

أقصى مذهبها إذا لاقيتها # في الشهر بين أسرة و حجال

و تكون ريقتها إذا نهتها # كالشهد أو كسلافة الجريال

المتفال: المنتنة الريح. و الجريال فيما قيل: اسم للون الخمر. و قيل: بل هو من أسمائها. و الدليل على أنه لونها قول الأعشى: و سلافة مما تعتق بابل # كدم الذبيح سلبتها جريالها

[1]أ: علي بن العباس.

[2]الوجيف: السير السريع.

[3]الدستيعة: الإناء الكبير من الزجاج.

قال سماك بن حرب: حدثني يحيى بن مثنى الحيريّ راوية الأعشى: أنه سأله عن هذا البيت فقال: سلبتها لونها: شربتها حمراء، و بلبتها بيضاء. الشعر في هذا الغناء المذكور للكُميت بن زيد، و الغناء لابن سريج، ثقيل أول بالبنصر، عن عمرو بن بانة.

و ذكر المكيّ أنه لابن/محرز. و فيه لعطرّد خفيف ثقيل. و هذا الشعر من قصيدة للكُميت، يمدح بها مخلد بن يزيد بن المهلب، يقول فيها: قاد الجيوش لخمس عشرة حجّة # و لداته عن ذاك في أشغال

فعدت بهم هماتهم و سمت به # هم الملوك و سورة الأبطال

فكأنما عاش المهلب بينهم # بأغرّ قاس مثاله بمثال

في كفه قصبات كلّ مقلّد # يوم الرّهان و فوز كلّ نصال

و متى أزنك بمعشر و أزنهم # بك ألف وزنك أرجح الأثقال

تمّ الجزء السادس عشر من كتاب الأغاني

فهرس موضوعات الجزء السادس عشر

- الموضوع الصفحة
 أخبار شاربة 271
 أخبار الحسين بن مطير و نسبه 280
 أخبار النعمان بن بشير و نسبه 288
 أخبار مقتل ربيعة و نسبه 307
 أخبار المغيرة بن شعبة و نسبه 321
 أخبار محمد بن بشير الخارجي و نسبه 335
 ذكر سديف و أخباره 357
 أخبار الحسين بن علي و نسبه 359
 أخبار الفضل بن العباس اللهي و نسبه 382
 أخبار المهاجر بن خالد و نسبه، و أخبار ابنه خالد 395
 أخبار حمزة بن بيض و نسبه 400
 أخبار كعب بن مالك الأنصاري و نسبه 416
 أخبار عيسى بن موسى و نسبه 426
 أخبار الرقاشي و نسبه 429
 أخبار ابن درّاج الطفيلي 434
 أخبار ربيعة الرّقي و نسبه 436
 ذكر الخبر في مقتل ابني عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب 444
 ذكر أم حكيم و أخبارها 450
 الخبر في هذه القصة، و سبب منافرة عامر و علقمة و خبر الأعشى و غيره معهما فيها 456
 أخبار أبي العباس الأعمى 466
 أخبار أبي حية النّميري و نسبه 473
 أخبار أحمد بن يحيى المكي 476

[من غزل جرير] 480

أخبار نائلة بنت الفرافصة و نسبها 483

أخبار عبد يغوث و نسبه 487

الموضوع الصفحة

أخبار ذات الخال 497

نسب حجر بن عمرو و السبب الذي من أجله قال هذا الشعر 506

أخبار محمد بن صالح العلويّ و نسبه 509

ذكر أخبار أبي دواد الإياديّ و نسبه 518

أخبار أبي تمام و نسبه 525

أخبار أبي الشَّيْص و نسبه 538

فهرس الموضوعات 545